



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَسَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَمِيمٌ وَصَلِيُّ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ وَ مَكْتَبَةُ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ
تَمَامٌ مِنْهَا

الجزء الأول

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٤٢	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ١
٤٢	اشاره
٤٢	اشاره
٤٥	(١) سورة فاتحه الكتاب مكيه و آياتها سبع (٧)
٤٥	اشاره
٤٥	توضيح
٤٥	أسمائها
٤٦	فضلها
٤٨	الاستعاذه
٤٨	اللغه
٤٨	المعنى
٤٨	الفاتحه (١): آيه ١
٤٨	اشاره
٤٨	توضيح
٤٩	فضلها
٥٠	اللغه
٥٢	الإعراب
٥٢	المعنى
٥٤	الفاتحه (١): آيه ٢
٥٤	اشاره
٥٤	القراءه
٥٤	اللغه
٥٦	الإعراب

المعنى ٥٨

الفاتحه (١): آيه ٣ ٥٨

اشاره ٥٨

توضيح ٥٨

الفاتحه (١): آيه ٤ ٥٨

اشاره ٥٨

الإعراب ٥٨

اللغه ٦٠

الإعراب ٦١

المعنى ٦٣

الفاتحه (١): آيه ٥ ٦٣

اشاره ٦٣

اللغه ٦٣

الإعراب ٦٣

المعنى ٦٥

الفاتحه (١): آيه ٦ ٦٧

اشاره ٦٧

القراءه ٦٧

الإعراب ٦٧

اللغه ٦٧

الإعراب ٦٩

المعنى ٦٩

الفاتحه (١): آيه ٧ ٧١

اشاره ٧١

القراءه ٧١

الإعراب ٧١

٧٢ الإعراب

٧٤ المعنى و اللغة

٧٧ (٢) سورة البقره مدنيه و آياتها ست و ثمانون و مائتان (٢٨٦)

٧٧ نزول

٧٧ فضلها

٧٨ البقره (٢): آيه ١

٧٨ اشاره

٧٨ توضيح

٨٠ اللغة

٨١ الإعراب

٨٢ البقره (٢): آيه ٢

٨٢ اشاره

٨٢ القراءه

٨٢ الإعراب

٨٤ اللغة

٨٥ الإعراب

٨٦ المعنى

٨٧ البقره (٢): آيه ٣

٨٧ اشاره

٨٧ القراءه

٨٧ اللغة و الإعراب

٩٠ المعنى

٩٢ البقره (٢): آيه ٤

٩٢ اشاره

٩٢ القراءه

٩٢ الإعراب

٩٢ المعنى

٩٣ البقره (٢): آيه ٥

٩٣ اشاره

٩٣ اللغه

٩٣ الإعراب

٩٥ المعنى

٩٥ البقره (٢): آيه ٦

٩٥ اشاره

٩٥ القراءة

٩٥ الإعراب

٩٧ اللغه

٩٧ الإعراب

١٠٠ المعنى

١٠١ البقره (٢): آيه ٧

١٠١ اشاره

١٠١ القراءة

١٠١ الإعراب

١٠١ اللغه

١٠٣ المعنى

١٠٥ البقره (٢): آيه ٨

١٠٥ اشاره

١٠٦ اللغه

١٠٦ الإعراب

١٠٦ المعنى

١٠٧ البقره (٢): آيه ٩

١٠٧ اشاره

١٠٧ القراءه

١٠٧ الإعراب

١٠٧ اللغه

١٠٧ الإعراب

١٠٩ المعنى

١٠٩ البقره (٢): آيه ١٠

١٠٩ اشاره

١٠٩ القراءه

١٠٩ الإعراب

١١٠ اللغه

١١٠ المعنى

١١٢ البقره (٢): الآيات ١١ الى ١٢

١١٢ اشاره

١١٢ القراءه

١١٢ الإعراب

١١٣ اللغه

١١٣ الإعراب

١١٤ المعنى

١١٤ البقره (٢): آيه ١٣

١١٤ اشاره

١١٤ القراءه

١١٤ اللغه

١١٥ الإعراب

١١٥ المعنى

١١٥ البقره (٢): آيه ١٤

١١٥ اشاره

١١٥ القراءه

١١٥ الإعراب

١١٦ اللغه

١١٧ الإعراب

١١٧ المعنى

١١٧ البقره (٢): آيه ١٥

١١٧ اشاره

١١٧ اللغه

١١٩ الإعراب

١١٩ المعنى

١٢١ البقره (٢): آيه ١٦

١٢١ اشاره

١٢١ القراءه

١٢١ الإعراب

١٢١ اللغه

١٢٣ الإعراب

١٢٣ المعنى

١٢٤ البقره (٢): آيه ١٧

١٢٤ اشاره

١٢٤ اللغه

١٢٤ الإعراب

١٢٥ المعنى

١٢٦ البقره (٢): آيه ١٨

١٢٦ اشاره

١٢٨ اللغه

١٢٨ الإعراب

المعنى - ١٢٨ -----

البقره (٢): آيه ١٩ ----- ١٢٩

اشاره ----- ١٢٩

القراءه ----- ١٢٩

الإعراب ----- ١٢٩

اللغه ----- ١٢٩

الإعراب ----- ١٣٠

المعنى ----- ١٣٠

البقره (٢): آيه ٢٠ ----- ١٣٢

اشاره ----- ١٣٢

اللغه ----- ١٣٢

الإعراب ----- ١٣٢

المعنى ----- ١٣٣

البقره (٢): آيه ٢١ ----- ١٣٣

اشاره ----- ١٣٣

اللغه ----- ١٣٣

الإعراب ----- ١٣٣

المعنى ----- ١٣٤

البقره (٢): آيه ٢٢ ----- ١٣٥

اشاره ----- ١٣٥

القراءه ----- ١٣٥

الإعراب ----- ١٣٥

اللغه ----- ١٣٥

المعنى ----- ١٣٧

البقره (٢): آيه ٢٣ ----- ١٣٩

اشاره ----- ١٣٩

اللغه - ١٣٩

الإعراب - ١٣٩

المعنى - ١٤١

البقره (٢): آيه ٢٤ - ١٤٢

اشاره - ١٤٢

الإعراب - ١٤٣

المعنى - ١٤٣

البقره (٢): آيه ٢٥ - ١٤٤

اشاره - ١٤٤

اللغه - ١٤٤

الإعراب - ١٤٥

المعنى - ١٤٥

البقره (٢): آيه ٢٦ - ١٤٧

اشاره - ١٤٧

القراءه - ١٤٧

اللغه - ١٤٧

الإعراب - ١٤٧

المعنى - ١٤٩

البقره (٢): آيه ٢٧ - ١٥٢

اشاره - ١٥٢

اللغه - ١٥٣

الإعراب - ١٥٣

المعنى - ١٥٣

البقره (٢): آيه ٢٨ - ١٥٤

اشاره - ١٥٤

القراءه - ١٥٤

الإعراب ١٥٤

المعنى ١٥٥

البقره (٢): آيه ٢٩ - ١٥٦

اشاره ١٥٦

اللغه ١٥٦

المعنى ١٥٦

البقره (٢): آيه ٣٠ - ١٥٨

اشاره ١٥٨

اللغه ١٥٨

الإعراب ١٦١

المعنى ١٦١

البقره (٢): آيه ٣١ - ١٦٤

اشاره ١٦٤

القراءه ١٦٤

اللغه ١٦٤

المعنى ١٦٥

البقره (٢): آيه ٣٢ - ١٦٧

اشاره ١٦٧

اللغه ١٦٧

الإعراب ١٦٨

المعنى ١٦٨

البقره (٢): آيه ٣٣ - ١٦٩

اشاره ١٦٩

القراءه ١٦٩

الإعراب ١٦٩

اللغه ١٦٩

الإعراب ١٦٩

المعنى ١٦٩

البقره (٢): آيه ٣٤ - ١٧٢

اشاره ١٧٢

القراءه ١٧٢

الإعراب ١٧٢

اللغه ١٧٢

الإعراب ١٧٤

المعنى ١٧٤

البقره (٢): آيه ٣٥ - ١٨٠

اشاره ١٨٠

اللغه ١٨٠

الإعراب ١٨١

المعنى ١٨١

البقره (٢): آيه ٣٦ - ١٨٤

اشاره ١٨٤

القراءه ١٨٤

الإعراب ١٨٤

اللغه ١٨٤

المعنى ١٨٦

البقره (٢): آيه ٣٧ - ١٨٨

اشاره ١٨٨

القراءه ١٨٨

الإعراب ١٨٨

اللغه ١٨٨

المعنى ١٨٩

البقره (٢): آيه ٣٨ - ١٩١

اشاره - ١٩١

القراءه - ١٩١

اللغه - ١٩١

الإعراب - ١٩١

المعنى - ١٩٣

البقره (٢): آيه ٣٩ - ١٩٤

اشاره - ١٩٤

اللغه - ١٩٤

الإعراب - ١٩٤

المعنى - ١٩٥

البقره (٢): آيه ٤٠ - ١٩٥

اشاره - ١٩٥

القراءه - ١٩٥

اللغه - ١٩٥

الإعراب - ١٩٦

المعنى - ١٩٧

البقره (٢): آيه ٤١ - ١٩٨

اشاره - ١٩٨

اللغه - ١٩٨

الإعراب - ١٩٩

المعنى - ١٩٩

البقره (٢): آيه ٤٢ - ٢٠٠

اشاره - ٢٠٠

اللغه - ٢٠١

الإعراب - ٢٠١

٢٠١ المعنى

٢٠٣ البقره (٢): آيه ٤٣

٢٠٣ اشاره

٢٠٣ اللغه

٢٠٥ المعنى

٢٠٦ البقره (٢): آيه ٤٤

٢٠٦ اشاره

٢٠٦ اللغه

٢٠٧ المعنى

٢٠٧ البقره (٢): آيه ٤٥

٢٠٧ اشاره

٢٠٨ اللغه

٢٠٨ الإعراب

٢٠٨ المعنى

٢١١ البقره (٢): آيه ٤٦

٢١١ اشاره

٢١٢ اللغه

٢١٣ الإعراب

٢١٤ المعنى

٢١٥ البقره (٢): آيه ٤٧

٢١٥ اشاره

٢١٥ المعنى

٢١٥ البقره (٢): آيه ٤٨

٢١٥ اشاره

٢١٥ القراءه

٢١٥ الإعراب

اللغه - ٢١٤

الإعراب - ٢١٤

المعنى - ٢١٨

البقره (٢): آيه ٤٩ - ٢١٩

اشاره - ٢١٩

القراءه - ٢١٩

الإعراب - ٢١٩

اللغه - ٢١٩

الإعراب - ٢٢٢

المعنى - ٢٢٢

البقره (٢): آيه ٥٠ - ٢٢٣

اشاره - ٢٢٣

القراءه - ٢٢٣

اللغه - ٢٢٣

المعنى - ٢٢٥

البقره (٢): آيه ٥١ - ٢٢٧

اشاره - ٢٢٧

القراءه - ٢٢٧

الإعراب - ٢٢٧

اللغه - ٢٢٨

الإعراب - ٢٢٨

المعنى - ٢٢٩

البقره (٢): آيه ٥٢ - ٢٣٠

اشاره - ٢٣٠

اللغه - ٢٣٠

المعنى - ٢٣٢

- ٢٣٢ البقره (٢): آيه ٥٣
- ٢٣٢ اشاره
- ٢٣٣ اللغه
- ٢٣٣ المعنى
- ٢٣٥ البقره (٢): آيه ٥٤
- ٢٣٥ اشاره
- ٢٣٥ القراءه
- ٢٣٥ الإعراب
- ٢٣٧ اللغه
- ٢٣٧ الإعراب
- ٢٣٨ المعنى
- ٢٣٩ البقره (٢): آيه ٥٥
- ٢٣٩ اشاره
- ٢٤٠ اللغه
- ٢٤٠ الإعراب
- ٢٤٠ المعنى
- ٢٤١ البقره (٢): آيه ٥٦
- ٢٤١ اشاره
- ٢٤١ اللغه
- ٢٤١ المعنى
- ٢٤٢ البقره (٢): آيه ٥٧
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٢ اللغه
- ٢٤٢ الإعراب
- ٢٤٢ المعنى
- ٢٤٤ البقره (٢): آيه ٥٨

٢٤٤ اشارة

٢٤٤ القراءة

٢٤٥ اللغة

٢٤٧ الإعراب

٢٤٨ المعنى

٢٤٩ البقره (٢): آيه ٥٩

٢٤٩ اشارة

٢٤٩ اللغة

٢٤٩ الإعراب

٢٤٩ المعنى

٢٥٠ البقره (٢): آيه ٦٠

٢٥٠ اشارة

٢٥٠ اللغة

٢٥٠ الإعراب

٢٥١ المعنى

٢٥٢ البقره (٢): آيه ٦١

٢٥٢ اشارة

٢٥٣ القراءة

٢٥٣ الإعراب

٢٥٣ اللغة

٢٥٤ الإعراب

٢٥٨ المعنى

٢٦١ البقره (٢): آيه ٦٢

٢٦١ اشارة

٢٦١ القراءة

٢٦١ الإعراب

٢٦١ اللغة

٢٦٢ الإعراب

٢٦٣ المعنى

٢٦٤ البقره (٢): آيه ٦٣

٢٦٤ اشاره

٢٦٤ اللغة

٢٦٤ الإعراب

٢٦٥ المعنى

٢٦٥ البقره (٢): آيه ٦٤

٢٦٥ اشاره

٢٦٦ اللغة

٢٦٦ المعنى

٢٦٦ البقره (٢): آيه ٦٥

٢٦٦ اشاره

٢٦٦ اللغة

٢٦٧ المعنى

٢٦٨ البقره (٢): آيه ٦٦

٢٦٨ اشاره

٢٦٨ اللغة

٢٦٨ المعنى

٢٦٩ البقره (٢): الآيات ٦٧ الى ٧١

٢٦٩ اشاره

٢٦٩ القراءه

٢٧٠ الإعراب

٢٧٠ اللغة

٢٧٢ الإعراب

المعنى - ٢٧٧ -----

البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٣ ----- ٢٨١

اشاره ----- ٢٨١

اللغه ----- ٢٨١

البقره (٢): آيه ٧٤ ----- ٢٨٣

اشاره ----- ٢٨٣

القراءه ----- ٢٨٤

الإعراب ----- ٢٨٤

اللغه ----- ٢٨٤

المعنى و الإعراب ----- ٢٨٥

البقره (٢): آيه ٧٥ ----- ٢٩١

اشاره ----- ٢٩١

اللغه ----- ٢٩١

الإعراب ----- ٢٩١

المعنى ----- ٢٩٢

البقره (٢): آيه ٧٦ ----- ٢٩٢

اشاره ----- ٢٩٢

اللغه ----- ٢٩٣

المعنى ----- ٢٩٣

البقره (٢): آيه ٧٧ ----- ٢٩٥

اشاره ----- ٢٩٥

المعنى ----- ٢٩٥

البقره (٢): آيه ٧٨ ----- ٢٩٦

اشاره ----- ٢٩٦

القراءه ----- ٢٩٦

الإعراب ----- ٢٩٦

اللغه - ٢٩٦

الإعراب - ٢٩٨

المعنى - ٢٩٩

البقره (٢): آيه ٧٩ - ٣٠٠

اشاره - ٣٠٠

اللغه - ٣٠٠

الإعراب - ٣٠٠

المعنى - ٣٠١

البقره (٢): آيه ٨٠ - ٣٠٢

اشاره - ٣٠٢

اللغه - ٣٠٢

الإعراب - ٣٠٢

المعنى - ٣٠٢

البقره (٢): الآيات ٨١ الى ٨٢ - ٣٠٢

اشاره - ٣٠٢

القراءه - ٣٠٤

الإعراب - ٣٠٤

الإعراب - ٣٠٤

المعنى - ٣٠٥

البقره (٢): آيه ٨٣ - ٣٠٦

اشاره - ٣٠٦

القراءه - ٣٠٦

الإعراب - ٣٠٦

اللغه - ٣٠٦

الإعراب - ٣٠٧

المعنى - ٣٠٨

البقره (٢): آيه ٨٤ ----- ٣٠٩

اشاره ----- ٣٠٩

اللغه ----- ٣٠٩

الإعراب ----- ٣١٠

المعنى ----- ٣١٠

البقره (٢): آيه ٨٥ ----- ٣١١

اشاره ----- ٣١١

القراءه ----- ٣١١

الإعراب ----- ٣١١

اللغه ----- ٣١٢

الإعراب ----- ٣١٢

المعنى ----- ٣١٤

البقره (٢): آيه ٨٦ ----- ٣١٥

اشاره ----- ٣١٥

اللغه ----- ٣١٦

المعنى ----- ٣١٦

البقره (٢): آيه ٨٧ ----- ٣١٦

اشاره ----- ٣١٦

القراءه ----- ٣١٦

الإعراب ----- ٣١٦

اللغه ----- ٣١٧

المعنى ----- ٣١٧

البقره (٢): آيه ٨٨ ----- ٣٢٠

اشاره ----- ٣٢٠

القراءه ----- ٣٢٠

الإعراب ----- ٣٢٠

اللغه - ٣٢٠

الإعراب - ٣٢٠

المعنى - ٣٢٢

البقره (٢): آيه ٨٩ - ٣٢٣

اشاره - ٣٢٣

الإعراب - ٣٢٣

المعنى - ٣٢٤

البقره (٢): آيه ٩٠ - ٣٢٥

اشاره - ٣٢٥

القراءه - ٣٢٥

الإعراب - ٣٢٥

اللغه - ٣٢٥

الإعراب - ٣٢٥

المعنى - ٣٢٨

البقره (٢): آيه ٩١ - ٣٢٩

اشاره - ٣٢٩

اللغه - ٣٢٩

الإعراب - ٣٢٩

المعنى - ٣٢٩

البقره (٢): آيه ٩٢ - ٣٣٠

اشاره - ٣٣٠

المعنى - ٣٣٠

البقره (٢): آيه ٩٣ - ٣٣١

اشاره - ٣٣١

اللغه - ٣٣١

الإعراب - ٣٣١

المعنى - ٣٣٣

البقره (٢): آيه ٩٤ - ٣٣٤

اشاره - ٣٣٤

اللغه - ٣٣٤

الإعراب - ٣٣٤

المعنى - ٣٣٤

البقره (٢): آيه ٩٥ - ٣٣٥

اشاره - ٣٣٥

الإعراب - ٣٣٥

المعنى - ٣٣٥

البقره (٢): آيه ٩٦ - ٣٣٧

اشاره - ٣٣٧

اللغه - ٣٣٧

الإعراب - ٣٣٨

المعنى - ٣٣٨

البقره (٢): الآيات ٩٧ الى ٩٨ - ٣٤٠

اشاره - ٣٤٠

القراءه - ٣٤٠

الإعراب - ٣٤٠

اللغه - ٣٤٠

الإعراب - ٣٤١

المعنى - ٣٤١

البقره (٢): آيه ٩٩ - ٣٤٢

اشاره - ٣٤٢

اللغه - ٣٤٢

الإعراب - ٣٤٢

المعنى - ٣٤٣

البقره (٢): آيه ١٠٠ - ٣٤٣

اشاره - ٣٤٣

اللغه - ٣٤٣

المعنى - ٣٤٤

البقره (٢): آيه ١٠١ - ٣٤٤

اشاره - ٣٤٤

الإعراب - ٣٤٤

المعنى - ٣٤٥

البقره (٢): آيه ١٠٢ - ٣٤٦

اشاره - ٣٤٦

القراءه - ٣٤٦

الإعراب - ٣٤٦

اللغه - ٣٤٧

الإعراب - ٣٤٩

المعنى - ٣٥٣

البقره (٢): آيه ١٠٣ - ٣٦٠

اشاره - ٣٦٠

اللغه - ٣٦٠

الإعراب - ٣٦٠

المعنى - ٣٦٠

البقره (٢): آيه ١٠٤ - ٣٦١

اشاره - ٣٦١

اللغه - ٣٦١

المعنى - ٣٦١

البقره (٢): آيه ١٠٥ - ٣٦٢

٣٦٢ اشارة

٣٦٢ اللغة

٣٦٢ الإعراب

٣٦٢ المعنى

٣٦٣ البقره (٢): آيه ١٠٦

٣٦٣ اشارة

٣٦٣ القراءة

٣٦٣ الإعراب

٣٦٣ اللغة

٣٦٤ الإعراب

٣٦٥ المعنى

٣٦٧ البقره (٢): آيه ١٠٧

٣٦٧ اشارة

٣٦٧ اللغة

٣٦٧ الإعراب و المعنى

٣٦٨ البقره (٢): آيه ١٠٨

٣٦٨ اشارة

٣٦٨ اللغة

٣٧٠ المعنى

٣٧١ البقره (٢): آيه ١٠٩

٣٧١ اشارة

٣٧١ اللغة

٣٧١ الإعراب

٣٧٢ المعنى

٣٧٣ البقره (٢): آيه ١١٠

٣٧٣ اشارة

الإعراب ٣٧٣

المعنى ٣٧٣

البقره (٢): آيه ١١١ ٣٧٤

اشاره ٣٧٤

اللغه ٣٧٤

الإعراب ٣٧٤

المعنى ٣٧٤

البقره (٢): آيه ١١٢ ٣٧٥

اشاره ٣٧٥

اللغه ٣٧٥

الإعراب ٣٧٦

المعنى ٣٧٦

البقره (٢): آيه ١١٣ ٣٧٨

اشاره ٣٧٨

اللغه ٣٧٨

الإعراب ٣٧٨

المعنى ٣٧٩

البقره (٢): آيه ١١٤ ٣٨٠

اشاره ٣٨٠

اللغه ٣٨٠

الإعراب ٣٨٠

المعنى ٣٨١

البقره (٢): آيه ١١٥ ٣٨٢

اشاره ٣٨٢

اللغه ٣٨٢

الإعراب ٣٨٣

المعنى - ٣٨٤

البقره (٢): آيه ١١٦ - ٣٨٤

اشاره - ٣٨٤

القراءه - ٣٨٤

الإعراب - ٣٨٥

اللغه - ٣٨٥

المعنى - ٣٨٥

البقره (٢): آيه ١١٧ - ٣٨٧

اشاره - ٣٨٧

القراءه - ٣٨٧

الإعراب و الحجه - ٣٨٧

اللغه - ٣٨٧

المعنى - ٣٨٨

البقره (٢): آيه ١١٨ - ٣٩١

اشاره - ٣٩١

اللغه - ٣٩١

الإعراب - ٣٩٢

المعنى - ٣٩٢

البقره (٢): آيه ١١٩ - ٣٩٣

اشاره - ٣٩٣

القراءه - ٣٩٣

الإعراب - ٣٩٣

اللغه - ٣٩٤

المعنى - ٣٩٤

البقره (٢): آيه ١٢٠ - ٣٩٥

اشاره - ٣٩٥

اللغه - ٣٩٥

الإعراب - ٣٩٥

المعنى - ٣٩٥

البقره (٢): آيه ١٢١ - ٣٩٦

اشاره - ٣٩٦

الإعراب - ٣٩٦

المعنى - ٣٩٦

البقره (٢): آيه ١٢٢ - ٣٩٧

اشاره - ٣٩٧

المعنى - ٣٩٧

البقره (٢): آيه ١٢٣ - ٣٩٧

اشاره - ٣٩٧

توضيح - ٣٩٨

البقره (٢): آيه ١٢٤ - ٣٩٨

اشاره - ٣٩٨

القراءه - ٣٩٨

الإعراب - ٣٩٨

اللغه - ٣٩٨

الإعراب - ٤٠٠

المعنى - ٤٠٠

البقره (٢): آيه ١٢٥ - ٤٠٤

اشاره - ٤٠٤

القراءه - ٤٠٤

الإعراب - ٤٠٤

اللغه - ٤٠٤

المعنى - ٤٠٥

البقره (٢): آيه ١٢٦ ٤٠٨

اشاره ٤٠٨

القرءاه ٤٠٨

الإعراب ٤٠٩

اللغه ٤٠٩

الإعراب ٤٠٩

المعنى ٤١١

البقره (٢): آيه ١٢٧ ٤١٢

اشاره ٤١٢

اللغه ٤١٢

الإعراب ٤١٢

المعنى ٤١٣

البقره (٢): آيه ١٢٨ ٤١٧

اشاره ٤١٧

القرءاه ٤١٧

الإعراب ٤١٧

اللغه ٤١٧

الإعراب ٤١٩

المعنى ٤١٩

البقره (٢): آيه ١٢٩ ٤٢١

اشاره ٤٢١

اللغه ٤٢١

الإعراب ٤٢١

المعنى ٤٢١

البقره (٢): آيه ١٣٠ ٤٢٢

اشاره ٤٢٢

٤٢٣ اللغة

٤٢٣ الإعراب

٤٢٤ المعنى

٤٢٤ البقره (٢): آيه ١٣١

٤٢٤ اشاره

٤٢٤ الإعراب

٤٢٤ المعنى

٤٢٤ البقره (٢): آيه ١٣٢

٤٢٤ اشاره

٤٢٤ القراءه

٤٢٤ الإعراب

٤٢٤ اللغة

٤٢٤ الإعراب

٤٢٧ المعنى

٤٢٧ البقره (٢): آيه ١٣٣

٤٢٧ اشاره

٤٢٧ اللغة

٤٢٨ الإعراب

٤٢٨ المعنى

٤٢٩ البقره (٢): آيه ١٣٤

٤٢٩ اشاره

٤٢٩ اللغة

٤٢٩ الإعراب

٤٢٩ المعنى

٤٣١ البقره (٢): آيه ١٣٥

٤٣١ اشاره

٤٣١ اللغة

٤٣١ الإعراب

٤٣٣ المعنى

٤٣٤ البقره (٢): آيه ١٣٦

٤٣٤ اشاره

٤٣٤ اللغة

٤٣٤ الإعراب

٤٣٤ المعنى

٤٣٥ البقره (٢): آيه ١٣٧

٤٣٥ اشاره

٤٣٥ اللغة

٤٣٦ الإعراب

٤٣٦ المعنى

٤٣٨ البقره (٢): آيه ١٣٨

٤٣٨ اشاره

٤٣٨ اللغة

٤٣٨ الإعراب

٤٣٨ المعنى

٤٤٠ البقره (٢): آيه ١٣٩

٤٤٠ اشاره

٤٤٠ اللغة

٤٤٠ الإعراب

٤٤٠ المعنى

٤٤١ البقره (٢): آيه ١٤٠

٤٤١ اشاره

٤٤١ القراءة

الإعراب ٤٤١

اللغه ٤٤١

الإعراب ٤٤٣

المعنى ٤٤٣

البقره (٢): آيه ١٤١ ٤٤٤

اشاره ٤٤٤

توضيح ٤٤٤

البقره (٢): آيه ١٤٢ ٤٤٤

اشاره ٤٤٤

اللغه ٤٤٥

الإعراب ٤٤٥

المعنى ٤٤٥

البقره (٢): آيه ١٤٣ ٤٤٧

اشاره ٤٤٧

القرءاه ٤٤٧

الإعراب ٤٤٧

اللغه ٤٤٧

الإعراب ٤٤٩

المعنى ٤٤٩

البقره (٢): آيه ١٤٤ ٤٥٢

اشاره ٤٥٢

اللغه ٤٥٢

الإعراب ٤٥٢

المعنى ٤٥٢

البقره (٢): آيه ١٤٥ ٤٥٥

اشاره ٤٥٥

الإعراب ٤٥٥

المعنى ٤٥٥

البقره (٢): آيه ١٤٦ ٤٥٧

اشاره ٤٥٧

المعنى ٤٥٧

البقره (٢): آيه ١٤٧ ٤٥٧

اشاره ٤٥٧

اللغه ٤٥٧

الإعراب ٤٥٨

المعنى ٤٥٨

البقره (٢): آيه ١٤٨ ٤٥٨

اشاره ٤٥٨

القراءه ٤٥٨

الإعراب ٤٥٨

اللغه ٤٦٠

المعنى ٤٦٠

البقره (٢): آيه ١٤٩ ٤٦١

اشاره ٤٦١

المعنى ٤٦١

البقره (٢): آيه ١٥٠ ٤٦١

اشاره ٤٦١

الإعراب ٤٦١

المعنى ٤٦٢

البقره (٢): آيه ١٥١ ٤٦٤

اشاره ٤٦٤

اللغه ٤٦٥

الإعراب ٤٦٥

المعنى ٤٦٥

البقره (٢): آيه ١٥٢ ٤٦٦

اشاره ٤٦٦

اللغه ٤٦٦

المعنى ٤٦٧

البقره (٢): آيه ١٥٣ ٤٦٧

اشاره ٤٦٧

الإعراب ٤٦٧

المعنى ٤٦٨

البقره (٢): آيه ١٥٤ ٤٦٨

اشاره ٤٦٨

اللغه ٤٦٨

الإعراب ٤٦٩

المعنى ٤٦٩

البقره (٢): آيه ١٥٥ ٤٧١

اشاره ٤٧١

اللغه ٤٧١

الإعراب ٤٧١

المعنى ٤٧١

البقره (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧ ٤٧٢

اشاره ٤٧٢

القرءاءه ٤٧٢

الإعراب ٤٧٢

اللغه ٤٧٣

المعنى ٤٧٣

- ٤٧٤ البقره (٢): آيه ١٥٨
- ٤٧٤ اشاره
- ٤٧٤ القراءه
- ٤٧٤ الإعراب
- ٤٧٤ اللغه
- ٤٧٤ الإعراب
- ٤٧٤ المعنى
- ٤٧٨ البقره (٢): آيه ١٥٩
- ٤٧٨ اشاره
- ٤٧٨ المعنى
- ٤٧٩ البقره (٢): آيه ١٦٠
- ٤٧٩ اشاره
- ٤٧٩ اللغه
- ٤٧٩ الإعراب
- ٤٧٩ المعنى
- ٤٨١ البقره (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢
- ٤٨١ اشاره
- ٤٨١ اللغه
- ٤٨٢ الإعراب
- ٤٨٢ المعنى
- ٤٨٣ البقره (٢): آيه ١٦٣
- ٤٨٣ اشاره
- ٤٨٣ اللغه
- ٤٨٣ الإعراب
- ٤٨٣ المعنى
- ٤٨٤ البقره (٢): آيه ١٦٤

٤٨٤ اشارة

٤٨٥ القراءه

٤٨٥ الإعراب

٤٨٥ اللغه

٤٨٨ المعنى

٤٩٠ البقره (٢): آيه ١٦٥

٤٩٠ اشارة

٤٩٠ القراءه

٤٩٠ الإعراب

٤٩١ اللغه

٤٩١ الإعراب

٤٩٢ المعنى

٤٩٣ البقره (٢): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧

٤٩٣ اشارة

٤٩٤ اللغه

٤٩٤ الإعراب

٤٩٥ المعنى

٤٩٦ البقره (٢): آيه ١٦٨

٤٩٦ اشارة

٤٩٦ القراءه

٤٩٦ الإعراب

٤٩٦ اللغه

٤٩٧ الإعراب

٤٩٧ المعنى

٤٩٨ البقره (٢): آيه ١٦٩

٤٩٨ اشارة

٤٩٨ اللغة -

٤٩٨ المعنى -

٤٩٩ البقره (٢): آيه ١٧٠

٤٩٩ اشاره

٤٩٩ اللغة -

٤٩٩ الإعراب

٤٩٩ المعنى -

٥٠٠ البقره (٢): آيه ١٧١

٥٠٠ اشاره

٥٠٠ اللغة -

٥٠١ المعنى -

٥٠٤ البقره (٢): آيه ١٧٢

٥٠٤ اشاره

٥٠٤ اللغة -

٥٠٤ الإعراب

٥٠٤ المعنى -

٥٠٥ البقره (٢): آيه ١٧٣

٥٠٥ اشاره

٥٠٥ القراءه

٥٠٥ الإعراب

٥٠٥ اللغة -

٥٠٦ الإعراب

٥٠٦ المعنى -

٥٠٧ البقره (٢): آيه ١٧٤

٥٠٧ اشاره

٥٠٧ اللغة -

الإعراب ٥٠٧

المعنى ٥٠٧

البقره (٢): آيه ١٧٥ ٥٠٩

اشاره ٥٠٩

الإعراب ٥٠٩

المعنى ٥٠٩

البقره (٢): آيه ١٧٦ ٥١٠

اشاره ٥١٠

اللغه ٥١٠

الإعراب ٥١٠

المعنى ٥١١

البقره (٢): آيه ١٧٧ ٥١٢

اشاره ٥١٢

القرءاه ٥١٢

الإعراب ٥١٢

اللغه ٥١٢

الإعراب ٥١٣

المعنى ٥١٨

البقره (٢): آيه ١٧٨ ٥٢٠

اشاره ٥٢٠

اللغه ٥٢٠

الإعراب ٥٢١

المعنى ٥٢١

البقره (٢): آيه ١٧٩ ٥٢٣

اشاره ٥٢٣

اللغه ٥٢٣

المعنى - ٥٢٣

البقره (٢): آيه ١٨٠ - ٥٢٤

اشاره - ٥٢٤

اللغه - ٥٢٤

الإعراب - ٥٢٤

المعنى - ٥٢٤

البقره (٢): آيه ١٨١ - ٥٢٧

اشاره - ٥٢٧

المعنى - ٥٢٧

البقره (٢): آيه ١٨٢ - ٥٢٧

اشاره - ٥٢٧

القراءه - ٥٢٧

الإعراب - ٥٢٧

اللغه - ٥٢٧

الإعراب - ٥٢٨

المعنى - ٥٢٨

تعريف مركز - ٥٣١

مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ١

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحح: هاشم رسولى

مصحح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(١) سورة فاتحه الكتاب مكيه و آياتها سبع (٧)

إشارة

توضيح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكيه عن ابن عباس و قتاده و مدنيه عن مجاهد و قيل أنزلت مرتين مره بمكه و مره بالمدينه.

أسمائها

(فاتحه الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها و لوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحه لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب و القراءه (الحمد) سميت بذلك لأن فيها ذكر الحمد (أم الكتاب) سميت بذلك لأنها متقدمه على سائر سور القرآن و العرب تسمى كل جامع أمر أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أما فيقولون أم الرأس للجلده التي تجمع الدماغ و أم القرى لأن الأرض دحيت من تحت مكه فصارت لجمعها أما و قيل لأنها أشرف البلدان فهي متقدمه على سائرها و قيل سميت بذلك لأنها أصل القرآن و الأم هي الأصل و إنما صارت أصل القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما في السور لأن فيها إثبات الربوبيه و العبوديه و هذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لأنها سبع آيات لا خلاف في جملتها (المثاني) سميت بذلك لأنها ثنتي بقراءتها في كل صلاه فرض و نفل و قيل لأنها نزلت مرتين، هذه أسمائها المشهوره، و قد ذكر في أسمائها (الوافيه) لأنها لا تتصرف في الصلاه و (الكافيه) لأنها تكفي عما سواها و لا يكفي ما سواها عنها و يؤيد ذلك ما

رواه عباده بن الصامت عن النبي صلى الله عليه و آله أم القرآن عوض عن غيرها و ليس غيرها عوضا عنها

و (الأساس) لما روى عن ابن عباس أن لكل شىء أساسا و ساق الحديث إلى أن قال و أساس القرآن الفاتحه و أساس الفاتحه بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لما

روى عن النبي صلى الله عليه و آله فاتحه الكتاب شفاء من كل داء

و (الصلاه) لما

روى عن النبي صلى الله عليه و آله قال قال الله تعالى قسمت الصلاه بيني و بين عبدى نصفين نصفها لى و نصفها لعبدى فإذا قال العبد «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يقول الله حمدنى عبدى فإذا قال «الرَّحْمَنِ

ص: ٤

الرَّحِيمِ» يقول الله أثنى على عبدى فإذا قال العبد «مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ» يقول الله مجدنى عبدى فإذا قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» يقول الله هذا بينى و لعبدى ما سأل فإذا قال «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» إلى آخره قال الله هذا لعبدى ما سأل،
أورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح

فهذه عشره أسماء.

فضلها

ذكر الشيخ أبو الحسين الخبازى المقرئ فى كتابه فى القراءه أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم و الشيخ عبد الله بن محمد
قالا حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك قال حدثنا أحمد بن يونس اليربوعى قال حدثنا سلام بن سليمان المدائنى قال حدثنا
هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامه عن أبى بن كعب قال قال رسول الله أيما مسلم قرأ فاتحه الكتاب أعطى
من الأجر كأنما قرأ ثلثى القرآن و أعطى من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن و مؤمنة و روى من طريق آخر هذا الخبر بعينه
إلا أنه قال كأنما قرأ القرآن

، و

روى غيره عن أبى بن كعب أنه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه و آله فاتحه الكتاب فقال و الذى نفسى بيده ما أنزل الله
فى التوراه و لا- فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى القرآن مثلها هى أم الكتاب و هى السبع المثانى و هى مقسومه بين الله و بين
عبده و لعبده ما سأل

، و

فى كتاب محمد بن مسعود العياشى بإسناده أن النبى صلى الله عليه و آله قال لجابر بن عبد الله الأنصارى يا جابر ألا أعلمك
أفضل سورة أنزلها الله فى كتابه قال فقال له جابر بلى بأبى أنت و أمى يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد أم الكتاب ثم قال يا
جابر ألا أخبرك عنها قال بلى بأبى أنت و أمى فأخبرنى فقال هى شفاء من كل داء إلا السام و السام الموت،

و عن سلمه بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شىء

و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله تعالى قال لى يا محمد و لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا
مِنَ الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فأفرد الامتنان على بفاتحه الكتاب و جعلها بإزاء القرآن، و إن فاتحه الكتاب أشرف ما فى كنوز
العرش و إن الله خص محمدا و شرفه بها و لم يشرك فيها أحدا من أنبيائه ما خلا سليمان فإنه أعطاه منها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ» ألا- تراه يحكى عن بلقيس حين قالت إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألا فمن
قرأها معتقدا لموالاه محمد و آله منقادا لأمرها. مؤمنا بظاهرها و باطنها. أعطاه الله بكل حرف منها حسنه كل واحده منها أفضل
له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها و خيراتها و من استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارىء فليستكثر أحدكم

من هذا الخير المعرض له فإنه غنيمه. لا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسره

ص: ٥

اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسميه فيقول ابن كثير و عاصم و أبو عمرو: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) و نافع و ابن عامر و الكسائي: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إن الله هو السميع العليم)، و حمزه: (نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم)، و أبو حاتم (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)

اللغه

الاستعاذه الاستجاره فمعناه أستجير بالله دون غيره و العوذ و العياذ هو اللجأ و [الشيطان] فى اللغه هو كل متمرّد من الجن و الإنس و الدواب و لذلك جاء فى القرآن شَيطَانِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ و وزنه فيعال من شطنت الدار أى بعدت و قيل هو فعلان من شاط يشيط إذا بطل و الأول أصح لأنه قد جاء فى الشعر شاطن بمعناه قال أميه بن أبى الصلت

أيما شاطن عصاه عكاه

ثم يلقى فى السجن و الأغلال

و الرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم و هو الرمى

المعنى

أمر الله بالاستعاذه من الشيطان إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان فقال فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، و معنى أعوذ ألاجأ إلى الله من شر الشيطان أى البعيد من الخير المفارق أخلاقه أخلاق جميع جنسه و قيل المبعد من رحمه الله (الرجيم) أى المطرود من السماء المرمى بالشهب الثاقبه و قيل المرجوم باللغه (إن الله هو السميع) السميع لجميع المسموعات (العليم) بجميع المعلومات.

الفاتحه (١): آيه ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

توضيح

اتفق أصحابنا أنها آيه من سوره الحمد و من كل سوره و إن من تركها فى الصلاه بطلت صلاته سواء كانت الصلاه فرضاً أو نفلاً و أنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءه و يستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءه و فى جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأئمه و لا خلاف فى أنها بعض آيه من سوره النمل و كل من عدها آيه جعل من قوله صِرَاطَ الَّذِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ آيَةً و من لم يعدها آيه جعل صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آيَةً و قال إنها افتتاح للتيمن و التبرك و أما القراءه فإن حمزه و خلفا و يعقوب و اليزيدى تركوا الفصل بين السور بالتسميه و الباقون يفصلون بينها بالتسميه إلا بين الأنفال و التوبه.

روى عن على بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى
بياضها

، و

روى عن ابن عباس عن

ص: ٦

النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إذا قال المعلم للصبي قل «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فقال الصبي «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» كتب الله براءة للصبي و براءة لأبويه و براءة للمعلم

و عن ابن مسعود قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فإنها تسعة عشر حرفاً ليجمع الله كل حرف منها جنة من واحد منهم و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعه إذا أظهروها و هي «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

اللغة

الاسم مشتق من السمو و هو الرفعه أصله سمو بالواو لأن جمعه أسماء مثل قنو و أقناء. و حنو و أحناء و تصغيره سمي قال الراجز:
(باسم الذى فى كل سورة سمه)

و سمه أيضا ذكره أبو زيد و غيره و قيل إنه مشتق من الوسم و السمه و الأول أصح لأن المحذوف الفاء نحو صله و وصل و عده و وعد لا تدخله همزة الوصل و لأنه كان يجب أن يقال فى تصغيره وسيم، كما يقال وعيده و وصيله فى تصغير عده و صله و الأمر بخلافه (الله) اسم لا يطلق إلا عليه سبحانه و تعالى و ذكر سيبويه فى أصله قولين (أحدهما) أنه إله على وزن فعال فحذفت الفاء التى هى الهمزة و جعلت الألف و اللام عوضا لازما عنها بدلاله استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف فى القسم و النداء فى نحو قوله (أفالله لتفعلن و يا الله اغفر لى) و لو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة فى الوصل كما لم تثبت فى غير هذا الاسم و القول الآخر أن أصله لاه و وزنه فعل فالحق به الألف و اللام. يدل عليه قول الأعشى:

كحلفه من أبى رباح

يسمعها لاهه الكبار

و إنما أدخلت عليه الألف و اللام للتفخيم و التعظيم فقط و من زعم أنها للتعريف فقد أخطأ لأن أسماء الله تعالى معارف و الألف من لاه منقلبه عن ياء فأصله إليه كقولهم فى معناه لهى أبوك قال سيبويه نقلت العين إلى موضع اللام و جعلت اللام ساكنة إذ صارت فى مكان العين كما كانت العين ساكنة و تركوا آخر الاسم الذى هو لهى مفتوحا كما تركوا آخر أن مفتوحا و إنما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرة فى كلامهم فغيروا إعرابه كما غيروا بناءه و هذه دلالة قاطعه لظهور الياء فى لهى و الألف على هذا القول منقلبه كما ترى

و فى القول الأول زائده لأنها ألف فعال و تقول العرب أيضا لاه أبوك تريد لله أبوك قال ذو الإصبع العدوانى:

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب

عنى و لا أنت ديانى فتخزونى

أى تسوسنى قال سيبويه حذفوا لام الإضافه و اللام الأخرى و لم ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله لأخرجن يريدون و الله و مثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فأما الكلام فى اشتقاقه فمنهم من قال إنه اسم موضع غير مشتق إذ ليس يجب فى كل لفظ أن يكون مشتقا لأنه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل و منهم من قال إنه مشتق ثم اختلفوا فى اشتقاقه على وجوه: فمنها أنه مشتق من الألوهيه التى هى العباده و التأله التعبد قال رؤبه:

لله در الغايات المده

سبحان و استرجعن من تألهى

أى تعبدى و قرأ ابن عباس و يذرك و إلهتك أى عبادتك و يقال أله الله فلان إلهه كما يقال عبده عباده فعلى هذا يكون معناه الذى يحق له العباده و لذلك لا يسمى به غيره و يوصف فيما لم يزل بأنه إله (و منها) أنه مشتق من الوله و هو التحير يقال أله يأله إذا تحير- عن أبى عمرو- فمعناه أنه الذى تتحير العقول فى كنه عظمته (و منها) أنه مشتق من قولهم ألهمت إلى فلان أى فزعت إليه لأن الخلق يألّهون إليه أى يفزعون إليه فى حوائجهم فليل للمألوه آله كما يقال للمؤتم به إمام (و منها) أنه مشتق من ألهمت إليه أى سكنت إليه عن المبرد و معناه أن الخلق يسكنون إلى ذكره و منها أنه من لاه أى احتجب فمعناه أنه المحتجب بالكيفيه عن الأوهام، الظاهر بالدلائل و الأعلام، «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» اسمان وضعا للمبالغه، و اشتقا من الرحمه، و هى النعمه، إلا أن فعلا أشد مبالغه من فعيل و حكى عن أبى عبيده أنه قال: الرحمن ذو الرحمه و الرحيم هو الراحم و كرر لضرب من التأكيد و أما ما روى عن ابن عباس أنهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق و الرحيم العطاف على عباده بالرزق و النعم فمحمول على أنه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، و النعمه بعد النعمه، فعبر عن ذلك بالرقه، لأنه لا يوصف بالرقه، و ما حكى عن تغلب أن لفظه الرحمن ليست بعريبه و إنما هى ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى «قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ» إنكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظه مشهوره عند العرب

موجوده فى أشعارها قال الشنفرى:

ألا ضربت تلك الفتاه هجينها

ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامه بن جندل:

(وما يشأ الرحمن يعقد و يطلق)

الإعراب

«بِسْمِ اللَّهِ» الباء حرف جر أصله الإلصاق و الحروف الجاره موضوعه لمعنى المفعوليه أ لا ترى أنها توصل الأفعال إلى الأسماء و توقعها عليها فإذا قلت مررت بزيد أوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فحمله نصب لأنه مفعول به و إنما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره و قيل إن محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف و تقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقه بالخبر المحذوف الذى قامت مقامه أى ابتدائي ثابت بسم الله أو ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير إلى موضع الباء و هذا بمنزله قولك زيد فى الدار و لا يجوز أن يتعلق الباء بابتدائي المضمرة لأنه مصدر و إذا تعلق به صارت من صلته و بقى المبتدأ بلا خبر و إذا سأل عن تحريك الباء مع أن أصل الحروف البناء و أصل البناء السكون فجوابه أنه حرك للزوم الابتداء به و لا يمكن الابتداء بالساكن و إنما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه و إذا لزم كاف التشبيه فى كزيد فجوابه أن الكاف لا يلزم الحرفيه و قد تكون اسما فى نحو قوله (يضحكن عن كالبرد المنهم) فخولف بينه و بين الحروف التى لا تفارق الحرفيه و هذا قول أبى عمرو الجرمى و أصحابه فأما أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى فقال إنهم لو فتحوا أو ضموا لجاز لأن الغرض التوصل إلى الابتداء فبأى حركه توصل إليه جاز و بعض العرب يفتح هذه الباء و هى لغه ضعيفه و إنما حذف الهمزه من بسم الله فى اللفظ لأنها همزه الوصل تسقط فى الدرج و حذف هاهنا فى الخط أيضا لكثرة الاستعمال و لوقوعها فى موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس و لا تحذف فى نحو قوله «أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ» لقله الاستعمال و إنما تغلظ لام الله إذا تقدمته الضمه أو الفتحة تفخيما لذكره، و إجلالا لقدره، و ليكون فرقا بينه و بين ذكر اللات. «اللَّهِ» مجرور بالإضافه و «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» مجروران لأنهما صفتان لله.

المعنى

«بِسْمِ اللَّهِ» قيل المراد به تضمين الاستعانه فتقديره استعينوا بأن تسموا الله بأسمائه الحسنى، و تصفوه بصفاته العلى، و قيل المراد استعينوا بالله و يلتفت إليه قول أبى عبيده أن الاسم صله و المراد هو الله كقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى ثم السلام عليكما و الاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلق على الاسم ذكرا أو خطابا معلقا على المسمى تقول رأيت زيدا فتعلق الرؤيه على الاسم و فى الحقيقه تعلقها بالمسمى فإن الاسم لا يرى فحسن إقامه الاسم مقام المسمى و قيل المراد به أبتداً بتسميه الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال أكرمته كرامه أى إكراما و أهنته هوانا أى إهانته و منه قول الشاعر:

أ كفرا بعد رد الموت عنى

و بعد عطائك المائه الرتاعا

أى بعد إعطائك، و قال الآخر:

فإن كان هذا البخل منك سجيّه

لقد كنت فى طولى رجائك أشعبا

أراد فى إطالتي رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتداء قراءتى بتسميه الله أو أقرأ مبتدئا بتسميه الله و هذا القول أولى بالصواب لأننا إنما أمرنا بأن نفتتح أمورنا بتسميه الله لا بالخبر عن كبريائه و عظمته كما أمرنا بالتسميه على الأكل و الشرب و الذبائح أ لا- ترى أن الذابح لو قال بالله و لم يقل باسم الله لكان مخالفا لما أمر به و معنى الله و الإله أنه الذى تحق له العباده و إنما تحق له العباده لأنه قادر على خلق الأجسام و إحيائها و الإنعام عليها بما يستحق به العباده و هو تعالى إله للحيوان و الجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العباده فأما من قال معنى الإله المستحق للعباده يلزمه أن لا يكون إلهها فى الأزل لأنه لم يفعل الإنعام الذى يستحق به العباده و هذا خطأ و إنما قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن بمنزله اسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه و على غيره و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه و آله أن عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا و الرحيم رحيم الآخرة

و عن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق و الرحيم بالمؤمنين خاصه و وجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم و كافرهم و برهم و فاجرهم هو إنشاؤه إياهم و خلقهم أحياء قادرين و رزقه إياهم و وجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم فى الدنيا من التوفيق

و فى الآخرة من الجنة و الإكرام، و غفران الذنوب و الآثام، و إلى هذا المعنى يؤول ما

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفه عامه و الرحيم اسم عام بصفه خاصه

و عن عكرمه قال الرحمن برحمه واحده و الرحيم بمائه رحمه و هذا المعنى قد اقتبسه من

قول الرسول أن لله عز و جل مائه رحمه و أنه أنزل منها واحده إلى الأرض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون و يتراحمون و آخر
تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة

و

روى أن الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائه يرحم بها عباده يوم القيامة.

الفاتحه (١): آيه ٢

إشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)

القراءه

أجمع القراء على ضم الدال من الحمد و كسر اللام من لله و روى فى الشواذ بكسر الدال و اللام. و بفتح الدال و كسر اللام. و بضم الدال و اللام. و أجمعوا على كسر الباء من «رَبِّ». و روى عن زيد بن على نصب الباء و يحمل على أنه بين جوازه لا إنه قراءه.

اللغه

الحمد و المدح و الشكر متقاربه المعنى و الفرق بين الحمد و الشكر أن الحمد نقيض الذم كما أن المدح نقيض الهجاء. و الشكر نقيض الكفران. و الحمد قد يكون من غير نعمه و الشكر يختص بالنعمه إلا أن الحمد يوضع موضع الشكر و يقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر و لو لم يكن الحمد فى معنى الشكر لما نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمه مع ضرب من التعظيم و يكون بالقلب و هو الأصل و يكون أيضا باللسان و إنما يجب باللسان لنفى تهمة الجحود و الكفران و أما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه (و أما الرب) فله معان (منها) السيد المطاع كقول لبيد:

و أهلكن قدما رب كنده و ابنه

و رب معد بين خبت و عرعر

أى سيد كنده (و منها) المالك نحو

قول النبى لرجل أرب غنم أم رب إبل فقال من كل ما آتانى الله فأكثر و أطيب.

(و منها) الصاحب نحو قول أبى ذؤيب:

ص: ١١

قد ناله رب الكلاب بكفه

بيض رهاب ريشهن مقزع

أى صاحب الكلاب (و منها) المربب (و منها) المصلح و اشتقاقه من التربيه يقال ربيته و ربيته بمعنى و فلان يرب صنيعته إذا كان ينمها و لا يطلق هذا الاسم إلا على الله و يقيد فى غيره فيقال رب الدار و رب الضيعة و (العالمون) جمع عالم و العالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر و الجيش و غيرهما و اشتقاقه من علامه لأنه يدل على صانعه و قيل أنه من العلم لأنه اسم يقع على ما يعلم و هو فى عرف اللغة عبارته عن جماعه من العقلاء لأنهم يقولون جاءنى عالم من الناس و لا يقولون جاءنى عالم من البقر و فى المتعارف بين الناس هو عبارته عن جميع المخلوقات و تدل عليه الآيه «قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» و قيل أنه اسم لكل صنف من الأصناف و أهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما و لذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان و هذا قول أكثر المفسرين كابن عباس و سعيد بن جبير و قتاده و غيرهم و قيل العالم نوع ما يعقل و هم الملائكة و الجن و الإنس و قيل الجن و الإنس لقوله تعالى: «لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» و قيل هم الإنس لقوله تعالى: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ».

الإعراب

«الْحَمْدُ» رفع بالابتداء و الابتداء عامل معنوى غير ملفوظ به و هو خلو الاسم عن العوامل اللفظية ليسند إليه خبر و خبره فى الأصل جملة هى فعل مسند إلى ضمير المبتدأ و تقديره الحمد حق أو استقر لله إلا أنه قد استغنى عن ذكرها لدلاله قوله «لِلَّهِ» عليها فانقل الضمير منها إليه حيث سد مسدها و تسمى هذه جملة ظرفيه هذا قول الأخفش و أبى على الفارسي و أصل اللام للتحقيق و الملك، و أما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره أحمد الحمد لله أو اجعل الحمد لله إلا أن الرفع بالحمد أقوى و أمدح لأن معناه الحمد و جب لله أو استقر لله و هذا يقتضى العموم لجميع الخلق و إذا نصب الحمد فكان تقديره أحمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع و من كسر الدال و اللام أتبع حركة الدال حركة اللام و من ضمهما أتبع حركة اللام حركة الدال و هذا أيسر من الأول لأنه أتبع حركة المبنى حركة الإعراب و الأول أتبع حركة المعرب حركة البناء و أتبع الثانى الأول و هو الأصل فى الاتباع و الذى كسر أتبع الأول الثانى و هذا ليس بأصل و أكثر النحويين ينكرون ذلك لأن حركة الإعراب غير لازمه فلا يجوز لأجلها الاتباع و لأن الاتباع

ص: ١٢

فى الكلمه الواحده ضعيف نحو الحلم فكيف فى الكلمتين و قال أبو الفتح بن جنى فى كسر الدال و ضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ بالخبر لأنه اتبع فيهما ما فى أحد الجزئين ما فى الجزء الآخر و جعل بمنزلة الكلمه الواحده نحو قولك أخوك و أبوك و أصل هذه اللام الفتح لأن الحرف الواحد لا- حظ له فى الإعراب و لكنه يقع مبتدأ فى الكلام و لا يبتدأ بساكن فاختر له الفتح لأنه أخف الحركات تقول رأيت زيدا و عمرا قالوا و من عمرا- مفتوحه- و كذلك الفاء من فعمرأ إلا أنهم كسروها لأنهم أرادوا أن يفرقوا بين لام الملك و لام التوكيد إذا قلت أن المال لهذا أى فى ملكه و أن المال لهذا أى هو هو و إذا أدخلوا هذه اللام على مضمم ردها إلى أصلها و هو الفتح قالوا لك و له لأن اللبس قد ارتفع و ذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع إذا قلت أن هذا لك و أن هذا أنت إلا أنهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لى لأن هذه الياء لا يكون ما قبلها إلا مكسورا نحو غلامى و فرسى و هذا كله قول سيويه و جميع النحويين المحققين و ليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور إلا الباء وحدها و قد مضى القول فيه و أما لام الجزم فى ليفعل فإنما كسرت ليفرق بينها و بين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم و «رَبِّ الْعَالَمِينَ» مجرور على الصفه و العامل فى الصفه عند أبى الحسن الأخفش كونه صفه فذلك الذى يرفعه و ينصبه و يجره و هو عامل معنوى كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء و هو معنى عمل فيه و استدل على أن الصفه لا- يعمل فيه ما يعمل فى الموصوف بأنك تجد فى الصفات ما يخالف الموصوف فى إعرابه نحو أيا زيد العاقل لأن المنادى مبنى و العاقل الذى هو صفته معرب و دليل ثان و هو أن فى هذه التوابع ما يعرب بإعراب ما يتبعه و لا يصح أن يعمل فيه ما يعمل فى موصوفه و ذلك نحو أجمع و جمع و جمعاء و لما صح و جوب هذا فيها دل على أن الذى يعمل فى الموصوف غير عامل فى الصفه لاجتماعهما فى أنهما تابعان و قال غيره من النحويين العامل فى الموصوف هو العامل فى الصفه و من نصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» فإنما ينصبه على المدح و الثناء كأنه لما قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ» استدل بهذا اللفظ على أنه ذاكر لله فكأنه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرئ فى غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح أيضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هم

سم العداه و آفه الجزر

النازلين بكل معترك

و الطيبون معاقد الأزر

وقد روى النازلون و النازلين و الطيبون و الطيبين و الوجه فى ذلك ما ذكرناه و «العالمين» مجرور بالإضافه و الياء فيه علامه الجر و حرف الإعراب و علامه الجمع و النون هنا عوض عن الحركه فى الواحد و إنما فتحت فرقا بينها و بين نون التثنيه تقول هذا عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين و قيل إنما فتحت نون الجمع و حقها الكسر لثقل الكسره بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف و النون من أين و لم تكسر لثقل الكسره بعد الواو و الياء.

المعنى

معنى الآيه أن الأوصاف الجميله و الثناء الحسن كلها لله الذى تحقق له العباده لكونه قادرا على أصول النعم و فاعلا لها و لكونه منشئا للخلق و مربيا لهم و مصلحا لشأنهم، و فى الآيه دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه و فيها تعليم للعباد كيف يحمدونه.

الفاتحه (١): آيه ٣

اشاره

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

توضيح

قد مضى تفسيرها و إنما أعاد ذكر الرحمن و الرحيم للمبالغه و قال على بن عيسى الرماني فى الأول ذكر العبوديه فوصل ذلك بشكر النعم التى بها يستحق العباده و هاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار ..

الفاتحه (١): آيه ٤

اشاره

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

الإعراب

اختلفوا فى أن أى القراءتين أمدح فمن قرأ «مَالِكِ» قال إن هذه الصفه أمدح لأنه لا يكون مالكا للشئ ء إلا و هو يملكه و قد يكون ملكا للشئ ء و لا يملكه كما يقال ملك العرب و ملك الروم و إن كان لا يملكهم و قد يدخل فى المالك ما لا يصح دخوله فى الملك يقال فلان مالك الدراهم و لا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك. و الله مالك كل شئ ء و قد وصف نفسه بأنه «مَالِكِ الْمَلِكِ يُوْتِي الْمَلِكِ مِنْ يَشَاءُ» فوصفه بالمالك أبلغ فى الثناء و المدح من وصفه بالملك و من قرأ الملك قال أن هذه الصفه أمدح لأنه لا يكون إلا مع التعظيم و الاحتواء على الجمع الكثير و اختاره أبو بكر محمد بن السرى السراج و قال أن الملك الذى يملك الكثير من الأشياء و يشارك غيره من الناس فى ملكه بالحكم عليه و كل ملك مالك و ليس كل مالك ملكا و إنما قال تعالى «مَالِكِ الْمُلْكِ» لأنه تعالى يملك ملوك الدنيا و ما ملكوا فمعناه أنه يملك ملك الدنيا فيؤتى الملك فيها من يشاء فأما يوم الدين فليس إلا ملكه و هو ملك الملوك

يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوک و أمير الأمراء و يراد بذلك أن من دونه ملوکا و أمراء و لا يقال ملك الملك و لا أمير الإمارة لأن أميرا و ملکا صفة غير جاریه على فعل فلا معنى لإضافتها إلى المصدر فأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال ملك عام كذا و ملوک الدهر الأول و ملك زمانه و سيد زمانه فهو في المدح أبلغ و الآیه إنما نزلت في الثناء و المدح لله أ لا- ترى إلى قوله رَبِّ الْعَالَمِينَ و الربوبية و الملك متشابهان و قال أبو على الفارسی يشهد لمن قرأ «مَالِكِ» من التنزيل قوله تعالى «وَ الْمَأْمُورُ يُؤَمِّرُ لَهِ» لأن قولك الأمر له و هو مالک الأمر بمعنى أ لا ترى أن لام الجر معناها الملك و الاستحقاق و كذلك قوله تعالى: «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» يقوى ذلك و يشهد لقراءه من قرأ ملك قوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» لأن اسم الفاعل من الملك الملك فإذا قال الملك له ذات اليوم كان بمنزله قوله هو ملك ذلك اليوم و هذا مع قوله فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ وَ مَلِكِ النَّاسِ.

اللغة

(الملك) القادر الواسع المقدره الذى له السياسة و التدبير (و المالك) القادر على التصرف فى ماله و له أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه و يوصف العاجز بأنه مالک من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم و مالک بين الملك و الملك بكسر الميم و فتحها و ضم الميم لغه شاذه و يقال طالت مملكتهم الناس و مملكتهم بكسر اللام و فتحها و لى فى هذا الوادى ملك و ملك و ملك ذكرها أبو على الفارسی و قال الملك للشىء اختصاص من المالك به و خروجه من أن يكون مباحا لغيره و معنى الإباحه فى الشىء كالاتساع فيه و خلاف الحصر و القصر على الشىء أ لا تراهم قالوا باح السر و باحت الدار و قال أبو بكر محمد بن السرى السراج الملك و الملك يرجعان إلى أصل واحد و هو الربط و الشد كما قالوا ملكت العجين أى شددته قال الشاعر:

ملكته بها كفى فأنهت فتقها

يرى قائم من دونها ما وراءها

يقول شددت بهذه الطعنه كفى و منه الأملاك و معناه رباط الرجل بالمرأه و (الدين) معناه فى الآیه الجزاء قال الشاعر

(و اعلم بأنك ما تدين تدان)

و هو قول سعيد بن جبیر و قتاده و قيل

الدين الحساب و هو المروى عن أبى جعفر محمد بن على الباقرع

و ابن عباس و الدين الطاعه قال عمرو بن كلثوم:

و أيام لنا غر طوال

عصينا الملك فيها أم ندينا

و الدين العاده قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيبي

أ هذا دينه أبدا و ديني

و الدين القهر و الاستعلاء قال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الدين

دراكا بغزوه و احتيال

ثم دانت بعد الرباب و كانت

كعذاب عقوبه الأقوال

و يدل على أن المراد به الجزاء و الحساب قوله تعالى: «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

الإعراب

«مَالِكِ» مجرور على الوصف لله تعالى و ما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و يجوز أن ينصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» على النداء كأنك قلت لك الحمد يا رب العالمين و يا مالك يوم الدين و من قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام فأصله ملك فخفف كما يقال فخذ و فخذ و من قرأ ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا و يوم مجرور بإضافه ملك أو مالك إليه و كذلك الدين مجرور بإضافه يوم إليه و هذه الإضافة من باب يا سارق الليله أهل المدار اتسع فى الظرف فنصب نصب المفعول به ثم أضيف إليه على هذا الحد كما قال الشاعر أنشده سيويه:

و يوم شهدناه سليما و عامرا

قليل سوى الطعن النهال نوافله

فكأنه قال هو ملك ذلك اليوم و لا يؤتى أحدا الملك فيه كما آتاه فى الدنيا فلا ملك يومئذ غيره و من قرأ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلاله عليه و تقديره مالك يوم الدين الأحكام و القضاء لا يملك ذلك و لا يليه سواه

[أى لا يكون أحد واليا سواه] إنما خص يوم الدين بذلك لتفردہ تعالى بذلك فى ذلك اليوم و جمع

ص: ١٦

الخلق يضطرون إلى الإقرار والتسليم و أما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك و رؤساء و ليست هذه الإضافه مثل قوله تعالى وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ لِأَنَّ السَّاعَةَ مَفْعُولٌ بِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ لَيْسَتْ مَفْعُولًا بِهَا عَلَى السَّعَةِ لِأَنَّ الظَّرْفَ إِذَا جَعَلَ مَفْعُولًا عَلَى السَّعَةِ فَمَعْنَاهُ مَعْنَى الظَّرْفِ وَ لَوْ كَانَتْ السَّاعَةُ ظَرْفًا لَكَانَ الْمَعْنَى يَعْلَمُ فِي السَّاعَةِ وَ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ السَّاعَةَ أَي يَعْرِفُهَا.

المعنى

أنه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» بين أيضا ملكه في الآخرة بقوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و أراد باليوم الوقت و قيل أراد به امتداد الضياء إلى أن يفرغ من القضاء و يستقر أهل كل دار فيها و قال أبو على الجبائي أراد به يوم الجزاء على الدين و قال محمد بن كعب أراد يوم لا ينفع إلا الدين و إنما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيما لشأنه و تفخيما لأمره كما قال رب العرش و هذه الآية داله على إثبات المعاد و على الترغيب و الترهيب لأن المكلف إذا تصور ذلك لا بد أن يرجو و يخاف.

الفاتحه (1): آيه ٥

إشارة

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

اللغة

العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد أي مذلل بكثرة الوطاء قال طرفه:

تبارى عتاقا ناجيات و أتبع

وظيفا وظيفا فوق مور معبد

و بغير معبد إذا كان مطليا بالقطران و سمى العبد عبدا لذلته و انقياده لمولاه و الاستعانه طلب المعونه يقال استعنته و استعنت به.

الإعراب

قال أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج موضع «إِيَّاكَ» نصب بوقوع الفعل عليه و موضع الكاف في إياك خفض بإضافه إيا إليها و إيا اسم للضمير المنصوب إلا- أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات نحو قولك إياك ضربت و إياه ضربت و إياى حدثت و لو قلت إيا زيد حدثت كان قبيحا لأنه خص به المضممر و قد روى الخليل عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فأياه و إيا الشواب و هذا كلام الزجاج و رد عليه الشيخ أبو على الفارسى فقال إن إيا ليس بظاهر بل هو مضممر يدل على ذلك تغير ذاته و امتناع ثباته في حال الرفع و الجر و ليس كذلك الاسم الظاهر ألا ترى أنه يعتقب عليه الحركات في آخره و يحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على أنه مضممر ليس

بمظهر قال و حكى السراج عن المبرد عن أبي الحسن الأـخفش أنه اسم مفرد مضمـر يتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمـرين و الكاف فى إياك كالتى فى ذلك و هى داله على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامه للمضمـر فلا محل لها من الإعراب و أقول و هكذا الحكم فى إياى و إيانا و إياه و إياها فى أنها حروف تلحق إيا فإياه فى إياى دليل على التكلم و الهاء فى إياه تدل على الغيبه لا- على نفس الغائب و يجرى التأكيد على إيا منصوبا تقول إياك نفسك رأيت و إياه نفسه ضربت و إياهم كلهم عنيت فاعرفه و لا يجيز أبو الحسن إياك و إيا زيد و يستقل روايتهم عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه و إيا الشواب و يحمله على الشذوذ لأن الغرض فى الإضافة التخصيص و المضمـر على نهايه التخصيص فلا وجه إذا لإضافته و الأصل فى نستعين نستعون لأنه من المعونه و العون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسره عليها فنقلت كسرتها إلى العين قبلها فتصير الياء ساكنه لأن هذا من الإعلال الذى يتبع بعضه بعضا نحو أعان يعين و قام يقوم و فى شرحه كلام و ربما يأتى مشروحا فيما بعد إن شاء الله و قوله نعبد و نستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم أ لا ترى أنك لو قلت أنا عابدك و أنا مستعينك لقام مقامه و هذا المعنى عمل فيه الرفع و أما الإعراب فى الفعل المضارع فلمضارعتة الاسم لأن الأصل فى الفعل البناء و إنما يعرب منه ما شابه الأسماء و هو ما لحقت أوله زياده من هذه الزيادات الأربع التى هى الهمزه و النون و التاء و الياء.

المعنى

قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أدل على الاختصاص من أن نقول نعبدك و نستعينك لأن معناه نعبدك و لا نعبد سواك و نستعينك و لا نستعين غيرك كما إذا قال الرجل إياك أعنى فمعناه لا أعنى غيرك و يكون أبلغ من أن يقول أعنيك و العباده ضرب من الشكر و غايه فيه لأنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم و لا- يستحق إلا بأصول النعم التى هى خلق الحياه و القدره و الشهوه و لا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بأن يعبد و لا يستحق بعضنا على بعض العباده كما يستحق بعضنا على بعض الشكر و تحسن الطاعه لغير الله تعالى و لا تحسن العباده لغيره و قول من قال أن العباده هى الطاعه للمعبود يفسد بأن الطاعه موافقه الأمر و قد يكون موافقا لأمره و لا يكون عابدا له أ لا ترى أن الابن يوافق أمر الأب و لا يكون عابدا له و كذلك العبد يطيع مولاه و لا يكون عابدا له بطاعته إياه و الكفار يعبدون الأصنام و لا يكونون مطيعين لهم إذ لا- يتصور من جهتهم الأمر و معنى قوله «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إياك نستوفق و نطلب المعونه على عبادتك و على أمورنا كلها و التوفيق هو أن يجمع بين جميع الأسباب التى يحتاج إليها فى

حصول الفعل و لهذا لا يقال فيمن أعان غيره وفقه لأنه لا يقدر أن يجمع بين جميع الأسباب التي يحتاج إليها في حصول الفعل و أما تكرار قوله «إِيَّاكَ» فلأنه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم أنه لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما و لا يمكنه أن يفصل بينهما و هو إذا تفكر في عظمه الله تعالى كان عباده و إن لم يستعن به و قيل أنه جمع بينهما للتأكيد كما يقال الدار بين زيد و بين عمرو و لو اقتصر على واحد فقليل بين زيد و عمرو كان جائزا قال عدى بن زيد:

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به

بين النهار و بين الليل قد فضلا

و قال أعشى همدان:

بين الأشج و بين قيس باذخ

بخ يخ لوالده و للمولود

و هذا القول فيه نظر لأن التكرير إنما يكون تأكيدا إذا لم يكن محمولا- على فعل ثان و «إِيَّاكَ» الثاني في الآية محمول على «نَسِيْتَعِينَ» و مفعول له فكيف يكون تأكيدا و قيل أيضا أنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاحه فإن قيل أن عباده الله تعالى لا تتأتى بغير إعانه منه فكان يجب أن يقدم الاستعانه على العباده فالجواب أنه قدم العباده على الاستعانه لا على الإعانه و قد أتت بغير استعانه و أيضا فإن أحدهما إذا كان مرتبًا بالآخر لم يختلف التقديم و التأخير كما يقال قضيت حقي فأحسنت إلى و أحسنت إلى فقضيت حقي و قيل أن السؤال للمعونه إنما يقع على عباده مستأنفه لا على عباده واقعه منهم و إنما حسن طلب المعونه و إن كان لا- بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع إليه تعالى كقوله رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و لأنه ربما لا يكون اللطف في إدامه التكليف و لا في فعل المعونه به إلا بعد تقديم الدعاء من العبد و قد أخطأ من استدل بهذه الآية على أن القدره مع الفعل من حيث أن القدره لو كانت متقدمه لما كان لطلب المعونه وجه لأن للرغبه إلى الله تعالى في طلب المعونه وجهين أحدهما أن يسأل الله تعالى من أطفاه و ما يقوى دواعيه و يسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل و متى لطف له بأن يعلمه أن له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه و رغبته و الثاني أن يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبليه بأن تجدد له القدره حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها و أن لا يفعل ما يضادها و ينفيها عند من قال ببقائها و أما العدول عن الخبر إلى الخطاب في قوله «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إلى آخر السوره فعليه عاده العرب المشهوره و أشعارهم من ذلك مملوءه قال ليبد:

باتت تشكى إلى النفس مجهشه

و قد حملتك سبعا بعد سبعينا

و قال أبو كثير الهذلي:

يا لهف نفسي كان جده خالد

و بياض وجهك للتراب الأعفر

فرجع من الإخبار عن النفس إلى مخاطبتها في البيت الأول و من الإخبار عن خالد إلى خطابه في البيت الثاني و قال الكسائي تقديره قولوا إياك نعبد أو قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصِرْنَا» و قال «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ» أى يقولون سلام.

الفاتحة (١): آية ٦

إشاره

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

القراءه

قرأ حمزه بإشمام الصاد الزاى إلا العجلى و بروايه خلاد و ابن سعدان يشم هاهنا فى الموضوعين فقط و قرأ الكسائي من طريق أبى حمدون بإشمام السين و يعقوب من طريق رويس بالسين و الباقون بالصاد.

الإعراب

الأصل فى الصراط السين لأنه مشتق من السرط و مسترط الطعام ممره و منه قولهم سرطراط و الأصل سريط فمن قرأ بالسين راعى الأصل و من قرأ بالصاد فلما بين الصاد و الطاء من المؤاخاه بالاستعلاء و الإطباق و لكراهه أن يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء فى السراط و إذا كانوا قد أبدلوا من السين الصاد مع القاف فى صقب و صويق ليجعلوها فى استعلاء القاف مع بعد القاف من السين و قرب الطاء منها فأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء أجدر من حيث كان الصاد إلى الطاء أقرب ألا ترى أنهما جميعا من حروف طرف اللسان و أصول الثنايا و أن الطاء تدغم فى الصاد و من قرأ بإشمام الزاى فللمؤاخاه بين السين و الطاء بحرف مجهور من مخرج السين و هو الزاى من غير إبطال الأصل.

اللغه

الهدايه فى اللغه الإرشاد و الدلاله على الشىء يقال لمن يتقدم القوم و يدلهم على الطريق هاد خريت أى دال مرشد قال طرفه:

للفتى عقل يعيش به

حيث تهدى ساقه قدمه

و الهدايه التوفيق قال:

فلا تعجلن هداك المليك

فإن لكل مقام مقالا

أى وفقك و الصراط الطريق الواضح المتسع و سمى بذلك لأنه يسرط الماره أى

ص: ٢٠

يبتلعها و المستقيم المستوى الذى لا اعوجاج فيه قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط

إذا أعوج الموارد مستقيم

الإعراب

«اهدِنَا» مبنى على الوقف و فاعله الضمير المستكن فيه لله تعالى و الهمزه مكسوره لأن ثالث المضارع منه مكسور و موضع النون و الألف من اهدنا نصب لأنه مفعول به و الصراط منصوب لأنه مفعول ثان.

المعنى

قيل فى معنى «اهْدِنَا» وجوه (أحدها) أن معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم إلا أن الإنسان قد يزل و ترد عليه الخواطر الفاسده فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبتته على دينه و يديمه عليه و يعطيه زيادات الهدى التى هى إحدى أسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و هذا كما يقول القائل لغيره و هو يأكل كل أى دم على الأكل (و ثانيها) أن الهدايه هى الثواب لقوله تعالى: يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ فصار معناه اهدنا إلى طريق الجنة ثوابا لنا و يؤيده قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا (و ثالثها) أن المراد دلنا على الدين الحق فى مستقبل العمر كما دللنا عليه فى الماضى و يجوز الدعاء بالشىء الذى يكون حاصلًا كقوله تعالى:

قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و قوله حكاية عن إبراهيم ع: وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ و ذلك أن الدعاء عباده و فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى فإن قيل ما معنى المسأله فى ذلك و قد فعله الله بجوابه أنه يجوز أن يكون لنا فى الدعاء به مصلحة فى ديننا و هذا كما تعبدنا بأن نكرر التسييح و التحميد و الإقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد و إن كنا معتقدين لجميع ذلك و يجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيره تكون أصلح لنا إذا سألناه و إذا لم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجهًا فى حسن المسأله و يجوز أن يكون المراد استمرار التكليف و التعريض للثواب لأن إدامته ليس بواجب بل هو تفضل محض فجاز أن يرغب إليه فيه بالدعاء و قيل فى معنى «الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» وجوه.

(أحدها)

أنه كتاب الله و هو المروى عن النبي صلى الله عليه و آله و عن على ع

و ابن مسعود (و ثانيها) أنه الإسلام و هو المروى عن جابر و ابن عباس (و ثالثها) أنه دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية (و الرابع)

أنه النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة القائمون مقامه و هو المروى فى أخبارنا

و الأمولى حمل الآيه على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذى أمر الله به من التوحيد و

العدل و ولايه من أوجب الله طاعته.

ص: ٢١

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

القراءة

قرأ حمزه عليهم بضم الهاء وإسكان الميم وكذلك لديهم وإيهم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنه في التثنية و الجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهما وفيهم وعليهن وفيهن وقرأ الباقون «عَلَيْهِمْ» وأخواتها بالكسر وقرئ في الشواذ عليهموا قراءة ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعليهمى قراءة الحسن البصرى وعمر بن قايذ وعليهم مكسوره الهاء مضمومه الميم بغير واو وعليهم مضمومه الهاء والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الأعرج فهذه سبع قراءات ثم اختلف القراء فى الميم فأهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا إلا- أن نافعا اختلف عنه فيه و الباقون بسكون الميم فأما إذا لقي الميم حرف ساكن فإن القراء اختلفوا فأهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَمِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ وَأَبُو عَمْرٍو يكسر الهاء والميم وحمزه والكسائي يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف فى الهاء التى قبلها كسره أو ياء ساكنه فإذا جاوزت هذين الأمرين لم يكن فى الهاء إلا الضم وقرأ صراط من أنعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمر بن عبد الله الزبيرى وروى ذلك عن أهل البيت عليه السلام وقرئ أيضا فى الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن على ع.

الإعراب

من قرأ عليهم بضم الهاء فإنه رده إلى الأصل لأنه إذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهى القراءة القديمة ولغة قريش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وإنما خص حمزه هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت ألفا مثل على القوم ولدى القوم وإلى القوم ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف ومن قرأ عليهموا فإنه اتبع الهاء ما أشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والألف على الأصل وهو الميم ومن قرأ «عَلَيْهِمْ» فكسر الهاء وأسكن الميم فلأنه أمن اللبس إذا كانت الألف فى التثنية قد دلت على الاثنين ولا- ميم فى الواحد فلما لزم الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم طلبا للتخفيف إذا كان ذلك لا يشكل وإنما كسر الهاء مع أن

الأصل الضم للياء التي قبلها و من قرأ عليهما فلأنه الأصل لأن وسيله هذه الواو في الجمع وسيله لألف في التشبيه أعنى أن ثبات الواو كثبات الألف و من قرأ عليهم فإنه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنه و كسر الميم كراهه للخروج من كسره الهاء إلى ضمه الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها و من كسر الهاء و ضم الميم و حذف الواو فإنه احتمل الضمه بعد الكسره لأنها غير لازمه إذا كانت ألف التشبيه تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من ثقلها مع ثقل الضمه و من قرأ «عَلَيْهِمْ» فإنه حذف الواو استخفافا و احتمل الضمه قبلها دليلا عليها و أما من ضم الميم إذا لقيها ساكن و كسر الهاء فإنما يحتج بأن يقول لما احتجت إلى الحركة رددت الحرف إلى أصله فضممت و تركت الهاء على كسرها لأنه لم تأت ضروره تحوج إلى ردها إلى الأصل و لأن الهاء إنما تبعت الياء لأنها شبهت بها و لم يتبعها الميم لبعدها منه و احتج من كسر الميم و الهاء بأن قال أتبع الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسره لأنها خفيفه و هي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة و هي من موضع الألف و هي أشبه الحروف بالياء و كما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء و قلبوا الواو ياء لأنه لا تثبت واو ساكنه و قبلها كسره كقولك مررت بهي و مررت بدار هي قبل.

الإعراب

«صِرَاطَ الَّذِينَ» صفة لقوله «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» و يجوز أن يكون بدلا عنه و الفصل بين الصفة و البدل أن البدل في تقدير تكرير العامل بدلاله تكرير حرف الجر في قوله تعالى: قَالَ (الْمَلَأُ) الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (مِنْ قَوْمِهِ) لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ و ليس كذلك الصفة فكما أعيدت اللام الجاره في الاسم فكذلك العامل الرفع أو الناصب في تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين و ليس يخرج البدل و إن كان كذلك عن أن يكون فيه تبيين للأول كما أن الصفة كذلك و لهذا لم يجز سيبويه المسكين بي كان الأمر و لا بك المسكين كما أجاز ذلك في الغائب نحو مررت به المسكين و الذين موصول و أنعمت عليهم صله و قد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر بإضافه صراط إليه و لا يقال في موضع الرفع اللذون لأنه اسم غير متمكن و قد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطين في حال الرفع و أما «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» ففي الجر فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون بدلا من الهاء و الميم في عليهم كقول الشاعر:

على حاله لو أن في القوم حاتما

على جوده لظن بالماء حاتم

فجر حاتم على البديل من الهاء فى جوده (و ثانيها) أن يكون بدلا من الذين (و ثالثها) أن يكون صفه للذين و إن كان أصل غير أن يكون صفه للنكره تقول مررت برجل غيرك كأنك قلت مررت برجل آخر أو برجل ليس بك قال الزجاج و إنما جاز ذلك لأن الذين هاهنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزله قولك إني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه و قال على بن عيسى الرمانى إنما جاز أن يكون نعتا للذين لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفه الموقته كالإعلام نحو زيد و عمرو و إنما هى كالنكرات إذا عرفت نحو الرجل و الفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك أيضا كما يقال لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل و لو كانت بمنزله الإعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفه و قال أبو بكر السراج و الذى عندى أن غير فى هذا الموضع مع ما أضيف إليه معرفه لأن حكم كل مضاف إلى معرفه أن يكون معرفه و إنما تنكرت غير و مثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما و ذلك أنك إذا قلت رأيت غيرك فكل شىء ترى سوى المخاطب فهو غيره و كذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى فأما إذا كان شيئا معرفه له ضد واحد و أردت إثباته و نفى ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير و أضفت غير إلى ضده فهو معرفه و ذلك نحو قولك عليك بالحركه غير السكون فغير السكون معرفه و هى الحركه فكأنك كررت الحركه تأكيدا فكذلك قوله تعالى: «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» فغير المغضوب هم الذين أنعم الله عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفه فهى معرفه و كذلك إذا عرف إنسان بأنه مثلك فى ضرب من الضروب فقبل فيه قد جاء مثلك كان معرفه إذا أردت المعروف بشبهك قال و من جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكره قد تبدل من المعرفه و فى نصب غير ثلاثه أوجه أيضا (أحدها) أن يكون نصبا على الحال من المضمرة فى عليهم و العامل فى الحال أنعمت فكأنه قال صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم (و ثانيها) أن يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (و ثالثها) أن يكون نصبا على أعنى كأنه قال أعنى غير المغضوب عليهم و لم يجز أن يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع فى عليهم فاستغنى عن أن يجمع المغضوب و هذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهوب بهم استغنيت بالضمير المجرور فى بهم عن جمع المذهوب و أما لا من قوله «وَلَا الضَّالِّينَ» فذهب البصريون إلى أنها زائده لتوكيد النفى و ذهب الكوفيون إلى أنها بمعنى غير و وجه قول البصريين أنك إذا قلت ما قام زيد و عمرو احتمل أن تريد ما قاما معا و لكن قام كل واحد منهما بانفراده فإذا قلت ما قام زيد و لا عمرو زال الاحتمال و غير متضمن معنى

النفي و لهذا أجاز النحويون أنت زيدا غير ضارب لأنه بمنزلة قولك إنك أنت زيدا لا ضارب و لا يجوزون أنت زيدا مثل ضارب لأن زيدا من صلة ضارب و لا يتقدم عليه و قال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما أنشد أبو عبيده

(في بئر لا حور سري و ما شعر)

أى فى بئر هلکه و تقديره غير المغضوب عليهم و الضالين كما قال ما مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ بمعنى أن تسجد.

المعنى و اللغة

معنى الآية بيان الصراط المستقيم أى صراط من أنعمت عليهم بطاعتك و هم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ» و أصل النعمة المبالغة و الزيادة يقال دقت الدواء فأنعمت دقه أى بلغت فى دقه و هذه النعمة و إن لم تكن مذكوره فى اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ و قد بينا المراد بذلك بين أن هذا صراط من أنعم عليهم به و لم يحتج إلى إعادته اللفظ كما قال الناغى:

كأنك من جمال بنى أقيش

يقعق خلف رجله بشن

أى كأنك من جمالهم جمل يقعق خلف رجله و أراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص و العام و يدل عليه قوله تعالى «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ» و هؤلاء هم اليهود بدلاله قوله تعالى «وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» و أراد بالضالين النصارى بدلاله قوله تعالى:

«وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» و قال الحسن البصرى أن الله تعالى لم يبرأ اليهود من الضلاله بإضافه الضلاله إلى النصارى و لم يبرأ النصارى من الغضب بإضافه الغضب إلى اليهود بل كل واحده من الطائفتين مغضوب عليهم و هم ضالون إلا- أن الله تعالى يخص كل فريق بسمه يعرف بها و يميز بينه و بين غيره بها و إن كانوا مشتركين فى صفات كثيره و قيل المراد بالمغضوب عليهم و الضالين جميع الكفار و إنما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين و اختار الإمام عبد القاهر الجرجانى قولاً- آخر قال إن حق اللفظ فيه أن يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله أن يكون حالنا حال المغضوب عليهم فإنك لا تقصد به قوماً بأعيانهم و لكنك تريد ما تريده بقولك إذا قلت اللهم اجعلنى ممن أنعمت عليهم و لا تجعلنى ممن غضبت عليهم فلا تريد أن هاهنا

قوما بأعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم و ليس يخفى على من عرف الكلام أن العقلاء يقولون
اجعلنى ممن تديم له النعمة و هم يريدون أن يقولوا آدم على النعمة و لا يشك عاقل إذا نظر لقول عنتره:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره

منى بمنزله المحب المكرم

إنه لم يرد أن يشبهها بإنسان هو محب مكرم عنده أو عند غيره و لكنه أراد أن يقول إنك محبه مكرمه عندى و أما الغضب من
الله تعالى فهو إرادته إنزال العقاب المستحق بهم و لعنهم و براءته منهم و أصل الغضب الشده و منه الغضبه و هى الصخره الصلبه
الشديده المركبه فى الجبل و الغضوب الحيه الخبيثه و الناقه العبوس و أصل الضلال الهلاك و منه قوله «أ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ»
أى هلكنا و منه قوله «وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» أى أهلكها و الضلال فى الدين الذهاب عن الحق و إنما لم يقل الذين أنعمت عليهم غير
الذين غضبت عليهم مراعاة للأدب فى الخطاب و اختيارا لحسن اللفظ المستطاب و فى تفسير العياشى رحمه الله

روى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»
قال فاتحه الكتاب يثنى فيها القول قال و قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله تعالى من على ب فاتحه الكتاب من كنز الجنة
فيها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الآية التى يقول الله فيها: «وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِذَهُ وُلُوعًا عَلَى أذْيَارِهِمْ نُفُورًا» و «الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» دعوى أهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب و «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم إلا
صدقه الله تعالى و أهل سمائه «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إخلاص للعباده و «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أفضل ما طلب به العباد حوائجهم «اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ» صراط الأنبياء و هم الذين أنعم الله عليهم «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» اليهود «وَلَا الضَّالِّينَ» النصارى

و

روى محمد الحلبى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ ملك يوم الدين و يقرأ اهدنا صراط المستقيم و فى روايه أخرى
يعنى أمير المؤمنين (عليه السلام)

و

روى جميل عن أبى عبد الله عليه السلام قال إذا كنت خلف إمام ففرغ من قراءه الفاتحه فقل أنت من خلفه الحمد لله رب
العالمين

و

روى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال إذا قرأت الفاتحه ففرغت من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين.

و أما نظم هذه السوره فأقول فيه أن العاقل المميز إذ عرف نعم الله سبحانه بالمشاهده و كان له من نفسه بذلك أعدل شاهد و أصدق رائد ابتداءً بآيه التسميه استفتاحاً باسم المنعم و اعترافاً بالهيته و استرواحاً إلى ذكر فضله و رحمته و لما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له و الحمد فقال الْحَمْدُ لِلَّهِ و لما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحه كما شاهد آثارها على نفسه لائحه عرف أنه رب الخلائق أجمعين فقال رَبِّ الْعَالَمِينَ و لما رأى شمول فضله للمربوبين و عموم رزقه للمرزوقين قال الرَّحْمَنِ و لما رأى تقصيرهم فى واجب شكره و تعذيرهم فى الانزجار عند زجره و اجتناب نهيه و امتثال أمره و أنه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران و لا- يؤاخذهم عاجلاً بالعصيان و لا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرَّحِيمِ و لما رأى ما بين العباد من التباغى و التظالم و التكالم و التلا-كم و أن ليس بعضهم من شر بعض بسالم على أن وراءهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ و إذا عرف هذه الجملة فقد علم أن له خالقاً رازقاً رحيماً يحيى و يميت و يبدئ و يعيد و هو الحى لا يشبهه شىء و الإله الذى لا يستحق العباده سواه و لما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرک له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبه إلى لفظ الخطاب فقال إِيَّاكَ نَعْبُدُ و هذا كما أن الإنسان يصف الملك بصفاته فإذا رآه عدل عن الوصف إلى الخطاب و لما رأى اعتراض الأهواء و الشبهات و تعاور الآراء المختلفات و لم يجد معيناً غير الله تعالى سأله الإعانه على الطاعات بجميع الأسباب لها و الوصلات فقال وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و لما عرف هذه الجملة و تبين له أنه بلغ من معرفه الحق المدى و استقام على منهج الهدى و لم يأمن العثره لارتفاع العصمه سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه و الثبات و العصمه من الزلات فقال اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و هذا لفظ جامع يشتمل على مسأله معرفه الأحكام و التوفيق لإقامه شرائع الإسلام و الاقتداء بمن أوجب الله طاعته من أئمه الأنام و اجتناب المحارم و الآثام و إذا علم ذلك علم أن لله سبحانه عبادة خصهم بنعمته و اصطفاهم على بريته و جعلهم حججاً على خليقته فسأله أن يلحقه بهم و يسلك به سبيلهم و أن يعصمه عن مثل أحوال الزالين المزلين و الضالين المضلين ممن عاند الحق و عمى عن طريق الرشده و خالف سبيل القصد فغضب الله عليه و لعنه و أعد له الخزى المقيم و العذاب الأليم أو شك فى واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ.

نزول

مدنيه كلها إلا- آيه واحده منها و هي قوله وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ الْآيَهُ فَإِنهَا نزلت في حجه الوداع بمنى عدد آيها مائتان و ست و ثمانون آيه في العدد الكوفي و هو العدد المروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام و سبع في العدد البصرى و خمس حجازى و أربع شامى خلافها إحدى عشر آيه عد الكوفى الم آيه و عد البصرى إِلَّا خَائِفِينَ آيه و قَوْلًا مَعْرُوفًا بصرى عِدَابٌ أَلَيْمٌ شامى مُضِيلِحُونَ غيرهم يا أولى الألباب عراقى و المدنى الأخير من خلاف الثانى غير المدنى الأخير يَسْتَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ مكى و المدنى الأول تَتَفَكَّرُونَ كوفى و شامى و المدنى الأخير الْحَيُّ الْقَيُّومُ مكى بصرى و المدنى الأخير مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. المدنى الأول و روى عن أهل مكه وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال من قرأها فصلوات الله عليه و رحمته و أعطى من الأجر كالمرابط فى سبيل الله سنه لا تسكن روعته و قال لى يا أبى مر المسلمين أن يتعلموا سورة البقره فإن تعلمها بركه و تركها حسره و لا يستطيعها البطله قلت يا رسول الله ما البطله قال السحره

و

روى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن لكل شىء سناما و سنام القرآن سورة البقره من قرأها فى بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثه أيام و من قرأها فى بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال

و

روى أن النبى صلى الله عليه و آله بعث بعثا ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء إنسان منهم فقال ما ذا معك من القرآن حتى أتى على أحدتهم سنا فقال له ما ذا معك من القرآن قال كذا و كذا و سورة البقره فقال أخرجوا و هذا عليكم أمير قالوا يا رسول الله صلى الله عليه و آله هو أحدثنا سنا قال معه سورة البقره

و

سئل النبى صلى الله عليه و آله أى سور القرآن أفضل قال البقره قيل أى آى البقره أفضل قال آيه الكرسى

فقال الصادق عليه السلام من قرأ البقره و آل عمران جاء يوم القيامة تظلائه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين

البقره (٢): آيه ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

توضيح

(كوفى) اختلف العلماء فى الحروف المعجمه المفتحه بها السور فذهب بعضهم إلى

أنها من المتشابهات التى استأثر الله تعالى بعلمها و لا يعلم تأويلها إلا هو هذا هو المروى عن أئمتنا

و

روت العامه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إن لكل كتاب صفوه و صفوه هذا الكتاب حروف التهجى

و عن الشعبى قال: لله فى كل كتاب سر و سره فى القرآن سائر حروف الهجاء المذكوره فى أوائل السور و فسرها الآخرون على وجوه.

(أحدها) إنها أسماء السور و مفاتها عن الحسن و زيد بن أسلم (و ثانيها) أن المراد بها الدلاله على أسماء الله تعالى فقوله تعالى «الم» معناه أنا الله أعلم و «الم» معناه أنا الله أعلم و أرى و «المص» معناه أنا الله أعلم و أفصل و الكاف فى كهيعص من كاف و الهاء من هاد و الياء من حكيم و العين من عليم و الصاد من صادق عن ابن عباس و عنه أيضا أن «الم» الألف منه تدل على اسم الله و اللام تدل على اسم جبرائيل و الميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه و آله و

روى أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره مسندا إلى على بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله «الم» فقال فى الألف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فإن الله ابتداء جميع الخلق و الألف ابتداء الحروف و (الاستواء) فهو عادل غير جائر و الألف مستو فى ذاته و (الانفراد) فالله فرد و الألف فرد و (اتصال الخلق بالله) و الله لا يتصل بالخلق و كلهم محتاجون إلى الله و الله غنى عنهم و كذلك الألف لا يتصل بالحروف و الحروف متصله به و هو منقطع من غيره و الله عز و جل بائن بجميع صفاته من خلقه و معناه من الألفه فكما أن الله عز و جل سبب ألقه الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف و هو سبب ألفتها

(و ثالثها) أنها أسماء الله تعالى منقطعه لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم تقول الر و حم و ن فىكون الرحمن و كذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها و الجمع بينها عن سعيد بن جبير (و رابعها) أنها أسماء القرآن عن قتاده (و خامسها)

أنها أقسام أقسم الله تعالى بها و هي من أسمائه عن ابن عباس و عكرمه قال الأخفش و إنما أقسم الله تعالى بالحروف المعجمه

ص: ٢٩

لشرفها و فضلها و لأنها مباني كتبه المنزله بالألسنه المختلفه و أسمائه الحسنی و صفاته العلیا و أصول كلام الأمم كلها بها يتعارفون و يذكرون الله عز اسمه و يوحدونه فكأنه هو أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه و كلامه (و سادسها) أن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى و ليس فيها حرف إلا و هو في آلائه و بلائه و ليس فيها حرف إلا و هو في مده قوم و آجال آخرين عن أبي العالیه و قد ورد أيضا مثل ذلك في أخبارنا (و سابعها) أن المراد بها مده هذه الأمه عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور بإسقاط المكرر فبلغت سبع مائه و أربعا و أربعين سنه و هي بقیه مده هذه الأمه قال علی بن فضال المجاشعی النحوی و حسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثه آلاف و خمسا و ستين فحذفت المكررات فبقى ستمائه و ثلاث و تسعون و الله أعلم بما فيها و أقول قد حسبتها أنا أيضا فوجدتها كذلك و يروى أن اليهود لما سمعوا «الم» قالوا مده ملك محمد صلى الله عليه و آله قصيره إنما تبلغ إحدى و سبعين سنه فلما نزلت الر المر و المص و كهيعص اتسع عليهم الأمر هذه أقوال أهل التفسیر (و ثامنها) أن المراد بها حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانیه و العشرين حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيده و كما يقال أب في أبجد و في أ ب ت ث و لم يذكروا باقي الحروف قال الراجز:

لما رأيت أنها في حطى

أخذت منها بقرون شمط

و إنما أراد الخبر عن المرأه بأنها في أبجد فأقام قوله حطى مقامه لدلاله الكلام عليه (و تاسعها) أنها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن و أن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله «لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوَا فِيهِ» الآيه فربما صفروا و ربما لغطوا و ربما لغطوا النبي صلى الله عليه و آله فأنزل الله تعالى هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا إليه و تفكروا و اشتغلوا عن تغليظه فيقع القرآن في مسامعهم و يكون ذلك سببا موصلا لهم إلى درك منافعهم (و عاشرها) أن المراد بها أن هذا القرآن الذى عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم و كلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العاده لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم و إنما كررت في مواضع استظهارا في الحججه و هو المحكى عن قطرب و اختاره أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني.

اللغه

أجود هذه الأقوال القول الأول المحكى عن الحسن لأن أسماء الأعلام

ص: ٣٠

منقوله إلى التسميه عن أصولها للتفرقه بين المسميات فتكون حروف المعجم منقوله إلى التسميه و لهذا فى أسماء العرب نظير قالوا أوس بن حارثه بن لام الطائى و لا خلاف بين النحويين أنه يجوز أن يسمى بحروف المعجم كما يجوز أن يسمى بالجمل نحو تابط شرا و برق نحره و كل كلمه لم تكن على معنى الأصل فهى منقوله إلى التسميه للفرق نحو جعفر إذا لم يرد به معنى النهر لم يكن إلا منقولاً إلى العلميه و كذلك أشباهه و لو سميت بالم لحكيت جميع ذلك و أما قول ابن عباس أنه اختصار من أسماء يعلم النبى صلى الله عليه و آله تمامها فنحوه قول الشاعر:

نادوهم أن أجموا ألاتا

قالوا جميعا كلهم أفا

يريد ألا تركبون قالوا أفا ركبوا و قول الآخر:

قلنا لها قفى قالت قاف

لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

يريد قالت أنا واقفه.

الإعراب

أما موضع «الم» من الإعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب أما على مذهب الحسن فموضعها رفع على إضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم و أجاز الرماني أن يكون الم مبتدأ و ذلك الكتاب خبره و تقديره حروف المعجم ذلك الكتاب و هذا فيه بعد لأن حكم المبتدأ أن يكون هو الخبر فى المعنى و لم يكن الكتاب هو حروف المعجم و يجوز أن يكون الم فى موضع نصب على إضمار فعل تقديره اتل الم و أما على مذهب من جعلها قسما فموضعها نصب بإضمار فعل لأن حرف القسم إذا حذف يصل الفعل إلى المقسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله أقسم بالله ثم حذف أقسم فبقى بالله فلو حذف الباء لقلت الله لأفعلن و أما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام أو حروفاً مقطعه فلا موضع لها من الإعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم فى أن موضعه لا حظ له فى الإعراب و إنما يكون للجمله موضع إذا وقعت موقع الفرد كقولك زيد أبوه قائم و إن زيدا أبوه قائم لأنه بمنزلة قولك زيد قائم و إن زيدا قائم و هذه الحروف موقوفه على الحكايه كما يفعل بحروف التهجى لأنها مبنيه على السكت كما أن العدد مبنى

على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين فى قولك لام ميم و تقول فى العدد واحد اثنان ثلاثه اربعة فتقطع ألف اثنين و ألف اثنين ألف وصل و تذكر الهاء فى ثلاثه و اربعة و لو لا أنك تقدر السكت لقلت ثلاثه بالتاء و يدل عليه قول الشاعر:

أقبلت من عند زياد كالخرف

تخط رجلاى بخط مختلف

تكتبان فى الطريق لام ألف

كأنه قال لام ألف و لكنه ألقى حركه همزه الألف على الميم ففتحها و إذا أخبرت عن حروف الهجاء أو أسماء الأعداد أعربتھا لأنك أدخلتها بالإخبار عنها فى جملة الأسماء المتمكنه و أخرجتها بذلك من حيز الأصوات كما قال الشاعر

(كما بينت كاف تلوح و ميمها)

و قال آخر:

إذا اجتمعوا على ألف و باء

و واو هاج بينهم جدال

و تقول هذا كاف حسن و هذه كاف حسنه من ذكره فعلى معنى الحرف و من أنه فعلى معنى الكلمه.

البقره (٢): آيه ٢

اشاره

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

القراءه

قرأ ابن كثير فيهى هدى يوصل الهاء بياء فى اللفظ و كذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنه فإن كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو و وافقه حفص فى قوله فيهى مهانا و قتيبه فى قوله فملاقيه و سألبيه و الباقون لا يشبعون و إذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على إشباعه.

الإعراب

اعلم أنه يجوز فى العريه فى فيه اربعة أوجه فيهو و فيهى و فيه و فيه و الأصل فيهو كما قيل لهو مال فمن كسر الهاء من فيه و نحوه مع أن الأصل الضم فلأجل الياء أو الكسره قبل الهاء و الهاء تشبه الألف لكونها من حروف الحلق و لما فيها من الخفاء فكما نحو بالألف نحو الياء بالإماله لأجل الكسره أو الياء كذلك كسروا الهاء للكسره أو الياء ليتجانس الصوتان و من ترك

الإشباع فلكرامه اجتماع المشابهه فإن الهاء حرف خفى فإذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فإنهم لم يعتدوا

ص: ٣٢

بها حاجزا في نحو فيهي و خذ و هو كما لم يعتد بها في نحو رد من أتبع الضم إذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا- غير و لم يتبع الضم الضم و جعل الدال كأنها لازقه بالألف و أما من أشيع و أتبعها الياء قال الهاء و إن كانت خفيه فليس يخرجها ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا- خفاء فيها فإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها.

اللغة

ذلك لفظه يشار بها إلى ما بعد و هذا إلى ما قرب و الاسم من ذلك ذا و الكاف زیدت للخطاب و لا حظ لها من الإعراب و اللام تزداد للتأكيد و كسرت لالتقاء الساكنين و تسقط معها هاء تقول ذاك و ذلك و هذاك و لا تقول هكذا و الكتاب مصدر و هو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفه

أتتك من الحجاج يتلى كتابها

أى مكتوبها و أصله الجمع من قولهم كتبت القرية إذا خرزتها و كتبت البغلة إذا جمعت بين شفريرها بحلقه و منه قيل للجند كتبه لانضمام بعضهم إلى بعض و الريب الشك و قيل هو أسوء الشك و هو مصدر رابى الشىء من فلان يربى إذا كانت مستيقنا منه بالريبه فإذا أسأت به الظن و لم تستيقن بالريبه منه قلت أرابى من فلان أمر إرابه و أراب الرجل إذا صار صاحب ريبه كما قيل ألام أى استحق أن يلام و الهدى الدلالة مصدر هديته و فعل قليل فى المصادر قال أبو على يجوز أن يكون فعل مصدر اختص به المعتل و إن لم يكن فى المصادر كما كان كينونه و نحوه لا يكون فى الصحيح و الفعل منه يتعدى إلى مفعولين يتعدى إلى الثانى منهما بأحد حرفى جر إلى أو اللام كقوله «و اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا» و قد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل إلى المفعول نحو اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أى دلنا عليه و اسلك بنا فيه و كأنه استنجاز لما وعدوا به فى قوله «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ» أى سبل دار السلام و الأصل فى المتقين الموقنين مفتعين من الوقايه فقلبت الواو تاء و أدغمتها فى التاء التى بعدها و حذفت الكسره من الياء استثقالا لها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فبقى متقين و التقوى أصله وقوى قلبت الواو تاء كالتراث أصله وراث و أصل الالتقاء الحجز بين الشيين يقال اتقاه بالترس أى جعله حاجزا بينه و بينه قال الشاعر:

فألقت قناعا دونها الشمس و اتقت

بأحسن موصولين كف و معصم

و منه الوقايه لأنها تمنع رؤيه الشعر.

الإعراب

ذلك فى موضع رفع من وجوه (أحدها) أن تجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه (و ثانيها) أن يكون مبتدأ و الكتاب خبره (و ثالثها) أن يكون مبتدأ و الكتاب عطف بيان أو صفه له أو بدل منه و لا ريب فيه جمله فى موضع الخبر (و رابعها) أن يكون مبتدأ و خبره هدى و يكون لا ريب فى موضع الحال و العامل فى الحال معنى الإشاره (و خامسها) أن يكون لا ريب فيه و هدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض أى جمع الطعمين و منه قول الشاعر:

من يك ذا بت فهذا بتى

مقيظ مصيف مشتى

(و سادسها) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب و إن حملت على هذا الوجه أو على أنه مبتدأ و لا ريب فيه الخبر أو على أنه خبر الم أو على أن الكتاب خبر عنه كان قوله «هُدًى» فى موضع نصب على الحال أى هاديا للمتقين و العامل فيه معنى الإشاره و الاستقرار الذى يتعلق به فيه و قوله «لا رَيْبَ» قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين و قال غيره من حذاق النحويين جعل لا- مع النكره الشائعه مركبا فهو أو كد من تضمين الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءا من الاسم بدلاله أنك تضيف إليه مجموعا و تدخل عليه حرف الجر فتقول جئتكم بلا مال و لا زاد فلما صار كذلك بنى على الفتح و هما جميعا فى موضع الرفع على الابتداء فموضع خبره موضع خبر المبتدأ و على هذا فيجوز أن تجعل فيه خبر و يجوز أن تجعله صفه فإن جعلته صفه أضمرت الخبر و إن جعلته خبرا كان موضعه رفعا فى قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر المبتدأ و على قول أبى الحسن الأخفش موضعه رفع و الموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به فى الأصل ألا ترى أن الضمير قد صار فى الظرف و أما قوله «هُدًى» فيجوز أن يكون فى موضع رفع من ثلاثه أوجه غير الوجه الذى ذكرناه قبل و هو أن يكون خبرا عن ذلك أحدها أن يكون مبتدأ و فيه الخبر على أن تضمير لا ريب خبرا كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى و الوقف على هذا الوجه على قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» و يتبدئ هدى للمتقين و الوجه الثانى أن يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما

للسوره و الوجه الثالث أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو هدى.

المعنى

المراد بالكتاب القرآن و قال الأخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضرا و أنشد لخفاف بن ندبه

أقول له و الرمح ياطر متنه

تأمل خفافا إننى أنا ذلكا

أى أنا هذا و هذا البيت يمكن إجراؤه على ظاهره أى إننى أنا ذلك الرجل الذى سمعت شجاعته و إذا جرى للشىء ذكر يجوز أن يقول السامع هذا كما قلت و ذلك كما قلت و تقول أنفقت ثلاثه و ثلاثه فهذا سته أو فذلك سته و إنما تقول هذا لقربه بالإخبار عنه و تقول ذلك لكونه ماضيا و قيل إن الله وعد نبيه أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء و لا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك عن الفراء و أبى على الجبائى و قيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك به فى الكتب السالفه عن المبرد و من قال إن المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل فقوله فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا-ريب فيه و أنه هدى و وصف ما فى أيدي اليهود و النصارى بأنه محرف بقوله يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ و معنى قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» أى أنه بيان و هدى و حق و معجز فمن هاهنا استحق الوصف بأنه لا شك فيه لا على وجه الإخبار بنفى شك الشاكين و قيل أنه على الحذف كأنه قال لا سبب شك فيه لأن الأسباب التى توجب الشك فى الكلام هى التلبيس و التعقيد و التناقض و الدعاوى العاربه من البرهان و هذه كلها منفيه عن كتاب الله تعالى و قيل إن معناه النهى و إن كان لفظه الخبر أى لا ترتابوا أو لا تشكوا فيه كقوله تعالى «فَلَا رَفَثَ وَ لَا فُسُوقَ» و أما تخصيص المتقين بأن القرآن هدى لهم و إن كان هدى لجميع الناس فلأنهم هم الذين انتفعوا به و اهدوا بهداه كما قال إنما أنت مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا و إن كان صلى الله عليه و آله منذرا لكل مكلف لأنه إنما انتفع بإنذاره من يخشى نار جهنم على أنه ليس فى الإخبار بأنه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم و بين فى آيه أخرى أنه هدى للناس.

[فصل فى التقوى و المتقى]

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال جماع التقوى فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ الْآيَه

و قيل المتقى الذى اتقى ما حرم عليه و فعل ما أوجب عليه

وقيل هو الذى يتقى بصلاح أعماله عذاب الله و سأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوكة فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت و تشمرت فقال كعب ذلك التقوى و نظمه بعض الناس فقال.

خل الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التقى

و اصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيره أن الجبال من الحصى

و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال إنما سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس

و قال عمر بن عبد العزيز التقى ملجم كالمجرم فى الحرم و قال بعضهم التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك.

البقره (٢): آيه ٣

اشاره

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)

القراءه

قرأ أبو جعفر و عاصم فى روايه الأعمشى عن أبى بكر بترك كل همزه ساكنه مثل يُؤْمِنُونَ و يَأْكُلُونَ و يُؤْتُونَ و بُسَسَ و نحوها و يتركان كثيرا من المتحركه مثل يُؤدِّه و لا يُؤاخِذُكُمْ و يُؤيِّدُ بِنَصْرِه و مذهب أبى جعفر فيه تفصيل يطول ذكره و أما أبو عمرو و فيترك كل همزه ساكنه إلا أن يكون سكنها علامه للجزم مثل ننسئها و تسؤكم و يهئى لكم و من يشأ و ينبئهم و اقرأ كتابك و نحوها فإنه لا يترك الهمزه فيها و روى عنه الهمزه أيضا فى الساكنه و أما نافع فيترك كل همزه ساكنه و متحركه إذا كانت فاء من الفعل نحو يُؤْمِنُونَ و لا يُؤاخِذُكُمْ و اختلفت قراءه الكسائى و حمزه و لكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الأصل و تركه للتخفيف.

اللغه و الإعراب

الذين جمع الذى و اللاتى جمع التى و تشيتهما اللذان و اللتان فى حال الرفع و اللذين و اللتين فى حال الجر و النصب و هى من الأسماء التى لا تتم إلا بصلاتها نحو من و ما و أى و صلاتها لا تكون إلا جملا خبريه يصح فيها الصدق و الكذب و لا بد أن يكون فيها ضمير يعود إلى الموصول فإذا استوفت الموصولات صلاتها كانت فى تأويل اسم مفرد مثل زيد و عمرو و يحتاج إلى جزء آخر تصير به جمله فقله «الَّذِينَ» موصول و يؤمنون صلته و يحتمل أن يكون محله نصبا و جرا و رفعا فالنصب

على المدح تقديره أَعْنَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ و أما الجر فعلى أنه صفة للمتقين و أما الرفع فعلى المدح أيضا كأنه لما قيل هُدًى
لِلْمُتَّقِينَ قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتدأ محذوف و يؤمنون

ص: ٣٦

معناه يصدقون و الواو فى موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين و النون علامه الرفع و الأصل فى يفعل يؤفعل و لكن الهمزه حذفت لأنك إذا أنبأت عن نفسك قلت أنا أفعل فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزه الثانيه ففعل أفعل ثم حذفت من الصيغ الآخر نفعل و تفعل و يفعل كما أن باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء و كسره إذ الأصل يوعد ثم حذفت فى تعد و أعد و نعد ليجرى الباب على سنن واحد قال الأزهرى اتفق العلماء على أن الإيمان هو التصديق قال الله تعالى وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا أَيُّ مَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَقَالُوا مَا أَمَنْتَ أَنْ أَجِدَ صَاحِبَهُ أَيُّ مَا وَثِقْتَ فَالْإِيمَانُ هُوَ الثَّقَةُ وَ التَّصَدِيقُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا» أَيُّ صَدَقُوا وَ وَثِقُوا بِهَا وَقَالَ الشَّاعِرُ أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:

و من قبل آمننا و قد كان قومنا

يصلون للأوثان قبل محمدا

و معناه آمننا محمدا أى صدقناه و يجوز أن يكون آمن من قياس فعلته فأفعل تقول أمنت فآمن مثل كعبته فأكب و الأمن خلاف الخوف و الأمانه خلاف الخيانه و الأمون الناقه القويه كأنها يؤمن عثارها و كلالها و يجوز أن يكون آمن بمعنى صار ذا آمن على نفسه بإظهار التصديق نحو أجرب و أعاه و أصح و أسلم صار ذا سلم أى خرج عن أن يكون جربا هذا فى أصل اللغه أما فى الشريعه فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى و أنبيائه و ملائكته و كتبه و البعث و النشور و الجنه و النار و أما قولنا فى وصف القديم تعالى المؤمن فإنه يحتمل تأويلين أحدهما أن يكون من آمنت المتعدى إلى مفعول فنقل بالهمزه فتعدى إلى مفعولين فصار من آمن زيد العذاب و آمنت العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من أوليائه و من هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط و هذا الوجه مروى فى أخبارنا و الآخر أن يكون معناه المصدق أى يصدق الموحدين على توحيدهم إياه يدل عليه قوله شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِأَنَّ الشَّاهِدَ مُصَدِّقٌ لِمَا يَشْهَدُ بِهِ كَمَا أَنَّهُ مُصَدِّقٌ مِمَّنْ يَشْهَدُ لَهُ فَإِذَا شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ فَقَدْ صَدَّقَ الْمُوَحِّدِينَ وَ أَمَا الْغَيْبُ فَهُوَ كَلِمَا غَابَ عَنْكَ وَ لَمْ تَشْهَدْهُ وَ قَوْلُهُ «بِالْغَيْبِ» كَأَنَّهُ إِجْمَالٌ لِمَا فَصَّلَ فِي قَوْلِهِ «كُلُّ آمَنٍ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ» أَيُّ يُؤْمِنُونَ بِمَا كَفَرَ بِهِ الْكُفَّارُ مِنْ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَ إِزْزَالَ كُتُبِهِ وَ إِرْسَالَ رُسُلِهِ فَكُلُّ هَذَا غَيْبٌ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَ هُوَ أَنَّ يَكُونُ أَرَادَ يُؤْمِنُونَ إِذَا غَابُوا عَنْكُمْ وَ لَمْ يَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيُّ يُؤْمِنُونَ غَائِبِينَ عَنِ مَرَاءِهِ النَّاسِ لَا يَرِيدُونَ بِإِيمَانِهِمْ تَصْنَعًا لِأَحَدٍ وَ لَكِنْ يَخْلَصُونَهُ لِلَّهِ وَ «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يُؤَدُّونَهَا بِحُدُودِهَا وَ فَرَائِضِهَا يُقَالُ

أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع و الشراء و قال الشاعر.

أقامت غزاله سوق الضراب

لأهل العراقين حولا قميطا

و قال أبو مسلم «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» أى يديمون أداء فرائضها يقال للشئ ء الراتب قائم و يقال فلان يقيم أرزاق الجند و الصلوه فى اللغه الدعاء قال الأعشى:

و أقبلها الريح فى ظلها

و صلى على دنها و ارتسم

أى دعا لها و منه

الحديث إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب و إن كان صائما فليصل

أى فليدع له بالبركه و الخير و قيل أصله رفع الصلا فى الركوع و هو عظم فى العجز و قوله «و مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» ما هذه حرف موصول و رزقناهم صلته و هما جميعا بمعنى المصدر تقديره و من رزقنا إياهم ينفقون أو اسم موصول و العائد من الصلة إلى الموصول محذوف و التقدير و من الذى رزقناهموه ينفقون فيكون ما رزقناهم فى موضع جر بمن و الجار و المجرور فى موضع نصب بأنه مفعول ينفقون و الرزق هو العطاء الجارى و هو نقيض الحرمان و الإنفاق إخراج المال يقال أنفق ماله أى أخرجه عن ملكه و نفقت الدابه إذا خرج روحها و النافقاء جحر اليربوع لأنه يخرج منها و منه النفاق لأن المنافق يخرج إلى المؤمن بالإيمان و إلى الكافر بالكفر.

المعنى

لما وصف القرآن بأنه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ بين صفه المتقين فقال «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» أى يصدقون بجميع ما أوجه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه و قيل يصدقون بالقيامه و الجنة و النار عن الحسن و قيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس و قيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود و جماعه من الصحابه و هذا أولى لعمومه و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبه المهدي عليه السلام و وقت خروجه و قيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبیش و قال الرمانى الغيب خفاء الشئ ء عن الحسن قرب أو بعد إلا أنه كثرت صفه غايب على البعيد الذى لا يظهر للحس و قال البلخى الغيب كل ما أدرك بالدلائل و الآيات مما يلزم معرفته و قالت المعتزله بأجمعها الإيمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض و النوافل و منهم من اعتبر الفرائض حسب و اعتبروا اجتناب الكبائر كلها و

قد روى الخاص و العام عن على بن موسى الرضا عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب

و الإقرار باللسان و العمل بالأركان و قد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا الإيمان قول مقول و عمل معمول و عرفان بالعقول و اتباع الرسول

و أقول أن أصل الإيمان هو المعرفة بالله و برسله و بجميع ما جاءت به رسله و كل عارف بشىء فهو مصدق به يدل عليه هذه الآيه فإنه تعالى لما ذكر الإيمان علقه بالغيب ليعلم أنه تصديق للمخبر به من الغيب على معرفه و ثقه ثم أفرد بالذکر عن سائر الطاعات البدنيه و الماليه و عطفهما عليه فقال «و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» و الشىء لا يعطف على نفسه و إنما يعطف على غيره و يدل عليه أيضا أنه تعالى حيث ذكر الإيمان إضافه إلى القلب فقال وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ قَالَ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ

قال النبى صلى الله عليه و آله الإيمان سر و أشار إلى صدره و الإسلام علانيه

و قد يسمى الإقرار إيمانا كما يسمى تصديقا إلا أنه متى صدر عن شك أو جهل كان إيمانا لفظيا لا حقيقيا و قد تسمى أعمال الجوارح أيضا إيمانا استعاره و تلويحا كما تسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق أفعاله مقالته و لا خير فى قول لا يصدقه الفعل و الفعل ليس بتصديق حقيقى باتفاق أهل اللغه و إنما استعير له هذا الاسم على الوجه الذى ذكرناه فقد آل الأمر تسليم صحه الخبر و قبوله إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب و التصديق به على نحو ما تقتضيه اللغه و لا يطلق لفظه إلا على ذلك إلا أنه يستعمل فى الإقرار باللسان و العمل بالأركان مجازا و اتساعا و بالله التوفيق و قد ذكرنا فى قوله «و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» وجهين اقتضاهما اللغه و قيل أيضا إنه مشتق من القيام فى الصلوه و لذلك قيل قد قامت الصلاه و إنما ذكر القيام لأنه أول أركان الصلاه و أمدها و إن كان المراد به هو و غيره و الصلاه فى الشرع عبارته عن أفعال مخصوصه على وجه مخصوصه و هذا يدل على أن الاسم ينقل من اللغه إلى الشرع و قيل إن هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لأنه يطلق على الذكر و الدعاء فى مواضع مخصوصه و قوله تعالى «و مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» يريد و مما أعطيناهم و ملكناهم يخرجون على وجه الطاعه و حكى عن ابن عباس أنه الزكاه المفروضه و عن ابن مسعود أنه نفقه الرجل على أهله لأن الآيه نزلت قبل وجوب الزكاه و عن الضحاك هو التطوع بالنفقه و

روى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أن معناه و مما علمناهم يثون

و الأولى حمل الآيه على عمومها و حقيقه الرزق هو ما صح أن ينتفع به المنتفع و ليس لأحد منعه منه و هذه الآيه تدل على أن الحرام لا يكون رزقا لأنه تعالى مدحهم بالإنفاق مما رزقهم و المنفق من الحرام لا يستحق المدح على الإنفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا.

النزول

قال بعضهم هذه الآيه تناولت مؤمنى العرب خاصه بدلاله قوله فيما بعد «و الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» الآيه فهذا فى مؤمنى أهل الكتاب إذ لم يكن للعرب كتاب

قبل القرآن و هذا غير صحيح لأنه لا يمتنع أن تكون الآية الأولى عامه في جميع المؤمنين و إن كانت الثانية خاصه في قوم منهم و يجوز أن يكون المراد بالآيات قوما واحدا و صفوا بجميع ذلك بأن جمع بين أوصافهم بواو العطف كقول الشاعر.

إلى الملك القرم و ابن الهمام

و ليث الكتيبه في المزدحم.

البقره (٢): آيه ٤

إشاره

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

القراءه

أهل الحجاز غير ورش و أهل البصره لا يمدون حرفا لحرف و هو أن تكون المده من كلمه و الهمزه من أخرى نحو «بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» و نحوه و أما أهل الكوفه و ابن عامر و ورش عن نافع فإنهم يمدون ذلك و ورش أطولهم مدا ثم حمزه ثم عاصم بروايه الأعرشى و الباقر يمدون مدا وسطا من غير إفراط فالمد للتحقيق و حذفه للتخفيف و أما السكته بين المده و الهمزه فعن حمزه و واقفه عاصم و الكسائي على اختلاف عنهما و كان يقف حمزه قبل الهمزه أيضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بِالْآخِرَةِ ثم يبتدئ بالهمزه و كذلك يقطع على الياء من شيء كأنه يقف ثم يهزم و الباقر غير سكته.

الإعراب

إليك و لديك و عليك الأصل فيها إلاك و علاك و لداك إلا أن الألف غيرت مع المضممر فأبدلت ياء ليفصل بين الألف في آخر الاسم المتمكن و بينها في آخر غير المتمكن الذي الإضافه لازمه له ألا ترى أن إلى و على و لدى لا تنفرد من الإضافه فشبّهت بها كلا إذا أضيفت إلى الضمير لأنها لا تنفرد و لا تكون كلاما إلا بالإضافه و ما موصول و أنزل صلته و فيه ضمير يعود إلى ما و الموصول مع صلته في موضع جر بالباء و الجار و المجرور في موضع نصب بأنه مفعول يؤمنون و يؤمنون صلته للذين و «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» في موضع جر بالعطف و العطف فيه على وجهين أحدهما أن يكون عطف أحد الموصوفين على الآخر و الآخر أن يكون جمع الأوصاف لموصوف واحد.

المعنى

ثم بين تعالى تمام صفه المتقين فقال «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» يعنى القرآن «وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» يعنى الكتب المتقدمه و قوله «وَ بِالْآخِرَةِ» أى بالدار الآخرة لأن الآخرة صفه فلا بد لها من موصوف و قيل أراد به الكره الآخرة و إنما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق و قيل لدناءتها «هُمْ يُوقِنُونَ» يعلمون و سمي

العلم يقينا لحصول القطع عليه و سكون النفس إليه فكل يقين علم و ليس كل علم يقينا و ذلك أن اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال و النظر لغموض المعلوم المنظور فيه أو لإشكال ذلك على الناظر و لهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لأن الأشياء كلها في الجلاء عنده على السواء و إنما خصهم بالإيقان بالآخرة و إن كان الإيمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها و جردهم إياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا فَكأن في تخصيصهم بذلك مدح لهم.

البقره (٢): آيه ٥

إشاره

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

اللغه

«أُولَئِكَ» اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الإشارة و هو جمع ذلك في المعنى و أولاء جمع ذا في المعنى و من قصر قال أولا و ألاك و أولالك و إذا مد لم يجز زياده اللام لثلا يجتمع ثقل زياده و ثقل الهمزه قال الشاعر:

ألا لك قوم لم يكونوا أشابه

و هل يعظ الضليل إلا أولالكا

و «الْمُفْلِحُونَ» المنجحون الفائزون و الفلاح النجاح قال الشاعر:

اعقلى إن كنت لما تعقلى

فلقد أفلح من كان عقل

أى ظفر بحاجته و الفلاح أيضا البقاء قال لبيد:

نحل بلادا كلها حل قبلنا

و نرجو الفلاح بعد عاد و تبعا

و أصل الفلح القطع و منه قيل الفلاح للأكار [الحراث] لأنه يشق الأرض و فى المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كأنه قطع له بالخير.

الإعراب

موضع أولئك رفع بالابتداء و الخبر «عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ» و هو اسم مبنى و الكاف حرف خطاب لا- محل له من الإعراب و

كسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين و كذلك قوله «وَ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» إلا أن قوله «هُم» فيه وجهان (أحدهما) أنه فصل يدخل بين المبتدأ أو الخبر و ما كان في الأصل مبتدأ و خبرا للتأكيد و لا موضع له من الإعراب و الكوفيون يسمونه عمادا و إنما يدخل ليؤذن أن الاسم بعده خبر و ليس بصفه و إنما يدخل أيضا إذا كان الخبر معرفه أو ما أشبه المعرفه نحو قوله تعالى «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ»

و الوجه الآخر أن يكون هم مبتدأ ثانياً و المفلحون خبره و الجملة فى موضع رفع بكونها خبر أولئك.

المعنى

لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال «أُولَئِكَ» إشاره إلى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمه و هم جملة المؤمنين «عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ» أى من دين ربهم و قيل على دلالة و بيان من ربهم و إنما قال «مِنْ رَبِّهِمْ» لأن كل خير و هدى فمن الله تعالى أما لأنه فعله و أما لأنه عرض له بالدلالة عليه و الدعاء إليه و الإثابة على فعله و على هذا يجوز أن يقال الإيمان هدايه منه تعالى و إن كان من فعل العبد ثم كرر تفخيماً فقال «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الظافرون بالغيبه و الباكون فى الجنة.

النزول

قال مجاهد أربع آيات من أول السوره نزلت فى المؤمنين و آيتان بعدها نزلت فى الكافرين و ثلاث عشره آيه بعدها نزلت فى المنافقين.

البقره (٢): آيه ٦

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦)

القراءه

قوله تعالى: «أَأَنْذَرْتَهُمْ» فيه ثلاث قراءات قرأ عاصم و حمزه و الكسائى إذا حقق بهمزتين و قرأ أهل الحجاز و أبو عمر بالهمزه و المد و تليين الهمزه الثانيه و الباكون يجعلونها بين بين و كذلك قراءه الكسائى إذا خفت و أبو عمرو أطول مداً من ابن كثير و اختلف فى المد عن نافع و قرأ ابن عامر بألف بين همزتين و يجوز فى العريه ثلاثه أوجه غيرها «أَأَنْذَرْتَهُمْ» بتحقيق الهمزه الأولى و تخفيف الثانيه يجعلها بين بين و أنذرتهم بهمزه واحده و عليهم أنذرتهم على إلقاء حركه الهمزه على الميم نحو قد أفلح فيما روى عن نافع.

الإعراب

أما وجه الهمزتين فهو أنه الأصل لأن الأولى همزه الاستفهام و الثانيه همزه أفعال و أما إدخال الألف بين الهمزتين فمن قرأه أراد أن يفصل بين الهمزتين استئقالاتاً لاجتماع المثليين كما فصل بين النونين فى نحو أضربنا استئقالاتاً لاجتماع النونات و منه قول ذى الرمه:

فيا ظليه الوعاء بين جلاجل

و بين النقاء أنت أم أم سالم

و أما من فصل بين الهمزتين و لين الثانيه فوجهه التخفيف من جهتين الفصل و التليين لأنك إذا ليتها فقد أمتها و صار اللفظ كأنه لا استفهام فيه ففى المد توكيد الدلاله على

ص: ٤٢

الاستفهام كما فى تحقيق الهمزة و أما من حقق الأولى و لين الثانى من غير فصل بالألف فهو القياس لأنه جعل التليين عوضا عن الفصل و أما من اكتفى بهمزه واحده فإنه طرح همزه الاستفهام و هو ضعيف و قد جاء فى الشعر قال عمر بن أبى ربيعه:

لعمرك ما أدرى و إن كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمان

و أما من ألقى حركة الهمزة على الميم فإنه على تليين الأولى و تحقيق الثانى و العرب إذا لينوا الهمزة المتحركة و قبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها قالوا من بوك و من مك و كم بك.

اللغة

الكفر خلاف الشكر كما أن الحمد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة و إخفاؤها و الشكر نشرها و إظهارها و الشكر نشرها و إظهارها و كل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد

(فى ليله كفر النجوم غمامها)

أى سترها و سواء مصدر أقيم مقام الفاعل كقولك زور و صوم و معناه مستو و الاستواء الاعتدال و السواء العدل قال زهير:

أرونى خطه لا خسف فيها

يسوى بيننا فيها السواء

و قالوا سى بمعنى سواء كما قالوا قى و قواء و سيان أى مثلان و الإنذار إعلام معه تخويف فكل منذر معلم و ليس كل معلم منذرا و يوصف القديم تعالى بأنه منذر لأن الإعلام يجوز وصفه به و التخويف أيضا كذلك لقوله ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ فإذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليهما و أنذرت يتعدى إلى مفعولين كقوله «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» و قد ورد إلى المفعول الثانى بالباء فى قوله قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِاللَّوْحِ و قيل الإنذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فإن لم يتسع فهو أشعار.

الإعراب

إن حرف توكيد و هى تنصب الاسم و ترفع الخبر و إنما نصبت و رفعت لأنها تشبه الفعل لكونها على وزنه و لأنها توكيد و التوكيد من معانى الفعل و تشبهه فى اتصال ضمير المتكلم نحو إنتى و هى مبنية على الفتح كالفعل الماضى و إنما ألزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم أنها إنما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله و «الَّذِينَ كَفَرُوا» فى موضع نصب لكونه اسم إن و كفروا صله الذين و أما خبرها ففيه و جهان (أحدهما) أن يكون الجملة التى هى «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ» فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء و كما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام فى موضع الخبر و الجملة فى موضع رفع بأنها خبر إن و يكون قوله «لَا يُؤْمِنُونَ» حالا من الضمير المنصوب

على حد معه صقر صائدا به و بالغ الكعبه و يستقيم أن يكون أيضا استثناء و الوجه الثاني أن يكون لا يؤمنون خير إن و يكون قوله «سواءً عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرتهم» اعتراضا بين الخبر و الاسم فلا يكون له موضع من الإعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الأول فأما إذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الإنذار و تركه كان سواء خيرا المبتدأ لأنه يكون تقديره الإنذار و تركه مستويان عليهم و إنما قلنا أنه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوه لأنه لا يجوز أن يكون خيرا فإنه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه و إذا لم يكن مخبر عنه بطل أن يكون خيرا فإذا فسد ذلك ثبت أنه مبتدأ و أيضا فإنه قبل الاستفهام و ما قبل الاستفهام لا يكون داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز إذا أن يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام و نظير ما في الآيه من أن خبر المبتدأ ليس المبتدأ و لا له فيه ذكر ما أنشده أبو زيد:

فإن حراما لا أرى الدهر باكيا

على شجوه إلا بكيت على عمرو

و قوله «أأنذرتهم أم لم تُنذرتهم» لفظه لفظ الاستفهام و معناه الخبر و هذه الهمزة تسمى ألف التسويه و التسويه آلتها همزة الاستفهام و أم تقول أزيد عندك أم عمرو تريد أيهما عندك و لا يجوز في مكانها أو لأن أو لا يكون معادله الهمزة و تفسير المعادله أن تكون أم مع الهمزة بمنزله أي فإذا قلت أزيد عندك أو عمرو كان معناه أحد هذين عندك و يدل على ذلك أن الجواب مع زيد أم عمرو يقع بالتعيين و مع أزيد أو عمرو يقع بنعم أو لا و إنما جرى عليه لفظ الاستفهام و إن كان خيرا لأن فيه التسويه التي في الاستفهام ألا ترى أنك إذا قلت سواء على أقت أم قعدت فقد سويت الأمرين عليك كما إنك إذا استفهمت فقلت أقام زيد أم قعد فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام و عدم علم أحدهما بعينه فلما عمتهما التسويه جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الإبهام فكل استفهام تسويه و إن لم يكن كل تسويه استفهاما و قال النحويون إن نظير سواء في هذا قولك ما أبالي أقبلت أم أدبرت لأنه وقع موقع أي فكأنك قلت ما أبالي أي هذين كان منك و ما أدرى أحسنت أم أسأت و ليت شعري أقام أم قعد و قال حسان:

ما أبالي أنب بالحزن تيس

أم لحاني بظهر غيب لئيم

و مثله في أنه في صورته الاستفهام و هو خبر قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

و لو كان استفهاما لم يكن مدحا و قول الآخر:

سواء عليه أى حين أتيته

أ ساعه نحس تتقى أم بأسعد.

النزول

قيل نزلت فى أبى جهل و خمسه من أهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن أنس و اختاره البلخى و قيل نزلت فى قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ممن كفر بالنبى صلى الله عليه و آله عنادا و كتم أمره حسدا عن ابن عباس و قيل نزلت فى أهل الختم و الطبع الذين علم الله أنهم لا يؤمنون عن أبى على الجبائى و قيل نزلت فى مشركى العرب عن الأصم و قيل هى عامه فى جميع الكفار أخبر تعالى بأن جميعهم لا يؤمنون و يكون كقول القائل لا يقدم جميع إخوتك اليوم فلا ينكر أن يقدم بعضهم و اختار الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه أن يكون على الاختصاص و تجويز كل واحد من الأقوال الآخر و هذا أظهر و أسبق إلى الفهم.

المعنى

لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين و الكفر فى الشرع عبارته عن جحد ما أوجب الله تعالى معرفته من توحيده و عدله و معرفه نبيه و ما جاء به من أركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا و هذه الآية تدل على أن فى المكلفين من لا لطف له لأنه لو كان لفعل و لآمنوا فلما أخبر أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا لطف لهم و تدل على صدق النبى صلى الله عليه و آله لأنه أخبر بأنهم لا يؤمنون فكان كما أخبر و تدل أيضا على أنه يجوز أن يخاطب الله تعالى بالعام و المراد به الخاص فى قول من قال الآية عامه لأننا نعلم أن فى الكفار من آمن و انتفع بالإنذار.

سؤال

إن قال قائل إذا علم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون و كانوا قادرين على الإيمان عندكم فما أنكرتم أن يكونوا قادرين على إبطال علم الله بأنهم لا يؤمنون.

الجواب

أنه لا يجب ذلك كما أنه لا يجب إذا كانوا مأمورين بالإيمان أن يكونوا مأمورين بإبطال علم الله كما لا يجب إذا كان الله تعالى قادرا على أن يقيم القيامة الساعة أن يكون قادرا على إبطال علمه بأنه لا يقيمها الساعة و الصحيح أن نقول إن العلم يتناول الشىء على ما هو به و لا يجعله على ما هو به فلا يمتنع أن يعلم حصول شىء بعينه و إن كان غيره مقدورا.

ص: ٤٥

اشاره

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

القراءه

القراءه الظاهره «غِشَاوَةً» بكسر الغين و رفع الهاء و روى عن عاصم فى الشواذ غشاوه بالنصب و عن الحسن بضم الغين و عن بعضهم بفتح الغين و عن بعضهم غشوه بغير ألف و قرأ أبو عمرو و الكسائى على أبصارهم بالإماله و الباقون بالتفخيم و للقراء فى الإماله مذاهب يطول شرحها.

الإعراب

حجه من رفع غشاوه أنه لم يحمله على ختم كما فى الآيه الأخرى وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فإذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعه إما بالظرف و إما بالابتداء و كذلك قوله «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» فإن عند سيبويه ترتفع غشاوه و عذاب بأنه مبتدأ فكأنه قال غشاوه على أبصارهم و عذاب لهم و عند الأخفش يرتفع بالظرف لأن الظرف يضم فيه فعل و ستعرف فائده اختلافهما فى هذه المسأله بعد إن شاء الله تعالى و من نصب غشاوه فأما أن يحملها على ختم كأنه قال و ختم على أبصارهم بغشاوه فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إليها فنصبها و هذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف و المعطوف به و ذلك إنما يجوز فى الشعر و إما أن يحملها على فعل مضمّر كأنه قال و جعل على أبصارهم غشاوه نحو قول الشاعر

(علفتها تبنا و ماء باردا)

أى و سقيتها و قول الآخر:

يا ليت بعلك قد غزا

متقلدا سيفا و رمحا

أى و حاملا رمحا و هذا أيضا لا يوجد فى حال الاختيار فقد صح أن الرفع أولى و تكون الواو عاطفه جمله على جمله و الغشاوه فيها ثلاث لغات فتح الغين و ضمها و كسرهما و كذلك الغشوه فيها ثلاث لغات.

اللغه

الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه و يقال طبعه أيضا بغير حرف و لا يمتنع فى ختم ذلك قال:

كان قرادى زوره طبعتهما

بطين من الجولان كتاب أعجم

وقوله خِتَامُهُ مِسْكٌ أَي آخِره و منه ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه و قوله «عَلَى سَمْعِهِمْ» يريد على أسماعهم و السمع مصدر تقول يعجبني ضربكم أَي ضربوكم فيوحد لأنه مصدر و يجوز أن يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع و دل السمع عليها كما يقال

ص: ٤٤

أصحابك عدل أى ذوو عدل و يجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى إسماعهم قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فيبيض و أما جلدها فصليب

و قال الآخر

(فى حلقكم عظم و قد شجينا)

أى فى حلوقكم و الغشاوه الغطاء و كل ما اشتمل على الشىء بنى على فعاله نحو العمامه و القلاده و العصابه و كذلك أسماء الصناعات كالخياطه و القصاره و الصياغه لأن معنى الصنائه الاشتمال على كل ما فيها و كذلك كل من استولى على شىء فاسم ما استولى عليه الفعاله كالإماره و الخلافه و غير ذلك و سمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر:

ما سمي القلب إلا من تقلبه

و الرأى يعزب و الإنسان أطوار

و الفؤاد محل القلب و الصدر محل الفؤاد و قد يعبر عن القلب بمحله كقوله «لُنَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ» و قال «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» يعنى به القلب فى الموضوعين و العذاب استمرار الألم يقال عذبتة تعذيبا و عذابا و يقال عذب الماء إذا استمر فى الحلق و حمار عاذب و عذوب إذا استمر به العطش فلم يأكل من شده العطش و فرس عذوب مثل ذلك و أعذبتة عن الشىء بمعنى فطمته و العظيم الكبير يقال هو عظيم الجثه و عظيم الشأن سمي سبحانه عظيما و عظمتة كبرياؤه.

المعنى

قيل فى معنى الختم وجوه (أحدها) أن المراد بالختم العلامه و إذا انتهى الكافر من كفره إلى حاله يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يعلم على قلبه علامه و قيل هى نكته سواد تشاهدها الملائكه فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمون و يدعون عليه كما أنه تعالى يكتب فى قلب المؤمن الإيمان و يعلم عليه علامه تعلم الملائكه بها أنه مؤمن فيمدحونه و يستغفرون له و كما طبع على قلب الكافر و ختم عليه فوسمه بسمه تعرف بها الملائكه كفره فكذلك و سم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكه بها و قد تأول على مثل هذا مناوله الكتاب باليمين و الشمال فى أنها علامه أن المناول باليمين من أهل الجنة و المناول بالشمال من أهل النار و قوله تعالى «يَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» يحتمل أمرين أحدهما أنه طبع عليها جزاء للكفر و عقوبه عليه و الآخر أنه طبع عليها بعلامه كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين و ختم عليه بالشمع (و ثانيها) أن المراد بالختم على القلوب إن الله شهد عليها و حكم بأنها لا تقبل الحق كما يقال أراك تختم على كل ما يقوله فلان أى تشهد

به و تصدقه و قد ختمت عليك بأنك لا تفلح أى شهدت و ذلك استعاره (و ثالثها) أن المراد بذلك أنه تعالى ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى أنه لا يدخلها الإيمان و لا يخرج عنها الكفر كقوله صُمُّ بَكُمِّ عُمِّي و كقول الشاعر

(أصم عما ساءه سميع)

و قول الآخر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا

و لكن لا حياه لمن تنادى

و المعنى أن الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها و صاروا بمنزله من لا يفهم و لا يبصر و لا يسمع عن الأصم و أبى مسلم الأصفهاني (و رابعها) أن الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر و الاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكره فى قوله أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ و مثل قوله «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» و قوله «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ و قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّهِ» و يقوى ذلك أن المطبوع على قلبه وصف بقله الفهم بما يسمع من أجل الطبع فقال بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا و قال وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ و يبين ذلك قوله تعالى «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ» فعدل الختم على القلوب بأخذه السمع و البصر فدل هذا على أن الختم على القلب هو أن يصير على وصف لا- ينتفع به فيما يحتاج فيه إليه كما لا ينتفع بالسمع و البصر مع أخذهما و إنما يكون ضيقه بأن لا يتسع لما يحتاج إليه فيه من النظر و الاستدلال الفاصل بين الحق و الباطل و هذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له إذا بولغ فى وصفه بالجبن لأن الشجاعه محلها القلب فإذا لم يكن القلب الذى هو محل الشجاعه لو كانت فإن لا تكون الشجاعه أولى قال طرفه:

فالهبيت لا فؤاد له

و الثبيت قلبه قيمه

و كما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له و أنه يراعه و أنه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الإسلام بعد الدعاء إليه و إقامه الحججه عليه بأنه مختوم على قلبه و مطبوع عليه و ضيق صدره و قلبه فى كنان و فى غلاف و هذا من كلام الشيخ أبى على الفارسي و إنما قال ختم الله و طبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال أهلكته فلانه إذا أعجب بها و هى لا تفعل به شيئا لأنه هلك فى اتباعها.

سؤال

إن قيل لم خص هذه الأعضاء بالذكر.

فالجواب

قيل إنها طرق العلم فالقلب محل العلم و طريقه إما السماع أو الرؤيه.

البقره (٢): آيه ٨

اشاره

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)

ص: ٤٨

الناس و البشر و الإنس نظائر و هى الجماعه من الحيوان المتميزه بالصوره الإنسانيه و أصله أناس من الإنس و وزنه فعال فأسقطت الهمزه منها لكثرة الاستعمال إذا دخلها الألف و اللام للتعريف ثم أدغمت لام التعريف فى النون كما قيل لكنا و الأصل لكن إنا و قيل الناس مأخوذه من النوس و هو الحركه و تصغيره نويس و وزنه فعل و قيل أخذ من الظهور فسمى ناسا و إنسانا لظهوره و إدراك البصر إياه يقال آنست ببصرى شيئا و قال الله سبحانه إني آنست نارا و الإنسان واحد و الناس جمعه لا من لفظه و قيل أخذ من النسيان لقوله تعالى «فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» و أصل الإنسان إنسيان و لذلك قيل فى تحقيره و تصغيره أنسيان فرد إلى الأصل و اليوم الآخر يوم القيامة و إنما سمي آخرا لأنه يوم لا يوم بعده سواه إذ ليس بعده ليله و قيل لأنه متأخر عن أيام الدنيا و إنما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لتوالى الكسرتين لو قلت من الناس فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول عن مفتوح و من يقول النون تدغم فى الياء فمنهم من يدغم بغنه و منهم من يدغم بغير غنه.

الإعراب

من يقول موصول و صله و هو مرفوع بالابتداء أو بالظرف على ما تقدم بيانه و قوله «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» حديث يتعلق بقوله يقول و ما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ و الخبر كما يدخل ليس عليهما و فيه نفى الحال كما فى ليس فأجرى مجراه فى العمل فى قول أهل الحجاز على ما جاء به التنزيل و هم مرفوع لأنه اسم ما و الباء فى قوله «بِئْمُونِينَ» مزيده دخلت توكيدا للنفى و هو حرف جار و مؤمنين مجرور به و بمؤمنين فى موضع نصب بكونه خبر ما و لفظه من تقع على الواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث و لذلك عاد الذكر إليه مجموعا على المعنى و منه قول الفرزدق:

تعال فإن عاهدتنى لا تخوننى

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

فثنى الضمير العائد إلى من على المعنى.

النزول

نزلت فى المنافقين و هم عبد الله بن أبى بن سلول و جد بن قيس و معتب بن قشير و أصحابهم و أكثرهم من اليهود.

المعنى

بين الله تعالى حالهم فأخبر سبحانه أنهم يقولون صدقنا بالله و ما أنزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمه الإيمان و كان قصدهم أن يطلعوا على أسرار

المسلمين فينقلوها إلى الكفار أو تقرب الرسول إليهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الإيمان فقال «وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» و في هذا تكذيبهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان و الإقرار بالبعث فيبين أن ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم و هذا يدل على فساد قول من يقول الإيمان مجرد القول.

البقره (٢): آيه ٩

إشاره

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٩)

القراءه

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و ما يخادعون إلا أنفسهم و الباقون «وَمَا يَخْدَعُونَ».

الإعراب

حجه من قرأ «يَخْدَعُونَ» أن فعل هنا ألقى بالموضع من فاعل الذى هو فى أكثر الأمر يكون لفاعلين و يدل عليه قوله فى الآية الأخرى «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ» و حجه من قرأ يخادعون هو أن ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزله آخر يجازيه ذلك و يعاوضه إياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم أن يقول فاعل كقول الكميت و ذكر حمارا أراد الورود

يذكر من أنى و من أين شربه

يؤامر نفسه كذى الهجمه الإبل

فجعل ما يكون منه من وروده الماء أو تركه الورود و التمثيل بينهما بمنزله نفسين.

اللغه

أصل الخدع الإخفاء و الإبهام بخلاف الحق و التزوير يقال خدعت الرجل أخدعه خدعا بالكسر و خديعه و قالوا إنك لأخدع من صب حرشته و خادعت فلانا فخدعته و النفس فى الكلام على ثلاثه أوجه النفس بمعنى الروح و النفس بمعنى التأكيد تقول جاءنى زيد نفسه و النفس بمعنى الذات و هو الأصل و يقال النفس غير الروح و يقال هما اسمان بمعنى واحد و يشعرون يعلمون و أصل الشعر الإحساس بالشىء من جهه تدق و من هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفتن لما يدق من المعنى و الوزن و لا يوصف الله تعالى بأنه يشعر لما فيه من معنى التلطف و التخيل.

الإعراب

يخادعون فعل و فاعل و النون علامه الرفع و الجملة فى موضع نصب بكونها حالا و ذو الحال الضمير الذى فى قوله «آمَنَّا» العائد إلى من و الله نصب بيخادعون

و الذين آمنوا عطف و ما نفى و إلا إيجاب و أنفسهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانيه و ما نفى و يشعرون فعل و فاعل و كل موضع يأتي فيه إلا بعد نفى فهو إيجاب و نقض للنفى.

المعنى

معنى قوله «يُخَادِعُونَ اللَّهَ» أى يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح أن يخادعه من يعرفه و يعلم أنه لا يخفى عليه خافيه و هذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء فى معاملته ما أجهله يخادع الله و هو أعلم به من نفسه أى يعمل عمل المخادع و هذا يكون من العارف و غير العارف و قيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعة الله و معصيته معصيه الله فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و هذا كقوله تعالى وَ إِن يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ وَ المفاعله قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله و عاقبت اللص و طارقت النعل فكذلك يخادعون إنما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهر غير ما فى نفوسهم و قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى و يخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم قالوا آمنا و هم غير مؤمنين أو بمجالستهم و مخالطتهم إياهم حتى يفشوا إليهم أسرارهم فينقلوها إلى أعدائهم و التقيه أيضا تسمى خداعا فكأنهم لما أظهروا الإسلام و أبطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث أنهم نجوا بها من إجراء حكم الكفر عليهم و معنى قوله «وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» أنهم و إن كانوا يخادعون المؤمنين فى الظاهر فهم يخادعون أنفسهم لأنهم يظهرن لها بذلك أنهم يعطونها ما تمت و هم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع إلى أنفسهم «وَ مَا يَشْعُرُونَ» أى ما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب فهم فى الحقيقه إنما خدعوا أنفسهم كما لو قاتل إنسان غيره فقتل نفسه جاز أن يقال أنه قاتل فلانا و لم يقتل إلا نفسه و قوله «وَ مَا يَشْعُرُونَ» يدل على بطلان قول أصحاب المعارف لأنه تعالى أخبر عنهم بالنفاق و بأنهم لا يعلمون ذلك.

البقره (٢): آيه ١٠

اشاره

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)

القرءه

قرأ ابن عامر و حمزه فزادهم الله بإماله الزاى و كذلك شاء و جاء و قرأ أهل الكوفه «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء مخففا و الباقون يكذبون.

الإعراب

حجه من أمال الألف من زاد أنه يريد أن يدل بالإماله على أن العين ياء كما أبدلوا من الضمه كسره فى عين و بيض جمع أعين و أبيض لتصح الياء و لا تقلب إلى

الواو و حجه من قرأ «يَكْذِبُونَ» أن يقول إن ذلك أشبه بما قبل الكلمه و ما بعدها لأن قولهم آمَنَّا بِاللَّهِ كذب منهم فلهم عذاب أليم بكذبهم و ما و صلته بمعنى المصدر و فى قولهم فيما بعد إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ (قَالُوا) إِنَّا مَعَكُمْ دلاله أيضا على كذبهم فيما ادعوه من إيمانهم و إذا كان أشبه بما قبله و ما بعده كان أولى و حجه من قرأ يكذبون بالتشديد قوله «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ» و قوله «وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي» و قوله «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» و قوله «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» و نحو ذلك و التكذيب أكثر من الكذب لأن كل من كذب صادقاً فقد كذب و ليس كل من كذب مكذباً فكأنه قال و لهم عذاب أليم بتكذبيهم و أدخل كان ليدل على أن ذلك كان فيما مضى.

اللغه

المرض العله فى البدن و نقيضه الصحه قال سيبويه أمرضته جعلته مريضاً و مرضته قمت عليه و وليته و زاد فعل يتعدى إلى مفعولين قال الله تعالى «وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» و «زَادَهُ بَسْطَةً» و مصدره الزيادة و الزيد قال

(كذلك زيد المرء بعد انتقاصه)

و الأليم الموجع فعيل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع و النذير بمعنى المنذر و البديع بمعنى المبدع قال ذو الرمه (يصك وجوها و هج أليم)

و الكذب ضد الصدق و هو الإخبار عن الشىء لا على ما هو به و الكذب ضرب من القول و هو نطق فإذا جاز فى القول أن يتسع فيه فيجعل غير نطق فى نحو قوله

(قد قالت الأنساع للبطن الحقى)

جاز أيضا فى الكذب أن يجعل غير نطق فى نحو قوله:

و ذبيانيه و صت بنيها

بأن كذب القراطف و القروف

فيكون فى ذلك انتفاء لها كما أنه إذا أخبر عن الشىء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق أى كذب القراطف فأوجدوها بالغاره.

المعنى

«فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» المراد بالمرض فى الآيه الشك و النفاق بلا خلاف و إنما سمي الشك فى الدين مرضاً لأن المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفه يكون صحيحاً سوياً و كذلك القلب ما لم تصبه آفه من الشك يكون صحيحاً و قيل أصل المرض الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحق كما أنه فى البدن فتور الأعضاء و تقدير الآيه فى اعتقاد قلوبهم الذى

يعتقدونه في الله ورسوله مرض أي شك حذف المضاف

ص: ٥٢

و أقيم المضاف إليه مقامه و قوله «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ازدادوا شكا عند ما زاد الله من البيان بالآيات و الحجج إلا- أنه لما حصل ذلك عند فعله نسب إليه كقوله تعالى في قصة نوح (عليه السلام) «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح (عليه السلام) نسب إليه و كذلك قوله «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» الآيات لم تزدهم رجسا و إنما ازدادوا رجسا عندها (و ثانيها) ما قاله أبو علي الجبائي أنه أراد في قلوبهم غم بنزول النبي صلى الله عليه و آله المدينة و يتمكنه فيها و ظهور المسلمين و قوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين و القوه و أمد به من التأييد و النصره (و ثالثها) ما قاله السدي إن معناه زادتهم عداوه الله مرضا و هذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى من ترك ذكر الله (و رابعها) أن المراد في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم و مخازيهم فزادهم الله مرضا بأن زاد في إظهار مقابحهم و مساويهم و الإخبار عن خبث سرائرهم و سوء ضمائرهم و سمي الغم مرضا لأنه يضيق الصدر كما يضيقه المرض (و خامسها) ما قاله أبو مسلم الأصفهاني أن ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى «ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ» فكأنه دعاء عليهم بأن يخليهم الله و ما اختاروه و لا يعطيهم من زياده التوفيق و الألفاظ ما يعطى المؤمنين فيكون خذلانا لهم و هو فى الحقيقة إخبار عن خذلان الله إياهم و إن خرج فى اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و هو عذاب النار «بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» أى بتكذيبهم الله و رسوله فيما جاء به من الدين أو بكذبهم فى قولهم «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ».

البقره (٢): الآيات ١١ الى ١٢

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)

القراءة

قرأ الكسائي قيل و غيض و سى ء و سيث و حيل و سيق و جى ء بضم أوائل ذلك كله و روى عن يعقوب مثل ذلك و وافقهما نافع فى سى ء و سيث و ابن عامر فيهما و فى حيل و سيق و الباقون يكسرون كلها.

الإعراب

فى هذه كلها ثلاث لغات الكسر و إشمام الضم و قول بالواو فأما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين إلى الفاء لأن أصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها و هو قياس مطرد فى كل ما اعتلت عينه و أما الإشمام فلأجل الدلالة على الأصل

اللغة

الإفساد إحداث الفساد و هو كل ما تغير عن استقامه الحال و الصلاح نقيض الفساد و الأرض مستقر الحيوان و يقال لقوائم الفرس أرض لأنه يستقر عليها قال:

إذا ما استحمت أرضه من سمائه

جرى و هو مودوع و واعد مصدق

الإعراب

إذا لفظه وضعت للوقت بشرط أن يكون ظرفاً زمانياً و فيها معنى الشرط و إنما يعمل فيها جوابها ففي هذه الآية إذا في محل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب و لا يجوز أن يعمل فيه قيل لهم لأن إذا في التقدير مضاف إلى قيل و المضاف إليه لا يعمل في المضاف و كذلك قوله «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا» و إذا مبني و إنما بنى لتضمنه معنى في و لزومه إياه و قد يكون إذا ظرفاً مكانياً في نحو قولك خرجت فإذا الناس و قوف أى ففي المكان الناس و قوف و يجوز أن ينصب و قوفاً على الحال لأن ظرف المكان يجوز أن يكون خبراً عن الجثة و قيل مبني على الفتح و كذلك كل فعل ماض فمبني على الفتح و لا حرف نهى و هى تعمل الجزم فى الفعل و تفسدوا مجزوم بلا و علامه الجزم فيه سقوط النون و الواو ضمير الفاعلين و ما فى قوله «إِنَّمَا» كافه كفت إن عن العمل فعاد ما بعدها إلى ما كان عليه فى الأصل من كونه مبتدأ و خبراً و هو قوله «نَحْنُ مُصِيرٌ لِحُورٍ» فنحن مبتدأ و مصلحون خبره و موضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقاً أو باطلاً و نحن مبنيه لمشابهتها للحروف و بنيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع و الضمه علامه الرفع لأنها ضمير الجمع و الضمه بعض الواو و الواو علامه الجمع فى نحو ضاربون و يضربون و قوله «لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» جملة فى موضع رفع على تقدير قيل لهم شىء فهى اسم ما لم يسم و قوله إلا كلمه تنبيه و افتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ و أصله لا دخل عليه ألف الاستفهام و الألف إذا دخل على الجحد أخرجه إلى معنى التقرير و التحقيق كقوله «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» لأنه لا يجوز للمجيب إلا-الإقرار ببلى و هم فى إنهم فى موضع نصب بأن و هم الآخر يجوز أن يكون فصلاً على ما فسرناه قبل و يجوز أن يكون مبتدأ و المفسدون خبره و الجملة خبر إن و ضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردوه إلى الأصل.

الآيه نزلت فى المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمه و روى عن سلمان رضى الله عنه أن أهل هذه الصفه لم يأتوا بعد و الأول يقتضيه نظم الكلام و يجوز أن يراد بها من صورتهم صوره هؤلاء فيكون قول سلمان محمولاً على أنه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآيه.

المعنى

المراد «وَ إِذَا قِيلَ» للمنافقين «لَا تَقْسِمُوا فِي الْمَآرِضِ» بعمل المعاصى و صد الناس عن الإيمان على ما روى عن ابن عباس أو بممأله الكفار فإن فيه توهين الإسلام على ما قاله أبو على أو بتغيير المله و تحريف الكتاب على ما قاله الضحاك «قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُضْطَرِبُونَ» و هو يحتمل أمرين أحدهما أن الذى يسمونه فساداً هو عندنا صلاح لأننا نفعل ذلك كى نسلم من الفريقين و الآخر أنهم جحدوا ذلك و قالوا أنا لا نعمل بالمعاصى و لا نمالى الكفار و لا نحرف الكتاب و كان ذلك نفاقاً منهم كما قالوا «آمَنَّا بِاللَّهِ» و لم يؤمنوا ثم قال إلا- أنهم أى اعلما أن هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحاً «هُمُ الْمُفْسِدُونَ» و هذا تكذيب من الله تعالى لهم «وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ» أى لا- يعلمون أن ما يفعلونه فساد و ليس بصلاح و لو علموا ذلك لرجى صلاحهم و قيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب و هذه الآيه تدل على بطلان مذهب أصحاب المعارف لقوله «لَا يَعْلَمُونَ» و إنما جاز تكليفهم و إن لم يشعروا أنهم على ضلال لأن لهم طريقاً إلى العلم بذلك.

البقره (٢): آيه ١٣

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

القراءة

«السُّفَهَاءُ» إلا- أهل الكوفه و ابن عامر حققوا الهمزتين و أهل الحجاز و أبو عمرو همزوا الأولى و لينوا الثانية و كذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين و قد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين فى كلمه واحده و هو قوله: «أنذرتهم» ..

اللغه

السفهاء جمع سفيه و السفيه الضعيف الرأى الجاهل القليل المعرفه بمواضع المنافع و المضار و لذلك سمي الله الصبيان و النساء سفهاء بقوله «وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» و قال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق

و قال مؤرج السفیه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم و قيل السفه خفه اللحم و كثره الجهل يقال ثوب سفیه إذا كان رقيقا بالیا و سفهته الرياح أى طيرته و

قد جاء فى الأخبار أن شارب الخمر سفیه

و الألف و اللام فى الناس و فى السفهاء للعهد لا للجنس و المراد بهم المؤمنون من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و إنما سموا الناس لأن الغلبه كانت لهم.

الإعراب

قوله «كَمَا آمَنَ» الكاف فى موضع نصب بكونه صفه لمصدر محذوف و ما مع صلته بمعنى المصدر أى آمنوا إيماننا مثل إيمان الناس فحذف الموصوف و أقام الصفه مقامه و الهمزه فى أ تُؤْمِنُ لِلْإِنْكَارِ و أصلها الاستفهام و مثله أ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ و إذا ظرف لقوله «قَالُوا أ تُؤْمِنُ» و قد مضى الكلام فيه.

المعنى

المراد بالآيه و إذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد صلى الله عليه و آله و ما أنزل عليه كما صدقه أصحابه و قيل كما صدق عبد الله بن سلام و من آمن معه من اليهود قالوا أ نصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى و حكم عليهم بأنهم هم الجهال فى الحقيقه لأن الجاهل إنما يسمى سفیها لأنه يضيع من حيث يرى أنه يحفظ فكذلك المنافق يعصى ربه من حيث يظن أنه يطيعه و يكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به.

البقره (٢): آيه ١٤

اشاره

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤)

القراءه

بعض القراء ترك الهمزه من «مُسْتَهْزِؤُونَ» و قوله «خَلَوْا إِلَىٰ» قراءه أهل الحجاز خلوا لى حذفوا الهمزه و ألقوا حركتها على الواو قبلها و كذلك أمثاله و الباقون أسكنوا الواو و حققوا الهمزه.

الإعراب

قال سيبويه الهمزه المضمومه المكسور ما قبلها تجعلها إذا خففتها بين بين و كذلك الهمزه المكسوره إذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع إبلك تجعلها بين بين و ذهب الأخفش إلى أن تقلب الهمزه ياء فى مستهزيون قلبا صحيحا من أجل الكسره التى قبلها و لا تجعلها بين بين و لا تقلبها واوا مع تحركها بالضمه لخروجه إلى ما لا نظير له ألا ترى أنه واو مضمومه قبلها كسره و ذلك مرفوض عندهم.

اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شىء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه و أصل اللقاء الاجتماع مع الشىء على طريق المقاربه و الاجتماع قد يكون لا على

ص: ٥٦

طريق المجاوره كاجتماع العرضين فى محل و الخلاً نقيض الملاً و يقال خلوت إليه و خلوت معه و يقال خلوت به على ضربين أحدهما بمعنى خلوت معه و الآخر بمعنى سخرت منه و قد ذكرنا معنى الشيطان فى مفتتح سوره الفاتحه و يستهزءون أى يهزءون و مثله يستسخرون أى يسخرون و قر و استقر و علا قرنه و استعلى قرنه و رجل هزأه يهزأ بالناس و هزأه يهزأ به الناس و هذا قياس.

الإعراب

«إِنَّا» أصله إننا لكن النون حذفت لكثرة النونات و المحذوفه النون الثانيه من إن لأنها التى تحذف فى نحو وَ إِن كُلاً لَمَّا جَمِيعٌ و قد جاء على الأصل فى قوله «إِنِّى مَعَكُمْ» و معكم انتصب انتصاب الظروف نحو إنا خلفكم أى إنا مستقرون معكم و القراء بفتح العين و يجوز للشاعر إسكان العين قال:

و ريشى منكم و هواى معكم

و إن كانت زيارتكم لماما.

المعنى

«وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى أن المنافقين إذا رأوا المؤمنين «قَالُوا آمَنَّا» أى صدقنا نحن بما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله كما صدقتم أنتم و «إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ» قيل رؤسأؤهم من الكفار عن ابن عباس و قيل هم اليهود الذين أمرؤهم بالتكذيب و روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنهم كهانهم

«قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ» أى على دينكم «إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ» أى نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه و آله و نسخر بهم فى قولنا آمنا.

البقره (٢): آيه ١٥

إشاره

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)

اللغه

المد أصله الزيادة فى الشىء و المد الجذب لأنه سبب الزيادة فى الطول و الماده كل شىء يكون مددا لغيره و قال بعضهم كل زياده حدثت فى الشىء من نفسه فهو مددت بغير ألف كما تقول مد النهر و مده نهر آخر و كل زياده أحدثت فى الشىء من غيره فهو أمددت بالألف كما يقال أمد الجرح لأن المده من غير الجرح و أمددت الجيش و الطغيان من قولك طغى الماء يطغى إذا تجاوز الحد و الطاغية الجبار العنيد و العمه التحير يقال عمه يعمه فهو عمه و عامه قال رؤبه:

و مهمه أطرافه فى مهمه

أعمى الهدى بالحائرين العمه

الإعراب

«يَعْمَهُونَ» جملة فى موضع الحال.

المعنى

قيل فى معنى الآية و تأويلها و جوه أحدها أن يكون معنى «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» يجازيهم على استهزائهم و العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه و فى التنزيل وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ إِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

و إنما جاز ذلك لأن حكم الجزاء أن يكون على المساواه (و ثانيها) أن يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئه إياهم و تجهيله لهم فى إقامتهم على الكفر و إصرارهم على الضلال و العرب تقيم الشىء مقام ما يقاربه فى معناه قال الشاعر:

إن دهرا يلف شملى بجمل

لزمان يهم بالإحسان

و قال آخر:

كم أناس فى نعيم عمروا

فى ذرى ملك تعالى فسق

سكت الدهر زمانا عنهم

ثم أبكاهم دما حين نطق

و الدهر لا- يوصف بالسكوت و النطق و الهم و إنما ذكر ذلك على الاستعارة و التشبيه (و ثالثها) أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه تعالى أن يستدرجهم و يهلكهم من حيث لا- يعلمون و قد روى عن ابن عباس أنه قال فى معنى الاستدراج أنهم كلما أحدثوا خطيئته جدد الله لهم نعمه و إنما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك فى الظاهر نعمه و المراد به استدراجهم إلى الهلاك و العقاب الذى استحقوه بما تقدم من كفرهم (و رابعها) أن معنى استهزائه بهم أنه جعل لهم بما أظهوره من موافقه أهل

الإيمان ظاهر أحكامهم من الموارثه و المناكحه و المدافنه و غير ذلك من الأحكام و إن كان قد أعد لهم فى الآخره أليم العقاب بما أبطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم أحكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم فى الآخره (و خامسها) ما روى عن ابن عباس أنه قال يفتح لهم و هم فى النار باب من الجنة فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم و فتح لهم باب آخر فى موضع آخر فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد

عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال الله عز وجل: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» وهذه الوجوه الذى ذكرناها يمكن أن تذكر فى قوله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ» و«يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» و أما قوله «وَيَمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» ففيه وجهان:

(أحدهما) أن يريد أن يملأ لهم ليؤمنوا و هم مع ذلك متمسكون بطغيانهم و عمهم و الآخر أنه يريد أن يتركهم من فوائده و منحه التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم و يمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر و تنوير القلب فهم فى طغيانهم أى كفرهم و ضلالهم يعمهون أى يتحiron لأنهم قد أعرضوا عن الحق فتحيروا و ترددوا.

البقره (٢): آيه ١٦

اشاره

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)

القراءه

قرأ جميع القراء «اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ» بضم الواو و فى الشواذ عن يحيى بن يعمر أنه كسرهما تشبيها بواو لو فى قوله لَوِ اشْتَرَوْا وَ روى عن يحيى بن وثاب أنه ضم واو لو و أو تشبيها بواو الجمع.

الإعراب

الواو فى «اشْتَرُوا» ساكنه فإذا سقطت همزه الوصل التقت مع الساكن المبدل من لام المعرفه فالتقى ساكنان فحرك الأول منهما لالتقائهما و صار الضم أولى بها ليفصل بالضم بينها و بين واو "لو" و "أو" يدل على ذلك اتفاقهم على التحريك بالضم فى نحو قوله «لَتَبْلُوَنَّ» و «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» و مصطفىو الله للدلاله على الجمع و يدل على تقرير ذلك فى هذه الواو أنهم شبهوا بها الواو التى فى أو و لو فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا الواو التى فى أو بالتى تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فأجازوا فيها الكسر ألا- ترى أنهم أجازوا الضم فى لَوِ اشْتَرَوْا تشبيها بالتى للجمع و مثل هذا إجازتهم الجر فى الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه و إجازتهم النصب فى الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل.

اللغه

حقيقه الاشتراء الاستبدال و العرب تقول لمن تمسك بشىء و ترك غيره قد اشتراه و ليس ثم شراء و لا بيع قال الشاعر:

أخذت بالجمعه رأسا أزعرا

و بالثنايا الواضحات الدرورا

و بالطويل العمر عمرا جيدرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا

ص: ٥٩

و الربح الزيادة على رأس المال و منه (و من نجا برأسه فقد ربح) و التجاره التعرض للربح فى البيع و قوله «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» أى فما ربحوا فى تجارتهم و العرب تقول ربح بيعك و خسر بيعك و خاب بيعك على معنى ربحت فى بيعك و إنما أضافوا الربح إلى التجاره لأن الربح يكون فيها.

الإعراب

«أُولَئِكَ» موضعه رفع بالابتداء و خبره «الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» و ما حرف نفى و كان صورته صورته الفعل و يستعمل على نحوين أحدهما أن لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فإذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لأن الجملة غير مكتملة بنفسها فيزداد خبر حديثا عن الاسم و يكون اسمه و خبره فى الأصل مبتدأ و خبرا فيجب لذلك أن يكون خبره هو الاسم أو فيه ذكر منه كما أن فى الآيه الواو فى موضع الرفع لأنه اسم كان و مهتدين منصوب بأنه خبره و الياء فيه علامه النصب و الجمع و حرف الإعراب و النون عوض من الحركة و التنوين فى الواحد و كان فى الأصل مهتدين سكنت الياء الأولى التى هى لام الفعل استثقالا للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين و فتحت النون فرقا بينها و بين نون التثنيه و الآخر من نحوى كان ما هو فعل حقيقى يدل على زمان و حدث كقوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» أى تحدث فإذا استعمل هكذا فهى جملة مستقلة لا تحتاج إلى خبر.

المعنى

أشار إلى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» قال ابن عباس أخذوا الضلالة و تركوا الهدى و معناه استبدلوا الكفر بالإيمان و متى قيل كيف قال ذلك و إنما كانوا منافقين و لم يتقدم نفاقهم إيمانا فنقول للعلماء فيه وجوه (أحدها) أن المراد باشتروا استحجوا و اختاروا لأن كل مشتر مختار ما فى يدي صاحبه على ما فى يديه عن قتاده (و ثانيها)

أنهم ولدوا على الفطره كما جاء فى الخبر

فتركوا ذلك إلى الكفر فكأنهم استبدلوه به (و ثالثها) أنهم استبدلوا بالإيمان الذى كانوا عليه قبل البعثه كفرا لأنهم كانوا يبشرون بمحمد و يؤمنون به صلى الله عليه و آله فلما بعث كفروا به فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان عن الكلبى و مقاتل و قوله «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» أى خسروا فى استبدالهم الكفر بالإيمان و العذاب بالثواب و قوله: «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» أى مصيبيين فى تجارتهم كأصحاب محمد صلى الله عليه و آله و قيل أراد سبحانه أن ينفى عنهم

الربح والهدايه فإن التاجر قد يخسر و لا يربح و يكون على هدى فإن قيل كيف قال «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» فى موضع ذهبت فيه رءوس أموالهم فالجواب أنه ذكر الضلاله و الهدى فكأنه قال طلبوا الربح فلم يربحوا و هلكوا و المعنى فيه أنه ذهبت رءوس أموالهم و يحتمل أن يكون ذكر ذلك على التقابل و هو أن الذين اشتروا الضلاله بالهدى لم يربحوا كما أن الذين اشتروا الهدى بالضلاله ربحوا ..

البقره (٢): آيه ١٧

اشاره

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)

اللغه

المثل و المثل و الشبه نظائر و حقيقه المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثانى بالأول و مثاله قول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلاً

و ما مواعيده إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم فى كل ما لا يصح من المواعيد و منه التمثال لأنه يشبه الصوره و الذى قد يوضع موضع الجمع كقوله تعالى: «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ» ثم قال «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» قال الشاعر:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم

هم القوم كل القوم يا أم خالد

و استوقد بمعنى أوقد مثل استجاب بمعنى أجاب و قيل استوقد أى طلب الوقود و الوقود بفتح الواو الحطب و النار جوهر مضى ء حار محرق و أصله من النور يقال نار و أنار و استنار بمعنى و المنارات العلامات و أضواء يكون لازماً و متعدياً يقال أضواء الشين بنفسه و أضواء غيره و الذى فى الآيه متعد و الترك للشى ء و الكف عنه و الإمساك نظائر و الظلمات جمع ظلمه و أصلها انتقاص الحق من قوله وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا أى لم تنقص و منه و من أشبه أباه فما ظلم أى ما انتقص حق الشبه و الإبصار إدراك الشى ء بحاسه البصر يقال أبصر بعينه و الإبصار بالقلب مشبه به.

الإعراب

مثلهم مبتدأ و كمثل الذى خبره و الكاف زائده تقديره مثلهم مثل الذى استوقد ناراً و نحوه قوله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ» أى ليس مثله شى ء و استوقد ناراً و ما اتصل به من

صله الذى و العائد إلى المضمرة الذى فى استوقد و لما يدل على وقوع الشئ لوقوع غيره و هو بمعنى الظرف و العامل فيه جوابه و تقديره فلما أضاءت ما حوله طفئت أى طفئت حين أضاءت و ما فى قوله «ما حَوْلَهُ» اسم موصول منصوب بوقوع الإضاءة عليه و حوله نصب على الظرف و هو صلة ما يقال هم حوله و حويله و حواله و حواله و قوله «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» أى أذهب الله نورهم و الفعل الذى لا- يتعدى يتعدى إلى المفعول بحرف الجر و بهمزة النقل و الباء فى قوله «بِنُورِهِمْ» يتعلق بذهب و «فِي ظُلُمَاتٍ» يتعلق بتركهم و قوله «لَا يُبْصِرُونَ» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه تركهم أى تركهم غير مبصرين.

المعنى

«مَتْلُهُمْ» أى مثل هؤلاء المنافقين لما أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ» أى أوقد ناراً أو كمثل الذى طلب الضياء بإيقاد النار فى ليله مظلمه فاستضاء بها و استدفاً و رأى ما حوله فاتقى ما يحذر و يخاف و أمن فبينما هو كذلك إذا طفئت ناره فبقى مظلماً خائفاً متحيراً كذلك المنافقون لما أظهروا كلمه الإيمان و استناروا بنورها و اعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين و وارثوهم و أمنوا على أموالهم و أولادهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمه و الخوف و بقوا فى العذاب و ذلك معنى قوله «فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» و هذا هو المروى عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و السدى و كان يجب فى حق النظم أن يكون اللفظ فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره ليشاكل جواب لما معنى هذه القضية و لكن لما كان إطفاء هذه النار مثلاً لإذهاب نورهم أقيم إذهاب النور مقام الإطفاء و حذف جواب لما إيجازاً و اختصاراً للدلالة الكلام عليه كما قال أبو ذؤيب:

دعانى إليها القلب إنى لأمره

مطيع فما أدرى أُرشد طلابها

و تقديره أُرشد أم غى طلابها فحذف للإيجاز و معنى إذهاب الله نورهم هو أن الله تعالى يسلبهم ما أعطوا من النور مع المؤمنين فى الآخرة و ذلك قوله تعالى فيما أخبر عنهم «أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا» و قيل فى معنى إذهاب نور المنافقين وجه آخر و هو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله من كفرهم و قال سعيد بن جبير و محمد بن كعب و عطا الآيه نزلت فى اليهود و انتظارهم خروج النبى صلى الله عليه و آله و إيمانهم به و استفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج كفروا به و ذلك أن قريظه و النضير و بنى قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوه من بنى إسرائيل و أفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ص

بالنبوه و أن أمته خير الأمم و كان يغشاهم رجل من بنى إسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل أن يوحى إلى النبي صلى الله عليه و آله كل سنه فيحضهم على طاعه الله عز و جل و إقامه التوراه و الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و يقول إذا خرج فلا تفرقوا عليه و انصروه و قد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه و آله فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه و آله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

سؤال

كيف الله شبه المنافقين أو اليهود و هم جماعه بالذى استوقد ناراً و هو واحد.

الجواب

على وجوه (أحدها) أن الذى فى معنى الجمع كما قيل فى الآيه الأخرى وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ (و ثانيها) أن يقال النون محذوفه من الذى كما جاء فى قول الأخطل:

أبنى كليب أن عمى اللذا

قتلا الملوكة و فككا الأغلالا

(و ثالثها) أن يكون الكلام على حذف كأنه قال مثلهم كمثل اتباع الذى استوقد ناراً ثم حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه كما قال الجعدى:

و كيف تواصل من أصبحت

خلالته كأبى مرحب

يريد كخلاله أبى مرحب (و رابعها) أن يقال أراد بالمستوقد الجنس لما فى الذى من الإبهام إذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه و على هذا يكون جواب «فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ» محذوفاً كأنه قال طفئت و الضمير فى قوله «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» يعود إلى المنافقين (و خامسها) أن يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هؤلاء المنافقين فى جهلهم كحال المستوقد ناراً و تشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادده هؤلاء كبلادده الحمار و لو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز و معنى قوله «وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» معناه لم يفعل الله لهم النور إذ الترك هو الكف عن الفعل بالفعل و هذا إنما يصح فيمن حله فعله و الله سبحانه منزه عن أن يحله فعله فمعناه أنه لم يفعل لهم النور حتى صاروا فى ظلمه أشد مما كان قبل الإيقاد و قوله «لَا يُبْصِرُونَ» أى لا يبصرون الطريق.

البقره (٢): آيه ١٨

إشاره

صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)

ص: ٦٣

الأصم هو الذى ولد كذلك و كذلك الأبكم هو الذى ولد أخرس و أصل الصم السد و الصمم سد الأذن بما لا يقع منه سمع و قناه صماء صلبه مكتنزه الجوف لسد جوفها بامتلائها و حجر أصم صلب و فتنه صماء شديده و الصمام ما يسد به رأس القاروره و أصل البكم الاعتقال فى اللسان و هو آفه تمنع من الكلام و أصل العمى ذهاب الإدراك بالعين و العمى فى القلب مثل العمى فى العين آفه تمنع من الفهم و يقال ما أعماه من عمى القلب و لا يقال ذلك فى العين و إنما يقال ما أشد عماءه و ما جرى مجراه و العمايه الغوايه و العماء السحاب الكثيف المطبق و الرجوع قد يكون عن الشىء أو إلى الشىء فالرجوع عن الشىء هو الانصراف عنه بعد الذهاب إليه و الرجوع إلى الشىء هو الانصراف إليه بعد الذهاب عنه.

الإعراب

«صُمَّ بُكْمٌ عُمَى» رفع على خبر مبتدأ محذوف أى هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمى.

المعنى

قال قتاده «صُمَّ» لا يسمعون الحق «بُكْمٌ» لا ينطقون به «عُمَى» لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم و لا يتوبون و إنما شبههم الله بالصم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدله الله تعالى فكأنهم صم و إذا لم يقرؤا بالله و برسوله فكأنهم بكم و إذا لم ينظروا فى ملكوت السماوات و الأرض فكأنهم عمى لما لم تصل إليهم منفعه هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء. و هذا يدل على أن معنى الختم و الطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم و بين الإيمان لأنه جعل الفهم بالكفر و استثقالهم للحق بمنزله الصم و البكم و العمى مع صحه حواسهم و كذلك قوله طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ و أَضَلَّهُمْ و فَأَصَمَّهُمْ و أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ و أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فإن جميع ذلك إخبار عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم و أمره لهم بالطاعة و الإيمان لا أنه فعل بهم ما منعهم به عن الإيمان و هذا كما قيل فى المثل حبك الشىء يعمى و يصم قال مسكين الدارمى:

أعمى إذا ما جارتى خرجت

حتى يوارى جارتى الخدر

و تصم عما كان بينهما

أذنى و ما فى سمعها وقر

و فى التنزيل «و تَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ» و قوله «فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» يحتمل أمرين أحدهما أنه على الذم و الاستبطاء عن ابن عباس و الثانى أنهم لا يرجعون إلى الإسلام عن ابن مسعود.

إشاره

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعِيدٌ وَبَرَقَ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
(١٩)

القراءه

ظلمات أجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع و روى فى الشواذ عن الحسن و أبى السماك بسكون اللام و عن بعضهم بفتح اللام و أبو عمرو يميل الكاف من الكافرين فى موضع الخفض و النصب و روى ذلك عن الكسائى و الباقون لا يميلون.

الإعراب

الوجه فى ذلك أنهم كرهوا اجتماع الضمتين فتاره عدلوا إلى الفتح فقالوا ظلمات و تاره عدلوا إلى السكون فقالوا ظلمات و كلا الأمرين حسن فى اللغة و إنما أمالوا الكاف من الكافرين للزوم كسره الراء بعد الفاء المكسوره و الراء لما فيها من التكرير تجرى مجرى الحرفين المكسورين و كلما كثرت الكسرات غلبت الإماله و حسنتها و للقراء فى الإماله مذاهب و اختلافات يطول استقصاؤها و أبو على الفارسى رحمه الله قد بلغ الغايه و جاوز النهايه فى احتجاجاتهم و ذكر من التحقيق فيها و التدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق فى إيراد أبوابها و حججها و الغوص إلى لججها لا يليق بتفسير القرآن و كذلك ما يتعلق بفن القراءه من علوم الهمزه و الإدغام و المد فإن لذلك كتب مؤلفه يرجع إليها و يعول عليها فالرأى أن نلم بأطرافها و نقتصر على بعض أوصافها فيما يأتى من الكتاب أن شاء الله تعالى.

اللغه

الصيب المطر أصله صيوب فيعمل من الصواب لكن اجتمعت الواو و الياء و أولاهما ساكنه فصارتا ياء مشدده و مثله سيد و جيد و السماء: المعروف و كل ما علاك و أظلك فهو سماء و سماء البيت سقفه و أصابهم سماء أى مطر و أصله سما من سموت فقلبت الواو همزه لوقوعها طرفا بعد ألف زائده و جعل يكون على وجوه (أحدها) أن يتعدى إلى مفعولين نحو جعلت الطين خزفا أى صيرت (و ثانيها) أن يأتى بمعنى صنع يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ» (و ثالثها) أن يأتى بمعنى التسميه كقوله تعالى «وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا» أى سموا له (و رابعها) أن يأتى بمعنى أفعال المقاربه نحو جعل زيد

يفعل كذا و الصواعق جمع صاعقه و هى الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق و الصاعقه صيحه العذاب و الحذر طلب السلامه مما يخاف.

الإعراب

«أَوْ» هاهنا للإباحه إذا قيل لك جالس الفقهاء أو المحدثين فكلا الفريقين أهل أن يجالس فإن جالست أحدهما فأنت مطيع و إن جالست الآخر فأنت مطيع و إن جالستهما فأنت مطيع فكذلك هاهنا إن مثلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيبا و إن مثلتهم بأصحاب الصيب فأنت مصيب و إن مثلتهم بكلا الفريقين فأنت مصيب و تقديره أو كأصحاب صيب حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه لأن هذا عطف على قوله «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» و الصيب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل و يجعلون فى موضع الحال من أصحاب الصيب و قوله «فِيهِ ظُلُمَاتٌ» جمله فى موضع الجر بأنها صفة صيب و الضمير المتصل بفى عائد إلى صيب أو إلى السماء و «حَيَذَرُ الْمَوْتِ» منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج و إنما نصبه الفعل لأنه فى تأويل مصدره لأن جعلهم أصابعهم فى آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ أبو على المفعول له لا يكون إلا مصدرا لأنه يدل على أنه فعل لأجل ذلك الحدث و الحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل آخر.

المعنى

مثل هؤلاء المنافقين فى جهلهم و شدة تحيرهم «كَصَيِّبٍ» أى كأصحاب مطر «مِنَ السَّمَاءِ» أى منزل من السماء «فِيهِ» أى فى هذا المطر أو فى السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر «ظُلُمَاتٌ» لأن السحاب يغطى الشمس بالنهار و النجوم بالليل فيظلم الجو «وَرَعْدٌ» قيل إن الرعد صوت ملك يزجر السحاب و قيل

الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد و هو المروى عن أئمتنا ع

و قيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه أبو الجلود عن ابن عباس و قيل هو صوت اصطكاك أجرام السحاب و من قال أنه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات و صوت رعد لأنه روى أنه يزعم الراعى بغنمه و قوله «وَبَرْقٌ» قيل أنه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتندح عنه النار عن على (عليه السلام) و قيل أنه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس و قيل هو مصع ملك من مجاهد و المصاع المجالده بالسيوف و غيرها قال الأعشى:

إذا هن نازلن أقرانهن

كان المصاع بما فى الجؤن

و قيل أنه نار تنقدح من اصطكاك الأجرام و فى تأويل الآيه و تشبيه المثل أقوال

(أحدها) أنه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن و ما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء و ما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر و ما فيه من البرق بما فيه من البيان و ما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا و الدعاء إلى الجهاد عاجلا عن ابن عباس (و ثانيها) أنه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشده و الرخاء بالصيب الذي يجمع نفعا و ضررا و أن المناق يدفع عاجل الضرر و لا يطلب آجل النفع (و ثالثها) أنه مثل للإسلام لأن فيه الحياه كما في الغيث الحياه و شبه ما فيه من الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر و ما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد و خوف القتل و بما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم و ما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم و مناكحتهم و موارثتهم و ما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل و الآجل و يقوى ذلك ما روى عن الحسن أنه قال مثل إسلام المناق كصيب هذا وصفه (و رابعها) ما روى عن ابن مسعود و جماعه من الصحابه أن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه و آله فأصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد و صواعق و برق و كلما أضاء لهما الصواعق جعلتا أصابعهما في آذانهما مخافه أن تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلها و إذا لمع البرق مشيا في ضوئه و إذا لم يلمع لم يبصرا فأقاما فجعلتا يقولان يا ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمدا فنضع أيدينا في يديه فأصبحا فأتياه فأسلما و حسن إسلامهما فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينة و أنهم إذا حضروا النبي جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه و آله أن ينزل فيهم شىء كما كان ذانك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما و كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى شىء كما كان ذانك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما و كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى إذا كثرت أموالهم و أصابوا غنيمه أو فتحا مشوا فيه و قالوا دين محمد صحيح و «إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَوْمًا» يعنى إذا هلكت أموالهم و أصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد فارتدوا كما قام ذانك الرجلان إذا أظلم البرق عليهما و قوله «وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» يحتمل وجوها.

(أحدها) أنه عالم بهم فيعلم سرائرهم و يطلع نبيه على ضمائرهم عن الأصم (و ثانيها) أنه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر:

أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا

بما قد رأوا مالوا جميعا إلى السلم

أى قدرنا عليهم (و ثالثها) ما روى عن مجاهد أنه جامعهم يوم القيامة يقال أحاط بكذا إذا لم يشد منه شىء و منه أحاط بكل شىء عِلْمًا أى لم يشد عن علمه شىء (و رابعها) أنه مهلكهم يقال أحيط بفلان فهو محاط به إذا دنا هلاكه قال سبحانه و أُحِيطَ

بِثَمَرِهِ أَى أَصَابِهِ مَا أَهْلَكَهُ وَقَوْلُهُ «إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» مَعْنَاهُ أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا.

البقره (٢): آيه ٢٠

إشاره

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

اللغه

الخطف أخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لغتان و الثاني أفصح و عليه القراءه و منه الخطاف و يقال للذى يخرج به الدلو من البئر خطاف لاخطافه قال النابغه:

خطاطيف حجن في حبال متينه

تمد بها أيد إليك نوازع

و قاموا أى وقفوا و المشيئه الإراده و الشىء ما يصح أن يعلم و يخبر عنه قال سيبويه هو أول الأسماء و أعمها و أبهمها لأنه يقع على المعدوم و الموجود و قيل أنه لا يقع إلا على الموجود و الصحيح الأول و هو مذهب المحققين من المتكلمين و يؤيده قوله تعالى فى هذه الآيه «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فَإِنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مُحَدَّثٌ وَ كُلُّ مُحَدَّثٍ فَلَهُ حَالَتَانِ حَالُهُ عَدَمٌ وَ حَالُهُ وَجُودٌ وَإِذَا وَجَدَ خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا لِلْقَادِرِ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ ضَرُورَةَ أَنْ الْمَوْجُودَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَوْجَدَ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَدَمِهِ لِيُخْرِجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَدُورُ أَكْثَرُ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ.

الإعراب

كاد من أفعال المقاربه و لا يتم بالفاعل و يحتاج إلى خبر و خبره الفعل المضارع فقوله «يَكَادُ» فعل و البرق مرفوع بأنه اسم يكاد و فاعله و يخطف أبصارهم فى موضع نصب بأنه خبر يكاد و كلما أصله كل و ضم إليه ما الجزاء و هو منصوب بالظرف و العامل فيه أضاء و معناه متى ما أضاء لهم مشوا فيه و أضاء فى موضع جزم بالشرط و مشوا فى موضع الجزاء و إذا أظلم قد تقدم إعراب مثله و لو حرف معناه امتناع الشىء لامتناع غيره و إذا وقع الفعل بعده و هو منفى كان مثبتا فى المعنى و إذا وقع مثبتا كان منفيا فى المعنى فقوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» قد انتفى فيه ذهاب السمع و الأبصار بسبب انتفاء المشيئه.

«يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ» المراد يكاد ما فى القرآن من الحجج النيره يخطف قلوبهم من شده إزعاجها إلى النظر فى أمور دينهم كما أن البرق يكاد يخطف أبصار أولئك «كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَ فِيهِ» لاهتدائهم إلى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا إلى خير و غنيمه أسرعوا و إذا وردت شده على المسلمين تحيروا لكفرهم و وقفوا كما وقف أولئك فى الظلمات متحيرين و قيل إذا آمنوا صار الإيمان لهم نورا فإذا ماتوا عادوا إلى ظلمه العقاب و قيل هم اليهود لما نصر المسلمون بيدر قالوا هذا الذى بشر به موسى فلما نكبوا بأحد وقفوا و شكوا و قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» إنما خص السمع و البصر بالذكر لما جرى من ذكرهما فى الآيتين فقال «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» أذهبهما من المنافقين عقوبه لهم على نفاقهم و كفرهم و هذا وعيد لهم بالعقاب كما قال فى الآيه الأولى «وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» و قوله «بِسَمْعِهِمْ» مصدر يدل على الجمع أو واحد موضوع للجمع كقول الشاعر:

كلوا فى بعض بطنكم تعيشوا

فإن زمانكم زمن خمص

أى بطونكم و المعنى و لو شاء الله لأظهر على كفرهم فأهلكهم و دمر عليهم لأنه على كل شىء قدير و هو مبالغه القادر و قيل إن قوله سبحانه «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عام فهو قادر على الأشياء كلها على ثلاثه أوجه على المعدومات بأن يوجدتها و على الموجودات بأن يفنيها و على مقدور غيره بأن يقدر عليه و يمنع منه و قيل هو خاص فى مقدوراته دون مقدور غيره فإن مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن أن يكون لأنه يؤدى إلى أن يكون الشىء الواحد موجودا معدوما و لفظه كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا».

البقره (٢): آيه ٢١

إشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

اللغه

الخلق أ على تقدير و خلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو إليه الحكمة من غير زياده و نقصان و الخلق الطبع و الخليقه الطبيعه و الخلاق النصيب.

الإعراب

يا حرف النداء و أى اسم مبهم يقع على أجناس كثيره لأنه إنما يتم بأن

يوصف و صفته تكون باسم الجنس لأنه لما كان لا- يتم إلا- بصفه و هي لفظه داله على ما دل أى عليه مخصصه له و كان التخصيص فى الإشاره يقع بالجنس ثم بالوصف وصف بأسماء الأجناس كالناس فى قوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ» فأى منادى مفرد معرفه مبنى لأنه وقع موقع حرف الخطاب و هو الكاف و إنما بنى على الحركه مع أن الأصل فى البناء السكون ليعلم أنه ليس بعريق فى البناء و البناء عارض فيه و إنما حرك بالضم لأنه كان فى أصله التنوين فلما سقط التنوين فى البناء أشبه قبل و بعد الذى قطع عنه الغايه فارتفع و قد ذكر فيه وجوه آخر توجد فى مظانها و الناس مرفوع لأنه صفه لأى فتبعه على حركه لفظه و لا- يجوز هنا النصب و إن كانت الأسماء المناديات المفردة المعرفه يجوز فى صفاتها النصب و الرفع لأن هنا الصفه هو المنادى فى الحقيقه و أى وصله إليه و يدل على ذلك لزومها و هو حرف التنييه قبل الناس و بنائها و امتناعهم من حذفها فصار ذلك كالإيدان باستثناف نداء و العلم لأن لا- يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز فى سائر المناديات و أجاز المازنى فى يا أيها الرجل النصب و ذلك فاسد لما ذكرناه و لأنه لا مجاز لذلك فى كلام العرب و لم يرو عنها غير الرفع و «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فى موضع نصب لأنه عطف على الكاف و الميم فى قوله «خَلَقَكُمْ» و هو مفعول به و من قبلكم صله الذين و لعل حرف ناصب من أخوات إن و قد ذكرنا القول فى مشابهه الفعل و عمله النصب و الرفع فيما تقدم و كذلك حكم لعل و شبه بالفعل أظهر لأن معناه الترجى و كم فى موضع نصب بكونه اسم لعل و تتقون جمله فى موضع الرفع بأنه خبره.

المعنى

هذا الخطاب متوجه إلى جميع الناس مؤمنهم و كافرهم إلا- من ليس بمكلف من الأطفال و المجانين و روى عن ابن عباس و الحسن أن ما فى القرآن من «يا أَيُّهَا النَّاسُ» فإنه نزل بمكه و ما فيه من «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»* فإنه نزل بالمدينه «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ» أى تقربوا إليه بفعل العباده و عن ابن عباس أنه قال معناه وحدوه و قوله «الَّذِينَ خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم بعد أن لم تكونوا موجودين و أوجد من تقدم زمانكم من الخلائق و البشر بين سبحانه نعمه عليهم و على آبائهم لأن نعمه عليهم لا تتم إلا بنعمه على آبائهم «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى خلقكم لتتقوه و تعبدوه كقوله تعالى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ» و قيل معناه اعبدوه لتتقوا و قيل معناه لعلكم تتقون الحرمان بينكم و تكفون عما حرم الله و هذا كما يقول القائل اقبل قولى لعلك ترشد فليس أنه من ذلك على شك و إنما

يريد أقبه ترشد و إنما أدخل الكلام لعل ترقيقا للموعظه و تقريبا لها من قلب الموعوظ و يقول القائل لأجيره اعمل لعلك تأخذ الأجره و ليس يريد بذلك الشك و إنما يريد لتأخذ أجرتك و مثله قول الشاعر:

و قلتم لنا كفوا الحروب لعلنا

نكف و وثقتم لنا كل موثق

فلما كفنا الحرب كانت عهدكم

كلمح سراب في الملاء متألق

أراد قلتم لنا كفوا لنكف لأنه لو كان شاكا لما قال وثقتم كل موثق و قال سيبويه إنما وردت لفظه لعل على أنه ترج للمخاطبين كما قال «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» و أراد بذلك الإيهام على موسى و هارون فكأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما و طمعكما و الله عز و جل من وراء ذلك و عالم بما يؤول إليه أمر فرعون و قيل فائده إيراد لفظه لعل هي أن لا يحل العبد أبدا محل الآمن المدل بعمله بل يزداد حالا- بعد حال حرصا على العمل و حذرا من تركه و أكثر ما جاءت لفظه لعل و غيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين و قيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم و رجائكم و أجرى لعل على عباده دون نفسه و هذا قريب مما قاله سيبويه.

البقره (٢): آيه ٢٢

إشارة

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْمَآرِضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

القراءة

أدغم جماعه من القراءة قوله «جَعَلَ لَكُمْ» فقالوا جعلكم و الباقون يظهرون.

الإعراب

فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد و كثره الحركات و من أظهر و عليه أكثر القراءة فلأنهما منفصلان من كلمتين و في الإدغام و اختلاف القراءة فيه و الاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن أراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه.

اللغة

الجعل و الخلق و الإحداث نظائر و الأرض هي المعروفه و الأرض قوائم الدابه و منه قول الشاعر:

و أحمر كالديباج أما سماؤه

فريا و أما أرضه فمحول

و الأرض الرعده و فى كلام ابن عباس أزلزلت الأرض أم بى أرض و الفراش و البساط و المهادر نظائر و سمي السماء سماء
لعلوها على الأرض و كل شىء كان فوق شىء فهو لما تحته سماء و سما فلان لفلان إذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق:

سمونا لنجران اليمان و أهله

و نجران أرض لم تديت مقاوله

قال الزجاج كل ما علا الأرض فهو بناء و الماء أصله موه و جمعه أمواه و تصغيره مويه و أنزل من السماء أى من ناحيه السماء
قال الشاعر:

(أ منك البرق أرقبه فهاجا)

أى من ناحيتك و الند المثل و العدل قال حسان بن ثابت:

أ تهجوه و لست له بند

فشر كما لخير كما الفداء

و قال جرير:

أ تيما تجعلون إلى ندا

و ما تيم لذي حسب نديد

و قيل الند الضد.

المعنى

معنى هذه الآيه يتعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته و الاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على
وجوب عبادته فإن العباده إنما تجب لأجل النعم المخصوصه فقال سبحانه: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» أى بساطا يمكنكم أن
تستقروا عليها و تفتروشوها و تتصرفوا فيها و ذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطه ساكنه دائمه السكون «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» أى سقفا
مرفوعا مبنيًا «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» أى من السحاب «مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ» أى بالماء «مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» أى عطاء لكم و ملكا
لكم و غذاء لكم و هذا تنبيه على أنه هو الذى خلقهم و الذى رزقهم دون من جعلوه ندا له من الأوثان ثم زجرهم عن أن يجعلوا
له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم به بقوله «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا» و قوله «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» يحتمل وجوها (أحدها) أن يريد

أنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها و لا بأمثالها و أنها لا تضر و لا تنفع (و ثانيها) أن يريد أنكم تعقلون و تميزون و من كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف و لزمته الحجج و ضاق عذره في التخلف عن النظر و إصابه الحق (و ثالثها) ما قاله مجاهد و غيره أن المراد بذلك أهل التوراه و الإنجيل

ص: ٧٢

دون غيرهم أى تعلمون ذلك فى الكتابين و قال الشريف الأجل المرتضى قدس الله روحه استدل أبو على الجبائى بقوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» و فى آيه أخرى «بِسَاطًا» على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كرويه الشكل قال و هذا القدر لا يدل لأنه يكفى من النعمه علينا أن يكون فى الأرض بسائط و مواضع مفروشه و مسطوحه و ليس يجب أن يكون جميعها كذلك و معلوم ضروره أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا و إن كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفه و المنجمون لا يدعون أن يكون فى الأرض سطوح يتصرف فيها و يستقر عليها و إنما يذهبون إلى أن جملتها كرويه الشكل.

البقره (٢): آيه ٢٣

اشاره

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)

اللغه

إن دخلت هاهنا لغير شك لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون و لكن هذا على عاده العرب فى خطابهم كقولهم إن كنت إنسانا فافعل كذا و إن كنت ابني فأطعنى و إن كان كونه إنسانا و ابنا معلوما و إنما خاطبهم الله تعالى على عادتهم فى الخطاب و الريب الشك مع تهمه و العبد المملوك من جنس ما يعقل و نقيضه الحر من التعبيد و هو التذليل لأن العبد يذل لمولاه و العبوديه من أحكام الشرع لأنه بمنزله ذبح الحيوان و يستحق عليها العوض و ليست بعقوبه و لذلك يسترق المؤمن و الصبى و السوره غير مهموزه مأخوذه من سوره البناء و كل منزله رفيعه فهى سوره و منه قول النابغه:

ألم تر أن الله أعطاك سوره

ترى كل ملك دونها يتذبذب

هذا قول أبى عبيده و ابن الأعرابى فى تفسير السوره فكل سوره من القرآن بمنزله درجه رفيعه و منزل عال رفيع يرتفع القارئ منها إلى منزله أخرى إلى أن يستكمل القرآن و قيل السوره مهموزه و المراد بها القطعه من القرآن انفصلت عما سواها و أبقيت و سؤر كل شىء ببقيته و أسأرت فى الإناء أبقيت فيه قال الأعشى يصف امرأه:

فبانة و قد أسأرت فى الفؤاد

صدعا على نأبها مستطيرا

الإعراب

إن حرف شرط تجزم الفعل المضارع و تدخل على الفعل الماضى فتصرفه إلى معنى الاستقبال و لا بد للشرط من جزاء و هما جملتان ربطت إحداهما بالأخرى

نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تفعل شرط و هو مجزوم يان و قولك أفعل جزاء و هو مجزوم بالشرط لا يان وحدها و لا بالفعل فإن كان الجزاء جمله من فعل و فاعل كان مجزوما و إن كان جمله من مبتدأ و خير فلا بد من الفاء و كانت الجملة فى موضع الجزم فقوله «كُنْتُمْ» فى موضع الجزم بيان و قوله «فَأْتُوا بِسُورِهِ» ائتوا مبنى على الوقف لأنه أمر المخاطبين و الواو فاعل و الفاء و ما بعده فى موضع جزم بأنه جزاء و ما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده و من يقع على أربعة أوجه (أحدها) أن يكون بمعنى ابتداء الشىء من مكان ما كقولك خرجت من البصره. (و ثانيها) بمعنى التبويض كقولك أخذت من الطعام قفيزا (و ثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى: «فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و هى فى التبيين تخصص الجملة التى قبلها كما أنها فى التبويض تخصص الجملة التى بعدها (و رابعها) أن تقع مزيدة نحو ما جاءنى من رجل فإذا قد عرفت هذا فقوله تعالى: «مِنْ مِثْلِهِ» قال بعضهم أن من بمعنى التبويض و تقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له و هو سورة و قيل هو لتبيين الصفه و قيل أن من مزيدة لقوله فى موضع آخر «بِسُورِهِ مِثْلِهِ» أى مثل هذا القرآن و تعود الهاء فى مثله إلى ما من قوله «مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» فى الأقوال الثلاثة و قيل أن من بمعنى ابتداء الغايه و الهاء من مثله يعود إلى عبدنا فيكون معناه بسوره من رجل مثله و الأول أقوى لما ذكره بعد.

المعنى

لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوه بما قطع عذرهم فقال «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ» من صدق هذا الكتاب الذى أنزلنا على محمد صلى الله عليه و آله و قلت لا ندرى هل هو من عند الله أم لا «فَأْتُوا بِسُورِهِ مِنْ مِثْلِهِ» أى من مثل القرآن و على قول من يقول الضمير فى مثله عائد إلى عبدنا فالمعنى فأتوا بسوره من بشر أمى مثله لا يحسن الخط و الكتابه و لا يدرى الكتب و الصحيح هو الأول لقوله تعالى فى سوره أخرى: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» و قوله «فَأْتُوا بِسُورِهِ مِثْلِهِ» و قوله «لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» يعنى فأتوا بسوره مثل ما أتى به محمد فى الإعجاز من حسن النظم و جزاله اللفظ و الفصاحه التى اختصت به و الإخبار عما كان و عما يكون دون تعلم الكتب و دراسه الأخبار و قوله: «وَ اذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ» قال ابن عباس يعنى أعوانكم و أنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم و سمي أعوانهم شهداء لأنهم يشاهدونهم عند المعاونه و الشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس و الأكيل و يسمى الشاهد على الشىء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضا و قوله «مِنْ دُونِ اللَّهِ»

أى من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد و ادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه و قال الفراء أراد و ادعوا آلهمكم و قال مجاهد و ابن جريج أراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم و قول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء بمعنى الاستعانه كما قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا و رجالنا

دعوا يا لكعب و اعترينا لعامر

و قال آخر:

و قبلك رب خصم قد تمالوا

على فما جزعت و لا دعوت

و أما قول مجاهد فلا وجه له لأن الشاهدين لا يخلو إما أن يكونوا مؤمنين أو كفارا فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار و الكفار لا بد أن يسارعوا إلى إبطال الحق أو تحقيق الباطل إذا دعوا إليه فمن أى الفريقين يكون شهداءهم و لكن ينبغى أن يجرى ذلك مجرى قوله تعالى: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» و قال قوم أن هذا الوجه جائز أيضا صحته لأن العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهاده بما يفتضحون به فى كلام أنه مثل القرآن و لا- يكون مثله كما لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على أن يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقه و هذه الآيه تدل على صحه نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله و أن الله تعالى تحدى بالقرآن و ببعضه و وجه الاستدلال بها أنه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغايه القصوى من الفصاحه و تسنموا الذروه العليا من البلاغه فأنزل إليهم كلاما من جنس كلامهم و تحداهم بالإتيان بمثله أو ببعضه بقوله: «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ» و «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» و جعل عجزهم عن ذلك حجه عليهم و دلاله على صدق رسوله صلى الله عليه و آله و هم أهل الحميه و الأنفه فبدلوا أموالهم و نفوسهم فى إطفاء أمره و لم يتكلفوا فى معارضه القرآن بسوره و لا خطبه فعلمنا أن المعارضه كانت متعذره عليهم فدل ذلك على أن القرآن معجز دال على صحه نبوته.

البقره (٢): آيه ٢٤

اشاره

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْجِبَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)

ص: ٧٥

إن حرف شرط و لم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه و يجعله بمعنى الماضى و يعمل فيه الجزم و تفعلوا فعل و فاعل و هو مجزوم بلم و علامه الجزم فيه سقوط النون و «لَمْ تَفْعَلُوا» فى موضع جزم أيضا بأن و لن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال و ينفيه و يعمل فيه النصب و علامه النصب فى تفعلوا سقوط النون أيضا و قال سيبويه فى لن زعم الخليل أنها لا أن و لكنهم حذفوا لكثرة فى كلامهم كما قالوا ويلمه و جعلت بمنزله حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزله حرف واحد و إنما هى هل و لا قال و هذا ليس بجيد لأنه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن أضرب و أقول أن معنى هذا القول هو أنه لو كان أصل لن لا أن و ما بعد أن يكون صلة لها و لا يجوز تقديم معمول ما فى الصلة على الموصول فكان يجب أن لا يجوز تقديم زيدا فى قولك لن أضرب زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على أن فلا تقول زيدا أن أضرب و زيدا لا أن أضرب و لا خلاف بين النحويين فى جواز التقديم هناك و قوله «وَلَنْ تَفْعَلُوا» لا- موضع له من الإعراب لأنه اعتراض وقع بين الشرط و الجزاء كما يقع بين المبتدأ و الخبر فى قولك زيد فافهم ما أقول لك عالم و الاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع إعراب.

المعنى

«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» أى فإن لم تأتوا بسوره من مثله و قد تظاهرتم أنتم و شركاؤكم عليه و أعوانكم و تبين لكم عجزكم و عجز جميع الخلق عنه و علمتم أنه من عندى فلا- تقيموا على التكذيب به و معنى «وَلَنْ تَفْعَلُوا» أى و لن تأتوا بسوره مثله أبدا لأن لن تنفى على التأيد فى المستقبل و فيه دلالة على صحه نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله لأنه يتضمن الإخبار عن حالهم فى مستقبل الأوقات بأنهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخير و قوله: «فَاتَّقُوا النَّارَ» أى فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم و إنما جاز أن يكون قوله «فَاتَّقُوا النَّارَ» جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لأنه لا يلزمهم الاتقاء إلا بعد التصديق بالنبوه و لا يصح العلم بالنبوه إلا بعد قيام المعجزه فكأنه قال:

«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا» فقد قامت الحججه و وجب اتقاء «النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا» أى حطبها «النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ» و هى جمع حجر و قيل أنها حجاره الكبريت لأنها أحر شىء إذا أحميت عن ابن مسعود و ابن عباس و الظاهر أن الناس و الحجاره وقود النار أى حطبها يريد بها أصنامهم المنحوتة من الحجاره كقوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

حَصَبُ جَهَنَّمَ» وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لأنها لا تأكل الحجارة ألا وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه أن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتقيه الله إياها ويؤيد ذلك قوله «كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ» الآيه وقيل معناه أنهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى: «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» معناه خلقت وهيت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم أكثر أهل النار فأضيفت إليهم وقيل إنما خص النار بكونها معدة للكافرين وإن كانت معدة للفاسقين أيضا لأنه يريد بذلك نارا مخصوصه لا يدخلها غيرهم كما قال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» وهذه الآيه تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لأن الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآيه و أَلزَمَهُمْ بِهِ تَصَدِيقَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَرَّرَهُمْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ إِذْ قَالَ إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامَ مُحَمَّدٍ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَلَامَ الْبَشَرِ لَتَهَيَأَ لَكُمْ مَعَ تَقَدُّمِكُمْ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ أَوْ بِسُورَةٍ مِنْهُ مَعَ قُوَّةِ دَوَاعِيكُمْ إِلَيْهِ فَإِذَا لَمْ يَتَأْتِ لَكُمْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا بِعُقُوبَتِكُمْ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْإِحْتِجَاجِ الْعَقْلِيِّ وَ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» عَلَى أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ الْآنَ لِأَنَّ الْمَعْدَلَ لَا يَكُونُ إِلَّا - مَوْجُودًا وَ كَذَلِكَ الْجَنَّةُ بِقَوْلِهِ «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» وَ الْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ أَنَا وَ إِنْ لَمْ نَشَاهِدْهُمَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشَاهِدُونَهُمَا وَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّكْلِيفِ وَ الْاسْتِدْلَالِ فَيَعْرِفُونَ ثَوَابَ اللَّهِ لِلْمُتَّقِينَ وَ عِقَابَهُ لِلْكَافِرِينَ.

البقره (٢): آيه ٢٥

اشاره

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

اللغه

البشاره هي الإخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه لأن الثاني لا يسمى بشاره وقد قيل للإخبار بما يغم أيضا بشاره كقوله تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البشره وهي ظاهر الجلد لتغيرها

بأول خبر و تابشير الصبح أوله و الجنات جمع الجنه و هى البستان و المراد بذلك الجنه ما فى الجنه من أشجارها و ثمارها دون أرضها فلذلك قال «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» لأن من المعلوم أنه أراد الخبر عن ماء أنهارها بأنه جار تحت الأشجار لأن الماء إذا كانت تحت الأرض فلا حظ فيها للعيون على أنه روى عن مسروق أن أنهار الجنه جاريه فى غير أخاديد رواه عنه أبو عبيده و غيره و أصلها من الجن و هو الستر و منه الجن لتسترها عن عيون الناس و الجنون لأنه يستر العقل و الجنه لأنها تستر البدن و الجنين لتستره بالرحم قال المفضل البستان إذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره أو لم يكن و الجنه كل بستان فيه نخل و إن لم يكن فيه غيره و الأزواج جمع زوج و الزوج يقع على الرجل و المرأة و يقال للمرأة زوجها أيضا و زوج كل شىء شكله و الخلود الدوام و البقاء.

الإعراب

موضع أن مع اسمه و خبره نصب معناه بشر المؤمنين بأن لهم جنات فلما سقطت الباء أفضى الفعل إلى أن فنصبه و على قول الخليل يكون أن فى موضع جر و إن سقطت الباء و جنات منصوب بأنه اسم أن و لهم الجار و المجرور فى موضع خبره و التاء تاء جماعه المؤنث تكون فى حال النصب و الجر على صورته واحده كما أن ياء جماعه الذكور فى الزيدين و نحوه يكون فى حال النصب و الجر على صورته واحده و قوله «تَجْرِي» مع ما اتصل به جملة منصوبه الموضع بكونها صفة لجنات و كلما ضم كل إلى ما الجزاء فصارا أداءه للتكرار و هو منصوب على الظرف و العامل فيه رزقوا منها من ثمره من مزيده أى ثمره و قال على بن عيسى هى بمعنى التبويض لأنهم يرزقون بعض الثمرات فى كل وقت و يجوز أن يكون بمعنى تبين الصفة و هو أن يبين الرزق من أى جنس هو و من قبل تقديره أى من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت فحذف المضاف إليه منه لفظا مع أن الإضافة مراده معنى فبنى لأجل مشابهته الحرف و إنما بنى على الحركة ليدل على تمكنه فى الأصل و إنما خص بالضم لأن إعرابه عند الإضافة كان بالفتح أو الجر نحو من قبلك و قبلك لكونه ظرفا فبنى على حركة لم تكن تدخلها فى الإعراب و هى الضمه و موضعه نصب على الظرف و متشابها نصب على الحال و أزواج رفع أما بالابتداء أو بالظرف.

المعنى

قرن الله تعالى الوعد فى هذه الآيه بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب و التهيب فقال «وَبَشِّرِ» أى أخبر بما يسر «الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فيما بينهم و بين ربهم عن ابن عباس ب «أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا»

أى من تحت أشجارها و مساكنها «الأنهار» و النهر لا يجرى و إنما يجرى الماء فيه و يستعمل الجرى فيه توسعا لأنه موضع الجرى و قوله: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا» أى من الجنات و المعنى من أشجارها و تقديره كلما رزقوا من أشجار البساتين التى أعدها الله للمؤمنين «مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا» أى أعطوا من ثمارها عطاء و أطعموا منها طعاما لأن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به و لا يكون لأحد المنع منه «قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» فيه وجوه (أحدها) أن ثمار الجنة إذا جنت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل هذا قول أبى عبيده و يحيى بن كثير (و ثانيها) أن معناه هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هذا الذى وعدنا به فى الدنيا (و ثالثها) معناه هذا الذى رزقناه من قبل فى الجنة أى كالذى رزقنا و هم يعلمون أنه غيره و لكنهم شبهوه به فى طعمه و لونه و ريحه و طيبه و جودته عن الحسن و واصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله و أقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» فعم و لم يخص فأول ما أتوا به لا يتقدر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشاره إلى ما تقدم رزقه فى الدنيا و يكون التقدير هذا مثل الذى رزقناه فى الدنيا لأن ما رزقوه فى الدنيا قد عدم فأقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاما و وصفه له يحسن أن يقول هذا طعامى فى منزلى يريد مثله و من جنسه و قوله «وَ أَتُوا بِهِ» أى جيئوا به و ليس معناه أعطوه و قوله «مُتَّشَابِهًا» فيه وجوه (أحدها) أنه أراد متشابهها فى اللون مختلفا فى الطعم عن ابن عباس و مجاهد (و ثانيها) أن كلها متشابهة فى الجوده خيار لا رذل فيه عن الحسن و قتاده و اختاره الأخفش قال و هذا كما يقول القائل و قد جىء بأشياء فاضله فاشتبهت عليه فى الفضل لا أدرى ما اختار منها كلها عندى فاضل كقول الشاعر:

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

مثل النجوم التى يسرى بها السارى

يعنى أنهم قد تساوا فى الفضل (و ثالثها) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمه (و رابعها) أنه يشبه بعضه بعضا فى اللذة و جميع الصفات عن أبى مسلم (و خامسها) أن التشابه من حيث الموافقه فالخادم يوافق المسكن و المسكن يوافق الفرش و كذلك جميع ما يليق به و قوله «وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ» قيل هن الحور العين و قيل هن

من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم الغمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا «مُطَهَّرَةٌ» قيل فى الأبدان و الأخلاق و الأعمال فلا يحضن و لا يلدن و لا يتغوطن و لا يبلىن قد طهرن من الأقدار و الآثام و هو قول جماعه المفسرين «وَهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «خَالِدُونَ» يعنى دائمون يقون بقاء الله لا انقطاع لذلك و لا نفاذ لأن النعمه تتم بالخلود و البقاء كما تنتقص بالزوال و الفناء و الخلود هو الدوام من وقت مبتداً و لهذا لا يقال لله تعالى خالد.

البقره (٢): آيه ٢٦

اشاره

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

القراءه

يستحى بيئين و روى عن ابن كثير يستحى بياء واحده و وجه هذه القراءه أنه استثقل اجتماع اليائين فحذف إحداهما و هى لغه بنى تميم.

اللغه

الاستحياء من الحياء و نقيضه القحه. و الضرب يقع على جميع الأعمال إلا قليلا يقال ضرب فى التجاره و ضرب فى الأرض و ضرب فى سبيل الله و ضرب بيده إلى كذا و ضرب فلان على يد فلان إذا أفسد عليه أمرا أخذ فيه و ضرب الأمثال إنما هو جعلها لتسير فى البلاد يقال ضربت القول مثلا و أرسلته مثلا و ما أشبه ذلك و البعوض القرقس و هو صغار البق الواحده بعوضه و المثل و المثل كالمثبه و المشبه قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا

و ما مواعيده إلا الأباطيل

و الفسق و الفسوق الترك لأمر الله و قال الفراء الفسق الخروج عن الطاعه تقول العرب فسقت الرطبه عن قشرها إذا خرجت و لذلك سميت الفأره فويسقه لخروجها من جحرها.

الإعراب

ما فى قوله «ما بَعُوضَهُ» بالنصب فيه و جوه (أحدها) أن تكون ما

مزیده و معناها التوكيد كما في قوله «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» و تقديره أن الله لا يستحي أن يضرب بعوضه مثلاً أو مثلاً بعوضه فيكون بعوضه مفعولاً- ثانياً ليضرب (و ثانيها) أن يكون ما نكره مفسره بعوضه كما يكون نكره موصوفه في قوله تعالى: «هذا ما لَدَى عَتِيدٌ» فيكون تقديره لا يستحي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضه فتكون بعوضه بدلاً من شيئاً (و ثالثها) ما يحكى عن الفراء أن معناه ما بين بعوضه إلى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زباله إلى التعلية و له عشرون ما ناقه فجملها و هي أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين في جميع ذلك و الاختيار عند البصريين الوجه الأول و إنما اختير هذا الوجه لأن ضرب هاهنا بمعنى جعل فجاز أن يتعدى إلى مفعولين و يدخل على المبتدأ و الخبر و في التنزيل ما يدل عليه و هو قوله تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ» فمثل الحياه مبتدأ و كماء خبره و في موضع آخر وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ فَدَخَلَ اضْرِبْ عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَ الْخَبْرُ فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ ظَنَنْتَ زَيْدًا كَعَمْرٍو وَ يَجُوزُ فِي الْإِعْرَابِ الِرْفَعُ فِي بَعْوَضِهِ وَ إِنْ لَمْ تَجْزِ الْقِرَاءَةُ بِهِ وَ فِيهِ وَجْهَانِ (أحدهما) أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف في صله ما فكأنه قال الذي هو بعوضه كقراءه من قرأ تماماً على الذي أحسن بالرفع و هذا عند سيبويه ضعيف و هو في الذي أقوى لأن الذي أطول و ليس للذي مذهب غير الأسماء. (و الثاني) على الجواب كأنه لما قيل «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا» قيل ما هو فقيل «بَعْوَضَهُ» أى بعوضه كما تقول مررت برجل زيد أى هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكره مجرده من الصفه و الصله و قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا» لغه العرب جميعاً بالتشديد و كثير من بنى تميم يقولون أيما فلان فيفعل كذا و أنشد بعضهم:

مبتله هيفاء أيما وشاحها

فيجری و أيما الحجل منها فلا يجری

و هي كلمه تجى ء في شيئين أو أشياء يفصل القول بينهما كقولك أما زيد فمحسن و أما عمرو فمسى ء فزيد مبتدأ و محسن خبره و فيها معنى الشرط و الجزاء و تقديره مهما يكن من شى ء فزيد محسن ثم أقيم أما مقام الشرط فيحصل أما فزيد محسن ثم آخر الفاء إلى الخبر لإصلاح اللفظ و لكراهه أن تقع الفاء التي للتعقيب في أول الكلام فقوله «الَّذِينَ آمَنُوا» على هذا يكون مبتدأ و يعلمون خبره و كذلك «الَّذِينَ كَفَرُوا» مبتدأ و يقولون خبره و قوله «مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» ما استفهام و هو اسم في موضع الرفع بالابتداء و ذا بمعنى الذى و صلته ما بعده و هو في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ تقديره أى شى ء الذى أراد

ص: ٨١

الله فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لحال الذى ضرب له المثل و يحتمل أن يكون ما و ذا بمنزله اسم واحد تقديره أى شىء أراد الله فيكون فى موضع نصب بأنه مفعول أراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل و مثال الأول قوله تعالى: «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و مثال الثانى قوله «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» و مثلا منصوب على الحال و قيل على القطع و قيل على التفسير.

النزول

روى عن ابن مسعود و ابن عباس أن الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآيه للمنافقين يعنى قوله «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» و قوله «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ» قال المنافقون الله أعلى و أجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله تعالى هذه الآيه و روى عن قتاده و الحسن لما ضرب المثل بالذباب و العنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين و عابوا ذكره فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» أى لا يدع و قيل لا يمتنع لأن أحدنا إذا استحيى من شىء تركه و امتنع منه و معناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيره لحقارتها إذا رأى الصلاح فى ضرب المثل بها و قيل معناه هو أن الذى يستحيى منه ما يكون قبيحا فى نفسه و يكون لفاعله عيب فى فعله فأخبر الله تعالى أن ضرب المثل ليس بقبيح و لا عيب حتى يستحيى منه و قيل معناه أنه لا يخشى أن يضرب مثلا- كما قال «وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» أى تستحيى الناس و الله أحق أن تستحييه فالاستحياء بمعنى الخشيه هنا كما أن الخشيه بمعنى الاستحياء هناك و أصل الاستحياء الانقباض عن الشىء و الامتناع منه خوفا من موقعه القبيح و قال على بن عيسى معناه أنه ليس فى ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيى منه فكأنه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيى منه فوضع قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» موضعه و قوله «ما بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» أى ما هو أعظم منها عن قتاده و ابن جريج و قيل فما فوقها فى الصغر و القله لأن الغرض هاهنا الصغر و قال الربيع بن أنس أن البعوضه تحيى ما جاءت فإذا سمت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل إذا امتثلوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا «حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً» و

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال إنما ضرب الله المثل بالبعوضه لأن البعوضه على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره و زياده عضوين آخرين فأراد الله تعالى أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه و عجب صنعه

و قد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشىء الحقيق فى كلام العرب بقول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

و قضى عليك به الكتاب المنزل

و بقوله أيضا

و هل شىء يكون أذل بيتا

من اليربوع يحترف الترابا

و قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا محمدا و القرآن و قبلوا الإسلام «فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا أنه من ربهم و أن المثل وقع فى حقه «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» بالقرآن «فَيَقُولُونَ» أى فلا عراضهم عن طريق الاستدلال و إنكارهم الحق قالوا «ما ذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً» أى ما ذا أراد الله بهذا المثل فحذف الألف و اللام و قوله «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» فيه وجهان (أحدهما) حكى عن الفراء أنه قال أنه حكاية عن من قال ما ذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا أى يضل به قوم و يهتدى به قوم ثم قال الله تعالى «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» فبين تعالى أنه لا يضل إلا فاسقا ضالا و هذا وجه حسن و الآخر أنه كلامه تعالى ابتداء و كلاهما محتمل و إذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» إن الكفار يكذبون به و ينكرونه و يقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه و إذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه و قوله «وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» يعنى الذين آمنوا به و صدقوه و قالوا هذا فى موضعه فلما حصلت الهداية بسببه أضيف إليه فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذى يكون عنده الضلال و ذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت إضلالا و إذا سهلت فاهتدى سميت هداية فالمعنى إن الله تعالى يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضل بها قوم كثير و يهتدى بها قوم كثير و مثله قوله «رَبِّ إِنْهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» أى ضلوا عندها و هذا كما يقال للرجل إذا أدخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها أفسدت فضتك و هو لم يفعل فيها الفساد و إنما يراد أن فسادها ظهر عند محنته و قريب من ذلك قولهم فلان أضل ناقته و لا يريدون أنه أراد أن يضل و إنما يريدون ضلت منه لا من غيره و قولهم أفسدت فلانه فلانا و أذهبت عقله و هى ربما لم تعرفه و لكن لما ذهب عقله و فسد من أجلها أضيف الفساد إليها و قد يكون الإضلال بمعنى التخليه على جهه العقوبه و ترك المنع بالقهر و منع الألفاف التى يفعل بالمؤمنين جزاء على إيمانهم و هذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه أفسدت سيفك أريد به أنك لم تحدث فيه الإصلاح فى كل وقت

بالصقل والإحداد وقد يكون الإضلال بمعنى التسميه بالضلال والحكم به كما يقال أضله إذا نسبه إلى الضلال و أكفره إذا نسبه إلى الكفر قال الكميت:

فطائفه قد أكفروني بحبكم

و طائفه قالوا مسيء و مذنب

وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ» ومنه قوله تعالى «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ أَى هَلَكْنَا وَقَوْلُهُ «وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ» أَى لن يبطل سَيِّئَاتِهِمْ وَيُضِلُّهُم بِالْهُمُ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْلِكُ وَيُعَذِّبُ بِالْكَفْرِ بِهِ كَثِيرًا بِأَنَّ يَضِلُّهُمْ عَنِ الثَّوَابِ وَ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِسَبَبِهِ فَيَهْلِكُوا وَيَهْدَى إِلَى الثَّوَابِ وَ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ كَثِيرًا عَنِ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِيُّ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى التَّكْذِيبِ كَمَا قُلْنَا أَوْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ التَّحْيِيرَ وَ التَّشْكِيبَ فَإِنَّ أَرَادَ الْحَيْرَةَ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا بِالْفَاسِقِ الْمَتَّحِيرِ الشَّاكِّ فَيَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ الْحَيْرَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الَّتِي بِهَا صَارُوا فَسَاقًا مِنْ فَعْلِهِ إِلَّا إِذَا وَجَدْتَ حَيْرَةَ قَبْلَهَا أَيْضًا وَ هَذَا يَوْجِبُ وَجُودَ مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ مِنْ حَيْرَةٍ قَبْلَ حَيْرَةٍ لَا إِلَى أَوَّلٍ أَوْ ثُبُوتِ إِضْلَالٍ لَا إِضْلَالٍ قَبْلَهُ وَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ فَقَدْ أَضَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَاسِقًا وَ هُوَ خِلَافُ قَوْلِهِ «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» وَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِم بِالْكَفْرِ وَ بَرَاءَتِهِ مِنْهُمْ وَ لَعْنَتِهِ عَلَيْهِمْ إِهْلَاكَ لَهُمْ وَ يَكُونُ إِهْلَاكَهُ إِضْلَالًا وَ كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْإِضْلَالِ الْمُنْسُوبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ الْوَجْهِ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْإِضْلَالُ الَّذِي أَضَافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ وَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ السَّامِرِيِّ بِقَوْلِهِ «لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» وَ قَوْلِهِ «وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ» وَ قَوْلِهِ «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى التَّلْيِيسِ وَ التَّغْلِيطِ وَ التَّشْكِيبِ وَ الْإِيْقَاعِ فِي الْفَسَادِ وَ الضَّلَالِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّظْلِيمِ وَ التَّجْوِيزِ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْمَجْبِرِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عَلْوًا كَبِيرًا.

[فصل في حقيقه الهدايه و الهدى]

و إذا قد ذكرنا أقسام الإضلال و ما يجوز إضافته إلى الله تعالى منها و ما لا يجوز

فلنذكر أقسام الهدايه التي هي ضده اعلم أن الهدايه في القرآن تقع على وجوه (أحدها) أن تكون بمعنى الدلاله و الإرشاد يقال هداه الطريق و للطريق و إلى الطريق إذا دله عليه و هذا الوجه عام لجميع المكلفين فإن الله تعالى هدى كل مكلف إلى الحق بأن دله عليه و أرشده إليه لأنه كلفه الوصول إليه فلو لم يدلّه عليه لكان قد كلفه بما لا يطيق و يدل عليه قوله تعالى «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» و قوله «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» و قوله «أَنْزَلْنَا فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ» و قوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» و قوله «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» و قوله «وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» و ما أشبه ذلك من الآيات (و ثانيها) أن يكون بمعنى زياده الألفاظ التي بها يثبت على الهدى و منه قوله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» أى شرح صدورهم و ثبوتها (و ثالثها) أن يكون بمعنى الإثابه و منه قوله تعالى «يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» و قوله «وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّحُ بِالْهَمِّ» و الهدايه التي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محاله لأنه ليس بعد الموت تكليف (و رابعها) الحكم بالهدايه كقوله تعالى «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» و هذه الوجوه الثلاثه خاصه بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى إنما يثيب من يستحق الإثابه و هم المؤمنون و يزيدهم بإيمانهم و طاعاتهم ألقافا و يحكم لهم بالهدايه لذلك أيضا (و خامسها) أن تكون الهدايه بمعنى جعل الإنسان مهتديا بأن يخلق الهدايه فيه كما يجعل الشىء متحركا بخلق الحركه فيه و الله تعالى يفعل العلوم الضروريه فى القلوب فذلك هدايه منه تعالى و هذا الوجه أيضا عام لجميع العقلاء كالوجه الأول فأما الهدايه التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به و بأنبياؤه و غير ذلك فإنها من فعل العباد و لذلك يستحقون عليها المدح و الثواب و إن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك و إرشادهم إليه و دعائهم إلى فعله و تكليفهم إياه و أمرهم به فهو من هذا الوجه نعمه منه سبحانه عليهم و منه منه واصله إليهم و فضل منه و إحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود إذ فعل بتمكينه و ألقافه و ضروب تسهيلات و معوناته

البقره (٢): آيه ٢٧

اشاره

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)

النقض نقيض الإبرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وأمره يقال عهد الخليفة إلى فلان بكذا أى أمره وأوصاه به ومنه قوله تعالى «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ» والميثاق ما وقع التوثيق به كما أن الميثاق ما وقع التوثيق به ويقال فلان ثقة يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ثقات فى الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشئيين وأصل ذلك فى الأجسام ويستعمل ذلك أيضا فى الأعراض تشبيها به يقال قطع الحبل و قطع الكلام والأمر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير أمرا بإرادته الأمر المأمور به وصيغته الأمر تستعمل فى الإباحة نحو قوله فَاصْبِرْ طَائِدُوا و فى التهديد نحو قوله «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» و فى التحدى نحو قوله «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» و فى التكوين كقوله «كُنْ فَيَكُونُ» والأصل فى الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شئيين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون وأصل الخسران ذهاب رأس المال.

الإعراب

«الَّذِينَ يَنْقُضُونَ» فى موضع النصب لأنها صفة الفاسقين وأولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز أن يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجمله خبر أولئك وقوله «مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ» من مزیده وقيل معناه ابتداء الغايه والهاء فى ميثاقه عائد إلى العهد ويجوز أن يكون عائدا إلى اسم الله تعالى وقوله «أَنْ يُوصَلَ» بدل من الهاء التى فى به أى ما أمر الله بأن يوصل فهو فى موضع جر به.

المعنى

ثم وصف الله الفاسقين المذكورين فى الآية فقال هم «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ» أى يهدمونه لا يفون به وقيل فى عهد الله وجوه (أحدها) أنه ما ركب فى عقولهم من أدله التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهده لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الإقرار بما قد بينت لهم صحته بالأدله (و ثانيها) أنه وصيه الله إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به (و ثالثها) أن المراد به كفار أهل الكتاب وعهد الله الذى نقضوه «مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ» هو ما أخذه عليهم فى التوراه من اتباع محمد صلى الله عليه وآله والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته و كتمانهم ذلك عن الناس بعد أن أخذ الله ميثاقهم لبيئته للناس ولا يكتفونهم إن جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا و نبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا و اختار هذا الوجه الطبرى (و رابعها) أنه العهد الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب

آدم كما وردت به القصة و هذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه و لا يعرفونه و لا يكون عليه دليل و قوله تعالى «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» معناه أمروا بصله النبي صلى الله عليه و آله و المؤمنين فقطعواهم عن الحسن و قيل أمروا بصله الرحم و القرابه فقطعواها عن قتاده و قيل أمروا بالإيمان بجميع الأنبياء و الكتب ففرقوا و قطعوا ذلك و قيل أمروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا و قيل معناه الأمر بوصل كل من أمر الله بصلته من أوليائه و القطع و البراءه من أعدائه و هذا أقوى لأنه أعم و يدخل فيه الجميع و قوله «وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» قال قوم استدعواؤهم إلى الكفر هو الفساد في الأرض و قيل إخافتهم السبيل و قطعهم الطريق و قيل نقضهم العهد و قيل أراد كل معصيه تعدى ضررها إلى غير فاعلها و الأولى حملة على العموم «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» أى أهلكوا أنفسهم فهم بمنزله من هلك رأس ماله و روى عن ابن عباس أن كل ما نسبته الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين فإنما عنى به الكفر و ما نسبته إلى المسلمين فإنما عنى به الدنيا ..

البقره (٢): آيه ٢٨

إشاره

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

القراءه

قرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء على أن الفعل لهم و الباقرن بضم التاء و فتح الجيم على ما لم يسم فاعله.

الإعراب

كيف فى الأصل سؤال عن الحال و يتضح ذلك فى الجواب إذا قيل كيف رأيت زيدا فتقول مسرورا أو مهموما و ما أشبه ذلك فتجيب بأحواله فكيف ينتظم جميع الأحوال كما أن كم ينتظم جميع العدد و ما ينتظم جميع الجنس و أين ينتظم جميع الأماكن و من ينتظم جميع العقلاء و معناه فى الآيه التوبيخ و تقديره أ متعلقين بحجه تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال و العامل فيه تكفرون و قال الزجاج هو استفهام فى معنى التعجب و هذا التعجب إنما هو للخلق أو للمؤمنين أى أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون و قد ثبتت حجه الله عليهم و معنى و كنتم و قد كنتم و الواو واو الحال و إضمار قد جائز إذا كان فى الكلام دليل عليه و مثله قوله تعالى «أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» أى قد حصرت صدورهم و هى جمله فى موضع الحال و إنما وجب إظهار قد فى مثل هذا أو

تقديرها لأن الماضي لا يكون حالا و قد إنما يكون لتقريب العهد و لتقريب الحال فبدخوله يصلح أن يكون الفعل الماضي حالا.

المعنى

ثم عاد الله تعالى إلى الاحتجاج على الكفار في إنكارهم البعث و جحودهم لرسله و كتبه بما أنعم به عليهم فقال «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» و من قال هو توبيخ قال معناه و يحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمه فلان و قد أحسن إليك و من قال هو تعجب قال تقديره عجباً منكم على أى حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته و المعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته و قيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته و شكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال «وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» أى و حالكم أنكم كنتم أمواتاً و فيه وجوه (أحدها) أنهم كانوا أمواتاً فى أصلاب آبائهم يعنى نطفاً فأحياهم الله ثم أماتهم الموتة التى لا- بد منها ثم أحياهم بعد الموت فهما حياتان و موتتان عن قتاده (و ثانيها) أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس و ابن مسعود (و ثالثها) أن معناه كنتم أمواتاً يعنى خاملى الذكر فأحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم للبعث و العرب تسمى كل امرئ خامل ميتاً و كل امرئ مشهور حياً كما قال أبو نخيله السعدى

فأحييت من ذكرى و ما كان خاملاً

و لكن بعض الذكر أنه من بعض

(و رابعها) أن معناه كنتم نطفاً فى أصلاب آبائكم و بطون أمهاتكم و النطفه موات فأخرجكم إلى دار الدنيا أحياء «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» فى القبر للمسائله «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى يبعثكم يوم الحشر للحساب و المجازاه على الأعمال و سمي الحشر رجوعاً إلى الله تعالى لأنه رجوع إلى حيث لا- يكون أحد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجوع أمر القوم إلى الأمير و لا يراد به الرجوع من مكان إلى مكان و إنما يراد به أن النظر صار له خاصه دون غيره و إنما بدأ الله تعالى بذكر الحياه و من بين سائر النعم التى أنعم بها على العبد لأن أول نعمه أنعم الله بها عليه خلقه إياه حياً لينفعه و بالحياه يتمكن الإنسان من الانتفاع و الالتذاذ و إنما عد الموت من النعم و هو يقطع النعم فى الظاهر لأن الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده إلى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمه و قيل إنما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمه و فى هذه الآيه دلالة على أنه تعالى لم يرد من عباده الكفر و لا خلقه فيهم لأنه لو أرادهم أو خلقه فيهم لم يجز أن يضيفه إليهم بقوله «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» كما لا يجوز أن يقول لهم كيف أو لم كنتم طوالاً أو قصاراً و ما أشبه ذلك مما

هو من فعله تعالى فيهم.

البقره (٢): آيه ٢٩

اشاره

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

اللغه

أصل الخلق التقدير و الجمع الضم و نقيضه الفرق و سميت الجمعه جمعها لاجتماع الناس و الاستواء الاعتدال و الاستقامه و نقيضه الاعوجاج و السبع للمؤنث و السبعه للمذكر و السبع مشتق من ذلك لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات و العليم في معنى العالم قال سيبويه إذا أرادوا المبالغه عدوا إلى فعيل نحو عليم و رحيم.

المعنى

قال المفسرون لما استعظم المشركون أمر الإعادته عرفهم الله تعالى خلق السموات و الأرض ليدلهم بذلك على قدرته على الإعادته فقال «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ» أى لأجلكم «مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ما فى موضع نصب بأنه مفعول بها و معناه أن الأرض و جميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقه لكم إما دينيه فتستدلون بها على معرفته و إما دنيويه فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلا و قوله «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه قصد للسماء و لتسويتها كقول القائل كان الأمير يدبر أمر الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز أى تحول تدبيره و فعله إليهم (و ثانيها) أنه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لَتَشْتَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ أَيْ تَقْهَرُوهُ و منه قوله «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ» أى تمكن من أمره و قهر هواه بعقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى إلى السماء فى تفردته بملكها و لم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه و منه قول الشاعر:

فلما علونا و استوينا عليهم

تركانهم صرعى لنسر و كاسر

و قال آخر:

ثم استوى بشر على العراق

من غير سيف و دم مهراق

(و ثالثها) أن معناه ثم استوى أمره و صعد إلى السماء لأن أوامره و قضاياه تنزل من السماء إلى الأرض عن ابن عباس (و رابعها) ما روى عن ثعلب أحمد بن يحيى أنه سئل

عن معنى الاستواء فى صفه الله عز و جل فقال الاستواء الإقبال على الشىء يقال كان فلان مقبلا على فلان [يشتمه] ثم استوى على و إلى يكلمنى على معنى أقبل إلى و على فهذا معنى قوله «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» و قوله «فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» التسويه جعل الشئين أو الأشياء على استواء يقال سويت الشئين فاستويا و إنما قال «فَسَوَّاهُنَّ» فجمع الضمير العائد إلى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل و الكثير كقولهم أهلكت الناس الدينار و الدرهم و قيل السماء جمع سماوه و سماءه و لذلك يؤنث مره و يذكر أخرى فقيل السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كما يفعل ذلك بالجمع الذى بينه و بين واحده الهاء نحو نخل و نخله و بقره و بقره و قيل إن السماوات كانت سماء فوق سماء فهى فى التقدير واحده و تكون الواحده جماعه كما يقال ثوب أخلاق و أسمال و برقه أعمار و أرض أعقال و المعنى أن كل ناحيه منها كذلك فجمع على هذا المعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور و لا أمت قال على بن عيسى أن السموات غير الأفلاك لأن الأفلاك تتحرك و تدور و السموات لا تتحرك و لا تدور لقوله «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» و هذا قول ضعيف لأن قوله أَنْ تَزُولَا معناه لا تزول عن مراكزها التى تدور عليها و لو لا إمساكه لزالَت عنها.

سؤال

ظاهر قوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء لأن ثم للتعقيب و التراخى و قوله فى سورة أخرى «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه أن الله خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها فلما خلق السماء دحها بعد ذلك و دحها بسطها و مدّها عن الحسن و عمرو بن عبيد و قد يجوز أيضا أن لا يكون معنى ثم و بعد فى هذه الآيات الترتيب فى الأوقات و إنما هو على جهة تعداد النعم و التنبية عليها و الإذكار لها كما يقول القائل لصاحبه أ ليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك و فعلت و ربما يكون بعض ما ذكره متقدما فى اللفظ كان متأخرا لأن المراد لم يكن الإخبار عن أوقات الفعل و إنما المراد التذكير كما ذكره و قوله «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و لم يقل قدير لأنه لما وصف نفسه بالقدره و الاستيلاء وصل ذلك بالعلم إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الإتقان و الإحكام و أيضا فإنه أراد أن يبين أنه عالم بما يؤول إليه حاله و حال المنعم به عليه فتتحقق بذلك النعمه و فى هذه الآية دلالة على أن صانع السماء و الأرض قادر و عالم و أنه تعالى إنما يفعل الفعل لغرض و أن له تعالى

ص: ٩٠

على الكفار نعمًا يجب شكره عليهم بها و فيها أيضا دلاله على أن الأصل في الأشياء الإباحه لأنه ذكر أنه خلق ما في الأرض لمنفعه العباد ثم صار حطا لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج إلى دليل.

البقره (٢): آيه ٣٠

اشاره

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)

اللغه

القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو و الرب السيد يقال رب الدار و رب الفرس و لا يقال الرب بالألف و اللام إلا- الله تعالى و أصله من ربيته إذا قمت بأمره و منه قيل للعالم رباني لأنه يقوم بأمر الأمه و الملائكه جمع ملك و اختلف في اشتقاقه فذهب أكثر العلماء إلى أنه من الألوكه و هي الرساله و قال الخليل الألوك الرساله و هي المالكه و المالكه على مفعله و قال غيره إنما سميت الرساله الوكا لأنها تولك في الفم أى تمضغ و الفرس تألك اللجام و تعلقك قال عدى بن زيد:

أبلغا النعمان عنى مالكا

أنه قد طال حسبي و انتظاري

و يروى ملاء كا و قال لبيد:

و غلام أرسلته أمه

بالوك فبدلنا ما سأل

و قال الهذلي:

ألكنى إليها و خير الرسول

أعلمهم بنواحي الخبر

فالملائكه على هذا وزنها معافله لأنها مفاعله مقلوبه جمع ملائك في معنى مالك قال الشاعر:

فلست لإنسى و لكن لملائك

تنزل من جو السماء يصبوب

ص: ٩١

فوزن ملائكة معفل مقلوب مالك مفعول و من العرب من يستعمله مهموزا و الجمهور منهم على إلقاء حركة الهمزة على اللام و حذفها فيقال ملك و ذهب أبو عبيده إلى أن أصله من لاك إذا أرسل فملاك على هذا القول مفعول و ملائكة مفاعله غير مقلوبه و الميم في هذين الوجهين زائده و ذهب ابن كيسان إلى أنه من الملك و أن وزن ملائكة فعال مثل شمال و ملائكة فاعله فالميم على هذا القول أصله و الهمزة زائده و الملك و إن كان أصله الرسالة فقد صار صفة غالبه على صنف من رسل الله غير البشر كما أن السماء و إن كان أصله الارتفاع فقد صار غالبا على السماوات المعروفة و قال أصحابنا رضى الله عنهم أن جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلاله قوله تعالى «يُضِيْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس و لا يكون من الرسالة و الجعل و الخلق و الفعل و الإحداث نظائر إلا أن الجعل قد يتعلق بالشىء لا على سبيل الإيجاد بخلاف الفعل و الإحداث تقول جعلته متحركا و حقيقه الجعل تغيير الشىء عما كان عليه و حقيقه الفعل و الإحداث الإيجاد و الخليفة و الإمام واحد فى الاستعمال إلا أن بينهما فرقا فالخليفة استخلف فى الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من أنه خلف غيره و قام مقامه و الإمام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضى وجوب الاقتداء به و فرض طاعته فيما تقدم فيه و السفك صب الدم و الدم قد اختلف فى وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين

و قيل أصله دمي على وزن فعل و الشاعر لما رد الباء فى التنبيه لقله الاسم حركة ليعلم أنه متحركا قبل ذلك و التسبيح التنزيه لله تعالى عن سوء و عما لا يليق به و السبوح المستحق للتنزيه و التعظيم و القدوس المستحق للتطهير و التقديس التطهير و نقيضه التنجيس و القدس السطل الذى يتطهر منه و قد حكى سيبويه أن منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح و الضم أكثر فى الكلام و الفتح أقيس لأنه ليس فى الكلام فعول إلا ذروح و سبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله معناه براءه الله من كل سوء و تنزيه الله قال الأعشى:

أقول لما جاءنى فخره

سبحان من علقمه الفاخر

أى براءه منه قال و هو معرفه علم خاص لا ينصرف للتعريف و الزيادة و قد اضطر الشاعر فنونه قال أمية:

وهو مشتق من السبح الذى هو الذهاب ولا يجوز أن يسبح غير الله وإن كان منزلها لأنه صار علما فى الدين على أعلى مراتب التعظيم التى لا يستحقها سواه كما أن العبادة هى غاية فى الشكر لا يستحقها سواه.

الإعراب

قال أبو عبيده إذ هاهنا زائده وأنكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا أن الحرف إذا أفاد معنى صحيحا لم يجز إلغاؤه قال الزجاج ومعناه الوقت ولما ذكر الله تعالى خلق الناس وغيرهم فكأنه قال ابتداء خلقكم «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» وقال على بن عيسى تقديره اذكر إذ قال ربك للملائكة فموضع إذ نصب على إضمار فعل والواو عاطفه جمله على جمله و «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» جمله فى موضع نصب بقال وقوله «أَتَجْعَلُ فِيهَا» إلى قوله «وَنُقَدِّسُ لَكَ» فى موضع نصب بقالوا والواو فى قوله «وَنَحْنُ» واو الحال وتسمى واو القطع و واو الاستئناف و واو الابتداء و واو إذ كذا كان يمثلها سيوييه ومثله الواو فى قوله «يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أى إذ طائفه وكذا هاهنا إذ نحن نسيح والعامل فى الحال هاهنا أ تجعل كأنه قال أ تجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا والباء فى بحمدك تتعلق بنسيح واللام من لك تتعلق بنقدس وما موصوله وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام أى لا تعلمونه وهو فى موضع نصب بأعلم.

المعنى

اذكر يا محمد «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» قيل أنه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن أسكنه الأرض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس «إِنِّي جَاعِلٌ» أى خالق «فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» أراد بالخليفة آدم (عليه السلام) فهو خليفة الله فى أرضه يحكم بالحق إلا أنه تعالى كان أعلم ملائكته أنه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل إنما سمي الله تعالى آدم خليفة لأنه جعل آدم و ذريته خلفاء للملائكة لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض وقيل كان فى الأرض الجن فأفسدوا فيها و سفكوا الدماء فأهلكوا فجعل آدم و ذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عنى بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلفوا أباهم آدم فى إقامة الحق و عماره الأرض عن الحسن البصرى وقيل أراد بالأرض مكة لأن النبى صلى الله عليه وآله قال دحيت الأرض من مكة و لذلك سميت أم القرى و روى أن قبر نوح و هود و صالح و شعيب بين زمزم و الركن و المقام و الظاهر أنها الأرض

المعروفه و هو الصحيح و قوله «قالوا» يعنى الملائكه لله تعالى أ تجعل فيها أى فى الأرض من يفسد فيها بالكفر و المعاصى و يسفك الدماء بغير حق و ذكر فيه وجوه (أحدها) أن خلقا يقال لهم الجان كانوا فى الأرض فأفسدوا فيها فبعث الله ملائكه أجلتهم من الأرض و كان هؤلاء الملائكه سكان الأرض من بعدهم فقالوا يا ربنا «أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب و هو قول كثير من المفسرين (و ثانيها) أن الملائكه إنما قالت ذلك على سبيل الاستفهام و على وجه الاستخبار و الاستعلام عن وجه المصلحه و الحكمة لا على وجه الإنكار و لا على سبيل إخبار فكأنهم قالوا يا الله إن كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه (و ثالثها) أن الله تعالى أخبر الملائكه بأنه سيكون من ذريه هذا الخليفه من يعصى و يسفك الدماء على ما روى عن ابن عباس و ابن مسعود و الغرض فى إعلامه إياهم أن يزيدهم يقينا على وجه علمه بالغيب لأنه وجد بعد ذلك على ما أخبرهم به و قيل ليعلم آدم أنه خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكه أ تجعل فيها من يفعل كذا و كذا على وجه التعرف لما فى هذا من التدبير و الاستفادة لوجه الحكمة فيه و هذا الوجه يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذف و يكون التقدير إني جاعل فى الأرض خليفه و إني عالم بأنه سيكون فى ذريته من يفسد فيها و يسفك الدماء فحذف اختصارا و كذلك قوله «أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ» فى ضمنه اختصار شديد أى فنحن على ما نظنه و يظهر لنا من الأمر أولى بالخلافه فى الأرض لأننا نطيع و غيرنا يعصى و فى قوله «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» اختصار أيضا لأنه يتضمن أنى أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه و ما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الأمور و مثل هذه الحذوف العجيبه و الاختصارات البديعه كثيره فى القرآن و الحذف معدود فى أنواع الفصاحه إذا كان فيما أبقى دليل على ما ألقى و مما جاء منه فى الشعر قول الشنفرى:

و لا تقبرونى إن قبرى محرم

عليكم و لكن خامرى أم عامر

أى لا تدفنونى بل دعونى تأكلنى التى يقال لها خامرى أم عامر يعنى الضبع و قول أبى داود:

إن من شيمتى لبذل تلادى

دون عرضى فإن رضيت فكونى

أى فكونى على ما أنت عليه و إن سخطت فينى فحذف و قال عنتره:

هل تبلغنى دارها شدنيه

لعنت بمحروم الشراب مصرم

أى دعى عليها بانقطاع لبنها و جفاف ضرعها فصارت كذلك و الناقه إذا كانت لا تنتج كانت أقوى على السير و إنما أرادت الملائكه بقولهم «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» ولد آدم الذين ليسوا بأنبياء و لا معصومين لا آدم نفسه و من يجرى مجراه من الأنبياء و المعصومين و معنى قولهم «و نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» نتكلم بالحمد لك و النطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى «و الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» و إنما يكون حمد الحامد سبحانه تسبيحا لأن معنى الحمد لله الثناء عليه و الشكر له و هذا تنزيه له و اعتراف بأنه أهل لأن ينزه و يعظم و يثنى عليه عن مجاهد و قيل معنى «نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» نصلى لك كقوله «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» أى من المصلين عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل و منه قول جرير:

قبح الإله و جوه تغلب كلما

سيح الحجيج و كبروا إهلالا

و قوله «و نُقَدِّسُ لَكَ» أى ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص و لا نضيف إليك القبائح فاللام على هذا زائده نقديسك و قيل نقديس لك أى نصلى لأجلك و قيل نظهر أنفسنا من الخطايا و المعاصي قوله «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» قيل أراد ما أضمره إبليس من الكبر و العجب و المعصيه لما أمره الله سبحانه بالسجود لآدم عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل أراد أعلم من فى ذريه آدم من الأنبياء و الصالحين عن قتاده و قيل أراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير المصالح و

روى عن أبى عبد الله قال إن الملائكه سألت الله تعالى أن يجعل الخليفه منهم و قالوا نحن نقديسك و نطيعك و لا نعصيك كغيرنا قال فلما أجبوا بما ذكر فى القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أن يبني له فى الأرض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكه المقربون فقال الله تعالى للملائكه إنى أعرف بالمصلحه منكم و هو معنى قوله «أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

و هذا يدل على أنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شىء لم يكن لهذا الكلام معنى لأنه إنما يفيد فى الجواب متى حمل على أنه أراد إنى أعلم بالمصالح فأفعل ما هو الأصلح.

النظم

و اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الله تعالى ذكر أول النعم له علينا و هى نعمه

الحياه ثم ذكر بعده إنعامه علينا بخلق الأرض و ما فيها و بخلق السماء ثم أراد أن يذكر نعمته علينا بخلق آيينا آدم عليه السلام و ما أعطاه من الفضيله فكأنه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله و قد فعل بكم كذا و كذا و أنعم عليكم بكذا أو كذا.

البقره (٢): آيه ٣١

إشارة

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)

القراءة

قرأ أهل المدينة و أهل البصره هؤلاء بمده واحده لا يمدونها إلا على قدر خروج الألف و يمدون أولاء كأنهم يجعلونه كلمتين و الباقيون يمدون مدتين في كل القرآن فأما الهمزتان من كلمتين نحو «هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» و نحوها فأبو جعفر و نافع بروايه ورش و ابن كثير بروايه القواس و يعقوب يهمزون الأولى و يخففون الثانية و يسيرون بالكسره إليها و كذلك يفعلون في كل همزتين متفتحتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا أو مضمومتين أو مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء إن أردن و المضمومتان أولياء أولئك ليس في القرآن غيره و المفتوحتان جاء أحدكم و شاء أنشره و أبو عمرو و السبزي بهمزه واحده فيتركان إحداهما أصلاً إذا كانتا متفتحتين و نافع بروايه إسماعيل و ابن كثير بروايه ابن فليح بتلين الأولى و تحقيق الثانية و إذا اختلفتا فانفقوا على همز الأولى و تليين الثانية نحو السُّفْهَاءُ أَلَا و الْبُغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فأما ابن عامر و عاصم و الكسائي فإنهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفتحتين كانتا أو مختلفتين أما الحذف و التليين فلتخفيف و أما الهمز فللحمل على الأصل.

اللغة

في اشتقاق آدم قولان (أحدهما) أنه مأخوذ من أديم الأرض فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته (و الثاني) أنه مأخوذ من الأدمه على معنى اللون و الصفه فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه و الأدمه و السمره و الدكته و الورقه متقاربه المعنى و آدم أبو البشر عليه السلام قال صاحب العين الأدمه في الناس شربه من سواد و هى السمره و فى الإبل و الظباء بياض و كل لفظه عموم على وجه الاستيعاب و حقيقته للإحاطه بالأبعاض يقال أ بعض القوم جاءك أم كلهم و يكون تأكيداً مثل أجمعون إلا أنه يبدأ فى الذكر بكل كقوله تعالى «فَسَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ» لأن كلا قد يلى العوامل و أجمعون لا يكون إلا- تابعا و العرض من قولهم عرضت الشىء عليه و عرضت الجند قال الزجاج أصله فى اللغة الناحيه من نواحي الشىء فمن ذلك العرض خلاف الطول و عرض

الرجل ما يمدح به أو يذم و يقال عرضه خليقته المحموده و يقال عرضه حسبه و قال على بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه و السب، و العرض و ما يعرض فى الجسم و يغير صفته و يقال عرضت المتاع على البيع عرضا أى أظهرته حتى عرفت جهته و الإنباء و الإعلام و الإخبار واحد و النبأ الخبر و يقال منه أنبأته و نبأته و أنبئوني بأسماء هؤلاء أى أخبروني بها أما المتعدى إلى ثلاثه مفاعيل نحو أنبأت زيدا عمرا خير الناس و كذلك نبأت فهو هذا فى الأصل إلا أنه حمل على المعنى فعدى إلى ثلاثه مفاعيل لأن الإنباء بمعنى الإعلام و دخول هذا المعنى فيه و حصول مشابهته للإعلام لم يخرجه عن الأصل الذى هو له من الإخبار و عن أن يتعدى إلى مفعولين أحدهما بالباء أو بعن نحو تَبَّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ و النبوه إذا أخذت من الإنباء فهى مهموزه و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لا تنبئن باسمى لرجل قال له يا نبى ء الله

مهموزا و النبى بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك إلى حيث تريد و الفرق بين الإعلام و الإخبار أن الإعلام قد يكون بخلق العلم الضرورى فى القلب كما خلق الله من كمال العقل و العلم بالمشاهدات و قد يكون بنصب الأدله على الشىء و الإخبار هو إظهار الخبر علم به أو لم يعلم و لا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم فى القلب كما يكون معلما بذلك.

المعنى

ثم أبان سبحانه و تعالى لملائكته فضل آدم عليهم و على جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه و تعالى «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» أى علمه معانى الأسماء إذ الأسماء بلا معان لا فائده فيها و لا وجه لإشاره الفضيله بها و قد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فأقروا عند ما سئلوا عن ذكرها و الإخبار عنها أنه لا علم لهم بها فقال الله تعالى «يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» عن قتاده و قيل أنه سبحانه علمه جميع الأسماء و الصناعات و عماره الأرضين و الأطحمه و الأوديه و استخراج المعادن و غرس الأشجار و منافعها و جميع ما يتعلق بعماره الدين و الدنيا عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و عن أكثر المتأخرين و قيل أنه علمه أسماء الأشياء كلها ما خلق و ما لم يخلق بجميع اللغات التى يتكلم بها ولده بعده عن أبى على الجبائى و على بن عيسى و غيرهما قالوا فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان ألفوه و اعتادوه و تناول الزمان على ما خالف ذلك فسوه و يجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات إلى زمن نوح (عليه السلام) فلما أهلك الله الناس إلا نوحا و من تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا و تفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها و تركوا ما سواه و نسوه و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآيه فقال الأرضين و الجبال و الشعاب و الأوديه ثم نظر إلى بساط تحته فقال

وقيل أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء ذريته عن الربيع وقيل أنه علمه ألقاب الأشياء ومعانيها وخواصها وهو أن الفرس يصلح لما ذا والحمار يصلح لما ذا وهذا أبلغ لأن معاني الأشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والأوقات وألقاب الأشياء تتغير على طول الأزمنة وقال بعضهم أنه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية إسماعيل (عليه السلام) وقالوا أن الله جعل الكلام معجزه لثلاثه من الأنبياء آدم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الأسماء فقليل علمه بأن أودع قلبه معرفه الأسماء وفق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الأسماء كلها وكان ذلك معجزه له لكونه ناقصا للعادة وقيل علمه إياها بأن اضطره إلى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل إنما علمه أسماء الأشخاص بأن أحضر تلك الأشياء وعلمه أسماءها في كل لغة وأنه لأى شىء يصلح و أى نفع فيه و أى ضرر وقوله «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» روى عن ابن عباس أنه قال عرض الخلق و عن مجاهد قال عرض أصحاب الأسماء و على هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة و فيهم من يعقل و فيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فأجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ» أجرى عليهم كناية من يعقل و فى قراءه أبى ثم عرضها و فى قراءه ابن مسعود ثم عرضهن و على هاتين القراءتين يصلح أن يكون عبارته عن الأسماء دون المسميات و اختلف فى كيفية العرض على الملائكة فقليل إنما عرضها على الملائكة بأن خلق معانى الأسماء التى علمها آدم حتى شاهدها الملائكة وقيل صور فى قلوبهم هذه الأشياء فصارت كأنهم شاهدها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحد و أراد بذلك تعجيزهم فإن الإنسان إذا قيل له ما اسم شىء صفته كذا وكذا فلم يعلم كان أبلغ عذرا ممن عرض عليه شىء بعينه و سئل عن اسمه فلم يعرفه و بين بذلك أن آدم عليه السلام أصلح لكخدائيه الأرض و عمارتها لا هتدائه إلى ما لا تهتدى الملائكة إليه من الصناعات المختلفه و حرث الأرض و زراعتها و إنباط الماء و استخراج الجواهر من المعادن و قعر البحار بلطائف الحكمه و هذا يقوى قول من قال أنه علمه خواص الأشياء و أراد به أنكم إذا عجزتم عن معرفه هذه الأشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفه الأمور المغيبه عنكم أعجز «فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أن سأل فقليل ما الذى ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا و كيف أمرهم الله سبحانه أن يخبروا بما لا يعلمون فالجواب أن للعلماء فيه وجوها من الكلام (أحدها) أن الله تعالى لما أخبر الملائكة بأنه جاعل فى الأرض خليفه هجس فى نفوسها

أنه إن كان الخليفة منهم بدلا من آدم و ذريته لم يكن في الأرض فساد و لا سفك دم كما يكون في ولد آدم و إن كان الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح في التدبير و الأصوب في الحكمه فقال الله تعالى «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد (و ثانيها) أنه خطر بيالهم أنه لن يخلق الله خلقا إلا و هم أعلم منه و أفضل في سائر أنواع العلم فقل «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء (و ثالثها) أن المراد أن كنتم صادقين في أنكم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفه أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب فكما لم تعلموا أحدهما لا تعلمون الآخر عن ابن عباس (و رابعها) ما قاله الأخفش و الجبائي و على بن عيسى و هو أن المراد «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تخبرون به من أسمائهم فأخبروا بها و هذا كقول القائل لغيره (أخبر بما في يدي إن كنت صادقا) أي إن كنت تعلم فأخبر به لأنه لا يمكنه أن يصدق في مثل ذلك إلا إذا أخبر عن علم منه و لا يصح أن يكلف ذلك إلا مع العلم به و لا بد إذا استدعوا إلى الإخبار عما لا يعلمون من أن يشترط هذا الشرط و على هذا فيكون لفظه الأمر و معناه التنبيه أو يكون أمرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا و يعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه و يحثه على طلبه و البحث عنه و لو قال له أخبر بذلك أن كنت تعلم أو إن كنت صادقا لكان حسنا فإذا تنبه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج أثبت في قلبه و أوقع في نفسه و لا يجوز أن يكون ذلك تكليفا لأنه لو كان تكليفا لم يكن تبيينا لهم أن آدم يعرف أسماء هذه الأشياء بتعريف الله إياه و تخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا أنه ليس بتكليف و في هذه الآية دلالة على شرف العلم و أهله من حيث إن الله سبحانه لما أراد تشریف آدم (عليه السلام) اختصه بعلم أبانه به من غيره و فضله به على من سواه ..

البقره (٢): آيه ٣٢

إشارة

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

اللغة

الحكمه نقيض السفه و الإحكام الإتقان و الحكيم المانع من الفساد و منه حكمه اللجام لأنها تمنع الفرس من الجرى الشديد قال جرير:

أبني حنيفه أحكموا سفهاءكم

إني أخاف عليكم أن أغضبا

أى امنعوهم و الحكمه هى التى تقف بك على مر الحق الذى لا يخلطه باطل و الصدق الذى لا يشوبه كذب و منه قوله حِكْمَةٌ بِالْعَهِّ و رجل حكيم إذا كان ذلك شأنه و كانت معه أصول من العلم و المعرفة و يقال حكم يحكم فى الحكم بين الناس و حكم يحكم إذا صار حكيما و الحكمه فى الإنسان هى العلم الذى يمنع صاحبه من الجهل.

الإعراب

سبحانك نصب على المصدر قال سبيويه سبحت الله تسيحا و سبحانا فالمصدر تسييح و سبحان اسم يقوم مقام المصدر و اللام من قوله «لنا» يتعلق بمحذوف فيكون جمله ظرفيه فى موضع رفع بالخبر لأن لا علم فى موضع رفع بالابتداء و «ما عَلَّمْتَنَا» موصول و صله و الضمير من علمتنا العائد إليه محذوف تقديره ما علمتنا و هو فى موضع رفع بدل من موضع لا علم و أنت يجوز أن يكون فصلا فيكون لا موضع له من الإعراب و خبر إن العليم الحكيم و يجوز أن يكون مبتدأ و الجملة خبر إن.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع إليه و التسليم لأمره و قال «قالوا» أى الملائكة «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك و تعظيما عن أن يعلم الغيب أحد سواك عن ابن عباس و قيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك و قيل إنهم أرادوا أن يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح و أن كنا لا- نعلم وجه الحكمه فى أفعالك و قيل أنه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا- يعلمونه و قوله «لا- عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» معناه إنا لا نعلم إلا بتعليمك و ليس هذا فيما علمتنا و لو أنهم اقتصروا على قولهم «لا- عَلِمَ لَنَا» لكان كافيا فى الجواب لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم له و الاعتراف بإنعامه عليهم بالتعليم و أن جميع ما يعلمونه إنما يعلمونه من جهته و أن هذا ليس من جمله ذلك و إنما سألهم سبحانه عما علم أنهم لا يعلمونه ليقررهم على أنهم لا- يملكون إلا- ما علمهم الله و ليرفع به درجه آدم عندهم بأنه علمه ما لم يعلموه و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ» أى العالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته و هو مبالغه العالم و قيل أنهم أثبتوا له ما نفوه عن أنفسهم أى أنت العالم من غير تعليم و نحن المعلمون و قوله «الْحَكِيمُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه بمعنى العالم لأن العالم بالشىء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم و يوصف بهما فيما لم يزل لأن ذلك واجب فى العالم لنفسه (و الثانى) أن معناه المحكم لأفعاله و يكون فعلا بمعنى مفعول و على هذا يكون من صفات الأفعال و معناه أن أفعاله كلها حكمه و صواب و ليس فيها تفاوت و لا وجه من وجوه القبح

و على هذا فلا- يوصف بذلك فيما لم يزل و روى عن ابن عباس أنه قال العليم الذى كمل فى علمه و الحكيم الذى كمل فى حكمته و فى هذه الآيه دلالة على أن العلوم كلها من جهته تعالى و إنما كان كذلك لأن العلوم لا تخلو إما أن تكون ضروريه فهو الذى فعلها و إما أن تكون استدلاليه فهو الذى أقام الأدله عليها فلا علم لأحد إلا ما علمه الله تعالى.

البقره (٢): آيه ٣٣

اشاره

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

القراءه

روى عن ابن عامر أنبئهم بالهمزه و كسر الهاء و الباقون بضم الهاء.

الإعراب

من ضم الهاء حملها على الأصل لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومه و إنما تكسر الهاء إذا وليها كسره أو ياء نحو بهم و عليهم و مع هذا فقد ضمه قوم حملا على الأصل و من كسر الهاء التى قبلها همزه مخففة فإن لذلك وجهها من القياس و هو أنه اتبع كسره الهاء الكسره التى قبلها و لم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء و رأيت المرء و مررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اللغه فى اللغه الأخرى هذا امرؤ و رأيت امرءا و مررت بامرئ و حكى أبو زيد عن بعض العرب أخذت هذا منه و منهما و منهمى فكسر المضمير فى الإدراج و الوقف و لم أعرفه و لم أضربه.

اللغه

الإبداء و الإظهار و الإعلان بمعنى واحد و ضد الإبداء الكتمان و ضد الإظهار الإبطان و ضد الإعلان الإسرار و يقال بدا يبدو بدوا من الظهور و بدأ يبدأ بدءا بالهمزه بمعنى استأنف و قال على بن عيسى الرماني حد الظهور الحصول على حقيقه يمكن أن تعلم بسهولة و الله سبحانه ظاهر بأدلته باطن عن إحساس خلقه و كل استدلال فإنما هو ليظهر شىء بظهور غيره.

الإعراب

آدم منادى مفرد معرفه مبنى على الضم و محله النصب لأن المنادى مدعو و المدعو مفعول.

المعنى

ثم خاطب الله تعالى آدم ف «قال: يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ» أى أخبر الملائكه

«بِأَسْمَائِهِمْ» يعنى بأسماء الذين عرضهم عليهم و هم كناية عن المرادين بقوله بِأَسْمَاءِ هُوَ لَاءِ و قد مضى بيانه «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ» يعنى أخبرهم آدم «بِأَسْمَائِهِمْ» أى باسم كل شىء و منافعه و مضاره «قال» الله تعالى للملائكة «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ» الألف للتنبيه و إن كان أصلها الاستفهام كقول القائل (أ ما ترى اليوم ما أطيبه) لمن يعلم ذلك و حكى سيبويه أ ما ترى أى برق هاهنا و من الناس من قال أن هذه الألف معناها التوبيخ و من لم يجز على الملائكة المعصيه منع من ذلك «إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه «وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» قيل فيه أقوال: (أحدها) أنه أراد أعلم سركم و علانيتكم و ذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لأن الأصول الأول التي يستدل بها إنما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على أنه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح فى التكليف و ما توجه الحكمة (و ثانيها) أنه أراد «أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ» من قولكم أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا «وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» من إضمار إبليس المعصيه و المخالفه قال على بن عيسى و هذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة و ليس إبليس منهم و لأنه عام فلا يخص إلا- بدليل و جوابه أن إبليس لما دخل معهم فى الأمر بالسجود جاز أن يذكر فى جملتهم و قد رويت روايات تؤيد هذا القول و اختاره الطبرى (و ثالثها) أن الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح و لم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله خلقا إلا كنا أكرم منه و أفضل عنده فهذا ما أخفوه و كتموه و أما ما أبدوه فقولهم «أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» روى ذلك عن الحسن و الأول أقوى لأنه أعم و مما يسأل فى هذه الآيه أن يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الأسرار من علم الغيب و الجواب أنه على معنى الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد و يفسدك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لأنه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد و يفسدك الدماء لما أعلم فى ذلك من المصلحة لعبادى فيما كلفتهم إياه فدل سبحانه الإحالة فى الجواب على العلم بباطن الأمور و ظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة فى ذلك و دلهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله و التسليم لقضاء الله لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه و يعلم من مصالحهم فى دينهم و دنياهم ما لا يطلعون عليه فإن قيل فأى شىء فى تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب فالجواب قيل أنه تعالى علمه الأسماء كلها بما فيها من المعانى التي تدل عليها على وجهه فتق لسانه بذلك و الهامه إياها فهى معجزه أقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته و جلاله قدره و ارتفاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذى لا

يوصل إليه إلا- بتعليم الله عز وجل و دلهم على ذلك بأن قررههم أولا فأقروا بأن لا علم لهم به ثم أظهر لهم أن آدم يعلمه بتعليم الله إياه فبان بذلك الإعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل إلى علمه إلا من علام الغيوب و فيه من المعجزه أنه فتق لسانه على خلاف مجرى العاده و أنه علمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثره علومها و أنها أعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزه مؤكدا لما يعلمونه من ذلك بالأدله العقلية و لذلك نبههم فقال «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى قد دلتكم على ذلك قبل و هذه دلالة بعد و قد افتتح الله تعالى الدلالة على الإعجاز بالكلام فى آدم ثم ختم به فى محمد صلى الله عليه و آله قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه و فى هذه الآية سؤال لم أجد أحدا من مفسرى القرآن تعرض له و ذلك أن يقال من أين علمت الملائكة صحه قول آدم و مطابقه الأسماء المسميات و هى لم تكن عالمه بذلك من قبل و الكلام يقتضى أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها و لو لا ذلك لم يكن لقوله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معنى و لا- كانوا أيضا مستفيدين نبوته و تميزه و اختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم و الجواب أنه غير ممتنع أن يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضرورى بصحة الأسماء و مطابقتها للمسميات أما عن طريق أو ابتداء بلا- طريق فعلموا بذلك تميزه و اختصاصه و ليس فى علمهم بصحة ما أخبر به ما يقتضى العلم بنبوته ضروره بل بعده درجات و مراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضروره. و وجه آخر و هو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة و كل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس فى لغته دون لغة غيره إلا أنه يكون إحاطه عالم واحد بأسماء الأجناس فى جميع لغاتهم خارقه للعاده فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوه آدم علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقه ما أخبر به من الأسماء للغته و علم مطابقه ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل و على هذا الجواب فيكون معنى أَنبِؤُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء و هذان الجوابان مبنيان على أنه لم يتقدم لهم العلم بنبوه آدم و أن إخباره بالأسماء كان مفتتح معجزاته لأنه لو كان نيبا قبل ذلك و كانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون مطابقه الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا بقوله الذى علموا أنه حق و صدق.

إشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر وحده للملائكه اسجدوا بضم التاء حيث وقع و كذلك قل رب احكم بضم الباء.

الإعراب

أتبع التاء ضمه الجيم و قيل أنه نقل ضمه الهمزه لو ابتدئ بها و الأول أقوى لأن الهمزه تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركه تنقل.

اللغه

السجود الخضوع و التذلل في اللغه و هو في الشرع عبارته عن عمل مخصوص في الصلاه كالركوع و القنوت و غيرهما و هو وضع الجبهه على الأرض و يقال سجد و أسجد إذا خضع قال الأعشى:

من يلق هوذه يسجد غير متب

إذا تعمم فوق الرأس أو خضعا

و قال آخر:

فكلتاها خرت و أسجد رأسها

كما سجدت نصرانه لم تحنف

و نساء سجد إذا كن فترات الأعين قال

(و لهوى إلى حور المدامع سجد)

و الإسجاد الإطراق و إدامه النظر في فتور و سكون قال:

أغرك منى أن ذلك عندنا

و إسجاد عينيك الصيودين رابع

و أبقى معناه ترك الطاعة و امتنع و الإباء و الترك و الامتناع بمعنى و نقيض أبقى أجاب و رجل أبقى من قوم أباه و ليس الإباء بمعنى الكراهة لأن العرب تتمدح أنها تآبى الضيم و لا مدح فى كراهية الضيم و إنما المدح فى الامتناع منه كقوله تعالى: «وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أى يمنع الكافرين من إطفاء نوره و الاستكبار و التكبر و التعظم و التجبر نظائر و ضده التواضع و حقيقته الاستكبار الأنفة مما لا ينبغى أن يؤنف منه و قيل حده الرفع للنفس إلى منزله لا تستحقها فأصل الباب الكبر و هو العظم و يقال على وجهين كبر

الجته و كبر الشأن و الله سبحانه الكبير من كبر الشأن و ذلك يرجع إلى سعه مقصوراته و معلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع أجناس المقصورات و العالم بجميع المعلومات و إبليس اسم أعجمى لا- ينصرف فى المعرفه للتعريف و العجمه قال الزجاج و غيره من النحويين هو اسم أعجمى معرب و استدلوا على ذلك بامتناع صرفه و ذهب قوم إلى أنه عربى مشتق من الإبلاس و وزنه إفعيل و أنشدوا للعجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا

قال نعم أعرفه و أبلسا

و زعموا أنه لم يصرف استقالاتا له من حيث أنه اسم لا نظير له فى أسماء العرب فشبهته العرب بأسماء العجم التى لا تنصرف و زعموا أن إسحاق من أسحقه الله تعالى إسحاقا و أيوب من أب يؤب و إدريس من المدرس فى أشباه ذلك و غلطوا فى جميع ذلك لأن هذه الألفاظ معربه وافقت الألفاظ العربيه و كان أبو بكر السراج يمثل ذلك على جهه التباعد بمن زعم أن الطير ولدت الحوت و غلطوا أيضا فى أنه لا نظير له فى أسماء العرب لأنهم يقولون إزميل للشفره و إغريض للطلع و إحريض لصبغ أحمر و يقال هو العصفور و سيف إصليت ماض كثير الماء و ثوب إضريح مشبع الصبغ و قالوا هو من الصفره خاصه و مثل هذا كثير و سبيل إبليس سبيل إنجيل فى أنه معرب غير مشتق.

الإعراب

قوله «وَ إِذْ» فى موضع نصب لأنها معطوفه على إذ الأولى و قوله «لِآدَمَ» آدم فى موضع جر باللام لا ينصرف لأنه على وزن أفعل فإذا قلت مررت بآدم و آدم آخر فإن سيبويه و الخليل يقولان أنه لا ينصرف فى النكره لأنك إذا نكرته فقد أعدته إلى حال كان فيها لا ينصرف قال الأخفش إذا سميت به فقد أخرجته من باب الصفه فيجب إذا نكرته أن تصرفه فتقول و آدم آخر و قوله «اسْجُدُوا» الأصل فى همزه الوصل أن تكسر لالتقاء الساكنين و لكنها ضمت لاستثقال الضمه بعد الكسره و كذلك كل ما كان ثالثه مضموما فى الفعل المستقبل نحو قوله أَنْظُرُونَا و اقْتُلُوا يُوسُفَ و ليس فى كلام العرب فعل لكراهم الضمه بعد الكسره و إبليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب و هو فى مذهب من جعله من الملائكه و على الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكه.

المعنى

ثم بين سبحانه ما آتاه آدم عليه السلام من الإعظام و الإجلال و الإكرام فقال و اذكر يا محمد «إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و الظاهر يقتضى أن الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكه حتى جبرائيل و ميكائيل لقوله «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و فى هذا

تأكيد للعموم وقال قوم أن الأمر كان خاصا لطائفه من الملائكة كانوا مع إبليس طهر الله بهم الأرض من الجن و اختلف فى سجود الملائكة لآدم على أى وجه كان

فالمروى عن أئمتنا عليه السلام أنه على وجه التكرمه لآدم و التعظيم لشأنه و تقديمه عليهم

و هو قول قتاده و جماعه من أهل العلم و اختاره على بن عيسى الرمانى و لهذا جعل أصحابنا رضى الله عنهم هذه الآيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أنه أمرهم بالسجود لآدم و ذلك يقتضى تعظيمه و تفضيله عليهم و إذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكة و قال الجبائى و أبو القاسم البلخى و جماعه أنه جعله قبله لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم و فيه ضرب من التعظيم و هذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لما امتنع إبليس من ذلك و لما استعظمته الملائكة و قد نطق القرآن بأن امتناع إبليس عن السجود إنما هو لاعتقاده تفضيله به و تكرمه مثل قوله «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ لُنُّنَا أَخْرَجْتَنِي» و قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و لو لم يكن الأمر على هذا الوجه لوجب أن يعلمه الله تعالى بأنه لم يأمره بالسجود على جهه تعظيمه و تفضيله عليه و إنما أمره على الوجه الآخر الذى لا تفضيل فيه و لم يجز إغفال ذلك فإنه سبب معصيه إبليس و ضلالتة فلما لم يقع ذلك علمنا أن الأمر بالسجود له لم يكن إلا على وجه التعظيم و التفضيل و الإكرام و التبجيل ثم اختلف فى إبليس هل كان من الملائكة أم لا فذهب قوم

أنه كان منهم و هو المروى عن ابن عباس و ابن مسعود و قتاده و اختاره الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسى قدس الله روحه قال و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و الظاهر فى تفاسيرنا ثم اختلف من قال أنه من الملائكة فمنهم من قال أنه كان خازنا على الجنان و منهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض و منهم من قال أنه كان يسوس ما بين السماء و الأرض و قال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه أنه كان من الجن و لم يكن من الملائكة قال و قد جاءت الأخبار بذلك متواتره عن أئمة الهدى عليهم السلام و هو مذهب الإماميه و هو المروى عن الحسن البصرى و هو قول على بن عيسى و البلخى و غيره و احتجوا على صحه هذا القول بأشياء (أحدها) قوله تعالى: «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» و من أطلق لفظ الجن لم يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف و كل ما فى القرآن من ذكر الجن مع الإنس يدل عليه (و ثانيها) قوله تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فنفى المعصيه عنهم نفيا

عاما (و ثالثها) أن إبليس له نسل و ذريه قال الله تعالى «أَفَتَتَّبِعُونَ ذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» و قال الحسن إبليس أب الجن كما أن آدم أب الإنس و إبليس مخلوق من النار و الملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم و من النور في قول الحسن لا يتناسلون و لا يطعمون و لا يشربون (و رابعها) قوله تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» و لا يجوز على رسل الله الكفر و لا-الفسق و لو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب و قالوا إن استثناء الله تعالى إياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم و إنما استثناءه منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم و قيل أيضا أن الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعِ الظَّنِّ» و أنشد سيويه:

و الحرب لا يبقى لجا

حمها التخيل و المراح

إلا الفتى الصبار في

النجدات و الفرس الوقاح

و كقول النابغه

(و ما بالربع من أحد)

(إلا الأواري)

و يؤيد هذا القول ما

رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوه بإسناده عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن إبليس أ كان من الملائكة أو كان يلي شيئا من أمر السماء فقال لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي شيئا من أمر السماء و كان من الجن و كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها و كان الله سبحانه يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود لآدم كان منه الذي كان

و كذا رواه العياشى في تفسيره و أما من قال أنه كان من الملائكة فإنه احتج بأنه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فإن الأمر إنما يتناول الملائكة دون غيرهم و قد مضى الجواب عن هذا و يزيده بيانا قوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فعلمنا أنه من جملة المأمورين بالسجود و إن لم يكن من جملتهم و هذا كما إذا قيل أمر أهل البصره بدخول الجامع فدخلوا إلا-رجلا من أهل الكوفه فإنه يعلم من هذا أن غير أهل البصره كان مأمورا بدخول الجامع غير أن أهل البصره خصوا بالذكر لكونهم الأ-كثر فكذلك القول في الآيه و أجاب القوم عن الاحتجاج الأول و هو قوله تعالى «كَانَ مِنَ الْجِنِّ» بأن الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الأعشى قيس بن ثعلبه:

و لو كان شيء خالدا أو معمرا

لكان سليمان البرى من الدهر

برأه إلهى و اصطفاه عباده

و ملكه ما بين تونا إلى مصر

و سخر من جن الملائك تسعه

قياماً لديه يعملون بلا أجر

ص: ١٠٧

وقد قال الله تعالى: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» لأنهم قالوا الملائكة بنات الله و أجابوا عن الثانى و هو قوله تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» الآيه بأنه صفة لخزنه النيران لا- لجميع الملائكة فلا يوجب عصمه لغيرهم من الملائكة و أجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب فى إبليس شهوه النكاح تغليظا عليه فى التكليف و إن لم يكن ذلك فى باقى الملائكة و يجوز أن يكون الله تعالى لما أهبطه إلى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا و أما قولكم أن الملائكة خلقوا من الريح و هو مخلوق من النار فإن الحسن قال خلقوا من النور و النار و النور سواء و قولكم إن الجن يطعمون و يشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على أنهم لا يطعمون و لا يشربون أنشد ابن دريد قال أنشد أبو حاتم:

و نار قد حضأت بعيد وهن

بدار ما أريد بها مقاما

سوى ترحيل راحله و عين

أكالئها مخافه أن تناما

أتوا نارى فقلت منون أنتم

فقالوا الجن قلت عموا ظلما

فقلت إلى الطعام فقال منهم

زعيم نحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتم بالأكل فينا

و لكن ذاك يعقبكم سقاما

فهذا يدل على أنهم لا يأكلون و لا يشربون لأنهم روحانيون و قد جاء فى الأخبار النهى عن التمسح بالعظم و الروث لأن ذلك طعام الجن و طعام دوابهم و قد قيل أنهم يتشممون ذلك و لا يأكلونه و أجابوا عن الرابع و هو قوله: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» بأن هذه الآيه معارضه بقوله تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» لأن من للتبعيض و كلا القولين مروى عن ابن عباس و روى عنه أنه قال أن الملائكة كانت تقاتل الجن فسبى إبليس و كان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا و أبى إبليس فلذلك قال الله تعالى: «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» و روى مجاهد و طاووس عنه أيضا أنه قال كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل و كان من سكان الأرض و كان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن و لم يكن من الملائكة أشد اجتهادا و لا أكثر علما منه فلما تكبر على الله و أبى السجود لآدم و عصاه لعنه و جعله شيطانا و سماه إبليس و أما قوله تعالى: «وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قيل معناه كان كافرا فى الأصل و هذا القول يوافق مذهبنا فى الموافاه و قيل أراد كان فى علم الله تعالى من الكافرين و قيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى: «فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ» و استدل بعضهم بهذه

الآية على أن أفعال الجوارح من الإيمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب أن يكون إبليس

ص: ١٠٨

مؤمننا بما معه من المعرفة بالله تعالى و إن فسق بآبائه و هذا ضعيف لأننا إذا علمنا كفره بالإجماع علمنا أنه لم يكن معه إيمان أصلا كما أنا إذا رأينا من يسجد للصنم علمنا أنه كافر و إن كان نفس السجود ليس بكفر و اختلفوا في صفه أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة و لإبليس و قيل بوحى من الله إلى من بعثه إليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل و قيل أن الله تعالى أظهر فعلا- دلهم به على أنه أمرهم بالسجود فإن قيل لم حكم الله بكفره مع أن من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع إلى ترك السجود خصالا من الكفر منها أنه اعتقد أن الله تعالى أمره بالقيح و لم ير أمره بالسجود حكمه و منها أنه امتنع من السجود تكبرا و ردا على الله تعالى أمره و من تركه الآن كذلك يكفر أيضا و منها أنه استخف بنبي الله و ازدراه و هذا لا يصدر إلا من معتقد الكفر و في هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله «أبى» فدل على قدرته على السجود الذى أباه و تركه و إلا لم يصح وصفه بالآباء و منها قوله «فَسَيَجِدُوا» فدل على أن السجود فعلهم و منها أنه مدح الملائكة بالسجود و ذم إبليس بترك السجود و عندهم إنما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود و لا القدره الموجبه له.

البقره (٢): آيه ٣٥

إشاره

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كَلَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)

اللغه

السكون و الاطمئنان و الهدو نظائر و السكن بسكون الكاف العيال و أهل البيت و السكن بالفتح المنزل و السكن الرحمه و البركه فى قوله «إِنَّ صِيْلَاتِكَ سَيَكُنْ لَهُمْ» و الزوج بطرح الهاء قال الأصمعى هو أكثر كلام العرب و الأكل و المضغ و اللقم متقارب و ضد الأكل الأزم و سأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلده طيب العرب فقال يا حار ما الدواء فقال الأزم أى ترك الأكل و الرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعه فى العيش و المشيئه من قبيل الإراده و كذلك المحبه و الاختيار و الإيثار و إن كان لها شروط ذكرت فى أصول الكلام و القرب الدنو قرب الشىء يقرب قربا و قرب فلان أهله يقرب قربانا إذا غشيها و ما قربت هذا الأمر قربانا و قربا و الشجره ما قام على ساق و جمعها أشجار و شجرات و شجر و تشاجر القوم اختلفوا أخذ من الشجر لاشتباك أغصانه

و الظلم و الجور و العدوان متقارب و ضد الظلم الإنصاف و ضد الجور العدل و أصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعالى كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا أَي لَمْ تَنْقُصْ وَقِيلَ أَصْلُهُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ أَي فَمَا وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَ كِلَاهُمَا مَطْرُودٌ وَعَلَى الْوَجْهِينِ فَالظُّلْمُ اسْمٌ ذَمٌّ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَعْصُومِينَ.

الإعراب

قوله: «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ» استتبع عطف الظاهر على الضمير المستكن و المتصل فقال «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» فأنت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذى هو فاعله و زوجك معطوف على موضع أنت فلو عطفه على الضمير المستكن لكان أشبه في الظاهر عطف الاسم على الفعل فأتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه و رغدا منصوب لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال أكلا رغدا أى واسعا كثيرا و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله «كُلا» قال الخليل يقال قوم رغدا و نساء رغدا و عيش رغدا و رغيد قال امرؤ القيس:

بينما المرء تراه ناعما

يأمن الأحداث في عيش رغدا

فعلى هذا يكون تقديره و كلا منها متوسعين في العيش و حيث مبنى على الضم كما تبنى الغاية نحو مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ لأنه منع من الإضافة إلى مفرد كما منعت الغاية من الإضافة و إنما يأتى بعده جملة اسميه أو فعلية في تقدير المضاف إليه و «لَا تَقْرَبَا» مجزوم بالنهى و الألف ضمير الفاعلين و قوله «فَتَكُونَا» يحتمل أمرين أحدهما أن يكون جوابا للنهى فيكون منصوبا بإضمار أن و أن مع الفعل فى تأويل اسم مفرد و إذا قدر إضمار أن بعد الفاء كان ذلك عطفاً على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكون منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه و إنما سميناه جوابا لمشابهته الجزاء فى أن الثانى سببه الأول لأن معنى الكلام أن تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين و الثانى أن يكون معطوفا على النهى فيكون مجزوما و تكون الفاء عاطفه جملة على جملة فكأنه قال فلا تكونا من الظالمين.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أمر به آدم (عليه السلام) بعد أن أنعم عليه بما اختصه من العلوم لما أوجب له به من الإعظام و أسجد له الملائكة الكرام فقال عز اسمه «وَقُلْنَا» و هذه

ص: ١١٠

نون الكبرياء والعظمه لا نون الجمع «يا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» أى اتخذت أنت وامرأتك الجنة مسكنا و مأوى لتأوى إليه و تسكن فيه أنت و امرأتك و اختلف فى هذا الأمر ف قيل هو إباحه لأنه ليس فيه مشقه فلا يتعلق به تكليف و قوله «وَ كَلَّا» إباحه و قوله «وَ لَا تَقْرَبَا» تعبد بالاتفاق و روى عن ابن عباس و ابن مسعود أنه لما أخرج إبليس من الجنة و لعن و بقى آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه فخلقت حواء ليسكن إليها و روى أن الله تعالى ألقى على آدم النوم و أخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأه فسألها من أنت قالت امرأه قال لم خلقت قالت لتسكن إلى فقالت الملائكه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا و لم سميت حواء قال لأنها خلقت من حى فعنها قال الله تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» و قيل إنها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة ثم أدخلها معها الجنة و فى كتاب النبوه أن الله تعالى خلق آدم من الطين و خلق حواء من آدم فهمه الرجال الماء و الطين و همه النساء الرجال قال أهل التحقيق ليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون مما لا يتم الحى حيا إلا معه لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل إلى غيره أو يخلق منه حى آخر من حيث يؤدى إلى أن لا يمكن إيصال الثواب إلى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة بأجمعها و إنما سميت حواء لأنها خلقت من حى على ما ذكرناه قبل و قيل لأنها أم كل حى و اختلف فى الجنة التى أسكن فيها آدم فقال أبو هاشم هى جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد أكلها دائم و لا تكليف فيها و قال أبو مسلم هى جنة من جنان الدنيا فى الأرض و قال أن قوله «اهْبِطُوا مِنْهَا» لا يقتضى كونها فى السماء لأنه مثل قوله «اهْبِطُوا مِصْرًا» و استدل بعضهم على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس «هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك و لم يحتج إلى دلاله و قال أكثر المفسرين و الحسن البصرى و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و كثير من المعتزله كالجبائى و الرمانى و ابن الإخشيد إنها كانت جنة الخلد لأن الألف و اللام للتعريف و صارا كالعلم عليها قالوا و يجوز أن تكون وسوسه إبليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا و قال من يزعم أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك إنما يكون إذا استقر أهل الجنة فيها للثواب فأما قبل ذلك فإنها تفنى لقوله تعالى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» و قوله «وَ كَلَّا مِنْهَا رَعْدًا» أى كلا من الجنة كثيرا و اسعا لا عناء فيه «حَيْثُ شِئْتُمَا» من بقاع الجنة و قيل منها أى من ثمارها إلا ما استثناه

«وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» أى لا تأكلا منها و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

فمعناه لا تقرباها بالأكل و يدل عليه أن المخالفه وقعت بالأكل

بلا خلاف لا بالذنوب منها و لذلك قال فأكلا منها فبذت لهما سوآتهما و اختلف في هذا النهى فقليل أنه نهى التحريم و قيل أنه نهى التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق و هو قريب من مذهبنا فإن عندنا أن آدم كان مندوبا إلى ترك تناول من الشجره و كان بالتناول منها تاركا نفلا و فضلا و لم يكن فاعلا لقبيح فإن الأنبياء عليه السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها و لا- كبيرها و قالت المعتزله كان ذلك صغيره من آدم (عليه السلام) على اختلاف بينهم فى أنه وقع منه على سبيل العمد أو السهو أو التأويل و إنما قلنا أنه لا يجوز مواقعه الكبائر على الأنبياء عليه السلام من حيث إن القبيح يستحق فاعله به الذم و العقاب لأن المعاصى عندنا كلها كبائر و إنما تسمى صغيره بإضافتها إلى ما هو أكبر عقابا منها لأن الإحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه و إذا بطل ذلك فلا معصيه إلا و يستحق فاعلها الذم و العقاب و إذا كان الذم و العقاب منفيين عن الأنبياء عليه السلام و جب أن ينتفى عنهم سائر الذنوب و لأنه لو جاز عليهم شىء من ذلك لنفر عن قبول قولهم و المراد بالتنفير أن النفس إلى قبول قول من لا تجوز عليه شيئا من المعاصى أسكن منها إلى قول من يجوز عليه ذلك و لا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنه من الخلق المشوهه و الهيئات المستنكره و إذا صح ما ذكرناه علمنا أن مخالفه آدم (عليه السلام) لظاهر النهى كان على الوجه الذى بيناه و اختلف فى الشجره التى نهى عنها آدم فقليل هى السنبله عن ابن عباس و قيل هى الكرمه عن ابن مسعود و السدى و قيل هى التينه عن ابن جريج و قيل

هى شجره الكافور يروى عن على (عليه السلام)

و قيل هى شجره العلم علم الخير و الشر عن الكلبي و قيل هى شجره الخلد التى كانت تأكل منها الملائكه عن ابن جردان و قوله «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» أى تكونا بأكلها من الظالمين لأنفسكما و يجوز أن يقال لمن بخش نفسه الثواب أنه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن أيوب إني كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ حيث بخش نفسه الثواب بترك المندوب إليه و اختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق فى الجنة فجوز البصريون من أهل العدل ذلك قالوا يجوز أن ينعمهم الله فى الجنة مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لأن ذلك نعمه منه تعالى كما أن خلقهم و تعريضهم للثواب نعمه و قال أبو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفه أو لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد و كان يكون لا بد من دار أخرى يجازون فيها و يخلدون و إن كانوا غير متعبدين كانوا مهملين و ذلك غير جائز و جوابه أنه سبحانه لو ابتداء خلقهم فى الجنة لكان يضطرهم إلى المعرفه و يلجنهم إلى فعل الحسن و ترك القبيح و متى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدى إلى ما قاله و هذا كما يدخل الله الجنة

الأطفال و غير المكلفين لا على وجه الثواب.

البقره (٢): آيه ٣٦

اشاره

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)

القراءه

قرأ حمزه فأزالهما بالألف و الباقون «فَأَزَلَّهُمَا».

الإعراب

من قرأ أزالهما قال إن قوله «اسِيكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ» معناه اثبتا فثبتا فأزالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذى هو خلافه و حجه من قرأ «فَأَزَلَّهُمَا» أنه يحتمل تأويلين أحدهما كسبهما الزله و الآخر أزل من أزل أى عثر و يدل على الوجه الأول ما جاء فى التنزيل من قوله «ما نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِئِينَ وَ قَاتَمَهُمَا إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ» و قوله «فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ» الآيه و قد نسب كسب الشيطان الزله إلى الشيطان فى قوله «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ» و استزل و أزل بمعنى واحد و يدل على الوجه الثانى قوله «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» فكما أن خروج الإنسان عن الموضع الذى هو فيه انتقال منه إلى غيره كذلك عثاره و زلله.

اللغه

الزله و الخطيئه و المعصيه و السيئه بمعنى واحد و ضد الخطيئه الإصابه يقال زلت قدمه زلا و زل فى مقاتته زله و المزله المكان الدحض و المزله الزلل فى الدحض و أزلت إلى فلان نعمه أى أسديت و

فى الحديث من أزلت إليه نعمه فليشكرها

قال كثير:

و إني و إن صدت لمتن و صادق

عليها بما كانت إلينا أزلت

و الأصل فى ذلك الزوال و الزله زوال عن الحق و أزاله الشيطان إذا أزاله عن الحق و الهبوط و النزول و الوقوع نظائر و هو التحرك من علو إلى سفلى و يقال هبطته و أهبطته و الهبوط كالحذور و هو الموضع الذى يهبطك من أعلى إلى أسفل و قد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول فى المكان و النزول به قال الله تعالى اهْبِطُوا مِصْرًا و يقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال

زهير:

ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت

أيدي الركاب بهم من راكس فلقا

و العدو نقيض الولي و العداوه المصدر و أصله من المجاوزه و القرار الثبات و البقاء

ص: ١١٣

و ضد القرار الانزعاج و ضد الثبات الزوال و ضد البقاء الفناء و الاستقرار الكون أكثر من وقت واحد على حال و المستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار و يحتمل أن يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه و المتاع و التمتع و المتعه و التلذذ متقاربه المعنى و كل شىء تمتعت به فهو متاع و الحين و المده و الزمان متقارب و الحين فى غير هذا الموضع سته أشهر يدل عليه قوله تعالى «تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» و الحين يصلح للأوقات كلها إلا أنه فى الاستعمال فى الكثير منها أكثر.

المعنى

ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» أى حملهما على الزله نسب الإزلال إلى الشيطان لما وقع بدعائه و وسوسته و إغوائه «عَنْهَا» أى عن الجنة و ما كانا فيه من عظيم الرتبة و المنزله و الشيطان المراد به إبليس «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» من النعمه و الدعه و يحتمل أن يكون أراد إخراجهما من الجنة حتى اهبطا و يحتمل أن يكون أراد من الطاعه إلى المعصيه و أضاف الإخراج إليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفنى فلان عن هذا الأمر و لم يكن إخراجهما من الجنة و إهباطهما إلى الأرض على وجه العقوبه لأن الدليل قد دل على أن الأنبياء عليهم السلام لا تجوز عليهم القبائح على حال و من أجاز العقاب على الأنبياء فقد أساء عليهم الثناء و أعظم الفريه على الله سبحانه و تعالى و إذا صح ما قلناه فإنما أخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحه قد تغيرت بتناوله من الشجره فاقتضت الحكمه و التدبير الإلهى إهباطه إلى الأرض و ابتلاءه بالتكليف و المشقه و سلبه ما ألبسه إياه من ثياب الجنة لأن إنعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل و الامتنان فله أن يمنع ذلك تشديدا للبلوى و الامتحان كما له أن يفقر بعد الإغناء و يميت بعد الإحياء و يستقم بعد الصحه و يعقب المحنه بعد المحنه و يختلف فى كيفية وصول إبليس إلى آدم و حواء حتى وسوس إليهما و إبليس كان قد أخرج من الجنة حين أبى السجود و هما فى الجنة فقيل إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة و إبليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه و كان هذا قبل أن أهبط إلى الأرض و بعد أن أخرج من الجنة عن أبى على الجبائى و قيل أنه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه و فهماه منه و قيل أنه دخل فى فقم الحيه و خاطبهما من فقمها و الفقم جانب الشدق و قيل أنه راسلهما بالخطاب و ظاهر القرآن يدل على أنه شافهما بالخطاب و قوله «و قُلْنَا اهْبِطُوا» خاطب بخطاب الجمع و فيه وجوه (أحدها) أنه خاطب آدم و حواء و إبليس و هو اختيار الزجاج و قول جماعه من المفسرين و هذا غير منكر و أن إبليس قد

أخرج قبل ذلك بدلاله قوله فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ فجمع الخبر للنبي صلى الله عليه وآله لأنهم قد اجتمعوا فى الهبوط و إن كانت أوقاتهم متفرقة فيه كما يقال أخرج جميع من فى الحبس و إن أخرجوا متفرقين و الثانى أنه أراد آدم و حواء و الحيه و فى هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا- يفهم الخطاب لا يحسن و لأنه لم يتقدم للحيه ذكر و الكنايه عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس مثل قوله «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» و قوله «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ» و قول حاتم:

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرت يوماً و ضاق بها الصدر

(و الثالث) أنه أراد آدم و حواء و ذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذريه و يتعلق بهما (و الرابع) أن يكون الخطاب يختص بآدم و حواء عليهما السلام و خاطب الاثنين على الجمع على عاده العرب و ذلك لأن الاثنين أول الجمع قال الله تعالى «إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» أراد حكم داود و سليمان و قد تأول قوله تعالى «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» على معنى فإن كان له أخوان (و الخامس) آدم و حواء و الوسوسه عن الحسن و هذا ضعيف و قوله «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» يعنى آدم و ذريته و إبليس و ذريته و لم يكن من آدم إليه ما يوجب عداوته إياه و لكن حسده الملعون و خالفه فنشأت بينهما العداوه ثم إن عداوه آدم له إيمان و عداوه إبليس له كفر و قال الحسن يريد بنى آدم و بنى إبليس و ليس ذلك بأمر بل هو تحذير يعنى أن الله تعالى لا يأمر بالعداوه فالأمر مختص بالهبوط و المعاداه يجرى مجرى الحال لأن الظاهر يقتضى أنه أمرهما بالهبوط فى حال عداوه بعضهم بعضاً فأما على الوجه الذى يتضمن أن الخطاب يختص بآدم و حواء فالمراد به أن ذريتهما يعادى بعضهم بعضاً و علق الخطاب بهما للاختصاص بين الذريه و بين أصلها و قوله «وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» أى مقر و مقام و ثبوت بأن جعل الأرض قراراً لكم «وَ مَتَاعٌ» أى استمتاع «إِلَى حِينٍ» إلى وقت الموت و قيل إلى يوم القيامه و قيل إلى فناء الآجال أى كل امرئ مستقر إلى فناء أجله و قال أبو بكر السراج لو قال و لكم فى الأرض مستقر و متاع لظن أنه غير منقطع فقال «إِلَى حِينٍ» أى إلى حين انقطاعه و الفرق بين قول القائل أن هذا لكم حيناً و بين قوله «إِلَى حِينٍ» إلى أن يدل على الانتهاء و لا بد أن يكون له ابتداء و ليس كذلك الوجه الآخر و فى هذه الآيه دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصيه و لا يصد أحداً عن الطاعه و لا يخرجها عنها

ص: ١١٥

و لا يسبب المعصيه ذلك إلى الشيطان جل ربنا و تقدس عما نسبه إلى إبليس و الشياطين و يدل أيضا على أن لوسوسه إبليس تأثيرا فى المعاصى.

البقره (٢): آيه ٣٧

اشاره

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)

القراءه

قرأ ابن كثير آدم بالنصب و كلمات بالرفع و قرأ الباقون برفع «آدم» و نصب «كلمات».

الإعراب

حجه ابن كثير فى نصب آدم أنه فى المعنى كالقراءه الأخرى فإن الأفعال المتعديه على ثلاثه أضرب منها ما يجوز فيه أن يكون الفاعل له مفعولا به و المفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمروا و منها ما لا يجوز لك فيه نحو أكلت الخبز و نحوه و منها ما يكون إسناده إلى الفاعل فى المعنى كإسناده إلى المفعول به نحو نلت و أصبت و تلقيت تقول نالنى خير و نلت خيرا و أصابنى شىء و أصبت شيئا و تلقانى زيد و تلقيت زيدا و مثل هذه الآيه قوله تعالى «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و فى حرف عبد الله فيما قيل (لا ينال عهدى الظالمون).

اللغه

التلقى نظير التلقن يقال تلقيت منه أى أخذت و قبلت و أصله من لقيت خيرا فتعدى إلى مفعول واحد ثم يعدى إلى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا كقوله تعالى «وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» و مطاوعه تلقيته بالقبول أى قبلته منه و من ذلك قول أبى مهديه فى آيات من القرآن تلقيتها من عمى تلقاها من أبى هريره تلقاها من رسول الله و تلقيت الرجل استقبلته و تلقانى استقبلنى و كلمات جمع كلمه و الكلمه اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك و القليل قالوا قال امرؤ القيس فى كلمته يعنون فى قصيدته و قال قس فى كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير و قيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمه فوقعت على القليل من الاسم المفرد و الفعل المفرد و الحرف المفرد و أما الكلام فإن سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه الكلم و على هذا جاء التنزيل قال الله تعالى «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» يعنى به قوله تعالى «فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفِهِ مِنْهُمْ فَاستأذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا» ألا- ترى إلى قوله كَذَلِكَم قال الله مِنْ قَبْلِ يُقال كلمه تكليما و كلاما و تكلم تكلما و الكلم الجرح يقال كلمته أكلمه و أصل الباب التأثر و الكلم أثر دال على الجرح و الكلام أثر دال على المعنى الذى تحته و الذى حرره المتكلمون فى حد الكلام هو أنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقوله إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله الإفاده و قال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعه المتميزه لىتميز من

الكتابة التي ليست بمسموعه و يتميز من أصوات كثير من الطيور لأنها ليست بتميزه و ينقسم الكلام إلى مهمل و مستعمل و إنما أراد سيويه بقوله إن المهمل لا يكون كلاماً أنه لا يكون مفيداً إذ الكلام عنده لا يقع إلا على المفيد و به قال أبو القاسم البلخي و التوبه و الإقلاع و الإنابه في اللغة نظائر و ضد التوبه الإصرار و الله تعالى يوصف بالتوب و معناه أنه يقبل التوبه عن عباده و أصل التوبه الرجوع عما سلف و الندم على ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته و العبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته.

المعنى

قوله «فَتَلَقَى آدَمُ» أى قبل و أخذ و تناول على سبيل الطاعة «مِنْ رَبِّهِ» و رب كل شىء «كَلِمَاتٍ» و أغنى قوله «فَتَلَقَى» عن أن يقول فرغب إلى الله بهن أو سأله بحقهن لأن معنى التلقى يقيد ذلك و ينبئ عما حذف من الكلام اختصاراً و لهذا قال تعالى «فَتَابَ عَلَيْهِ» لأنه لا يتوب عليه إلا بأن سأل بتلك الكلمات و على قراءه من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقى القبول بل معناه أن الكلمات تداركته بالنجاه و الرحمة و اختلف فى الكلمات ما هى فقيل هى قوله رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا الْآيَةَ عَنِ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ وَ عَكْرَمَةَ وَ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ وَ أَنَّ فِي ذَلِكَ اعْتِرَافًا بِالْخَطِيئَةِ فَلِذَلِكَ وَقَعَتْ مَوْجِعَ النَّدَمِ وَ حَقِيقَتَهُ الْإِنَابَةَ وَ

قيل هى قوله (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إنى ظلمت نفسى فارحمنى إنك خير الراحمين) (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم) عن مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر الباقر

و قيل بل هى سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و قيل و هى

روايه تختص بأهل البيت عليهم السلام أن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمه مكرمه فسأل عنها فقيل له هذه أسماء أجل الخلق منزله عند الله تعالى و الأسماء محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم فى قبول توبته و رفع منزلته

قوله «فَتَابَ عَلَيْهِ» فيه حذف أى تاب آدم فتاب الله عليه أى قبل توبته و قيل تاب عليه أى وفقه للتوبه و هداه إليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» أى كثير القبول للتوبه يقبل مره بعد مره و هو فى صفة العباد الكثير التوبه و قيل إن معناه أنه يقبل التوبه و إن عظمت الذنوب فيسقط عقابها قوله «الرَّحِيمُ» إنما ذكره ليدل به على أنه متفضل بقبول التوبه و منعم به و أن ذلك ليس على وجه الوجوب و إنما قال فتاب عليه و لم يقل عليهما لأنه اختصر و حذف للإيجاز و التغليب كقوله سبحانه و تعالى «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» و معناه أن يرضوهما و قوله «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا

إليها» و كقول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه و والدى

بريا و من جول الطوى رمانى

و قال الآخر:

نحن بما عندنا و أنت بما

عندك راض و الرأى مختلف

فكذلك معنى الآيه فتاب عليهما و قال الحسن البصرى لم يخلق الله آدم إلا للأرض و لو لم يعص لأخرجه إلى الأرض على غير تلك الحال و قال غيره يجوز أن يكون خلقه للأرض إن عصى و لغيرها إن لم يعص و هو الأقوى.

[فصل مختصر فى التوبه و شروطها و الاختلاف فيها]

اعلم أن من شروط التوبه الندم على ما مضى من القبيح و العزم على أن لا- يعود إلى مثله فى القبح فإن هذه التوبه أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها و اختلفوا فيما عداها و كل معصيه لله تعالى فإنه يجب التوبه منها و الطاعه لا يصح التوبه منها و عندنا يصح التوبه إذا كانت من ترك الندب و يكون ذلك على وجه الرجوع إلى فعله و على هذا يحمل توبه الأنبياء عليه السلام فى جميع ما نطق به القرآن و قبول التوبه و إسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا و عند جميع المعتزله واجب و قد وعد الله تعالى بذلك و إن كان تفضلا و علمنا أنه لا يخلف الميعاد و أما التوبه من قبيح مع الإقامه على قبيح آخر يعلم أو يعتقد قبحه فعند أكثر المتكلمين هى صحيحه و عند أبى هاشم و أصحابه لا يصح و اعتمد الأولون على أن قالوا كما يجوز أن يمتنع عن قبيح لقبحه مع أنه يفعل قبيحا آخر و إن علم قبحه كذلك يجوز أن يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه و اختلفوا فى التوبه عند ظهور أشرط الساعه هل تصح أم لا فقال الحسن يحجب عنها عند الآيات الست و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و الدخان و دابه الأرض و خويصه أحدكم يعنى الموت و أمر العامه يعنى القيامه

و قيل لا شك أن التوبه عند بعض هذه الآيات تحجب و عند بعضها يجوز أن لا تحجب و الله أعلم.

ص: ١١٨

إشارة

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

القراءة

قرأ يعقوب فلا- خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقر بالرفع والتنوين و أجمعوا على إثبات الألف في «هُدَايَ» و تحريك الياء و روى عن الأعرج بسكون الياء و هو غلط إلا أن يكون نوى الوقف و روى بعضهم هدى و هى لغه هذيل يقلبون الألف إلى الياء للياء التى بعدها لأن شأن ياء الإضافه أن يكسر ما قبلها فجعل قلب الألف ياء بدل كسرها إذ الألف لا يتحرك فهو مثل على ولدى و قالوا هوى قال أبو ذؤيب:

سبقوا هوى و أعنقوا لسيلهم

فتخرموا و لكل جنب مضجع.

اللغة

الهبوط النزول من موضع عال إلى استفال و قد يستعمل فى هبوط المنزل قال لبيد:

كل بنى حره مصيرهم

قل و إن أكثروا من العدد

إن يغبطوا يهبطوا و إن أمروا

يوما فهم للفناء و الفند

و الإتيان و المجرى ء و الإقبال نظائر و نقيضه الذهاب و الانصراف و الاتباع و الاقتداء و الاحتذاء نظائر و التابع التالى و فى الحديث القاده و الأتباع فالقاده الساده و الأتباع الذين يتبعونهم و التبع ولد البقره و ثلاثه أتبعه و الجمع أتابع و التبع الظل و الخوف و الجزع و الفرع نظائر و نقيض الخوف الأمن و طريق مخوف يخافه الناس و مخيف يخيف الناس و الحزن و الغم و الهم نظائر و نقيضه السرور يقال حزن حزنا و حزنه حزنا و يقال حزنه و أحزنه و هو محزون و محزن و قال قوم لا يقولون حزنه الأمر و يقولون يحزنه فإذا صاروا إلى الماضى قالوا أحزنه و هذا شاذ نادر لأنه استعمل أحزن و أهمل يحزن و استعمل يحزن و أهمل حزن و أصل الباب غلظ الهم مأخوذ من الحزن و هو ما غلظ من الأرض.

الإعراب

إما هو أن الجزاء دخلت عليها "ما" ليصح دخول نون التأكيد في الفعل و لو أسقطت لم يجر دخول النون لأنها لا تدخل في
الخير الواجب إلا في القسم أو ما أشبه

ص: ١١٩

القسم كقولك زيد ليأتينك و لو قلت بغير لام لم يجز و كذلك تقول بعين ما أرينك و بجهد ما تبلغن و فى عضه ما يبتن شكيرها و لو قلت بعين أرينك بغير ما لم يجز فدخل ما هاهنا كدخل اللام فى أنها تؤكد أول الكلام و تؤكد النون آخره و الأمر و النهى و الاستفهام تدخل النون فيه و إن لم يكن معه ما إذ كان الأمر و النهى مما يشتد الحاجة إلى التوكيد فيه و الاستفهام مشبه به إذ كان معناه أخبرنى و النون إنما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى «لَا تَقُولَنَّ لِيْءِ إِنْى فاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا» قال الزجاج و إنما فتح ما قبل النون فى قوله «يَأْتِيَنَّكُمْ» لسكون الياء و سكون النون الأولى قال أبو على و لو كان كذلك لما حرك فى نحو هل تضربن و نحوه من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان فى هذا النحو و فى هذا ما يدل على أن هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين و جواب الشرط فى الفاء مع الشرط الثانى و جزائه لأن الشرط و جوابه بمنزله المبتدأ و الخبر فكما أن المبتدأ لا يتم إلا بخبره فكذلك الشرط لا يتم إلا بجزائه و لك أن تجعل خبر المبتدأ جملة هى مبتدأ و خبر كقولك زيد أبوه منطلق فكذلك أن التى للجزاء إذا كان جوابه بالفاء و وقع بعد الفاء الكلام مستأنفا صلح أن يكون جزاء و غير جزاء تقول إن تأتني فأنت مكرم و لك أن تقول أن تأتني فمن يكرمك أكرمه فقوله «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ» شرط و يأتينكم فى موضع الجزم بيان و جزاؤه الفاء و ما بعده من قوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ» الآيه و من فى موضع الرفع بالابتداء و تبع فى موضع الجزم بالشرط و جزاؤه الفاء و ما بعده و هو قوله «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» و لا خوف عليهم جملة اسميه «وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ» جملة اسميه معطوفه على الجملة التى قبلها و الفاء مع ما بعده فى موضع جزم بالجزاء لقوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ» و الشرط و الجزاء مع معنى حرف الشرط الذى تضمنته من فى موضع رفع بأنها خبر المبتدأ الذى هو من ثم الفاء و ما بعده من قوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ» الآيه فى موضع جزم بأنه جزاء لقوله «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ» و هذا فى المقدمات القياسيه يسمى الشرطيه المركبه و ذلك أن المقدم فيها إذا وجب وجب التالى المركب عليه.

المعنى

ثم بين تعالى إهباطهم إلى الأرض فقال «اهْبُطُوا» أى انزلوا و الخطاب لآدم و حواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم و اختلف فى تكرار الهبوط فقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء و هذا الهبوط من السماء إلى الأرض عن أبى على و قيل إنما كرر للتأكيد و قيل إنما كرر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله «وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» إن الإهباط إنما كان فى حال عداوه بعضهم لبعض و بين بقوله «قُلْنَا اهْبُطُوا

مِنْهَا جَمِيعاً فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» أن الإهباط إنما كان للابتلاء و التكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحباً و إن كان الذهاب واحداً لاختلاف الحالين «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» أى بيان و دلالة و قيل أنبياء و رسل و على هذا القول الأخير يكون الخطاب فى قوله اهبطوا لآدم و حواء و ذريتهما كقوله تعالى «فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» أى أتينا بما فينا من الخلق طائعين «فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ» أى اقتدى برسلى و احتذى أدلتى فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من العقاب و لا هم يحزنون على فوات الثواب فأما الخوف و الحزن فى الدنيا فإنه يجوز أن يلحقهم لأن من المعلوم أن المؤمنين لا ينفكون منه و فى هذه الآية دلالة على أن الهدى قد يثبت و لا اهتداء و أن الاهتداء إنما يقع بالاتباع و القبول.

البقره (٢): آيه ٣٩

إشارة

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)

اللغة

الكفر و التكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره و الآيات جمع آيه و معنى الآية فى اللغة العلامة و منه قوله تعالى «عِيداً لِأَوْلَانَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةٌ مِنْكَ» أى علامه لإجابتك دعاءنا و كل آيه من كتاب الله علامه و دلالة على المضمون فيها و قال أبو عبيده معنى الآية أنها علامه لانقطاع الكلام الذى قبلها و انقطاعه من الذى بعدها و قيل إن الآية القصه و الرساله قال كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آيه

أ يقظان قال القول إذ قال أم حلم

أى رساله فعلى هذا يكون معنى الآيات القصص أى قصه تتلو قصه و قال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً و على هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعه حروف داله على معنى مخصوص و الأصحاب جمع الصاحب و هو القرين و أصل الصحبه المقارنه فالصاحب هو الحاصل مع آخر مده لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن صاحباً له لكن يقال صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه.

الإعراب

موضع أولئك يحتمل ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون بدلا من الذين أو عطف بيان و أصحاب النار بيان عن أولئك مجراه مجرى الوصف و الخبر هم فيها خالدون و الثانى أن يكون ابتداء و خبراً فى موضع الخبر الأول و الثالث أن يكون على خبرين بمنزله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض فإن قيل فلم دخلت الفاء فى موضع آخر مثل قوله

«فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» و لم يدخل هاهنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خير الذى و أخواته مشبهه بالجزاء و ما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر و إذا قلت ما لى فهو لك أن أردت ما بمعنى الذى جاز و إن أردت به المال لم يجوز.

المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا» أى جحدوا «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى دلالاتنا و ما أنزلناه على الأنبياء ف «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى الملازمون للنار «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون و فى هذه الآية دلالة على أن من مات مصرا على كفره غير تائب منه و كذب بآيات ربه فهو مخلد فى نار جهنم و آيات الله دلائله و كتبه المنزله على رسله و الآية مثل الحججه و الدلاله و إن كان بينهما فرق فى الأصل يقال دلالة هذا الكلام كذا و لا يقال آيته و من استدل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قد يكون من الكفر بقوله «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» فقوله يفسد بأن التكذيب نفسه و إن لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع إلا من كافر كالسجود للشمس و غيره.

البقره (٢): آيه ٤٠

اشاره

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)

القراءه

القراءه المشهوره «إِسْرَائِيلَ» مهموز ممدود مشبع و هو الفصيح و روى فى الشواذ عن الحسن و الزهرى إسرائيل بلا همز و لا مد و عن الأعمش و عيسى بن عمر كذلك و حكى عن الأخفش إسرائيل بكسر الهمزه من غير ياء و حكى قطرب إسراى من غير همز و لا ياء و إسريين بالنون قال أبو على

اللغه

الابن و الولد و النسل و الذريه متقاربه المعانى إلا أن الابن للذكر و الولد يقع على الذكر و الأنثى و النسل و الذريه يقع على جميع ذلك و أصله من البناء و هو وضع الشىء على الشىء فالابن مبنى على الأب لأن الأب أصل و الابن فرع و البنوه مصدر الابن و إن كان من الياء كالفته مصدر الفتى و تثنيته فتيان و إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و قيل أصله مضاف لأن إسر معناه عبد و ئيل هو الله بالعبرانيه فصار مثل عبد الله و كذلك جبرائيل و ميكائيل و الذكر الحفظ للشىء بذكره و ضده النسيان و الذكر جرى الشىء على لسانك و الذكر الشرف فى قوله «وَإِنَّهُ لَكِدُّكَّرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ» و الذكر الكتاب الذى فيه تفصيل الدين و كل كتاب من كتب الأنبياء ذكر و الذكر الصلاه و الدعاء و

فى الأثر كانت الأنبياء إذا أحزنهم أمر فزعوا إلى الذكر

أى إلى الصلاه و أصل الباب التنبيه على الشىء قال صاحب العين تقول وفيت بعهدك وفاء و أوفيت لغه تهامه قال الشاعر فى الجمع بين اللغتين:

أما ابن عوف فقد أوفى بدمته

كما وفي بقلاص النجر حاديها

يعنى به الدبران و هو التالى و العهد الوصيه و الرهبه الخوف و ضدها الرغبه و فى المثل رهبوت خير من رحموت أى لأن ترهب خير من أن ترحم.

الإعراب

يا حرف النداء و هى فى موضع نصب لأنه منادى مضاف و إسرائيل فى موضع جر لأنه مضاف إليه و فتح لأنه غير منصرف و فيه سيبان العجمه و التعريف و قوله «وَإِيَّائِى» ضمير منصوب و لا يجوز أن يكون منصوبا بقوله «فَارْهَبُونَ» لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول إن زيدا فى قولك زيدا فاضربه منصوب باضربه و لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور فى اللفظ و تقديره و إياى ارهبوا فارهبون و لا- يظهر ذلك لأنه استغنى عنه بما يفسره و إن صح تقديره و لا يجوز فى مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون إلا

ص: ١٢٢

على تقدير محذوف كما أنشد سيبويه:

وقائله خولان فانكح فتاتهم

وأكرومه الحيين خلو كما هيا

تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم و على ذلك حمل قوله تعالى «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» و «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» و تقديره و فيما يتلى عليكم السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما و فيما فرض عليكم الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما.

المعنى

لما عم الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيدِهِ و ذكرهم ما أنعم به عليهم فى أبيهم آدم عليه السلام خص بنى إسرائيل بالحجج و ذكرهم ما أسدى إليهم و إلى آبائهم من النعم فقال «يا بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى يا بنى يعقوب نسبهم إلى الأب الأعلى كما قال يا بَنِي آدَمَ و الخطاب لليهود و النصارى و قيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينه و ما حولها عن ابن عباس «اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» أراد بذلك النعم التي أنعم بها على أسلافهم من كثره الأنبياء فيهم و الكتب و إنجائهم من فرعون و من الغرق على أعجب الوجوه و إنزال المن و السلوى عليهم و كون الملك فيهم فى زمن سليمان عليه السلام و غير ذلك و عد النعمه على آبائهم نعمه عليهم لأن الأولاد يتشرفون بفضيله الآباء و هذا كما يقال فى المفاخره قتلناكم يوم الفخار و هزمناكم يوم ذى قار و غلبناكم يوم النصار و ذكر النعمه بلفظ الواحد و المراد بها الجنس كقوله تعالى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» و الواحد لا يمكن عده و قيل المراد بها النعم الواصله إليهم مما اختصاصوا به دون آبائهم و اشتركوا فيه مع آبائهم فكان نعمه على الجميع فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم و من ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيدِهِ و الوصول إلى معرفته فيشكروا نعمه و يستحقوا ثوابه و من ذلك ما يوصل إليهم حالا بعد حال من الرزق و يدفع عنهم من المكاره و الأسواء و ما يسبغ عليهم من نعم الدين و الدنيا فعلى القول الأول تكون الآية تذكيرا بالنعم عليهم فى أسلافهم و على القول الثانى تكون تذكيرا بالمنعم عليهم، و من النعم على أسلافهم ما ذكره فى قوله «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَ جَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» و قال ابن الأنبارى أراد اذكروا ما أنعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراه و بينت لكم من صفه محمد صلى الله عليه و آله و ألزمتكم من تصديقه و اتباعه فلما بعث و لم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمه و قوله «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ» قيل فيه

وجوه (أحدها) أن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم في التوراه أنه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له أجران اثنان أجر باتباعه موسى و إيمانه بالتوراه و أجر باتباعه محمدا و إيمانه بالقرآن من كفر به تكاملت أوزاره و كانت النار جزاءه فقال «أَوْفُوا بِعَهْدِي» في محمد «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ» أدخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به إليهم في الكتاب السابق و قيل إنما جعله عهدا لتأكيد به منزلته العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ» (و ثانيها) أنه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» أى بجد «وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ» أى ما فى الكتاب عن الحسن (و ثالثها) أنه ما عهد إليهم فى سورة المائدة حيث قال «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي» الآية عن قتاده (و رابعها) أنه أراد جميع الأوامر و النوامى (و خامسها) أنه جعل تعريفه إياهم نعمه عهدا عليهم و ميثاقا لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد و الميثاق الذى يؤخذ عليهم و الأول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين و به يشهد القرآن و قوله «وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ» أى خافونى فى نقض العهد و فى هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة و

فى الحديث التحدث بالنعم شكر

و فيها دلالة على عظم المعصية فى جحود النعم و كفرانها و لحوق الوعيد الشديد بكتمانها و يدل أيضا على ثبوت أفعال العباد إذ لو لم تكن لهم أفعال لما صح العهد و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و لأدى إلى بطلان الرسل و الكتب ..

البقره (٢): آيه ٤١

إشارة

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)

اللغة

قوله «أَوَّلَ كَافِرٍ» قال الزجاج يعنى أول الكافرين و فيه قولان قال الأخفش معناه أول من كفر به و قال غيره من البصريين معناه أول فريق كافر به أى بالنبي صلى الله عليه و آله و قال و كلا القولين صواب حسن و نظير قوله «أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» قال الشاعر:

و إذا هم طعموا فالأم طاعم

و إذا هم جاعوا فشر جياع

و الثمن و العوض و البدل نظائر و بينها فروق فالثمن هو البدل فى البيع من العين أو الورق و إذا استعمل فى غيرهما كان مشبها بهما و مجازا و العوض هو البدل الذى ينتفع به

كائنا ما كان و البديل هو الشىء الذى يجعل مكان غيره و ثوب ثمين كثير الثمن و الثمين الثمن و الفرق بين الثمن و قيمه أن الثمن قد يكون وفقا و قد يكون بخسا و قد يكون زائدا و قيمه لا تكون إلا مساويه المقدار للثمن من غير نقصان و لا زياده.

الإعراب

مصدقا نصب لأنه حال من الهاء المحذوفه من أنزلت كأنه قال أنزلته مصدقا و يصلح أن ينتصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصدقا و معكم صلة لما و العامل فيه الاستقرار أى الذى استقر معكم و الهاء فى به عائد إلى ما فى قوله «بِمَا أُنزِلَتْ» إلى ما فى قوله «لِمَا مَعَكُمْ» و نصب «أَوَّلَ كَافِرٍ» لأنه خبر كان.

المعنى

ثم قال مخاطبا لليهود «وَ آمِنُوا» أى صدقوا «بِمَا أُنزِلَتْ» على محمد صلى الله عليه و آله من القرآن لأنه منزل من السماء إلى الأرض «مُصَيِّدًا لِمَا مَعَكُمْ» من التوراه أمرهم بالتصديق بالقرآن و أخبرهم أن فى تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراه لأن الذى فى القرآن من الأمر بالإقرار بالنبوه لمحمد صلى الله عليه و آله و تصديقه نظير الذى فى التوراه و الإنجيل فإن فيهما البشاره بمحمد و بيان صفته فالقرآن مصدق لهما و قيل معناه أنه يصدق بالتوراه و الإنجيل فإن فيهما البشاره بمحمد و بيان صفته فالقرآن مصدق لهما و قيل معناه أنه يصدق بالتوراه لأن فيه الدلاله على أنه حق و أنه من عند الله و الأول أوجه لأنه يكون حجه عليهم بأن جاء القرآن بالصفه التى تقدمت بها بشاره موسى و عيسى عليه السلام و قوله «وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» أى بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشا قد كانت قد كفرت به بمكة قبل اليهود و قيل المعنى و لا تكونوا السابقين إلى الكفر به فيتبعكم الناس أى لا- تكونوا أئمه فى الكفر به عن أبى العالیه و قيل المعنى و لا تكونوا أول جاحدين صفه النبى فى كتابكم فعلى هذا تعود الهاء فى به إلى النبى صلى الله عليه و آله عن ابن جريج و قيل المعنى و لا تكونوا أول كافر بما معكم من كتابكم لأنكم إذا جحدتم ما فيه من صفه النبى صلى الله عليه و آله فقد كفرتم به قال الزجاج و قواه بأن الخطاب وقع على علماء أهل الكتاب فإذا كفروا كفر معهم الأتباع فلذلك قيل لهم «وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» قال و لو كان الهاء فى به للقرآن فلا فائده فيه لأنهم كانوا يظهرون أنهم كافرون بالقرآن و قال على بن عيسى يحتمل أن يكون أول كافر بالقرآن أنه حق فى كتابكم و إنما عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمه لهم و قدوه فى الضلاله كانت ضلالتهم أعظم نحو ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله من سن سنة حسنه فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامه و من سن سنة سيئه كان عليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامه

و ليس فى نهيه عن أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه

يجوز أن يكونوا آخر كافر لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال و خص أولا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

من أناس ليس في أخلاقهم

عاجل الفحش ولا سوء الجزع

و ليس يريد أن فيهم فحشا آجلا و قوله «وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا»

روى عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان حيي بن أخطب و كعب بن الأشرف و آخرون من اليهود لهم مأكله على اليهود في كل سنه فكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه و آله فحرفوا لذلك آيات من التوراه فيها صفته و ذكره فذلك الثمن الذي أريد في الآية

قال الفراء إنما أدخل الباء في الآيات دون الثمن في سورة يوسف أدخله في الثمن في قوله «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» لأن العروض كلها أنت مخير فيها إن شئت قلت اشترت الثوب بكساء و إن شئت قلت اشترت بالثوب كساء أيهما جعلت ثنا لصاحبه جاز فإذا جئت إلى الدراهم و الدينانير وضعت الباء في الثمن كقوله «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ» لأن الدراهم ثمن أبدا و المعنى لا- تستبدلوا بآياتي أي بما في التوراه من بيان صفه محمد و نعتة ثنا قليلا أي عرضا يسيرا من الدنيا «وَأَيَّاءَ فَاتَّقُونَ» فإخشوني في أمر محمد صلى الله عليه و آله لا- ما يفوتكم من المأكل و الرئاسه و تقييده الثمن بالقله لا يدل على أنه إذا كان كثيرا يجوز شراؤه به لأن المقصود أن أي شىء باعوا به آيات الله كان قليلا و أنه لا يجوز أن يكون ثمن يساويه كقوله «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و إنما أراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال و أنه لا يجوز أن يكون عليه برهان و مثله قوله «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ» و إنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق و نظائر ذلك كثيره و منه قول امرئ القيس:

على لأحب لا يهتدى بمناره

إذا سافه العود الدياتى جرجرا

و إنما أراد أنه لا منار هناك فيهتدى به و في هذه الآية دلالة على تحريم أخذ الرشى في الدين لأنه لا يخلو إما أن يكون أمرا يجب إظهاره أو يحرم إظهاره فالأخذ على مخالفه كلا الوجهين حرام و هذا الخطاب يتوجه أيضا على علماء السوء من هذه الأمة إذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات و القضايا و الفتاوى و غير ذلك.

البقره (٢): آيه ٤٢

اشاره

وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)

اللبس و التغطية و التعمية نظائر و الفرق بين التغطية و التعمية أن التغطية تكون بالزيادة و التعمية قد تكون بالنقصان و الزيادة و ضد اللبس الإيضاح و اللباس ما وارت به جسدك و لباس التقوى الحياء و اللبس خلط الأمور بعضها ببعض و الفعل لبس الأمر يلبس لبسا و لبس الثوب يلبسه لبسا و الفرق بين اللبس و الإخفاء أن الإخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى و لا يمكن مع اللبس إدراك المعنى و الإشكال قد يدرك معه المعنى إلا أنه بصعوبة لأجل التعقيد و

قال أمير المؤمنين عليه السلام للحرث بن حوط يا حار إنه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله

و الباطل و البطل واحد و هو ضد الحق و البطلان و الفساد و الكذب و الزور و البهتان نظائر و أبطلت الشيء جعلته باطلا و أبطل الرجل جاء بباطل.

الإعراب

قوله «و تَكْتُمُوا الْحَقَّ» يحتمل وجهين من الإعراب أحدهما الجزم على النهي كأنه قال لا تلبسوا الحق و لا تكتنموا فيكون عطف جملة على جملة و الآخر النصب على الظرف بإضمار أن فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذى قبله و تقديره لا يكن منكم لبس الحق و كتمانها و دل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب كان شرا له فكذب يدل على الكذب فكأنه قال من كذب كان الكذب شرا قال الشاعر فى مثله

لا تنه عن خلق و تأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

أى لا تجمع بين النهي عن خلق و الإتيان بمثله.

المعنى

«لا تَلْبِسُوا» أى لا و تخلصوا «الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» و معنى لبسهم الحق بالباطل أنهم آمنوا ببعض الكتاب و كفروا ببعض لأنهم جحدوا صفة النبى صلى الله عليه و آله فذلك الباطل و أقروا بغيره مما فى الكتاب و قيل معناه لا تحرفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل و تركهم ما فى الكتاب على ما هو به هو الحق و قال ابن عباس لا تخلصوا الصدق بالكذب و قيل الحق التوراه التى أنزلها الله على موسى و الباطل ما كتبه بأيديهم و قيل الحق إقرارهم أن محمدا مبعوث إلى غيرهم و الباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم و قوله «و تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى لا تكتنموا صفة النبى صلى الله عليه و آله فى التوراه و أنتم تعلمون أنه حق و الخطاب متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب كما وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتليس على أتباعهم و هذا تقييح لما يفعلونه أى يجحدون ما يعلمون و جحد العالم أعظم من جحد الجاهل و قيل معناه و أنتم تعلمون البعث و الجزاء و قيل معناه و أنتم تعلمون ما أنزل بنى إسرائيل و ما سينزل بمن كذب على الله تعالى و قيل معناه و أنتم

تعلمون ما نزل بينى إسرائيل من المسخ و غيره فإن قيل كيف يجوز أن يكون هؤلاء عارفين بنبوه محمد و ذلك مبنى على معرفه الله و عندكم أن من عرف الله لا- يجوز أن يكفر و هؤلاء صاروا كفارا و ماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب إنما يستحق بأن ينظروا من الوجه الذى يستحق به الثواب فإذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين بالله و التوراه و بصفات النبى صلى الله عليه و آله و إن لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع أن يكفروا و قال بعض أصحابنا استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاه فإذا لم يوافقوا بالإيمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين و إن لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر و المعتمد الأول.

البقره (٢): آيه ٤٣

إشاره

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

اللغه

أصل الصلاه عند أكثر أهل اللغه الدعاء على ما ذكرناه قبل و منه قول الأعشى:

تقول بنتى و قد قربت مرتحلا

يا رب جنب أبى الأوصاب و الوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى

نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

أى دعوت و قيل أصلها اللزوم من قول الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله

و إنى لحرها اليوم صال

أى ملازم لحرها فكان معنى الصلاه ملازمه العباده على الحد الذى أمر الله تعالى به و قيل أصلها من الصلا و هو عظم العجز لرفعه فى الركوع و السجود و منه قول النابغه:

قَاب مصلوه بعين جليه

و غودر بالجولان حزم و نائل

أى الذين جاءوا فى صلا السابق و على القول الأول أكثر العلماء و قد بينا معنى إقامه الصلاه فيما مضى و الزكاه و النماء و الزيادة
نظائر فى اللغه و قال صاحب العين الزكاه زكاه المال و هو تطهيره و زكا الزرع و غيره يزكو زكاه ممدودا أى نما و ازداد و هذا
لا يزكو بفلان أى لا يليق به و الزكا الشفع و الخسا الوتر و أصله تثير المال بالبركه التى يجعلها الله فيه

ص: ١٢٨

و الركوع و الانحناء و الانخفاض نظائر فى اللغة قال ابن دريد الراكع الذى يكبو على وجهه و منه الركوع فى الصلاة قال الشاعر:

و أفلت حاجب فوق العوالى

على شقاء تركع فى الطراب

و قال صاحب العين كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راع قال الشاعر:

و لكنى أنص العيس تدمى

أياطلها و تركع بالحزون

و قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التى مضت

أدب كأنى كلما قمت راع

و قيل أنه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر:

لا تهين الفقير عليك أن

تركع يوما و الدهر قد رفعه

و الأول أقوى و إنما يستعمل فى الخضوع مجازا و توسعا.

المعنى

«وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بأركانها و حدودها و شرائطها كما بينها النبى صلى الله عليه و آله «وَ آتُوا الزَّكَاةَ» أى أعطوا ما فرض الله عليكم فى أموالكم على ما بينه الرسول لكم و هذا حكم جميع ما ورد فى القرآن مجملا- فإن بيانه يكون موكولا إلى النبى صلى الله عليه و آله كما قال سبحانه و تعالى: «وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فلذلك أمرهم بالصلاة و الزكاة على طريق الإجمال و أحال فى التفصيل على بيانه و قوله «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» إنما خص الركوع بالذكر و هو من أفعال الصلاة بعد قوله «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» لأحد وجوه. (أحدها) أن الخطاب لليهود و لم يكن فى صلاتهم ركوع و كان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس (و ثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعى أى صلاتى و إنما قيل ذلك لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التى يستدل بها على أن الإنسان يصلى فكأنه كرر ذكر الصلاة تأكيدا عن أبى مسلم و يمكن أن يكون فيه فائدة تزيد على التأكيد و هو أن قوله «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» إنما يفيد وجوب إقامتها

و يحتمل أن يكون إشاره إلى صلاتهم التي يعرفونها و أن يكون الصلاة إشاره إلى الصلاة الشرعيه و قوله «وَأَزْكُوا مَعَ الرَّائِعِينَ» يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصا بالصلاه المتقرره فى الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا (و ثالثها) أنه حث على صلاه الجماعه لتقدم ذكر الصلاة فى أول الآيه.

البقره (٢): آيه ٤٤

اشاره

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)

اللغه

البر فى اللغه و الإحسان و الصله نظائر يقال فلان بار وصول محسن و ضد البر العقوق و رجل بر و بار و بر صدقت و بر حجه و بر لغتان و قولهم فلان لا يعرف الهر من البر قال الأخفش معناه لا يعرف من يهر عليه ممن يبره و قال المازنى الهر السنور و البر الفأره أو دويبه تشبهها و الفرق بين البر و الخير أن البر يدل على قصد و الخير قد يقع على وجه السهو و النسيان و السهو و الغفله نظائر و ضد النسيان الذكر و حقيقته غروب الشىء عن النفس بعد حضوره و هو عدم علم ضرورى من فعل الله تعالى و السهو قد يقع عما كان الإنسان عالما به و عما لم يكن عالما به و قد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى تركوا ذكر الله فخذلهم و التلاوه القراءه تلا يتلو تلاوه أى قرأ و تلا يتلو تلاوا أى تبع و أصل التلاوه منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضا و الفرق بين التلاوه و القراءه أن أصل القراءه جمع الحروف و أصل التلاوه اتباع الحروف و العقل و الفهم و المعرفه و اللب نظائر و رجل عاقل فهم لبيب ذو معرفه و ضد العقل الحمق يقال عقل الشىء عقلا و أعقله غيره و قيل لابن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول و لسان سئول و قال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل إذا علم و عقل المريض بعد أن أهجر و عقل المعتوه و نحوه و العقال الرباط يقال عقلت البعير أعقله عقلا- إذا شددت يده بالعقال و العقل مجموع علوم لأجلها يمتنع الحى من كثير من المقبحات و يفعل كثيرا من الواجبات و إنما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن القبيح و قيل لأنها تعقل العلوم المكتسبه و لا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شىء عن فعل القبيح و إنما لا يختاره لعلمه بقبحه و بأنه غنى عنه و لأنه لا يكتسب علما بشىء فيثبت بعض علومه ببعض و قال على بن عيسى العقل هو العلم الذى يزجر عن قبيح الفعل و من كان زاجره أقوى فهو أعقل و قيل العقل معرفه يفصل بها بين القبيح و الحسن فى الجملة و قيل هو التمييز الذى له فارق الإنسان جميع الحيوان و هذه العبارات قريبه معانى بعضها من بعض و الفرق بين العقل

و العلم أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم و لا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فإن قيل إذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز أن يستشهد به قلنا أن الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه أ لا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل حتى أن بعضهم قال معرفه و بعضهم قال قوه لا توجب الاختلاف في أن المائه أكثر من واحد و أن الكل أعظم من الجزء و غير ذلك من قضايا العقول.

المعنى

هذه الآيه خطاب لعلماء اليهود و كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين أثبتوا على ما أنتم عليه و لا يؤمنون هم و الألف للاستفهام و معناه التوبيخ و المراد بالبر الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و يخبرهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و ترك أنفسهم عن ذلك قال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله إذا بعث فلما بعث كفروا به و روى عن ابن عباس أن المراد أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتوراه و تركوا هم التمسك به لأن جحدهم النبي صلى الله عليه و آله و صفته فيه ترك للتمسك به و عن قتاده كانوا يأمرون الناس بطاعه الله و هم يخالفونه و

روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله مررت ليله أسرى بى على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم

و قال بعضهم أ تأمرون الناس بالصدقه و تتركونها أنتم و إذا أتتكم الضعفاء بالصدقه لتفرقوها على المساكين ختمت فيها و قوله «وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ» معناه و أنتم تقرأون التوراه و فيها صفته و نعته عن ابن عباس و قوله «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أ فلا تفقهون أن ما تفعلونه قبيح فى العقول و عن أبى مسلم أن معناه هذا ليس بفعل من يعقل و قيل معناه أ فلا تعلمون أن الله يعذبكم و يعاقبكم على ذلك و قيل أ فلا تعلمون أن ما فى التوراه حق فتصدقوا محمدا و تتبعوه فإن قيل إن كان فعل البر واجبا و الأمر به واجبا فلما ذا يخبرهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يخبرهم الله على الأمر بالبر و إنما يخبرهم على ترك فعل البر المضموم إلى الأمر بالبر لأن ترك البر ممن يأمر به أقبح من تركه ممن لا يأمر به فهو كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

و معلوم أنه لم يرد به النهى عن الخلق المذموم و إنما أراد النهى عن إتيان مثله.

البقره (٢): آيه ٤٥

إشاره

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)

الصبر منع النفس عن محابها و كفها عن هواها و منه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع و منه

جاء فى الحديث و هو شهر الصبر

لشهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه و يكفها عما يفسد الصيام و قتل فلان صبوا و هو أن ينصب للقتل و يحبس عليه حتى يقتل و كل من حبسته لقتل أو يمين يقال فيه قتل صبر و يمين صبر و صبرته أى حلفته بالله جهد القسم و

فى الحديث اقتلوا القاتل و اصبروا الصابر

و ذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل و حبس الممسك و الخشوع و الخضوع و التذلل و الإخبات نظائر و ضد الخشوع الاستكبار و خشع الرجل إذا رمى ببصره إلى الأرض و اختشع إذا طأطأ رأسه كالمتواضع و الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع فى البدن و الإقرار بالاستخدام و الخشوع فى الصوت و البصر قال سبحانه خاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ و خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ أى سكنت و أصل الباء من اللين و السهولة و الخاشع و المتواضع و المتذلل و المستكين بمعنى قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة و الجبال الخشع

الإعراب

قوله «وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» اللام تدخل فى خبر إن و لا- تدخل فى خبر أخواتها لأنها لام التأكيد فهى شبيهه بأن فى أنها تدخل على المبتدأ و خبره كما تدخل إن و تدخل بمعنى القسم كما تدخل إن تقول و الله لتخرجن كما تقول و الله إنك خارج فإذا كان بينهما هذه المجانسه فإذا دخلت على أن فى نحو لأنها كبيره كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين فى المعنى فأخر اللام إلى الخبر ليفصل بين اللام و بين إن بالاسم نحو «إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» فأما سائر أخوات إن فمتى تركب مع المبتدأ و خبره خرج المبتدأ من صورته المبتدأ و يصير قسما آخر فلا يدخل اللام عليه و إذا لم يدخل عليه كان بالحرى أن لا يدخل على خبره.

النزول

قال الجبائى أنه خطاب للمسلمين دون أهل الكتاب و قال الرماني و غيره هو خطاب لأهل الكتاب و يتناول المؤمنين على وجه التأديب و الأولى أن يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص و يؤيد قول من قال أنه خطاب لأهل الكتاب إن ما قبل الآيه و ما بعدها خطاب لهم.

المعنى

من قال أنه خطاب لليهود قال إن حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن

اتباع النبي صلى الله عليه وآله لأنهم خافوا زوال الرياسة إذا تبعوه فأمرهم الله تعالى فقال:

«وَاسْتَعِينُوا» على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه من طاعتى و اتباع أمرى و ترك ما نهيتكم عنه و التسليم لأمرى و اتباع رسولى محمد صلى الله عليه وآله بالصبر على ما أتم فيه من ضيق المعاش الذى تأخذون الأموال من عوامكم بسببه و

روى عن أئمتنا عليه السلام أن المراد بالصبر الصوم

فيكون فائده الاستعانه به أنه يذهب بالشره و هوى النفس كما

قال ص: الصوم وجاء

و فائده الاستعانه بالصلاه أنه يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى و بزهد فى الدنيا و حب الرياسه كما قال سبحانه «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» و لأنها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسه و كان النبي صلى الله عليه وآله إذا حزنه أمر استعان بالصلاه و الصوم و من قال أنه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تنجز ما وعدته لمن اتبع النبي صلى الله عليه وآله أو على مشقه التكليف بالصبر أى بحبس النفس على الطاعات و حبسها عن المعاصى و الشهوات و بالصلاه لما فيها من تلاوه القرآن و التدبير لمعانيه و الاعتاظ بمواعظه و الائتمار بأوامره و الانزجار عن نواهيه و وجه آخر أنه ليس فى أفعال القلوب أعظم من الصبر و لا فى أفعال الجوارح أعظم من الصلاه فأمر بالاستعانه بهما و

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها أ ما سمعت الله تعالى يقول: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»

و قوله تعالى: «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» قيل فى الضمير فى و إنها وجوه (أحدهما) أنها عائد إلى الصلاه لأنها الأغلب و الأفضل و هو قول أكثر المفسرين و على هذا ففى عود الضمير إلى واحد و قد تقدم ذكر اثنين قولان. (أحدهما) أن المراد به الصلاه دون غيرها و خصها بالذكر لقربها منه و لأنها الأهم و الأفضل و لتأكيد حالها و تفخيم شأنها و عموم فرضها (و الآخر) أن المراد الاثنان و إن كان اللفظ واحدا و يشهد لذلك قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا» «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» و قول الشاعر:

إن شرح الشباب و الشعر الأسود

ما لم يعاص كان جنونا

و لم يقل يعاصيا و قول الآخر:

ص: ١٣٣

فمن يك أمسى بالمدينه رحله

فإني و قيارا بها لغريب

و يروى و قيار و قول آخر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك

راض و الرأى مختلف

و قول الآخر:

أما الوسامه أو حسن النساء فقد

أتيت منه أو أن العقل محتتك

و نحو ذا كثير فى الكلام (و ثانيها) أنه عائد إلى الاستعانه يعنى أن الاستعانه بهما لكبيره و قوله «اشْتَعَيْنَا» يدل على الاستعانه و مثله قول الشاعر:

إذا نهى السفیه جرى إليه

و خالف و السفیه إلى خلاف

أى جرى إلى السفه و دل السفیه على السفه (و ثالثها) أن الضمير عائد إلى محذوف و هو الإجابة للنبي صلى الله عليه و آله عن الأسم أو مؤاخذه النفس بهما أو تأديه ما تقدم أو تأديه الصلاه و ضروب الصبر عن المعاصى أو هذه الخطيئه عن أبى مسلم و هذه الوجوه الأخيره كلها ضعيفه لأنها لم يجر لها ذكر و قوله «لَكَبِيرَةٌ» أى لثقله عن الحسن و غيره و الأصل فيه أن كل ما يكبر يثقل على الإنسان حملة فيقال لكل ما يصعب على النفس و إن لم يكن من جهه الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك و قوله: «إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» أى على المتواضعين لله تعالى فإنهم قد وطنوا أنفسهم على فعلها و عودوها إياها فلا يثقل عليهم و أيضا فإن المتواضع لا يبالى بزوال الرياسه إذا حصل له الإيمان و قال مجاهد أراد بالخشعين المؤمنين فإنهم إذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما أن الإنسان يتجرع مراره الدواء لما يرجو به من نيل الشفاء و قال الحسن أراد بالخشعين الخائفين.

البقره (٢): آيه ٤٦

اشاره

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)

الظن المذكور فى الآيه بمعنى العلم و اليقين كما قال دريد بن الصمه:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج

سراتهم فى الفارسى المسرد

ص: ١٣٤

و قال أبو داود:

رب هم فرجته بعزيم

و غيوب كسفتها بظنون

و قال المبرد ليس من كلام العرب أظن عند زيد مالا بمعنى أعلم لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن و قد أفصح عن ذلك أوس بن حجر فى قوله:

الألمعى الذى يظن بك الظن

كان قد رأى و قد سمعا

و قال آخر:

فإلا يأتكم خبر يقين

فإن الظن ينقص أو يزيد

و قال بعض المحققين أصل الظن ما يجول فى النفس من الخاطر الذى يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشىء و يؤول جميع ما فى القرآن من الظن بمعنى العلم على هذا و الظن و الشك و التجويز نظائر إلا أن الظن فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر و حده ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه فبالجواز يفصل من العلم و بالقوه يفصل من الشك و التقليد و غير ذلك و هو من جنس الاعتقاد عند أبى هاشم و جنس برأسه سوى الاعتقاد عند أبى على و القاضى و إليه ذهب المرتضى قدس الله روحه و ضد الظن اليقين و الظنين المتهم و مصدره الظنه و الظنون الرجل السىء الظن بكل أحد و الظنون البئر التى يظن أن بها ماء و لا يكون و مظهره الرجل حيث يألفه و يكون فيه و أصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الخطان إذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان إذا تحاذيا و لم يتلاصقا و يقال رجع الرجل و رجعتة أنا لازم و متعد و أصل الرجوع العود إلى الحال الأولى.

الإعراب

«الَّذِينَ يَظُنُّونَ» فى موضع الجر صفه للخاشعين و أنهم بفتح الألف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى أنه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له و أن المفتوحة الهمزة يكون مع الاسم و الخبر فى تأويل اسم مفرد و هاهنا قد سد مسد مفعولى يظن و يكون المفعول الثانى مستغنى عنه مختزلا من الكلام غير مضممر كما أن الفاعل فى أ قائم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام و الاستغناء به عنه و هذا القول هو المختار عند أبى على و فيه قول آخر و هو أن مع الاسم و الخبر فى موضع المفعول الأول

و المفعول الثانى مضمّر محذوف لعلم المخاطب به فكأنه قال الذين يظنون ملاقاه ربهم واقعه و حذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين و المعنى على إثباتها فإن المضاف إليه هنا و إن كان مجرورا فى اللفظ فهو منصوب فى المعنى فهى إضافه لفظيه غير حقيقيه و مثله قوله «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ» و «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» و قال الشاعر:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا

أو عبد رب أخا عون بن مخراق

و لو أردت معنى الماضى لتعرف الاسم بالإضافه لم يجز فيه إظهار النون البته و قوله «وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فى موضع النصب عطفا على الأول.

المعنى

لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال «الَّذِينَ يَظُنُّونَ» أى يوقنون «أَنَّهُمْ مُلَاقُوا» ما وعدهم «رَبَّهُمْ» عن الحسن و مجاهد و غيرهما و نظيره قوله «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ» و قيل أنه بمعنى الظن غير اليقين و المعنى أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشده إشفاقهم من الإقامه على معصيه الله قال الرماني و فيه بعد لكثرة الحذف و قيل الذين يظنون انقضاء آجالهم و سرعه موتهم فيكونون أبدا على حذر و وجل و لا- يركنون إلى الدنيا كما يقال لمن مات لقى الله و يدل على أن المراد بقوله «مُلاقُوا رَبَّهُمْ» ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى فى صفة المنافقين «فَاعْتَبَهُمْ وَفِيقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ» و لا خلاف فى أن المنافق لا- يجوز أن يرى ربه و كذلك قوله «وَ لَوْ تَرَى إِذِ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَ رَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» و

جاء فى الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقى الله و هو عليه غضبان

و ليس اللقاء من الرؤيه فى شىء يقال لقاك الله محابك و لا يراد به أن يرى أشخاصا و إنما يراد به لقاء ما يسره و قوله «وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» يسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع فى الآيه و هم ما كانوا قط فى الآخره فيعودوا إليها و جوابه من وجوه. (أحدها) أنهم راجعون بالإعاده فى الآخره عن أبى العالیه (و ثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا فى الحال المتقدمه لأنهم كانوا أمواتا فأحيوا ثم يموتون فيرجعون أمواتا كما كانوا (و ثالثها) أنهم يرجعون إلى موضع لا يملك أحد لهم ضرا و لا نفعا غيره تعالى كما كانوا فى بدء الخلق لأنهم فى أيام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم و التدبير لنفعهم و ضرهم يبين ذلك قوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و تحقيق معنى الآيه أنه يقرون بالنشأه الثانيه فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعا إليه.

اشاره

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)

المعنى

قد مضى تفسير أول الآيه فيما تقدم و قوله: «وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» قال ابن عباس أراد به عالمى أهل زمانهم لأن أمتنا أفضل الأمم بالإجماع كما أن نبينا عليه أفضل الصلاه والسلام أفضل الأنبياء و بدليل قوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» و قيل المراد به تفضيلهم فى أشياء مخصوصه و هى إنزال المن والسلوى و ما أرسل الله فيهم من الرسل و أنزل عليهم من الكتب إلى غير ذلك من النعم العظيمه من تغريق فرعون و الآيات الكثيره التى يخف معها الاستدلال و يسهل بها الميثاق و تفضيل الله إياهم فى أشياء مخصوصه لا- يوجب أن يكونوا أفضل الناس على الإطلاق كما يقال حاتم أفضل الناس فى السخاء و نظير هذه الآيه قوله «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» إلى قوله «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» فإن قيل فما الفائدة فى تكرار قوله «يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» قلنا لأنه لما كانت نعم الله هى الأصل فيما يجب شكره احتيج إلى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل و قيل أيضا أن التذكير الأول ورد مجملا و الثانى ورد مفصلا و قيل أنه فى الأول ذكرهم نعمه على أنفسهم و فى الثانى ذكرهم نعمه على آبائهم.

اشاره

وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)

القراءه

قرأ أهل مكه و البصره لا تقبل بالتاء و الباقون بالياء.

الإعراب

فمن قرأ بالتاء ألحق علامه التأنيث لتؤذن بأن الاسم الذى أسند إليه الفعل و هو الشفاعه مؤنث و من قرأ بالياء فلأن التأنيث فى الاسم ليس بحقيقى فحمل على المعنى فذكر لأن الشفاعه و التشفع بمنزله كما أن الوعظ و الموعظه و الصيحه و الصوت كذلك و قد قال تعالى: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ» و «أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» و يقوى التذكير

أيضا أنه فصل بين الفعل و الفاعل بقوله «مِنْهَا» و التذكير يحسن مع الفصل كما يقال فى التأنيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امرأه.

اللغة

الجزاء و المكافاه و المقابله نظائر يقال جزى يجرى جزاء و جازاه مجازاه و فلان ذو جزاء أى ذو غناء فكان قوله «لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» أى لا تقابل مكروهها بشىء يدرؤه عنها و منه

الحديث أنه صلى الله عليه و آله قال لأبى برده فى الجذعه التى أمره أن يضحى بها و لا تجزى عن أحد بعدك و قال البقره تجزى عن سبعة

أى تقضى و تكفى قال أبو عبيده هو مأخوذ من قولك جزا عنى هذا الأمر فأما قولهم أجزأنى الشىء أى كفانى فمهموز و قبول الشىء هو تلقيه و الأخذ به خلاف الإعراض عنه و من ثم قيل لتجاه الشىء قبالتة و قالوا أقبلت المكواه الداء أى جعلتها قبالتة قال:

(و أقبلت أفواه العروق المكاويا)

و القبول و الانقياد و الطاعة و الإجابة نظائر و نقيضه الامتناع و الشفاعة مأخوذه من الشفع فكأنه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له و الشفاعة و الوسيله و القربه و الوصله نظائر و الشفعه فى الدار و غيرها معروفه و إنما سميت شفعه لأن صاحبها يشفع ماله بها و يضمها إلى ملكه و العدل و الحق و الإنصاف نظائر و نقيض العدل الجور و العدل المرضى من الناس الذكر و الأنثى و الجمع و الواحد فيه سواء و العدل الفدييه فى الآيه و الفرق بين العدل و العدل إن العدل هو مثل الشىء من جنسه و العدل هو بدل الشىء و قد يكون من غير جنسه قال سبحانه «أَوْ عَدْلٌ ذَلِكْ صِيَامًا» و النصره و المعونه و التقويه نظائر و

فى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما

أى امنعه من الظلم إن كان ظالما و امنع عنه الظلم إن كان مظلوما و أنصار الرجل أعوانه و نصرت السماء إذا أمطرت.

الإعراب

يوما انتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم و احذروه و ليس معناه اتقوا فى هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا يؤمر فيه بالاتقاء و إنما يؤمر فى غيره من أجله و موضع لا- تجزى نصب لأنه صفة يوم و العائد إلى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه إلى أن فيه محذوف من الكلام أى لا يجرى فيه و قال آخرون لا يجوز إضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت و أنت تريد إليه أو فيه فهو محمول على المفعول على السعه كأنه قيل و اتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلا أحب أى أحبه و هو قول السراج قال أبو على حذف الهاء من الصفه كما يحذف من الصله لما بينهما من المشابهه فإن الصفه تخصص الموصوف كما أن الصله

تخصص الموصول و لا- يعمل فى الموصوف و لا- يتسلط عليه كما لا- يعمل الصلته فى الموصول و مرتبتها أن تكون بعد الموصوف كما أن مرتبه الصلته أن تكون بعد الموصول و قد يلزم الصلته فى أماكن كما يلزم الصلته و ذلك إذا لم يعرف الموصوف إلا بها و لا تعمل الصلته فيما قبل الموصول كما لا تعمل الصلته فيما قبل الموصوف فإذا كان كذلك حسن الحذف من الصلته كما يحسن من الصلته فى نحو قوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» و قال الأخفش شيئاً فى موضع المصدر كأنه قال لا تجزى جزاء و لا تغنى غناء و قال الرماني الأقرب أن يكون شيئاً فى موضع حقا كأنه قال لا يؤدي عنها حقا و جب عليها و قوله «وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ» موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التى هى وصف قبلها و من ذهب إلى أنه حذف الجار و أوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الراجع من الصلته كان مذهبه فى لا يقبل أيضا مثله فمما حذف منه الراجع إلى الصلته قول الشاعر:

(و ما شىء حميت بمستباح)

و الضمير فى منها عائد إلى نفس على اللفظ و فى قوله «وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ» على المعنى لأنه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع.

المعنى

لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم أنذرهم فى كفرانها بيوم القيامة فقال «وَ اتَّقُوا» أى احذروا و اخشوا «يَوْمًا لَا تَجْزَى» أى لا تغنى أو لا تقضى فيه «نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» و لا تدفع عنها مكروها و قيل لا يؤدي أحد عن أحد حقا و جب عليه لله أو لغيره و إنما نكر النفس ليبين أن كل نفس فهذا حكمها و هذا مثل قوله سبحانه «وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا» و قوله «وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ» قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء و آباؤنا يشفعون لنا فأياسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم و المراد به الخصوص و يدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه و آله شفاعته مقبولة و إن اختلفوا فى كيفية فعدنا هى مختصه بدفع المضار و إسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبى المؤمنين و قالت المعتزله هى فى زياده المنافع للمطيعين و التائبين دون العاصين و هى ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه و آله و لأصحابه المنتجبين و الأئمة من أهل بيته الطاهرين و الصالحى المؤمنين و ينجى الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين و يؤيده الخبر الذى تلقته الأمة بالقبول و هو

قوله ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى

و ما جاء

فى روايات أصحابنا رضى الله عنهم مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله أنه قال إني أشفع يوم القيامة فأشفع و يشفع على فيشفع و يشفع أهل

بيتي فيشفعون و إن أدنى المؤمنين شفاعه ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار

و قوله تعالى مخبرا عن الكفار عند حسراتهم على الفأنت لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعه فما لنا من شافعين و لا صديق حميم و قوله «و لا يؤخذ منها عدل» أى فديه و إنما سمي الفداء عدلا لأنه يعادل المفدى و يماثله و هو قول ابن عباس و معناه لا يؤخذ من أحد فداء يكفر عن ذنوبه و قيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه و أما ما

جاء فى الحديث لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا

فاختلف فى معناه قال الحسن الصرف العمل و العدل الفديه و قال الأصمعى الصرف التطوع و العدل الفريضة و قال أبو عبيده الصرف الحيله و العدل الفديه و قال الكلبى الصرف الفديه و العدل رجل مكانه و قوله «و لا هم يُنصِرُونَ» أى لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب و قيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم.

البقره (٢): آيه ٤٩

اشاره

وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

القراءه

فى الشواذ قرأ ابن محيصن يذبحون أبناءكم.

الإعراب

قال ابن جنى وجه ذلك أن فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير و ذلك لدلاله الفعل على مصدره و المصدر اسم الجنس و حسبك بالجنس سعه و عموما و أنشد أبو الحسن:

أنت الفداء لقبه هدمتها

و نقرتها بيديك كل منقر

فكأنه قال و نقرتها لأن قوله كل منقر عليه جاء و لما فى الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تشيته و لا جمعه لاستحاله كل واحد من التثنيه و الجمع فى الجنس.

اللغه

الإنجاء و التنجيه و التخليص واحد و النجاه و الخلاص و السلامه و التخلص واحد و يقال للمكان المرتفع نجوه لأن الصائر إليه ينجو من كثير من المضار و فرق بعضهم

بين الإنجاء و التنجيه فقال الإنجاء يستعمل فى الخلاص قبل وقوعه فى الهلكه و التنجيه يستعمل فى الخلاص بعد وقوعه فى الهلكه و الآل و الأهل واحد و قيل أصل آل أهل لأن تصغيره أهيل و حكى الكسائى أويل فزعموا أنها أبدلت كما قالوا هيهات و أيهات و قيل لا بل هو أصل بنفسه و الفرق بين الآل و الأهل أن الأهل أعم منه يقال أهل البصره و لا يقال آل البصره و يقال آل الرجل قومه و كل من يؤول إليه بنسب أو قرابه مأخوذ من الأول و هو الرجوع و أهله كل من يضمه بيته و قيل آل الرجل قرابته و أهل بيته و آل البعير الواحه و آل الخيمه عمدته و آل الجبل أطرافه و نواحيه و قال ابن دريد آل كل شىء شخصه و آل الرجل أهله و قرابته قال الشاعر:

و لا تبك ميتا بعد ميت أجنه

على و عباس و آل أبى بكر

و قال أبو عبيده سمعت أعرابيا فصيحا يقول أهل مكه آل الله فقلنا ما تعنى بذلك قال أ ليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال و إنما يقال آل فلان للرئيس المتبع و فى شبه مكه لأنها أم القرى و مثل فرعون فى الضلال و اتباع قومه له فإذا جاوزت هذا فإن آل الرجل أهل بيته خاصه فقلنا له أفتقول لقبيلته آل فلان قال لا- إلا أهل بيته خاصه و فرعون اسم لملك العمالقه كما يقال لملك الروم قيصر و لملك الفرس كسرى و لملك الترك خاقان و لملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفه و قيل أن اسم فرعون مصعب بن الريان و قال محمد بن إسحاق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطه خسف إذا كلفه إياه و قيل يولونكم سوء العذاب و سامه خسفا إذا أولاه ذلا قال الشاعر:

(إن سيم خسفا وجهه تربدا)

و قيل يحشمونكم و قيل يعذبونكم و أصل الباب السوم الذى هو إرسال الإبل فى الرعى و سوء العذاب و أليم العذاب و شديد العذاب نظائر قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للآفات و الداء يقال سؤت فلانا أسوؤه مساءه و مسائيه و استاء فلان من السوء مثل اهتم من الهم و السوؤه الفعله القبيحه و السوؤه الفرج و السوؤه أيضا كل عمل شين و تقول فى النكره رجل سوء كما يقال رجل صدق فإذا عرفت قلت الرجل السوء فلا تضيفه و لا تقول الرجل الصدق و قوله بَيِّضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أى من غير برص و الذبح و النحر و الشق نظائر و الذبح فرى الأوداج و التذبيح التكثير منه و أصله الشق يقال ذبحت

المسك إذا فتقت عنه قال:

كان بين فكها و الفك

فأره مسك ذبحت فى سك

و الذبح الشىء المذبوح و الذباح و الذبحة بفتح الباء و تسكينها داء يصيب الإنسان فى حلقه و يستحيون أى يستبقون و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله اقتلوا شيوخ المشركين و استحيوا شرخهم

أى استبقوا شبابهم و النساء و النسوة و النسوان لا واحد لها من لفظها و البلاء و النعمة و الإحسان نظائر فى اللغه و البلاء يستعمل فى الخير و الشر قال سبحانه وَ نَبُؤُكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ وَ الْإِبْلَاءِ فى الأنعام قال وَ لِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا و قال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم

و أبلاهما خير البلاء الذى يبلو

فالبلاء يكون بالإنعام كما يكون بالانتقام و أصل البلاء الامتحان و الاختبار قال الأحنف البلاء ثم الشاء.

الإعراب

العامل فى إذ من قوله «وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ» قوله اذكروا من قوله «يا بنى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي» فهو عطف على ما تقدم و قوله «يَسْؤُمُونَكُمْ» يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من آل فرعون و العامل فيه نجيناكم و يجوز أن يكون للاستئناف و الأبناء جمع ابن و أصل ابن بنو بفتح الفاء و العين و يدل على أن الفاء كانت مفتوحة قولهم فى جمعه أبناء على وزن أفعال و أفعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل و أفعال كما كان فعل بتسكين العين بابه أفعل نحو فرخ و أفرخ و المحذوف من الابن الواو على ما قلناه لأنها أثقل فهى بالحذف أولى و إليه ذهب الأخفش و أبو على الفسوى.

المعنى

ثم فصل سبحانه فى هذه الآيه النعم التى أجملها فيما قبل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ» أى خلصناكم من قوم «فِرْعَوْنَ» و أهل دينه «يَسْؤُمُونَكُمْ» يلزمونكم «سُوءَ الْعَذَابِ» و قيل يذيقونكم و يكلفونكم و يعذبونكم و الكل متقارب و اختلفوا فى العذاب الذى نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر فى الآيه من قوله «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» و هذا تفسيره و قيل أراد به ما كانوا يكلفونهم من الأعمال الشاقه فمنها أنهم جعلوهم أصنافا فصنف يخدمونهم و صنف يحرقون لهم و من لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية و كانوا يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم مع ذلك و يدل عليه قوله تعالى فى سورة إبراهيم «يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ»

فعطفه على ذلك يدل على أنه غيره و قوله «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» معناه يقتلون أبناءكم و يستحيون بناتكم يستبقونهن و يدعونهن أحياء ليستعبدن و ينكحن على وجه الاسترقاق و هذا أشد من الذبح و إنما لم يقل بناتكم لأنه سماهن بالاسم الذى يؤول حالهن إليه و قيل إنما قال نساءكم على التغليب فإنهم كانوا يستبقون الصغار و الكبار يقال أقبل الرجال و إن كان فيهم صبيان و يجوز أيضا أن يقع اسم النساء على الصغار و الكبار كالأبناء و قوله «وَ فِي ذَلِكُمْ» أى و فى سومكم العذاب و ذبح الأبناء «بِلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» أى لما خلى بينكم و بينه حتى فعل بكم هذه الأفاعيل و قيل فى نجاتكم من فرعون و قومه نعمه عظيمه من الله عليكم.

[القصة]

و السبب فى قتل الأبناء أن فرعون رأى فى منامه كان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل فهاله ذلك و دعا السحرة و الكهنة و القافة فسألهم عن رؤياه فقالوا أنه يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك و زوال ملكك و تبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل و جمع القوابل من أهل مملكته فقال لهم لا يسقط على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتل و لا جاريه إلا تركت و وكل بهن فكن يفعلن ذلك و أسرع الموت فى مشيخه بنى إسرائيل فدخل رءوس القبط على فرعون فقالوا له أن الموت قد وقع فى بنى إسرائيل فتذبح صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنه و يتركوا سنه فولد هارون فى السنه التى لا يذبحون فيها فترك و ولد موسى فى السنه التى يذبحون فيها.

البقره (٢): آيه ٥٠

إشارة

وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)

القراءة

فى الشواذ قرأ الزهرى و إذ فرقنا بكم مشدده قال ابن جنى فرقنا أشد تفريقا من فرقنا فمعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا و معنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر.

اللغة

الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجه و الفرق الطائفة من كل شىء و من الماء إذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق و منه كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ و الفرق الخوف و

فى الحديث ما أسكر الفرق فالجرعه منه حرام

و هو مكيال يعرف

بالمدينة و البحر يسمى بحرا لاستبحاره و هو سعته و انبساطه يقال استبحر في العلم و تبحر فيه و تبحر إذا اتسع و تمكن و الباهر الأحمق الذى إذا كلم بقى كالمبهوت و العرب تسمى الماء المالح و العذب بحرا إذا كثر و منه قوله مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ يعنى المالح و العذب و أصل الباب الاتساع و أما اللج فهو الذى لا يرى حافته من فى وسطه لكثرة مائه و عظمه و دجله بالإضافة إلى الساقية بحر و بالإضافة إلى جده و نحوها ليست ببحر و الغرق الرسوب فى الماء و النجاه ضد الغرق كما أنها ضد الهلاك و أغرق فى الأمر إذا جاوز الحد فيه و أصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس و اغرورقت عينه شرقت بدمعها و النظر النظر بالعين يقال نظرت إلى كذا و نظرت فى الكتاب و فى الأمر و قول القائل أنظر إلى الله ثم إليك معناه أتوقع فضل الله ثم فضلك و نظرتة و انتظرتة بمعنى واحد و النظر التفكير و أصل الباب كله الإقبال نحو الشىء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الإقبال نحو المبصر و النظر بالقلب الإقبال بالفكر به نحو المفكر فيه و النظر بالرحمه هو الإقبال بالرحمه و حقيقه النظر هو تقليب الحدقه الصحيحه نحو المرئى طلبا لرؤيته.

المعنى

ثم ذكر سبحانه نعمه أخرى فقال «وَ» اذكروا «إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبُحْرَ» أى فرقنا بين المائين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون فى طريق ييس و قيل معناه فرقنا البحر بدخولكم إياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفه منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بينكم و قيل فرقنا بكم أى بسببكم البحر لتمرؤا فيه «فَأَنْجَيْنَاكُمْ» يعنى من البحر و الغرق و قوله «وَ أَعْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ» و لم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره فى مواضع كقوله «فَأَعْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ» فاختصر لدلاله الكلام عليه لأن الغرض مبنى على إهلاك فرعون و قومه و نظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) و يكون الظاهر أن الأمير معهم و يجوز أن يريد بآل فرعون نفسه كقوله مِمَّا تَرَكَّ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ يعنى موسى و هارون و قوله «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» معناه و أنتم تشهدون أنهم يغرقون و هذا أبلغ فى الشماته و إظهار المعجزه و قيل معناه و أنتم بمنظر و مشهد منهم حتى لو نظرتم إليهم لأمكنكم ذلك لأنهم كانوا فى شغل من أن يروههم كما يقال دور بنى فلان تنظر إلى دور آل فلان أى هى بإزائها و بحيث لو كان مكانها ما ينظر لأمكنه أن ينظر إليه و هو قول الزجاج و قريب مما قاله الفراء و الأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤيه فإنهم كانوا قد جاوزوا البحر و تظاهرت أقوال المفسرين على أن أصحاب موسى (عليه السلام) رأوا انفراق البحر و التظام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر.

و جملة قصه فرعون مع بنى إسرائيل فى البحر ما ذكره ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسرى بنى إسرائيل من مصر فسرى موسى بنى إسرائيل ليلا فأتبعهم فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث و كان موسى فى ستمائه ألف و عشرين ألفا فلما عاينهم فرعون قال إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فسرى موسى بنى إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا هذا البحر أماننا و هذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى (عليه السلام) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فقال له يوشع بن نون بم أمرت قال أمرت أن أضرب بعصاى البحر قال اضرب و كان الله تعالى أوحى إلى البحر أن أطع موسى إذا ضربك قال فبات البحر له أفكل أى رعداه لا يدرى فى أى جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق و ظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا إنا لا نسلك طريقا نديا فأرسل الله ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا فَجَرُوا فِيهِ فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الطَّرِيقِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا لَنَا لَا نَرَى أَصْحَابَنَا فَقَالُوا لِمَوْسَى أَيْنَ أَصْحَابُنَا فَقَالَ فِي طَرِيقٍ مِثْلٍ طَرِيقِكُمْ فَقَالُوا لَا نَرْضَى حَتَّى نَرَاهُمْ فَقَالَ (عليه السلام) اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى أَخْلَاقِهِمُ السَّيِّئَةَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ مَلْ بَعْصَاكَ هَكَذَا وَ هَكَذَا يَمِينًا وَ شِمَالًا فَأَشَارَ بَعْصَاهُ يَمِينًا وَ شِمَالًا فَظَهَرَ كَالْكُورِيِّ يَنْظُرُ مِنْهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَلَمَّا انْتَهَى فِرْعَوْنُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَ كَانَ عَلَى فِرْسٍ حِصَانٍ أَدْهَمَ فَهَابَ دُخُولَ الْمَاءِ تَمَثَّلَ لَهُ جَبْرِيْلٌ عَلَى فِرْسٍ أُنْثَى وَ دِيقٌ وَ تَقَحَّمُ الْبَحْرَ فَلَمَّا رَأَاهَا الْحِصَانُ تَقَحَّمُ خَلْفَهَا ثُمَّ تَقَحَّمُ قَوْمُ فِرْعَوْنَ فَلَمَّا خَرَجَ آخِرُ مَنْ كَانَ مَعَ مَوْسَى مِنَ الْبَحْرِ وَ دَخَلَ آخِرُ مَنْ كَانَ مَعَ فِرْعَوْنَ الْبَحْرَ أَطْبَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فَغَرَقُوا جَمِيعًا وَ نَجَّى مَوْسَى وَ مَنْ مَعَهُ وَ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ كَيْفَ لَمْ يُعْطِ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ نَبِيٍّ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ مَوْسَى مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ لِتَكُونَ حِجَّةً أَظْهَرَ وَ الشَّبَهَةَ أَبْعَدَ وَ الْجَوَابَ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ الْأَعْلَامَ الْبَاهِرَةَ وَ الْمَعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةَ لِاسْتِصْلَاحِ الْخَلْقِ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَى لَهُمْ مِنَ الصَّلَاحِ وَ قَدْ كَانَ فِي قَوْمِ مَوْسَى مِنْ بِلَادِهِ النَّفْسُ وَ كِلَالُهُ الْحَدْسُ مَا لَمْ يُمْكِنْ مَعَهُ الْاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَمَّا عَبَرُوا الْبَحْرَ وَ اتَّوَا عَلَى قَوْمِ

يعكفون على أصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الآيات اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ و كان فى العرب و أمه نبينا صلى الله عليه و آله من جوده القريحه و حده الفطنه و ذكاء الذهن و قوه الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه إلى التأمل و التدبر و الاستضاءه بنور العقل فى التفكير فجاءت آياتهم متشاكله لطباعهم المتوقده و مجانسه لما ركب فى أذهانهم من الدقه و الحده على أن فى جميعها من الحجه الظاهره و البيئه الزاهره ما ينفى خارج الشك عن قلب الناظر المستبين و يفضى به إلى فضاء العلم اليقين و يوضح له مناهج الصدق و يولجه موالج الحق و ما يَسْتَتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ و لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.

البقره (٢): آيه ٥١

إشاره

وَ إِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)

القراءه

قرأ أهل البصره و أبو جعفر هاهنا وعدنا بغير ألف و فى الأعراف و طه و قرأ الباقون «وَأَعِدْنَا» بالألف و قرأ ابن كثير و حفص و البرجمى و رويس اتخذتم و أخذتم و ما جاء منه بإظهار الذال و وافقهم الأعشى فيما كان على افتعلت و الباقون يدغمون.

الإعراب

حجه من قرأ بإثبات الألف أنه قال لا يخلو أن يكون قد كان موسى وعد أو لم يكن فإن كان منه وعد فلا إشكال فى وجوب القراءه بواعدنا و إن لم يكن منه وعد فإن ما كان منه من قبول الوعد و التحرى لإنجازه و الوفاء به يقوم مقام الوعد و القراءه بواعدنا دلالة من الله على وعده و قبول موسى و لأنه إذا حسن فى مثل قوله بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ الإخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار «وَأَعِدْنَا» و من قرأ وعدنا بغير ألف و هو أشد مطابقه للمعنى إذ كان القبول ليس بوعد فى الحقيقة إذ الوعد إنما هو إخبار الموعد بما يفعل به من خير و على هذا فيكون قوله بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ مجازا حقيقته بما أخبروا أنهم فاعلوه و قال بعضهم أن المواعده فى الحقيقة لا تكون إلا بين البشر و الله تعالى هو المتفرد بالوعد و الوعيد كما قال وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ و القراءتان جميعا قويتان و حجه من أدغم الذال فى التاء من «اتَّخَذْتُمْ» أن مخرج الذال قريب من مخرج التاء و حجه من لم يدغم أن مخرجيهما متغايران.

الوعد و الموعد و الوعيد و العده و الموعدة مصادر وعدته أعدده و وعدت يتعدى إلى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على أحدهما كأعطيت قال «وَإِعِدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» فجانِب مفعول ثانٍ و العده و الوعد قد يكونان اسمين أيضا و الوعد في الخير و الوعيد في الشر و يجمع العده على العدات و لا يجمع الوعد و الموعد قد يكون موضعا و وقتا و مصدرا و الميعاد لا يكون إلا وقتا أو موضعا و قد يقال وعدته في الشر كقوله تعالى «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و أوعده لا يكون إلا في الشر و المكاره و يقال أوعده بالشر و لا يقال أوعده الشر و حقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل أو شر و موسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فمؤ هو الماء و سى الشجر و سمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء و الشجر و جده جارى آسبه امرأه فرعون و قد خرج ليغتسلن بالمكان الذي وجد فيه عن السدى و هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن إسحاق بن يسار و إنما قال «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و لم يقل أربعين يوما لتضمن الليالي الأيام على قول المبرد عنى بذلك أنك إذا ذكرت الليالي دخل فيها الأيام و إذا ذكرت الأيام لا يدخل فيها الليالي و الصحيح أن العرب كانت تراعى فى حسابها الشهور و الأيام و الأهله فأول الشهر الليالي فلذلك أرخت بالليالي و غلبتها على الأيام و اكتفت بذكر الليالي عن الأيام فقالت لعشر خلون و لخمس بقين جريا على الليالي و الليله الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى و اليوم من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس و ليله ليلاء إذا اشتدت ظلمتها و لييله تصغير ليله أخرجوا الياء الأخيره مخرجها فى الليالي و قال بعضهم أصل ليله ليلاه فقصر و اتخذ افتعل و فعلت فيه اتخذت قال:

و قد اتخذت رجلى إلى جنب غرزها

نسيفا كأفحوص القطاه المطرق

قال أبو على و ليس اتخذت من أخذت لأن الهمزه لا تبدل من التاء و لا تبدل منها التاء و العجل البقره الصغيره يقال عجل و عجول و هو من العجله لأن قصر المده كالعجل فى الشىء و قال بعضهم إنما سمي عجلا لأنهم عجلوا فاتخذوه إليها قبل أن يأتهم موسى.

الإعراب

قوله «وَإِعِدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» لا- يخلو تعلق الأربعين بالوعد من أن يكون على أنه ظرف أو مفعول ثانٍ فلا- يجوز أن يكون ظرفا لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم و لا فى بعضها فيكون جوابا لمتى و إنما الموعدة تقضى الأربعين فإذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثانى و التقدير وعدنا موسى انقضاء أربعين

ليه أو تتمه أربعين ليله فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر أى تمام خمسة عشر فأما انتصاب أربعين فى قوله «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» فالميقات هو الأربعون و إنما هو ميقات و موعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا و المعنى تم القوم معدودين هذا العدد و تم الميقات معدودا هذا العدد و قد جاء الميقات فى موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد فى قوله «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و فى موضع آخر وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ و يبين ذلك قوله «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و فى الآية «وَ إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و ليله تنتصب على التبيين و التمييز للعدد و الأصل فى بيان العدد أن يبين بذكر المعدود و إنما انتصب بالاسم التام الذى هو أربعون و هو مشبه بالكلام التام الذى ينتصب بعده ما يكون فضله عنه و معنى تمام الاسم هاهنا هو تركيب هذا النون الذى تتممه معه فأشبهه الجملة المركبه من فعل و فاعل من جهة أنه متمم بشىء آخر و بينهما شبه آخر و هو أن فى الجملة التى من فعل و فاعل معنى يقتضى المفعول و هو ذكر الفعل و فى العدد إبهام يقتضى التفسير و البيان ليفيد أى نوع من الأنواع هو فينصب على هذا المعنى و لذلك قال سيبويه إن فى هذا الضرب و هو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الأول و ما يجرى بعد التمام فالنون فى أربعين هو بمنزلة الفاعل الذى يحجز من أن يسند الفعل إلى المفعول فيسند إلى الفاعل و ينتصب المفعول لذلك و النون يتم الاسم الأول فينتصب الاسم الذى بعده و أما قوله «اتَّخَذْتُمْ» فإن اتخذت على ضربين أحدهما يتعدى إلى مفعول واحد كقوله «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» و قوله «أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ» و الآخر يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا «لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ» فقوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ» تقديره و اتخذتم العجل إليها فحذف المفعول الثانى لأن من صاغ عجلا أو عمله لا يستحق الوعيد و الغضب من الله تعالى.

المعنى

«وَ» اذكروا «إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى» أن نؤتيه الألواح فيها التوراه و البيان و الشفاء على رأس «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» أو عند انقضاء أربعين ليله أو عند تمام أربعين ليله و إنما قلنا أن قوله اذكروا مضمرة فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» فإذا هاهنا معطوفه على الآيات المتقدمه و هذه الأربعون ليله هى التى ذكرها الله فى سوره الأعراف فقال «وَ وَاَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ اتَّمَمْنَا بِعَشْرِ» و هى ذو

القعده و عشر من ذى الحجه قال المفسرون لما عاد بنو إسرائيل إلى مصر بعد إنجائهم من البحر و هلاك فرعون و قومه وعدهم الله إنزال التوراه و الشرائع فخلف موسى أصحابه و استخلف هارون عليهم فمكث على الطور أربعين ليله و أنزل عليه التوراه فى الألواح و قوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» أى اتخذتموه إلهاً لأن بنفس فعلهم لصوره العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور و إنما هو مكروه و أما الخبر الذى

روى أنه صلى الله عليه و آله لعن المصورين

فالمراد به من شبه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنه صوره و قوله «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد غيبه موسى و خروجه و قيل من بعد وعد الله إياكم بالتوراه و قيل من بعد غرق فرعون و ما رأيتم من الآيات و الكل محتمل «أَنْتُمْ ظَالِمُونَ» أى مضرون بأنفسكم بما استحققتهم من العقاب على اتخاذكم العجل إلهاً.

[القصة]

روى عن ابن عباس قال كان السامرى رجلاً من أهل باجرما قيل كان اسمنسيا و قال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر و كان من قوم يعبدون البقر و كان حب عباده البقر فى نفسه و قد كان أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل فلما قصد موسى إلى ربه و خلف هارون فى بنى إسرائيل قال هارون لقومه قد حملتم أوزارا من زينة القوم يعنى آل فرعون فتطهروا منها فإنها نجس يعنى أنهم استعاروا من القبط حليا و استبدوا بها فقال هارون طهروا أنفسكم منها فإنها نجسه و أوقد لهم نارا فقال اذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعه و الحلى فيقذفون به فيها قال و كان السامرى رأى أثر فرس جبرائيل (عليه السلام) فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل إلى النار فقال لهارون يا نبي الله ألقى ما فى يدي قال نعم و هو لا يدري ما فى يده و يظن أنه مما يجىء به غيره من الحلى و الأمتعه فحذف فيها و قال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء و الفتنة فقال هذا إلهكم و إله موسى فعكفوا عليه و أحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء و الفتنة و لم يزد على هذا و قال الحسن صار العجل لحما و دما و قال غيره لا يجوز ذلك لأنه من معجزات الأنبياء و من وافق الحسن قال إن القبضه من أثر الملك كان الله قد أجرى العاده بأنها إذا طرحت على أى صوره كانت حيت فليس ذلك بمعجزه إذ سبيل السامرى فيه سبيل غيره و من لم يجز انقلابه حيا تأول الخوار على أن السامرى صاغ عجلا و جعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار و دعاهم إلى عبادته فأجابوه و عبدوه عن أبى على الجبائى.

البقره (٢): آيه ٥٢

إشاره

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)

اللغه

العفو و الصفح و المغفره و التجاوز نظائر قال ابن الأنبارى عفا الله عنك معناه

محا الله عنك مأخوذ من قولهم عفت الريح الأثر إذا درستته و محته فغفو الله محوه الذنوب عن العبد و قال الرماني أصل العفو الترك و منه قوله فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَى ترك فالعفو ترك العقوبه و العفو أحل المال و أطيبه و العفو المعروف و العفاء و المعتفون طلاب المعروف و العافيه من الطير و الدواب طلاب الرزق و منه

الحديث من غرس شجره مثمره فما أكلت العافيه منها إلا كتب له صدقه و العافيه دفاع الله عن العبد

و العفاء التراب قال زهير:

(على آثار من ذهب العفاء)

و الشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الإظهار للنعمة.

المعنى

«ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ» أَى وضعنا عنكم العقاب الذى استحققتموه بقبول توبتكم من عباده العجل «مَنْ بَعِيدٌ ذَلِكُمْ» أَى من بعد اتخاذكم إياه إلها و قيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل إلها «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لكى تشكروا الله على عفوه عنكم و سائر نعمه عليكم و قيل معناه التعريض أَى عرفناكم للشكر و فى هذه الآيه دلالة على وجوب شكر النعمة و على أن العفو عن الذنب بعد التوبه نعمه من الله على عباده ليشكروه و معنى قولنا فى الله أنه غفور شكور أنه يجازى العبد على طاعته من غير أن ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاه على الطاعة شكرا فى مجاز اللغه و لا يستحق الإنسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعماً على نفسه فالنعمة تقتضى منعماً غير المنعم عليه كما أن القرض يقتضى مستقرضاً غير المقرض و قد يصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه كما يصح أن يسيء إليها لأن الإحسان من الحسن فإذا فعل بها فعلاً حسناً ينتفع به كان محسناً إليها بذلك الفعل و إذا فعل بها فعلاً قبيحاً تستضر به كان مسيئاً إليها و لا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذى يستحقه المؤمن لأن المؤمن من يستحق الشكر على وجه الإجلال و الإعظام و الكافر لا يستحقه كذلك و إنما يجب له مكافاه نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه إليه من غير تعظيم له و الفرق بين الشكر و المكافاه أن المكافاه من التكافى و هو التساوى و ليس كذلك الشكر ففى المكافاه للنعمة دلالة على أنه قد استوفى حقها و قد يكون الشكر مقصراً عنها و إن كان ليس على المنعم عليه أكثر منه إلا أنه كلما ازداد من الشكر حسن الإزدياد و إن لم يكن واجبا لأن الواجب لا يكون إلا متناهما و ذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غايه الاستكثار لم يكن لينتهى إلى حد لا يجوز له الإزدياد لعظم نعمه الله سبحانه و صغر شكر العبد.

البقره (٢): آيه ٥٣

إشارة

وَ إِذِ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)

الفرقان مصدر فرقت بين الشئين الفرق فرقا و فرقانا و يسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق و الباطل و سمي الله تعالى يوم بدر الفرقان لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق و الباطل و قال «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» أى يفرق بينكم و بين ذنوبكم.

المعنى

«وَ اذْكُرُوا إِذْ آتَيْنَا أَى أَعْطَيْنَا «مُوسَى الْكِتَابَ» وَ هُوَ التَّوْرَاهُ «وَ الْفُرْقَانَ» اختلفوا فيه على وجوه (أحدها) و هو قول ابن عباس إن المراد به التوراه أيضا و إنما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول عنترة:

(أقوى و أفقر بعد أم الهيثم)

و قال عدى بن زيد:

و قددت الأديم لراهشيه و ألقى

قولها كذبا و مينا

و المين الكذب (و ثانيها) أن الكتاب عبارته عن التوراه و الفرقان انفرق البحر الذى أتاه موسى عليه السلام (و ثالثها) أن المراد بالفرقان بين الحلال و الحرام و الفرق بين موسى و أصحابه المؤمنين و بين فرعون و أصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها أنه نجى هؤلاء و أغرق هؤلاء (و رابعها) أن المراد بالفرقان القرآن و يكون تقديره و آتينا موسى التوراه و آتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف للدلالة ما أبقاه عليه كما حذف الشاعر فى قوله:

تراه كان الله يجدع أنفه

و عينيه إن مولاه كان له وفر

يريد و يفقأ عينيه لأن الجدع لا يكون للعينين و اكتفى بيجدع عن يفقأ و قال آخر:

يا ليت بعلك قد غدا

متقلدا سيفا و رمحا

أراد و حاملا رمحا و هو قول الفراء و قطرب و ثعلب و ضعف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضروره مع أنه تعالى أخبر أنه أتى موسى الفرقان فى قوله «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ» و قوله «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا بما فى التوراه من البشاره بمحمد صلى الله عليه و آله و بيان صفته.

إشاره

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ (٥٤)

القراءه

قرأ أبو عمرو وبارئكم و يأمركم و ينصركم باختلاس الحركه و روى عنه السكون أيضا و الباكون بغير اختلاف و لا تخفيف.

الإعراب

قال أبو على حروف المعجم على ضربين ساكن و متحرك و الساكن على ضربين (أحدهما) ما أصله السكون فى الاستعمال و الآخر ما أصله الحركه فما أصله الحركه يسكن على ضربين (أحدهما) أن تكون حركه بناء و الآخر أن تكون حركه إعراب و حركه البناء تسكن على ضربين (أحدهما) أن يكون الحرف المسكن من كلمه مفرده نحو فنخذ و سبع و إبل و ضرب و علم فمن خفف قال فنخذ و سبع و إبل و ضرب و علم و الآخر أن يكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءه من قرأ وَ يَخْشَى اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ وَ منه قول العجاج:

(فبات منتصبا و ما تكردسا)

ألا ترى أن تقه من يتفه مثل كتف و منه قول الشاعر:

(قالت سليمانى اشتر لنا سويقا)

و لا خلاف فى تجويز إسكان حركه البناء فى نحو ما ذكرناه من قول العرب و النحويين و أما حركه الإعراب فمختلف فى تجويز إسكانها فمن الناس من يقول إن إسكانها لا يجوز من حيث كان علما للإعراب و أما سيبويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين و روى قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب

إثما من الله و لا واغل

و قول الآخر:

(وقد بدا هنك من الميزر)

و من هذا النحو قول جرير:

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم

و نهر تيرى و لا تعرفكم العرب

فشبه ما يدخل على المعرب بما يدخل على المبنى كما شبهوا حركات البناء بحركات الإعراب فمن ثم أدغم نحو رد و فر و
عض كما أدغموا نحو يرد و يفر و يعرض و اعلم أن الحركات التى تكون للبناء و الإعراب قد يستعملون فى الضمه و الكسره منها
الاختلاس و التخفيف كما يستعملون الإشباع و التمطيط فأما الفتحة فليس فيها الإشباع فقط و لم يخفف نحو جبل كما خفف
مثل سبع و كتف و على هذا المذهب حمل سيبويه قول أبى عمرو إلى بارئكم فذهب إلى أنه اختلس الحركه و لم يشبعها فهو
بزنه حرف متحرك فمن

ص: ١٥٢

روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبها إسكانا لضعف الصوت به والخفاء و على هذا قوله و لا يأمركم و غيره.

اللغة

البارئ هو الخالق الصانع و برأ الله الخلق يبرؤهم برء أى خلقهم قال أميه ابن أبى الصلت:

الخالق البارئ المصور فى الأرحام

ماء حتى يصير دما

و الفرق بين البارئ و الخالق أن البارئ هو المبدئ المحدث و الخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال و برأ من المرض يبرأ برء فهو بارئ و البراءه من العيب و المكروه لا- يقال منه إلا برى ء بالكسر و فاعله برى ء و رجل براء بمعناه و امرأه براء و نسوه براء و أما قوله إِنَّا بُرَأُوا فهو جمع برى ء و أصل الباب انفصال الشىء من الشىء ء و منه برأ الله الخلق أى فطرهم كأنهم انفصلوا من العدم إلى الوجود و البريه فعيله بمعنى مفعول و لا- تهمز كما لا- يهمز ملك و إن كان أصله الهمزه و قيل البريه مشتقه من البرى و هو التراب فلذلك لم يهمز و قيل مأخوذه من بریت العود فذلك لم يهمز و القتل و الذبح و الموت نظائر و الفرق بينهما أن القتل نقض بنيه الحياه و الذبح فرى الأوداج و الموت عند من أثبتة عرض يضاد الحياه و القتل العدو و جمعه أقتال و القتال النفس و ناقه ذات قتال إذا كانت وثيقه و قتلت الشىء ء علما إذا أيقنته و تحققتة و فى المثل قتلت أرض جاهلها و قتل أرضا عالمها و تقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال:

تقتلت لى حتى إذا ما قتلتنى

تنسكت ما هذا بفعل النواسك

الإعراب

«يا قَوْمٍ» القراءه بكسر الميم و هو الاختيار لأنه منادى مضاف و النداء باب حذف فحذف الياء لأنه حرف واحد و هو فى آخر الاسم كما أن التنوين فى آخره و بقيت الكسره تدل عليه و لما كان ياء الإضافه قد تحذف فى غير النداء لزم حذفه فى النداء و يجوز فى الكلام أربعه وجوه «يا قَوْمٍ» كما قرئ و لا- يجوز غيره فى القرآن لأن القراءه سنه متبعه و يجوز يا قومى إنكم بإثبات الياء و إسكانه و يجوز يا قومى بإثبات الياء و تحريكه فهذه ثلاثه أوجه فى الإضافه و يجوز يا قوم على أنه منادى مفرد و أما قوله «يا لَيْتَ قَوْمِي» فإن الياء ثبتت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق فى النداء.

«وَ» اذكروا «إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ» الذين عبدوا العجل عند رجوعه إليهم «يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى أضررتم بأنفسكم و وضعتم العبادة غير موضعها «بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ» معبودا و ظلمهم إياها فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه مما يستحق به العقاب و كذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه «فَتَوَبُّوا إِلَى بَارئِكُمْ» أى ارجعوا إلى خالقكم و منشئكم بالطاعة و التوحيد و جعل توبتهم الندم مع العزم و قتل النفس جميعا و هنا إضمار باختصار كأنه لما قال لهم «فَتَوَبُّوا إِلَى بَارئِكُمْ» قالوا كيف قال «فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» أى ليقتل بعضكم بعضا بقتل البرىء المجرم عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و غيرهم و هذا كقوله سبحانه «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أى ليسلم بعضكم على بعض و قيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا- منهم لأنفسهم على وجه التوسع عن ابن إسحاق و اختاره الجبائي و اختلفوا فى المأمور بالقتل فروى أن موسى أمرهم أن يقوموا صفين فاغتسلوا و لبسوا أكفانهم و جاء هارون باثني عشر ألفا ممن لم يعبدوا العجل و معهم الشفار المرهفه و كانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين ألفا تاب الله على الباقيين و جعل قتل الماضين شهادة لهم و قيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى فى الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين ألفا و قيل أنهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين ألفا و قيل غشيتهم ظلمه شديده فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمه فأجلوا عن سبعين ألف قتيل و روى أن موسى و هارون وقفا يدعوان الله و يتضرعان إليه و هم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي برفع القتل و قبلت توبه من بقى و ذكر ابن جريج أن السبب فى أمرهم بقتل أنفسهم أن الله تعالى علم أن ناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافه القتل مع علمهم بأن العجل باطل فذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا و إنما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنه العظيمه لكفرهم بعد الدلالات و الآيات العظام و قال الرماني لا بد أن يكون فى الأمر بالقتل لطف لهم و لغيرهم كما يكون فى استسلام القاتل لطف له و لغيره فإن قيل كيف يكون فى قتلهم نفوسهم لطف لهم و لا تكليف عليهم بعد القتل و اللطف لا يكون لظفا فيما مضى و لا فيما يقارنه فالجواب أن القوم إذا كلفوا أن يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره و يجوز أن يبقى بعده فىكون القتل لظفا له فيما بعد و لو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا أو يمتنع عن قبيح و هذا كما تقول فى عبادتنا بقتال المشركين و أن الله تعبدنا بأن نقاتل حتى

نقتل أو نقتل و مدحنا على ذلك و كذلك روى أهل السير أن الذين عبدوا العجل تعبدوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهاده لمن قتل و توبه لمن بقى و إنما تكون شبهه لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم و لو صح ذلك لم يمتنع أن يكونوا أمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضى إلى الموت و إن لم يزل معها العقل فينا في التكليف و أما على القول الآخر أنهم أمروا بالاستسلام للقتل و الصبر عليه فلا مسأله لأنهم ما أمروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لأنه لو كان قبيحا لما أمروا بالاستسلام له و لذلك نقول لا يجوز أن يتعبد نبي و لا إمام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا- يدفعه لأن في ذلك استسلاما للقيح مع القدره على دفعه و ذلك لا يجوز و إنما كان يقع قتل الأنبياء و الأئمه عليه السلام على وجه الظلم و ارتفاع التمكّن من المنع غير أنه لا يمتنع من أن يتعبد بالصبر على الدفاع و تحمل المشقه في ذلك و إن قتله غيره ظلما و القتل و إن كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغييره بأن يصير حسنا لأنه جار مجرى سائر الآلام و ليس يجرى ذلك مجرى الجهل و الكذب في أنه لا يصير حسنا قط و وجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه و أيضا فكما يجوز من الله تعالى أن يميت الحي فكذلك يجوز أن يأمرنا بإماتته و يعوضه على الآلام التي تدخل عليه و يكون فيه لطف على ما ذكرناه و قوله «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ» إشاره إلى التوبه مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله به بدلاله قوله «فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» فقولته «فَتُوبُوا» دال على التوبه فكأنها مذكوره و قوله «فَاقْتُلُوا» دال على القتل فكأنه قال أن التوبه و قتل النفس في مرضاه الله كما أمركم به و إن كان فيه مشقه عظيمه خير لكم عند خالقكم من إثارة الحياه الدنيا لأن الحياه الدنيا لا تبقى بل تنفى و تحصلون بعد الحياه على عذاب شديد و إذا قتلتم أنفسكم كما أمركم الله به زالت مشقه القتل عن قريب و بقيتم في نعيم دائم لا- يزول و لا- يبديد و كرر ذكر باريكم تعظيما لما أتوا به مع كونه خالقا لهم و قوله «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» هاهنا إضمار تقديره ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم أو فقتلتم أنفسكم فتاب عليكم أى قبل توبتكم «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» أى قابل التوبه عن عباده مره بعد مره و قيل معناه قابل التوبه عن الذنوب العظام «الرَّحِيمُ» يرحمكم إذا تبتم و يدخلكم الجنة و فى هذه الآيه دلالة على أنه يجوز أن يشترط فى التوبه سوى الندم ما لا يصح التوبه إلا به كما أمروا بالقتل.

البقره (٢): آيه ٥٥

إشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)

«لَنْ نُؤْمِنَ لَمَكَ» أى لن نصدقك يقال آمن به و آمن له بدلاله قول تعالى «قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ» و فى موضع آخر آمنتتم له و الرؤيه الإدراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره رؤيه و رأى من الرأى رأيا و رأيت رؤيا حسنه و الرواء المنظر فى البهاء و الجمال و المرآه التى ينظر فيها و جمعها المرائى و تراءيت بالمرآه إذا نظرت فيها و جاء

فى الحديث لا و يتراءى أحدكم بالماء

أى لا ينظر فيه و تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا و تراءى فلان لفلان إذا تصدى له ليراه و يحذفون الهمزه من رأيت فى كل كلمه تكون راؤها ساكنه تقول رأيت أرى و الأصل أراى و أريته فلانا أريه فأنا مرى و هو مرى و الأصل أرايته أرايه و أثبتها فى موضعين مرئى و أرات الناقه و الشاه إذا عرف فى لون ضرعها أنها قد أقربت و الرأى حسن الشاره و الهياه قال جرير:

و كل قوم لهم رأى و مختبر

و ليس فى تغلب رأى و لا خبر

و الجهر و العلامه و المعايينه نظائر يقال جهر بكلامه و بقراءته جهرا إذا أعلن و رجل جهير ذو رواء و كلام جهير و صوت جهير أى عال و الفعل منه جهر جهاره و جهرنى الرجل أى راعنى جماله و ضد الجهر السر و أصل الباب الظهور و حقيقه الجهر ظهور الشىء معايينه و الفرق بين الجهر و المعايينه أن المعايينه ترجع إلى حال المدرك و الجهره ترجع إلى حال المدرك و قد تكون الرؤيه غير جهره كالرؤيه فى النوم و الرؤيه بالقلب فإذا قال جهره لم يكن إلا- رؤيه العين على التحقيق دون التخيل و الصاعقه على ثلاثه أوجه (أحدها) نار تسقط من السماء كقوله «وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» (و الثانى) الموت فى قوله «فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» و قوله «فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ» و (الثالث) العذاب فى قوله «أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ».

الإعراب

«حَتَّى نَرَى» حتى بمعنى إلى و هى الجاره للاسم و انتصب نرى بعدها يا ضمار أن كما ينتصب الفعل بعد اللام يا ضمار أن و أن مع الفعل فى تأويل المصدر و فى موضع جر بحتى ثم أن الجار و المجرور فى موضع نصب بأنه مفعول لن تؤمن و جهره مصدر وضع موضع الحال.

المعنى

«وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» أى لن نصدقك فى قولك إنك نبى مبعوث «حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» أى علانيه فيخبرنا بأنك نبى مبعوث و قيل معناه أنا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى و ما يجوز عليه و ما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهره أى علانيه و عيانا فيخبرنا بذلك و قيل أنه لما جاءهم بالألواح و فيها التوراه قالوا لن

نؤمن بأن هذا من عند الله حتى نراه عيانا و قال بعضهم إن قوله «جَهْرَةً» صفة لخاطبهم لموسى أنهم جهروا به و أعلنوه و تقديره و إذا قلم جهره لن نؤمن لك حتى نرى الله و الأول أقوى «فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ» أى الموت «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» إلى أسباب الموت و قيل إلى النار و إنما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال أسلافهم الرؤيه من حيث أنهم سلكوا طريقتهم فى المخالفه للنبي الذى لزمهم اتباعه و التصديق بجميع ما أتى به فجزوا على عاده أسلافهم الذين كانوا يسألون تاره نبيهم أن يجعل لهم إلهها غير الله و مره يعبدون العجل من دون الله و طورا يقولون «لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» و استدل أبو القاسم البلخي بهذه الآيه على أن الرؤيه لا- تجوز على الله تعالى قال لأنها إنكار تضمن أمرين ردهم على نبيهم و تجويزهم الرؤيه على ربهم و يؤيد ذلك قوله تعالى «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» فدل ذلك على أن المراد إنكار الأمرين و تدل هذه الآيه أيضا على أن قول موسى «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» كان سؤالا لقومه لأنه لا خلاف بين أهل التوراه أن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤيه إلا دفعه واحده و هى التى سأله لقومه.

البقره (٢): آيه ٥٦

إشارة

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)

اللغة

البعث إثاره الشىء من محله و منه يقال بعث فلان راحلته إذا أثارها من مبركها للسير و بعث فلانا لحاجتى إذا أقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجيه إليها و منه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب و بعثته من نومه فانبعث أى نبهته فانتهى و البعث الجند يبعثون إلى وجه أو فى أمر و أصل البعث الإرسال.

المعنى

«ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ» أى ثم أحييناكم «مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» لاستكمال آجالكم عن الحسن و قتاده و قيل أنهم سألوا بعد الإفاهه أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء عن السدى فيكون معناه بعثناكم أنبياء و أجمع المفسرون إلا شردمه يسيره إن الله لم يكن أمات موسى كما أمات قومه و لكن غشى عليه بدلاله قوله فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ و الإفاهه إنما تكون من الغشيان و قوله «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروا الله على نعمه التى منها رده الحياه إليكم و فى هذا إثبات لمعجزه نبينا محمد صلى الله عليه و آله و احتجاج على مشركى العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لأنه كان يذكر لهم من أخبار الذين بعثهم الله فى الدنيا فكان يوافقهم على ذلك من يخالفه من اليهود و النصرارى و يجب أن يكون هؤلاء القوم و إن أماتهم الله ثم أحياهم غير مضطرين إلى معرفه الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم إلى

معرفة عند الموت بدليل أن الله أعادهم إلى التكليف و المعرفة في دار التكليف لا- تكون ضروريه بل تكون مكتسبه و لكن موتهم إنما كان في حكم النوم فأذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدته منهم لأحوال الآخرة و ليس في الإحياء بعد الإمامته ما يوجب الاضطرار إلى المعرفة لأن العلم بأن الإحياء بعد الإمامته لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل و ليس الإحياء بعد الإمامته إلا قريبا من الانتباه بعد النوم و الإفاقة بعد الإغماء في أن ذلك لا يوجب علم الاضطرار و استدلال قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعه و قول من قال إن الرجعه لا- تجوز إلا- في زمن النبي صلى الله عليه و آله ليكون معجزا له و دلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة و الأولياء و الأدلة على ذلك المذكوره في كتب الأصول و قال أبو القاسم البلخي لا- تجوز الرجعه مع الإعلام بها لأن فيها إغراء بالمعاني من جهة الاتكال على التوبه في الكره الثانيه و جوابه أن من يقول بالرجعه لا يذهب إلى أن الناس كلهم يرجعون فيصير إغراء بأن يقع الاتكال على التوبه فيها بل لا أحد من المكلفين إلا و يجوز أن لا يرجع و ذلك يكفي في باب الزجر.

البقره (٢): آيه ٥٧

إشاره

وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)

اللغه

الظله الغمامه و الستره نظائر يقال ظللت تظليلا و الظل ضد الضح و نقيضه و ظل الشجره سترها و لا أزال الله عنا ظل فلان أى ستره و يقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء قال الله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَيَّدَ الظَّلَّ وَ الغمام السحاب و القطعه منها غمامه و إنما سمى غماما لأنه يغم السماء أى يسترها و كل ما يستر شيئا فقد غمه و قيل هو ماء أبيض من السحاب و الغمه الغطاء على القلب من الغم و فلان في غمه من أمره إذا لم يهتد له و المن الإحسان إلى من لا- يستثبه و الاسم المنه و الله تعالى هو المنان علينا و الرحيم بنا و المن قطع الخير و منه قوله أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أى غير مقطوع و المنه قوه القلب و فلان ضعيف المنه و أصل الباب الإحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى إسرائيل هو مما من الله به عليهم أى أحسن به إليهم و السلوى طائر كالسمانى قال الأخفش هو للواحد و الجمع كقولهم دفلى و قال الخليل واحده سلواه قال:

كما انتفض السلواه من بلل القطر

قال الزجاج

ص: ١٥٨

غلط خالد بن زهير في قوله:

و قاسمها بالله جهدا لأنتم

ألد من السلوى إذا ما نشورها

فظن أن السلوى العسل وإنما هو طائر قال أبو علي الفارسي و قرئ على الزجاج في مصنف أبي عبيد أنه العسل قال و الذى عندي فيه أن السلوى كأنه ما يسلى عن غيره لفضيله فيه من فرط طيبه أو قله معاناه و علاج فى اقتنائه فالعسل لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما سمي الطائر الذى كان يسقط مع المن به و يقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا إذا تسلى عنه و فلان فى سلوه من العيش إذا كان فى رغد يسليه الهم و السلوان ماء من شربه ذهب همه فيما زعموا قال:

لو أشرب السلوان ما سليت

الإعراب

موضع «كُلُوا» نصب بمحذوف كأنه قال و قلنا لهم كلوا و موضع «السُّلوى» نصب لأنه معطوف على المن و قوله «وَ مَا ظَلَمُونَا» إنما يتصل بما قبله أيضا بتقدير محذوف كأنه قال فخالقوا ما أمروا به و كفروا هذه النعمة و ما ظلمونا.

المعنى

«وَ ظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعُمَامَ» أى جعلنا لكم الغمام ظله و ستره تقيكم حر الشمس فى التيه عن جماعه المفسرين «وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ» فيه وجوه (أحدها) أنه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيها) أنه شىء كالصمغ كان يقع على الأشجار و طعمه كالشهد و العسل عن مجاهد و (ثالثها) أنه الخبز المرقق عن وهب و (رابعها) أنه جميع النعم التى أتتهم مما من الله به عليهم مما لا تعب فيه و لا نصب و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال الكمأه من المن و ماؤها شفاء للعين

«وَ السُّلوى» قيل هو السمانى و قيل هو طائر أبيض يشبه السمانى عن ابن عباس و قوله «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» معناه قلنا لهم كلوا من الشىء اللذيذ و قيل المباح الحلال و قيل المباح الذى يستلذ أكله الذى رزقناكم أى أعطيناكم و جعلناه رزقا لكم و قوله «وَ مَا ظَلَمُونَا» أى فكفروا هذه النعمة و ما نقصونا بكفرانهم أنعمنا «وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» أى يسمون و قيل معناه و ما ضررونا و لكن كانوا أنفسهم يضررون و هذا يدل على أن الله تعالى لا ينفعه طاعه من أطاعه و لا يضره معصيه من عصاه و إنما تعود منفعة الطاعه إلى المطيع و مضره المعصيه إلى العاصى.

و كان سبب إنزال المن و السلوى عليهم أنه لما ابتلاههم الله بالتيه إذ قالوا لموسى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِمْدُونَ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس و حرب العمالقه بقوله ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَوَقَعُوا فِي التِّيهِ فَصَارُوا كَلِمًا سَارُوا تَاهُوا فِي قَدْرِ خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ أَوْ سِتِّهِ فَكَلِمًا أَصْبَحُوا سَارُوا غَادِينَ فَأَمْسُوا فَإِذَا هُمْ فِي مَكَانِهِمْ الَّذِي ارْتَحَلُوا مِنْهُ كَذَلِكَ حَتَّى تَمَّتِ الْمَدَّةُ وَ بَقُوا فِيهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَ فِي التِّيهِ تَوَفَّى مُوسَى وَ هَارُونَ ثُمَّ خَرَجَ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَ قِيلَ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَرُدُّ الْجَانِبَ الَّذِي انْتَهَوْا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي سَارُوا مِنْهُ فَكَانُوا يَضِلُّونَ عَنِ الطَّرِيقِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَلَقًا عَظِيمًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَضِلُّوا كُلَّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الْمُدِيدَةِ فِي هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَمَّا حَصَلُوا فِي التِّيهِ نَدَمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا فَأَلْطَفَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْغَمَامِ لَمَّا شَكُوا حَرَّ الشَّمْسِ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَ السَّلْوَى فَكَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِمُ الْمَنُ مِنْ وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَكَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِمْ لِيَوْمِهِمْ وَ

قال الصادق عليه السلام كان ينزل المن على بنى إسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس

قال ابن جرير و كان الرجل منهم إذا أخذ من المن و السلوى زياده على طعام يوم واحد فسد إلا يوم الجمعة فإنهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد و كانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة و السبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت و كانوا يخبزونه مثل القرصه و يوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن و كان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس و كان ينزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج و إذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد.

البقره (٢): آيه ٥٨

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع يغفر بالياء مضمومه و الباقون «نَعْفِرُ لَكُمْ» بالنون و هو الاختيار لأنه أشبه بما تقدم من قوله وَ ظَلَّلْنَا وَ أَنْزَلْنَا وَ لأن أكثر القراء عليه و أجمع القراء على

إظهار الراء عند اللام إلا- ما روى عن أبي عمرو و فى روايه اليزيدى الاستجاده من إدغام الراء فى اللام و اتفق القراء على «خطاياكم» هنا و إن اختلفوا فى الأعراف و نوح فقرأ بعضهم هناك خطيئاتهم و ذلك لأن اللتين فى الأعراف و نوح كتبنا فى المصحف بغير ألف و هاهنا كتبت بالألف.

اللغه

الدخول و الولوج و الاقتحام نظائر و الفرق بين الدخول و الاقتحام أن الاقتحام دخول على صعوبه و فى الأمر دخل أى فساد و دخل أمره إذا فسد و فلان دخيل فى بنى فلان إذا كان من غيرهم و أطلعت على دخله أمرى إذا بثته مكتومك و فلان مدخول إذا كان فى عقله أو فى حسبه دخل و القرية و البلده و المدينه نظائر قال أبو العباس و أصله الجمع و قرية الماء فى الحوض أقرية قريبا و قرية الضيف أقرية قرى و المقراه الجفنه التى يعد فيها الطعام للأضياف قال:

عظام المقارى جارهم لا يفرع

و قال الخليل القرية و القرية لغتان و الكسر لغه يمانيه و القرى الظهر من كل شىء و جمعه الأقرء و السجود شده الانحناء و منه السجد من النساء و هن الفاترات الأعين قال الشاعر:

و لهوى إلى حور المدامع سجد

و قال الآخر:

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

و حطه مصدر مثل رده و جده من رددت و جددت قال الخليل الحط وضع الأحمال عن الدواب و الحط و الوضع و الخفض نظائر و الحط الحدر من العلو قال امرئ القيس:

كجلمود صخر حطه السيل من عل

و جاريه محطوطه المتنين ممدوده حسنه و الغفران و العفو و الصفح نظائر يقال غفر الله له غفرانا أى ستر الله على ذنوبه و الغفر التغطية و ثوب ذو غفر إذا كان له زبر يستر نسجه و يقال المغفر لتغطيته العنق و الغفيره و المغفره بمعنى و الغفاره خرقة تلف على سية القوس و المغفور و المغفار صمغ العرطف و أغفر الشجر إذا ظهر ذلك فيه و منه

الحديث أنه صلى الله عليه و آله دخل على عائشه فقالت يا رسول الله أكلت مغاير

يعنى هذا الصمغ و منهم من يقول مغاير كما قيل جدث و جدف و يقال جاءوا و الجماء الغفير و جاءوا جما غفيرا و جماء الغفير أى مجتمعين جمعا يغطى الأرض و الغفر ولد الأرويه لأنه يأوى الجبال و يتستر عن الناس و يقال أصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ أى أستر له و أصل الباب الست و حد المغفره ستر الخطيئه برفع العقوبه و الخطيئه و الزله و المعصيه نظائر يقال خطأ الشىء خطأ إذا لم يرده و أصابه و أخطأه إخطاء إذا أراداه فلم يصبه و الأول خاطئ و الثانى مخطئ و الخطيئات جمع

خطيئه مثل صحيفات جمع صحيفه و سفينات جمع سفينه و الخطايا أيضا جمع خطيئه و المحسن الفاعل للإحسان أو الفاعل للحسن يقال أحسن إلى غيره و أحسن في فعله و الفرق بينهما أن أحسن إليه لا- يقال إلا في النفع فلا يقال أحسن الله إلى أهل النار بتعذيبهم و يقال أحسن في تعذيبهم بالنار بمعنى أحسن في فعله و تدييره و يقال امرأه حسناء و لا يقال رجل أحسن و حد الحسن و من طريق الحكمه هو الفعل الذى يدعو إليه العقل و ضده القبيح و هو فعل الذى يزجر عنه العقل و حد الإحسان هو النفع الحسن و حد الإساءه هو الضرر القبيح و هذا إنما يصح على مذهب من يقول إن الإنسان يكون محسنا إلى نفسه و مسيئا إليها و من لم يذهب إليه يزيد فيه الواصل إلى الغير مع قصده إلى ذلك و الأولى فى حد الحسن أن يقال هو الفعل الذى إذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الدم.

الإعراب

حيث ظرف مكان مبنى على الضم و ذكرنا فى بنائه فيما قبل و الجمله بعده فى تقدير المضاف إليه و مما يسأل فيه أن يقال كيف بنى على الضم و هو مضاف إلى الجمله على التشبيه بما حذف منه الإضافه و هو قبل و بعد و جوابه أن حيث مع إضافته إلى الجمله لا يمتنع أن يكون شبه قبل و نحوه قائما فيه لأنه قد منع الإضافه إلى المفرد و إن كان قد أضيف إلى الجمله و حق الإضافه أن تقع إلى المفرد و إذا كان كذلك فكان المضاف إليه محذوف منه كقبل و بعد هذا على قول من بناه على الضم و من بناه على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال و لا يجوز فى القرآن إلا الضم و أما حطه فإنما ارتفع على الحكايه و قال الزجاج تقديره مسألتنا حطه أى حط ذنوبنا عنا و قيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطه لذنوبنا و لو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه فى العريه حط عنا ذنوبنا حطه كما يقال سمعا و طاعه أى أسمع سمعا و أطيع طاعه و معاذ الله أى نعوذ بالله معاذا و قوله «نَغْفِرُ لَكُمْ» مجزوم لأنه جواب الأمر و إنما انجزم بالشرط فإن المعنى أن تقولوا نغفر لكم فحذف الشرط لدلاله الجزاء عليه و وقوع الأمر فى الكلام و طول به و حسن حذفه معه لأنه صار كالمعاقب له من حيث اجتماعا فى أنهما غير موجبين و غير خبرين و هذا كما يحذف المبتدأ لدلاله الخبر عليه و قد يحذف الجزاء أيضا لدلاله الشرط عليه فى نحو قولهم أنت ظالم إن فعلت كما يحذف خبر المبتدأ لدلاله المبتدأ عليه قال سيبويه كان أصل خطايا خطائي مثل خطائع فأبدل من الياء همزه فصار خطائي مثل خطائع فتجتمع همزتان فقلبت

الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء و الكسره إلى الألف و الفتحة فقبل خطاء مثل خطاعا كما فعل بمدارى فقبل مدارى ثم استثقل همزه بين ألفين لأن الهمزه مجانسه للألفات فكان كأنما اجتمعت ثلاث ألفات فأبدلت الهمزه ياء فقبل خطايا و قال الخليل أصل خطايا فاعيل فقلبت إلى فعالي ثم قلب بعد على ما تبينت فى المذهب الأول و إنما أعل هذا الإعلال لأن الهمزه التى بعد الألف عارضه غير أصلية و تقول فى جمع مرآه مرآئى فلا تعل لأن الهمزه عين الفعل.

المعنى

أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس و يؤيده قوله فى موضع آخر اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ و قال ابن زيد أنها أريحا قرية قرب بيت المقدس و كان فيها بقايا من قوم عاد و هم العمالقه و رأسهم عوج بن عنق يقول اذكروا «إِذْ قُلْنَا اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ» أى أين شئتم «رَعْدًا» أى موسعا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن و السلوى و قد قيل أن هذه إباحه لهم منه لغنائمها و تملك أموالها إتماما للنعمه عليهم «وَ اذْخُلُوا الْبَابَ» يعنى الباب الذى أمروا بدخوله و قيل هو باب حطه من بيت المقدس و هو الباب الثامن عن مجاهد و قيل باب القبه التى كان يصلى إليها موسى و بنو إسرائيل و قال قوم هو باب القرية التى أمروا بدخولها قال أبو على الجبائى و الآيه على قول من يزعم أنه باب القبه أدل منها على قول من يزعم أنه باب القرية لأنهم لم يدخلوا القرية فى حياه موسى و آخر الآيه يدل على أنهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما أمروا به فى أيام موسى لأنه قال «فَيَدَّلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» و العطف بالفاء التى هى للتعقيب من غير تراخ يدل على أن هذا التبديل منهم كان فى إثر الأمر فدل ذلك على أنه كان فى حياه موسى و قوله «سَيَجِدُ» قيل معناه ركعا و هو شده الانحناء عن ابن عباس و قال غيره أن معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الأعشى:

يراوح من صلوات المليك

طورا سجودا و طورا جؤارا

و قيل معناه ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب و قوله «حَطَّةً» قال الحسن و قتاده و أكثر أهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا و هو أمر بالاستغفار و قال ابن عباس أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق و قال عكرمه أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب و كل واحد من هذه الأقوال مما يحط الذنوب فيصح أن يترجم عنه بحطه و

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال نحن باب حطتكم

و قوله «نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ» أى نصفح

و نَعَفَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ «وَسَيَنْزِيذُ الْمُحْسِنِينَ» أَي وَ سَنَزِيدُهُمْ عَلَى مَا يَسْتَحِقُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ تَفْضِيلاً كَقَوْلِهِ تَعَالَى «لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» وَ قِيلَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ يَزِيدُهُمُ الْإِحْسَانَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنَ الْإِحْسَانِ بِإِنزَالِ الْمَنِّ وَ السَّلْوَى وَ تَظْلِيلِ الْغَمَامِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ.

البقره (٢): آيه ٥٩

اشاره

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)

اللغه

التبديل تغيير الشئ ء إلى غير حاله و الرجز بكسر الراء العذاب فى لغه أهل الحجاز و هو غير الرجز لأن الرجز التنن و

قال النبى صلى الله عليه و آله فى الطاعون أنه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم

و قال أبو عبيده الرجز و الرجز لغتان مثل البزاق و البساق و الزرع و السرعة و الرجز بضم الراء عباده الأوثان و فسق يفسق و الضم أشهر و عليه القراءه و معنى الفسق فى اللغه الخروج من العقيدته و كل من خرج عن شئ ء فقد فسق إلا- أنه فى الشرع مخصوص بالخروج عن أمر الله تعالى أو طاعته.

الإعراب

«غَيْرَ الَّذِي» انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير أن يكون صفة تجرى مجرى مثل و إذا أضيفا إلى المعارف لم يتعرفا لما فيها من الإبهام لأن مثل الشئ ء يكون على وجوه كثيره و كذلك غير الشئ ء يكون أشياء كثيره غير مختلفه.

المعنى

ثم بين سبحانه أنهم قد عصوا فيما أمروا به فقال «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» أى فخالف الذين عصوا و الذين فعلوا ما لم يكن لهم أن يفعلوه و غيروا ما أمروا به فقالوا غير ذلك و اختلف فى ذلك الغير فقيل أنهم قالوا بالسريانيه هاطا سماقاتا و قال بعضهم حطا سماقاتا و معناه حنطه حمراء فيها شعيره و كان قصدهم فى ذلك الاستهزاء و مخالفه الأمر و قيل أنهم قالوا حنطه تجاهلا و استهزاء و كانوا قد أمروا أن يدخلوا الباب سجدا و طوطى ء لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على أستاذهم فخالفوا فى الدخول أيضا و قوله «فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تدليلهم ما أمر الله به بالقول و الفعل «رِجْزًا» أى عذابا «مِنَ السَّمَاءِ» عن ابن عباس و قتاده و الحسن «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى بكونهم فاسقين أو بفسقهم كقوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا» أى بعصيانهم و قال ابن زيد أهلكوا بالطاعون فمات منهم فى ساعه واحده أربعة و عشرون ألفا من كبرائهم و شيوخهم و بقى الأبناء فانتقل عنهم العلم و العباده كأنه يشير إلى أنهم

عوقبوا بإخراج الأفاضل من بينهم.

البقره (٢): آيه ٦٠

إشاره

وَ إِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)

اللغه

الاستسقاء طلب السقيا و يقال سقيته و أسقيته بمعنى و قيل سقيته من سقى الشفه و أسقيته دلته على الماء و يقال عصا و عصوان و ثلاث أعص و جمعه عصى و الانفجار الانشقاق و الانبجاس أضيّق منه فيكون أولا انبجاسا ثم يصير انفجارا و العين من الأسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهه بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من تيك و بلد قليل العين أى قليل الناس و ما بالدار عين متحركه الياء و العين مطر أيام لا يقلع و العين الذهب و العين الميزان و العين الشمس و العين المتجسس للأخبار و قد تقدم ذكر أناس و أنه لا واحد له من لفظه «وَ لَا تَعْنُوا» أى و لا تفسدوا و لا تطغوا و العثى شده الفساد يقال عثا يعثو عثوا و عثى يعثى عثى و عاث يعيث عيثا و عيوثا و عيثانا قال رؤبه:

(و عاث فينا مستحل عايث)

الإعراب

إذا متعلق بكلام محذوف فكأنه قال و اذكروا إذ استسقى و يجوز أن يكون معطوفا على ما تقدم ذكره فى الآيات المتقدمه و قوله «اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» الشين ساكنه عند جميع القراء و كان يجوز كسرها فى اللغه و الكسر لغه ربيعه و تميم و الإسكان لغه أهل الحجاز قال ابن جنى أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات و ذلك أن لغه أهل الحجاز فى غير العدد فى نظير عشره عشره يقولون نبقه و فخذ يكسرون الثانى و بنو تميم يسكنون فيقولون نبقه و فخذ فلما ركب الاسمان استحال الوزن فقال بنو تميم إحدى عشره و اثنتا عشره بكسر الشين و قال أهل الحجاز عشره بسكونها و عينا منصوب على التمييز و الاسم الثانى من اثنتا عشره قام مقام النون فى عشرون بدلاله سقوط النون من اثنتان و أن عشره تعاقبها و كذلك التقدير فى جميع ذلك و هو الثلاثه و الثلاث من ثلاثه عشر و ثلاث عشره إلى

ص: ١٦٥

تسعه عشر و تسع عشره أن يكون فيها نون فقام عشره مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين و إذا لم يدخلها تنوين لم تبن و مفسدين منصوب على الحال.

المعنى

ثم عد سبحانه و تعالى على بنى إسرائيل نعمه أخرى إضافه إلى نعمه العلى الأولى فقال «وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى» أى سأل موسى قومه ماء و السنين سين الطلب و ترك ذكر المسئول ذلك إذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك و كذلك قوله «فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ» لأن معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر لأن فيما أبقاه من الكلام دلالة على ما ألقاه و هذا كما يقال أمرت فلانا بالتجاره فاكتسب مالا أى فاتجر و اكتسب مالا و قوم موسى هم بنو إسرائيل و إنما استسقى لهم ربه الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه فشكوا إليه الظم فأوحى الله تعالى إليه ان «اضْرِبْ بِعَصَاكَ» و هو عصاه المعروفه و كان من آس الجنه دفعها إليه شعيب و كان آدم حمله من الجنه معه إلى الأرض و كان طوله عشره أذرع على طول موسى و له شعبتان تتقدان فى الظلمه نورا و به ضرب البحر فانفلق و هو الذى صار ثعبانا و أما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجاره فينفجر عيوننا لكل سبط عينا و كانوا اثنى عشر سبطا ثم يسير كل عين فى جدول إلى السبط الذى أمر بسقيهم عن وهب بن منبه و قيل كان حجرا بعينه خفيفا إذا رحلوا حمل فى مخلاه فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس و هذا أولى لدلاله الألف و اللام للعهد عليه و قيل كانت حجره فيها اثنتا عشره حفره و كان الحجر من الكذبان و كان يخرج من كل حفره عين ماء عذب فرات فيأخذونه فإذا فرغوا أراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء و كان يسقى كل يوم ستمائه ألف عن أبى مسروق و

روى أنه كان حجرا مربعا

و

روى أنه كان مثل شكل الرأس و كان موسى إذا ضربه بعصاه انفجرت منه فى كل ناحيه ثلاث عيون لكل سبط عين و كانوا لا يرتحلون مرحله إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذى كان به منهم فى المنزل الأول

و قوله «فَإِنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» لا ينافى قوله فى سوره الأعراف فَأَنْبَجَسَتْ لِأَنَّ الْإِنْبَجَاسَ هُوَ الْإِنْفِجَارُ إِلَّا أَنَّهُ أَقْلٌ وَقِيلَ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَضْرِبُ عَلَيْهِ

ص: ١٦٦

العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجار و قيل كان ينبجس عند الحاجة و ينفجر عند الحاجة و قيل كان ينبجس عند الحمل و ينفجر عند الوضع و قوله «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ» أى قد علم كل سبط و فريق منهم موضع شربهم و قوله «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أى و قلنا لهم كلوا و اشربوا و هذا كلام مبتدأ و قوله «مِنْ رِزْقِ اللَّهِ» أى كلوا من النعم التى من الله بها عليكم من المن و السلوى و غير ذلك و اشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتىكم بلا مشقه و لا مؤونه و لا تبعه فإن الرزق ما للمرزوق أن ينتفع به و ليس لأحد منعه منه و قوله «وَ لَا تَعْتُوا» أى لا- تسعوا فى الأرض فسادا و إنما قال «لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» و إن كان العثى لا يكون إلا فسادا لأنه يجوز أن يكون فعل ظاهره الفساد و باطنه المصلحه فيبين أن فعلهم هو العيث الذى هو الفساد ظاهرا و باطنا و متى سئل فقيل كيف يجتمع ذاك الماء الكثير فى ذلك الحجر الصغير و هل يمكن ذلك فالجواب أن ذلك من آيات الله الباهره و الأعاجيب الظاهره الداله على أنها من فعل الله تعالى المنشى للأشياء القادر على ما يشاء الذى تذلل له الصعاب و يتسبب له الأسباب فلا بدع من كمال قدرته و جلال عزته أن يبدع خلق المياه الكثيره ابتداء معجزه لموسى و نعمه عليه و على قومه و من استبعد ذلك من الملاحده الذين ما قدروا الله حق قدره و لم يعرفوه حقيقه معرفته فالكلام عليهم إنما يكون فى وجود الصانع و إثبات صفاته و اتساع مقدوراته و لا معنى للتشاغل بالكلام معهم فى الفرع مع خلافهم فى الأصل.

البقره (٢): آيه ٦١

إشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدْسِهَا وَ بَصِيلِهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَ الْمَسِيكَنَةَ وَ بَاؤُ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)

قرأ أهل المدينة النبيين بالهمزه و الباقون بغير همز.

الإعراب

قال أبو على الحججه لمن همز النبي ء أن يقول هو أصل الكلمه ألا- ترى أن ناسا من أهل الحجاز حققوا الهمزه فى الكلام و لم يبدلوه فلم يكن كماضى يدع و نحوه مما رفض استعماله فأما ما

روى فى الحديث من أن بعضهم قال يا نبي ء الله فقال صلى الله عليه و آله لست نبي ء الله و لكنى نبي الله

فأظن أن من أهل النقل من ضعف إسناد هذا الحديث و يقوى ضعفه أن من مدح النبي صلى الله عليه و آله فقال:

يا خاتم النبيا إنك مرسل

بالحق خير هدى الإله هداكا

لم يؤثر عنه إنكار عليه فيما علمنا و لو كان فى واحده نكير لكان الجمع كالواحد و حجه من أبدل و لم يحقق مجى ء الجمع فى التنزيل على أنبياء الذى هو فى أكثر الأمر للمعتل اللام نحو صفى و أصفياء و غنى و أغنياء فدل على أن الواحد قد ألزم فيه البدل فإذا ألزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق و لا- يجوز أن يكون اشتقاق النبي من النبوه التى هى الارتفاع أو من النباه لأن سيبويه حكى أن جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمه بالهمزه فدل على أن أصله الهمز و قال الزجاج يجوز أن يكون نبي من أنبات فترك همزته لكثرة الاستعمال و يجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع فيكون فعلا من الرفع.

اللغه

الطعام ما يتغذى به و الطعم بضم الطاء الأكل و الطعم عرض يدرك بحاسه الذوق و الطعام من قبيل الأجسام و الواحد أول عدد الحساب و حده ما لا يتجزى و الله تعالى واحد لتفرده بصفاته الحسنى و الدعاء أصله النداء عن ابن السراج و كل من يدعو ربه فهو يناديه و حقيقه الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل و الفرق بينه و بين الأمر يظهر بالرتبه و الإنبات إخراج النبات و أصله من الظهور فكأنه ظهر إذا نبت و البقل ما ينبت الربيع يقال بقلت الأرض و أبقلت لغتان فصيحتان إذا أنبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق و فى القشاء لغتان ضم القاف و كسرهما و الكسر أجود و هى لغه القرآن و قد روى عن عيسى الثقفى فى الشواذ بالضم و

الفوم هو الحنطه عن ابن عباس و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر الباقرع

و أنشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح:

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

ورد المدينة عن زراعه فوم

وقال الفراء و الأزهرى هو الحنطه و الخبز تقول العرب فوموا لنا أى اختبزوا و قال قوم هو الحبوب التى تخبز و قال الكسائى هو الثوم أبدال من الثاء فاء كما قالوا جدث و جدف

ص: ١٦٨

قال الفراء و هذا أشبه بما ذكره بعده من البصل قال الزجاج و هذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم لأن القوم لا يجوز أن يطلبوا الثوم و لا يطلبون الخبز الذى هو الأصل و هذا ضعيف لأنه قد روى فى الشواذ عن ابن مسعود و ابن عباس و ثومها بالثاء و العدس حب معروف و قوله «أذنى» أى أقرب و أدون كما تقول هذا شىء مقارب أو دون و يجوز أن يكون أذنى من الدناءة و هى الخسه يقال دنا دناءة فهو دنى و هو أذنى منه فتركت همزتها و هو اختيار الفراء و حكى الأزهري عن ابن زيد الدنى بلا همز الخسيس و الدنىء بالهمزة الماكن و أما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعماره عما سواه و منهم من قال هو مشتق من الفصل بينه و بين غيره و قال عدى بن زيد:

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به

بين النهار و بين الليل قد فصلا

و «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ» أى فرضت و وضعت عليهم الذلة و ألزموها من قولهم ضرب الإمام الجزية على أهل الذمه و ضرب الأمير على عبيده الخراج و قيل ضربت عليهم الذلة أى حلوا بمنزل الذل و المسكنه مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

و قضى عليك به الكتاب المنزل

و أما الذلة فمشتقه من قولهم ذل فلان يذل ذلا و ذله و المسكنه مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان و ما كان مسكينا و لقد تمسكن تمسكنا و منهم من يقول تسكن تسكنا و المسكنه هاهنا مسكنه الفاقه و الحاجه و هى خشوعها و ذلها و قوله «وَأَوْ بَعْضُ» أى انصرفوا و رجعوا و لا يقال باء إلا موصولا أما بخير و أما بشر و أكثر ما يستعمل فى الشر و يقال باء بذنبه يبيء به قال المبرد و أصله المنزل أى نزلوا منزله غضب الله

و روى أن رجلا جاء برجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال هذا قاتل أخى و هو بواء به

أى مقتول به و منه قول ليلى الأخيلية:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم

فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

قال الزجاج أصل ذلك التسويه و منه ما روى عن عباده بن الصامت قال جعل الله تعالى الأنفال إلى نبيه فقسما بينها بينهم على بواء أى على سواء بينهم فى القسم و منه قول الشاعر:

فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له

بواء و لكن لا تكايل بالدم

و قال قوم هو الاعتراف و معناه أنهم اعترفوا بما يوجب غضب الله و منه قول الشاعر:

إني أبوء بعثرتي و خطيئتي

ربي و هل إلا إليك المهرب

و الغضب إرادته إيصال الضرر إلى من غضب عليه فإذا أضيف إلى الله تعالى فالمراد به أنه يريد إنزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه و النبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر لأنه المخبر عن الله سبحانه فإن قلت لم لا يكون من النبأوه و مما أنشده أبو عثمان قال أنشدني كيسان:

محض الضريبه فى البيت الذى وضعت

فيه النبأوه حلوا غير ممذوق

فالقول فيه أنه لا- يجوز أن يكون منها لأن سيبويه زعم أنهم يقولون فى تحقير النبوه كان مسيلمه نبيئه سوء و كلهم يقول تنبأ مسيلمه فلو كان يحتمل الأمرين لما اجتمعوا على ذلك قال أبو على و مما يقوى أنه من النبأ الذى هو الخبر أن النبأوه الرفعه و كأنه قال فى البيت الذى وضعت فيه الرفعه و ليس كل رفعه نبوه و قد يكون فى البيت رفعه ليست بنبوه و المخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبى و رسول فهذا الاسم أخص به و أشد مطابقه للمعنى المقصود إذا أخذ من النبأ و الاعتداء تجاوز الحد الذى حده الله لعباده إلى غيره و كل مجاوز حد شىء إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه.

الإعراب

قوله «يُخْرِجُ لَنَا» مجزوم لأنه جواب أمر محذوف لأن تقديره ادع لنا ربك و قل له أخرج لنا يخرج لنا و قد ذكرنا فيما قبل أن الأصل فيه أنه مجزوم بالشرط و حذف الشرط لأن الكلام يدل عليه و قيل أن تقديره أن يكون يخرج مجزوما بإضمار اللام أى ليخرج لنا نحو قوله: «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى ليقيموا فحذف اللام و أنشد أبو زيد:

فيضحى صريعا ما يقوم لحاجه

و لا يسمع الداعى و يسمعك من دعا

و أنشد غيره:

فقل ادعى و ادع فإن أندى

لصوت أن ينادى داعيان

ص: ١٧٠

أى ولأدع وقال آخر:

محمد تفد نفسك كل نفس

إذا ما خفت من أمر تبالا

أى لتفد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام الأمر إلا في الشعر ثم أنشد:

من كان لا يزعم أني شاعر

فيدن مني ينهه الزواجر

فقلت له لم جاز في الشعر و لم يجز في الكلام قال لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره هاهنا و هو يمكنه أن يقول فليدن مني قال فسأل عنى فقيل المازني فأوسع لى و قوله «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» من هنا للتبعيض لأن المراد يخرج لنا بعض ما تنبتة الأرض و قال بعضهم أن من هنا زائده نحو قولهم ما جاءنى من أحد و الصحيح الأول لأن من لا تزداد فى الإيجاب و إنما تزداد فى النفى و لأن من المعلوم أنهم لم يريدوا جميع ما تنبتة الأرض و نون جمع القراء مصرا لأنه أراد مصرا من الأمصار بغير تعيين لأنهم كانوا فى تيه و يجوز أن يكون المراد مصر بعينها البلده المعروفه و صرفه لأنه مذكر و روى عن ابن مسعود أنه قرأ بغير ألف و يجوز أن يكون المراد مصر هذه بعينها كما قال ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ و إنما لم يصرفه لأنه اسم المدينة فهو مذكر سمي به مؤنث و يمكن أن يكون إنما نونه من نونه اتباعا للمصحف لأنه مكتوب فى المصحف بألف و قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ» قال الزجاج معناه و الله أعلم الغضب حل بهم بكفرهم و أقول فى بيانه أن ذلك إشاره إلى الغضب فى قوله «وَ بَأْوٍ بِغَضَبٍ» فهو فى موضع الرفع بالابتداء و إن مع صلته من الاسم و الخبر فى موضع جر بالباء و الجار يتعلق بخبر المبتدأ و هى جملة من الفعل و الفاعل حذف لدلاله ما يتصل بها عليها و كذلك قوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا» فإن ما مع صلته فى تأويل المصدر.

المعنى

لما عدد سبحانه فيما قبل ما أسداه إليهم من النعم و الإحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران و سوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال «وَ إِذْ قُلْتُمْ» أى قال أسلافكم من بنى إسرائيل «يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ» أى لن نطبق حبس أنفسنا على طعام واحد و إنما قال «عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ» و إن كان طعامهم المن و السلوى و هما شيئان لأنه أراد به أن طعامهم فى كل يوم واحد أى يأكلون فى اليوم ما كانوا يأكلونه فى الأمس كما يقال أن طعام فلان فى كل يوم واحد و إن كان يأكل ألوانا إذا حبس نفسه على

ألوان من الطعام لا- يعدوها إلى غيرها و قيل أنه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فأنزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ» أى فاسأل ربك و ادعه لأجلنا «يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصِيلِهَا» أى مما تنبته الأرض من البقل و القثاء و مما سماه الله مع ذلك و كان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتاده قال كان القوم فى البريه قد ظلل عليهم الغمام و أنزل عليهم المن و السلوى فملوا ذلك و ذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله «اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ» و تقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا و قيل إنهم قالوا لا نصبر على الغنى بأن يكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانه ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الأرض ليحتاجوا فيه إلى أعوان فيكون الفقير عوناً للغنى وقوله «قَالَ أَسَدٌ تَبَدَّلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» معناه قال لهم موسى و قيل بل قال الله لهم أتركون ما اختار الله لكم و تؤثرون ما هو أدون و أردى على ذلك و قيل أنه أراد أ تستبدلون ما تتبدلون فى زراعته و صناعته بما أعطاه الله إياكم عفوا من المن و السلوى و قيل المراد تختارون الذى هو أقرب أى أقل قيمه على الذى هو أكثر قيمه و الذى و اختلف فى سؤالهم هذا هل كان معصيه فقيل لم يكن معصيه لأن الأول كان مباحا فسألوا مباحا آخر و قيل بل كان معصيه لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم و لذلك ذمهم على ذلك و هو أوجه و قوله «اهْبِطُوا مِصْرًا» اختلف فيه فقال الحسن و الربيع أراد مصر فرعون الذى خرجوا منه و قال أبو مسلم أراد بيت المقدس و روى ذلك عن ابن زيد و قال قتاده و السدى و مجاهد أراد مصرا من الأمصار يعنى أن ما تسألونه إنما يكون فى الأمصار و لا يكون فى المفاوز أى إذا نزلتم مدينه ذات طول و عرض «فَإِنَّ لَكُمْ» فيها «ما سَأَلْتُمْ» من نبات الأرض و قد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا فى السبت و من قتل الأنبياء فقال «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسِيكَنَةُ» أى ألزموا الذله إلزاما لا يبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشىء فيلزمه و قيل المراد بالذله الجزيه لقوله «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ» عن الحسن و قتاده و قيل هو الكسيتيج و زى اليهود عن عطا و قوله «وَ الْمَسِيكَنَةُ» يعنى زى الفقر فترى المثرى منهم يتبأس مخافه أن يضاعف عليه الجزيه و قال قوم هذه الآيه تدل على فضل الغنى لأنه ذمهم على الفقر و ليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون فى اليهود مياسير و لا يوجد يهودى غنى النفس

و قال

ص: ١٧٢

وقال ابن زيد أبدل الله اليهود بالعز ذلا- وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا أنبياءه ورسله اعتداء وظلما «وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ» أى رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم فى الدنيا من البلاء والنقمه بدلا من الرخاء والنعمة وقال آخرون هو ما ينالهم فى الآخرة من العقاب على معاصيهم ثم أشار إلى ما تقدم ذكره فقال «ذَلِكَ» أى ذلك الغضب وضرب الذله والمسكنه حل بهم لأجل «أنهم كانوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى يجحدون حجج الله وبيئاته وقيل أراد بآيات الله الإنجيل والقرآن ولذلك قال فَبَاؤُ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبِ الْأَوَّلِ لِكْفَرِهِمْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَالثانى لكفرهم بمحمد والقرآن وقيل آيات الله صفه محمد صلى الله عليه وآله وقوله «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله «بِغَيْرِ الْحَقِّ» لا يدل على أنه قد يصح أن يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفه لقتلهم وأنه لا يكون إلا ظلما بغير حق كقوله تعالى «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» ومعناه أن ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان وكقول الشاعر:

(على لأحب لا يهتدى بمناره)

ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفى أمثاله كثره وقوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» ذلك إشاره إلى ما تقدم أيضا بعضيائهم فى قتل الأنبياء وعدوهم السب وقيل بنقضهم العهد واعتدائهم فى قتل الأنبياء والمراد إنى فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعضيائهم أمرى وتجاوزهم حدى إلى ما نهيتهم عنه.

سؤال

إن قيل كيف يجوز التخليه بين الكفار و قتل الأنبياء [فالجواب] إنما جاز ذلك لتنال أنبياء الله سبحانه من رفع المنازل و الدرجات ما لا- ينالونه بغير القتل و ليس ذلك بخذلان لهم كما أن التخليه بين المؤمنين والأولياء والمطيعين و بين قاتليهم ليست بخذلان لهم و قال الحسن أن الله تعالى لم يأمر نبييا بالقتال فقتل فيه و إنما قتل من الأنبياء من قتل فى غير قتال و الصحيح أن النبي إن كان لم يؤد الشرع الذى أمر بتأديته لم يجز أن يمكن الله سبحانه من قتله لأنه لو مكن من ذلك لأدى إلى أن يكون المكلفون غير مزاحى العله فى التكليف و فيما لهم من الألفاف و المصالح فأما إذا أدى الشرع فحينئذ يجوز أن يخلى الله بينه و بين قاتليه و لم يجب عليه المنع من قتله و

روى أبو هريره عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال اختلفت بنو إسرائيل بعد موسى بخمسائه سنه حتى كثر فيهم أولاد السبايا و اختلفوا بعد عيسى بمائتى سنه.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

القراءه

قرأ نافع بترك الهمزه من الصابئين و الصابئون فى كل القرآن و الباقون يهمزون.

الإعراب

ترك الهمزه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من صبا يصبو إذا مال إلى الشىء و الآخر قلب الهمزه قال أبو على و لا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الإنسان إلى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوه إليه فإذا بعد هذا و كان الصابئون منتقلين من دينهم الذى أخذ عليهم إلى سواه لم يستقم أن يكون إلا من صبأت الذى معناه انتقال من دينهم إلى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز و قلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيويه إلا فى الشعر فدل على أن القائل لذلك غير فصيح و أنه مخطئ فى لغته فالاختيار الهمز و لأنه قراءه الأكثر و إلى التفسير أقرب.

اللغه

هادوا أى صاروا يهودا و دانوا باليهوديه و هاد يهود هوذا أى تاب و اختلف فى اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من اليهود أى التوبه و منه قوله «إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ» عن ابن جريج و سموا بذلك لتوبتهم عن عباده العجل و قال زهير:

سوى مربع لم يأت فيه مخافه

و لا رهقا من عابد متهود

أى تائب و قيل إنما سموا يهودا لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا و قيل إنما سموا يهودا لأنهم هادوا أى مالوا عن الإسلام و عن دين موسى و قيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءه التوراه و يقولون أن السماوات و الأرض تحركت حين أتى الله موسى (عليه السلام) التوراه و اليهود اسم جمع واحدهم يهودى كالزنجى و الزنج و الرومى و الروم و النصارى جمع نصران كقولهم سكران و سكارى و ندمان و ندامى

هذا قول سيويه قال الشاعر:

تراه إذا كان العشى محنفا

يضحى لديه و هو نصران شامس

و هو الممتلى نصرا كما أن الغضبان هو الممتلى غضبا و قيل فى مؤنثه نصرانه كما قال:

(كما سجدت نصرانه لم تحنف).

و قيل أن واحد النصرى نصرى مثل مهرى و مهارى و اختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصره قريه كان يسكنها عيسى (عليه السلام) فنسبوا إليها و قيل سموا بذلك لتناصرهم أى نصره بعضهم بعضا و قيل إنما سموا بذلك لقوله «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» و الصابئون جمع صابئ و هو من انتقل إلى دين آخر و كل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي فى اللغة صابئا قال أبو على قال أبو زيد صبا الرجل فى دينه يصبا صبوبا إذا كان صابئا و صبا ناب الصبى يصبا صبا إذا طلع و صبأت عليهم تصبأ صبا و صبوءا إذا طلعت عليهم و طرأت مثله فكان معنى الصابئ التارك دينه الذى شرع له إلى دين غيره كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه و منتقل إلى سواها و الدين الذى فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عباده النجوم أو تعظيمها قال قتاده و هم قوم معروفون و لهم مذهب يتفردون به و من دينهم عباده النجوم و هم يقرون بالصابع و بالمعاد و ببعض الأنبياء و قال مجاهد و الحسن الصابئون بين اليهود و المجوس لا- دين لهم و قال السدى هم طائفه من أهل الكتاب يقرءون الزبور و قال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصرى إلا- أن قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون أنهم على دين نوح و قال ابن زيد هم أهل دين من الأديان كانوا بالجزيره جزيره الموصل يقولون لا إله إلا الله و لم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (عليه السلام) و لأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم و قال آخرون هم طائفه من أهل الكتاب و الفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزيه منهم و عندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا بأهل كتاب.

الإعراب

خبر إن جمله قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» الآيه لأن معناه من آمن منهم بالله و اليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلاله الكلام عليه و قوله «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» إلى آخر الآيه فى موضع الجزاء و إنما رفع و لا خوف لتكرير لا كقول الشاعر:

ص: ١٧٥

و هذا كأنه جواب لمن قال أ ناقه لك فى هذا أم جمل فأما النكره المفرده ففیه الفتح لا غير نحو لا رجل فى الدار و هو جواب هل من رجل فى الدار، و إنما قال «مَنْ آمَنَ» فوحد ثم قال «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» فجمع لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه.

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» اختلف فى هؤلاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بيسى ثم لم يتهودوا و لم ينتصروا و لم يصبوا و انتظروا خروج محمد صلى الله عليه و آله و قيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار و قس بن ساعده و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقه بن نوفل و البراء الشنى و أبو ذر الغفارى و سلمان الفارسى و بحير الراهب و وفد النجاشى آمنوا بالنبي صلى الله عليه و آله قبل مبعثه فمنهم من أدركه و تابعه و منهم من لم يدركه و قيل هم مؤمنوا الأمم الماضيه و قيل هم المؤمنون من هذه الأمة و قال السدى هو سلمان الفارسى و أصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله و كانوا قد أخبروه بأنه سيبعث و أنهم يؤمنون به أن أدركوه و اختلفوا فى قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا و النصارى و الصابئين و الضمير يرجع إليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى أن يشترط فيهم استئناف الإيمان فكأنه قال أن الذين آمنوا و من آمن من اليهود و النصارى و الصابئين بالله و اليوم الآخر فلهم أجرهم و قال آخرون من آمن منهم الضمير راجع إلى الكل و يكون رجوعه إلى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم إيمانهم و الاستقامه و ترك التبديل و إلى الذين هادوا و النصارى و الصابئين بمعنى استئناف الإيمان بالنبي صلى الله عليه و آله و ما جاء به و قال بعضهم أراد من آمن بمحمد صلى الله عليه و آله بعد الإيمان بالله و بالكتب المتقدمه لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر و نظيره قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» و روى عن ابن عباس أنه قال أنها منسوخه بقوله «وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» و هذا بعيد لأن النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذى هو متضمن للوعد و إنما يجوز دخوله فى الأحكام الشرعيه التى يجوز تغييرها و تبديلها بتغير المصلحه فالأولى أن يحمل على أنه لم يصح هذا القول عن ابن عباس و قال قوم أن حكمها ثابت و المراد بها أن الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم من المنافقين و اليهود و النصارى و الصابئين إذا آمنوا بعد النفاق و أسلموا بعد العناد كان لهم أجرهم عند ربهم كمن آمن فى أول استدعائه إلى الإيمان من غير نفاق و لا عناد لأن قوما من المسلمين قالوا

أن من أسلم بعد نفاقه و عناده كان ثوابه أنقص و أجره أقل فأخبر الله بهذه الآيه أنهم سواء فى الأجر و الثواب و قوله «بِاللَّهِ» أى بتوحيد الله و صفاته و عدله «وَ الْيَوْمَ الْمَآخِرِ» يعنى يوم القيامة و البعث و النشور و الجنة و النار «وَ عَمِلَ صَالِحًا» أى عمل ما أمره الله به من الطاعات و إنما لم يذكر ترك المعاصى لأن تركها من الأعمال الصالحه «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» أى جزاؤهم و ثوابهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى معد لهم عنده و قوله «وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» مضى تفسيره قبل و قيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا و لا- هم يحزنون على ما خلفوا و قيل لا خوف عليهم فى العقبى و لا يحزنون على الدنيا و فى هذه الآيه دلالة على أن الإيمان هو التصديق و الاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» ثم عطف عليه بقوله «وَ عَمِلَ صَالِحًا» و من حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر و كل شىء يذكرونه مما عطف على الأول بعد دخوله فيه مثل قوله «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ» و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح فإن جميع ذلك على سبيل المجاز و الاتساع و لو خيلنا و الظاهر لقلنا أنه ليس بداخل فى الأول.

البقره (٢): آيه ٦٣

إشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)

اللغه

الميثاق هو مفعال من الوثيقه أما بيمين و أما بعهد أو غير ذلك من الوثائق و الطور الجبل فى اللغه قال العجاج:

دانى جناحيه من الطور فمر

تقضى البازى إذ البازى كسر

و قيل أنه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس و القوه القدره و هى عرض يصير به الحى قادرا و كل جسم قادر بقدره لا يصح منه فعل الجسم و الأخذ ضد الإعطاء و أصل خذ أوخذ و كذا كل أصله أوكل و إنما لزم الحذف فيها تخفيفا لكثرة الاستعمال و كذلك مر و قد جاء فيه أوامر على الأصل.

الإعراب

«خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ» محله نصب على تقدير و قلنا لكم خذوا كما تقول أوجبت عليه قم أى أوجبت عليه فقلت قم قال الفراء أخذ الميثاق قول و لا حاجه بالكلام

إلى إضمار القول فيه غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذى هو بمعنى القول أن يكون معه أن كقوله «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» قال و يجوز حذف أن و موضع ما هاهنا نصب.

المعنى

ثم عاد إلى خطاب بنى إسرائيل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» أى عهدكم و العهد هو الذى فطر الله الخلق عليه من التوحيد و العدل و نصب لهم من الحجج الواضحه و البراهين الساطعه الداله على ذلك و على صدق الأنبياء و الرسل و قيل أنه أراد به الميثاق الذى أخذه الله على الرسل فى قوله «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ الْآيَهُ» و قيل هو أخذ التوراه عن موسى «وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ» قال أبو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالألواح فقال لقومه جئتم بالألواح و فيها التوراه و الحلال و الحرام فاعملوا بها قالوا و من يقبل قولك فأرسل الله عز و جل الملائكه حتى نتقوا الجبل فوق رءوسهم فقال موسى عليه السلام إن قبلتم ما آتيتكم به و إلا أرسلوا الجبل عليكم فأخذوا التوراه و سجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على أحد شقى و جوههم قيل و هذا هو معنى أخذ الميثاق و كان فى حال رفع الجبل فوقهم لأن فى هذه الحال قيل لهم «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ» يعنى التوراه «بِقُوَّةٍ» أى بجد و يقين لا شك فيه و هو قول ابن عباس و قتاده و السدى و قريب منه

ما روى العياشى أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز و جل «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» أ بقوه بالأبدان أم بقوه بالقلوب فقال بهما جميعا

و قيل أخذه بقوه هو العمل بما فيه بعزيمه و جد و قيل بقدره و أنتم قادرون على أخذه عن أبى على و الأصم «وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ» يعود الضمير من فيه إلى ما من قوله «ما آتيناكم» و هو التوراه يعنى احفظوا ما فى التوراه من الحلال و الحرام و لا تنسوه و قيل

معناه اذكروا ما فى تركه من العقوبه و هو المروى عن أبى عبد الله ع

و قيل معناه اعملوا بما فيه و لا تتركوه و قيل المعنى فى ذلك أن ما آتيناكم فيه من وعد و وعيد و ترغيب و ترهيب تدبروه و اعتبروا به و اقبلوه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى كى تتقونى إذا فعلتم ذلك و تخافوا عقابى و تنتهوا إلى طاعتى و تنزعوا عما أنتم عليه من المعصيه.

البقره (٢): آيه ٦٤

اشاره

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)

توليتهم أعرضتم و هو مطاوع قولهم ولاء فلان دبره إذا استدبر عنه و جعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعه أمر و معرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعه فلان و تولى عن صداقته و منه قوله «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا» أى خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لَنْصَدَّقَنَّ وَ لَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ الخاسر هو الذى ذهب رأس ماله و رأس مال الإنسان نفسه و ما سواها مما يحصل له من المنافع فهو كله ربح.

المعنى

معنى الآية ثم نبذتم العهد الذى أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق وراء ظهوركم و أعرضتم عنه «فَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أى فلو لا أن الله تفضل عليكم بالتوبه بعد نكثكم الميثاق الذى واثقتموه إذ رفع فوقكم الطور و أنعم عليكم بالإسلام «وَ رَحْمَتُهُ» التى رحمكم بها فتجاوز منكم خطيئكم بمراجعتكم طاعه ربكم «لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» و قال أبو العالیه فضل الله الإيمان و رحمته القرآن فيكون معناه لو لا- إقدارى لكم على الإيمان و إزاحه علتكم فيه حتى فعلتم الإيمان لكنتم من الخاسرين و إنما جعل الإيمان فضلا و توبته التى بها نجوا و لم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعى إليه و المقدر عليه و المرغب فيه و يحتمل أن يكون المعنى فلو لا- فضل الله عليكم بإمهاله إياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك و توبته لكنتم من الخاسرين و يحتمل أن يريد فلو لا فضلى عليكم فى رفع الجبل فوقكم للتوفيق و اللطف الذى تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم و سقوط الجبل لكنتم من الخاسرين.

البقره (٢): آيه ٦٥

اشاره

وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)

اللغة

علمتم أى عرفتم هنا تقول علمت أحاك و لم أكن أعلمه أى عرفته و لم أكن أعرفه كقوله تعالى: «وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» أى لا- تعرفونهم الله يعرفهم و «الَّذِينَ اعْتَدَوْا» فى موضع نصب لأنه مفعول به و الفرق بينه و بين ما يتعدى إلى مفعولين إن المعرفة تنصرف إلى ذات المسمى و العلم ينصرف إلى أحواله فإذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه و إذا قلت علمت زيدا كريما أو لثيما فالعلم يتعلق بأحواله من

فضل و نقص و اعتدوا أى ظلموا و جاوزوا ما حد لهم و السبت من أيام الأسبوع قال الزجاج السبت قطعه من الدهر فسمى بذلك اليوم و قال أبو عبيده سمي بذلك لأنه يوم سبت فيه خلق كل شىء أى قطع و فرغ قوله منكم فى موضع نصب حالا من الذين اعتدوا أى المعتدين كائنين منكم قوله «فى السَّبْتِ» متعلق باعتدوا و أصل السبت مصدر يقال يسبت سبتا إذا قطع ثم سمي اليوم سبتا و قد يقال يوم السبت فيخرج مصدرا على أصله و قد قالوا اليوم السبت فجعلوا اليوم خيرا عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون فى الكلام حذف تقديره فى يوم السبت و قال قوم إنما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه أى يقطعون فيه الأعمال و قال آخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لأن أصل السبت هو السكون و الراحة و منه قوله «وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» و يقال للنائم مسبوت لاستراحته و سكون جسده و القرده جمع قرد و الأثنى قرده و الخاسئى المبعد المطرود يقال خسأت الكلب أخسأه خسأ و خسئ الكلب يخسأ خسأ تقول خسأته و خسئ و انخسأ قال الراجز

كالكلب إن قلت له اخسأ انخسأ

أى إن طردته انطرد.

المعنى

خاطب اليهود فقال «وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ» أى عرفتم «الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فى السَّبْتِ» أى الذين جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت و كان الحيتان تجتمع فى يوم السبت لأنها فحبسوها فى السبت و أخذوها فى الأحد فاعتدوا فى السبت أى ظلموا و تجاوزوا ما حد لهم لأن صيدها هو حبسها و روى عن الحسن أنهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعد ما نهوا عنه «فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً» و هذا إخبار عن سرعه فعله و مسخه إياهم لا أن هناك أمرا و معناه و جعلناهم قرده كقوله تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ انثبأ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» و لم يكن هناك قول و إنما أخبر عن تسهل الفعل عليه و تكوينه بلا مشقه قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبه لهم و كانوا يتعاونون و بقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا و لم يشربوا و لم يتناسلوا ثم أهلكهم الله تعالى و جاءت ريح فهبت بهم و ألقتهم فى الماء و ما مسخ الله أمه إلا أهلكها و هذه القرده و الخنازير ليست من نسل أولئك و لكن مسخ أولئك على صورته هؤلاء يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس فى القرده و الخنازير من هو من أولاد آدم و لو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بنى آدم و قال مجاهد لم يمسخوا قرده و إنما هو مثل ضربه الله كما قال كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا و حكى عنه أيضا أنه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القرده لا تقبل و عطا و لا تتقى زجرا و هذان القولان يخالفان الظاهر الذى أكثر المفسرين عليه من غير ضروره تدعو إليه و قوله «خَاسِئِينَ» أى مبعدين عن الخير و قيل أذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد و فى هذه

الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفه على آبائهم و إخبار الرسول صلى الله عليه و آله عن عناد أسلافهم مره بعد أخرى و كفرانهم و عصيانهم ثانيه بعد أولى مع ظهور الآيات اللائحه و المعجزات الواضحه تعزیه له صلى الله عليه و آله و تثبيتا لفؤاده و تسليته إياه عما يقاسيه من مخالفه اليهود و كيدهم و براهه من جحودهم و كفرهم و عنادهم و ليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبار سلفهم تنبيها لهم و حجه عليهم فى إخلادهم إلى الهوى و إلحادهم و تحذيرا لهم من أن يحل بهم ما حل بآبائهم و أجدادهم.

البقره (٢): آيه ٦٦

إشاره

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)

اللغه

النكال الإرهاب للغير و أصله المنع لأنه مأخوذ من النكل و هو القيد و هو أيضا اللجام و سميت العقوبه نكالا لأنها تمنع عن ارتكاب مثله ما ارتكبه من نزلت به و نكل فلان بفلان تنكيلا- و نكالا و الموعظه الوعظ و أصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظه و وعظه.

المعنى

«فَجَعَلْنَاهَا» الضمير يعود إلى الأمة التى مسخت

و هم أهل إيله قريه على شاطئ البحر و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

أو إلى المسخه عن الزجاج أو إلى العقوبه أى جعلنا تلك العقوبه عن ابن عباس أو إلى القرية التى اعتدى أهلها فيها «نَكَالًا» أى عقوبه و قيل اشتهاه أو فضيحه و قيل تذكره و عبره و قوله «لِما بَيْنَ يَدَيْهَا وَ ما خَلْفَهَا» ذكر فيه وجوه (أحدها) ما روى عن ابن عباس رواه الضحاك عنه «لِما بَيْنَ يَدَيْهَا» للأمم التى تراها و «ما خَلْفَهَا» ما يكون بعدها و هو يقارب المأثور

المروى عن الباقر و الصادق عليه السلام أنهما قالا «لِما بَيْنَ يَدَيْهَا» أى لما معها ينظر إليها من القرى و «ما خَلْفَهَا» نحن و لنا فيها موعظه

فعلى هذا يكون ما بمعنى من أى نكالا للخلق الذين كانوا معهم و لجميع من يأتى بعدهم إلى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (و ثانيها) أن يكون معناه جعلناها عقوبه للذنوب التى تقدمت على الاصطياد و الذنوب التى تأخرت عنه و هذا يقتضى أن يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبه عقيب الاصطياد عن ابن عباس أيضا فيكون اللام بمعنى السبب أى بسبب ذلك (و ثالثها) أن يكون المراد لما بين يديها من القرى و ما

خلفها من القرى عن عكرمه [عن ابن عباس] (و رابعها) أن يكون المراد «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّهَا» ما مضى من خطاياهم و ب «ما خَلَفَهَا» خطاياهم التي أهلكوا بها «و مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» معناه أنه إنما يتعظ بها المتقون فكانها موعظه لهم دون غيرهم و هذا كقوله سبحانه «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» و في هذه الآيه دلالة على أن من فعل مثل أفعال هؤلاء ممن تقدمهم أو تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه و تغيير الخلقه إذ كان نكالا- لهم جميعا و تحذيرا و تنبيها للمتقين لكي لا- يواقعوا من المعاصي ما واقع أولئك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه.

البقره (٢): الآيات ٦٧ الى ٧١

اشاره

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سَيِّئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)

القراءه

قرأ حمزه و إسماعيل عن نافع و عباس عن أبي عمرو هزءا و كفوءا

ص: ١٨٢

بالتخفيف و الهمز فى كل القرآن و قرأ حفص عن عاصم بضم الزاى و الفاء غير مهموز و قرأ يعقوب «هُزُوا» بضم الزاى كفوا بسكون الفاء و الباقون بالثقل و الهمز.

الإعراب

قال أبو الحسن زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فمن العرب من يثقله و منهم من يخففه نحو العسر و اليسر و الحلم و مما يقوى هذه الحكاياه أن ما كان على فعل من الجموع مثل كتب و رسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك فى المعتل العين الواوى نحو سوكت الأسحل قال:

و فى الأكف اللامعات سور

و حكى أبو زيد قول قوم و أما فعل فى جمع أفعل نحو أحمر و حمر فكأنهم ألزموه الإسكان للفصل بين الجمعيين و قد جاء فيه التحريك فى الشعر فإذا كان الأمر على هذا و جب أن يكون ذلك مستمرا فى نحو الكف ء و الهزء فإذا خفف الهمزه و ثقل العين لزم أن تقلب الهمزه واوا فيقول هزوا و لم يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحِيدٌ و إن خفف فأسكن العين قال هزوا فأبقى الواو التى انقلبت عن الهمزه لانضمام ما قبلها و إن لم تكن ضممه العين فى اللفظ لأنها مراده فى المعنى كما قالوا لقضو الرجل فأبقوا الواو و لم يردوا اللام التى هى ياء من قضيت لأن الضمه مراده فى المعنى و كذلك قالوا رضى زيد فيمن قال علم زيد فلم يردوا الواو التى هى لام لزوال الكسره لأنها مقدره مراده و إن كانت محذوفه من اللفظ و كذلك تقول هزوا و كفوا فتثبت الواو و إن كنت حذفت الضمه الموجه لاجتلابها و إذا كان الأمر على هذا فقراءه من قرأ بالضم و تحقيق الهمز فى الجواز و الحسن كقراءه من قرأ بالإسكان و قلب الهمزه واوا لأنه تخفيف قياسى و قد روى أبو زيد عن أبى عمرو أنه خير بين التخفيف و التثقل.

اللغة

البقره اسم للمؤنث من هذا الجنس و اسم الذكر منه الثور و هذا يخالف صيغه المذكر منه صيغه الأنثى كالحمل و الناقه و الرجل و المرأه و الجدى و العناق و أصل البقر الشق يقال بقرت بطنه أى شققته و سمي البقر بقرا لأن من شأنه شق الأرض بالكرا و الهزء اللعب و السخرية يقال هزأت به هزء و مهزأه و أعوذ بالله أَلجأ إلى الله عودا و عياذا و حقيقه العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه و الجهل نقيض العلم و قيل هو نقيض الحلم و الصحيح أنه اعتقاد الشىء على خلاف ما هو به كما أن العلم اعتقاد الشىء على ما هو و التبيين التعريف و أصله من البين و هو الفراق فكل من بين شيئا فقد ميزه

عما يلتبس به حتى يعرفه غيره قال سيبويه أبان الشىء و أبتته و بين و بينته و استبان و استبتته و المعنى واحد و الفارض الكبيره المسنه يقال فرضت البقره تفرض فروضا إذا أسنت قال الشاعر:

لعمري قد أعطيت جارك فارضا

تساق إليه ما تقوم على رجل

و قيل إن الفارض التى ولدت بطونا كثيره فيتسع لذلك جوفها لأن معنى الفارض فى اللغه الواسع الضخم و هو قول بعض المتأخرين و استشهد بقول الراجز:

يا رب ذى ضغن على فارض

له قروء كقروء الحائض

و يقال لحيته فارضه أى عظيمه و البكر الصغيره التى لم تحمل و البكر من بنى آدم و من البهائم ما لم يفتحله الفحل و البكر من كل شىء أوله و البكر التى ولدت واحدا و بكرها أول أولادها قال:

يا بكر بكرين و يا خلب الكبد

أصبحت منى كذراع من عضد

و ضربه بكر أى قاطعه لا تنثنى و حدث ابن عائشه عن أبيه عن جده قال كانت ضربات على بن أبى طالب عليه السلام أبكارا كان إذا اعتلى قد و إذا اعترض قط ذكره ابن فارس فى مجمل اللغه و البكر بفتح الباء الفتى من الإبل و العوان دون المسنه و فوق الصغيره و هى النصف التى ولدت بطنا أو بطنين قال الفراء يقال من العوان عونت المرأة تعوينا إذا بلغت ثلاثين سنه و منه قيل للحرب عوان إذا لم يكن أول حرب بين القوم و كانوا قد قاتلوا قبله و بين اسم يستعمل على ضربين مصدر و ظرف قال أبو على و هما عندى و جميع بابهما يرجعان إلى أصل واحد و هو الافتراق و الانكشاف و سيأتيك بيانه فى الأعراب إن شاء الله و اللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد و هو عباره عما إذا وجد حصلت به الجواهر على هيئه مخصوصه لولاه لما حصلت على تلك الهياه و لا يدخل تحت مقدور العباد فاقع لونها أى شديده الصفرة يقال أصفر فاقع و أحمر ناصع و أخضر ناضر و أحمر قانى و أبيض يقق و لهق و لهاق و أسود حالك و حلوك و حلوكوك و غريب و دجوى فهذه كلها صفات مبالغه فى الألوان و قيل إنه أراد بصفراء هاهنا سوداء شديده السواد كما يقال صفراء أى سوداء و قال الشاعر:

تلك خيلي منه و تلك ركابي

هن صفر اولادها كالزبيب

و الأول أصح فإن الإبل إن وصفت به فلا يوصف البقر به و أيضا فإن السواد لا يوصف بالفقوع و إنما يوصف بالحلوكة و غيرها على ما ذكرناه و البقر جمع بقره و كذلك البقر جمع كالجامل جمع جمل قال الأعشى:

و ما ذنبه إن عافت الماء باقر

و ما إن تعاف الماء إلا ليضربا

و قال آخر:

(لهم جامل لا يهدأ الليل سامره)

أى جمال و نحو هذا عندهم اسم مفرد مصوغ للكثرة كاسم الجنس و مثله العبيد و الكليب و الضئيين فى جمع عبد و كلب و ضان و قوله لا ذلول يقال للدابه قد ذللها الركوب و العمل دابه ذلول بين الذل بكسر الهمزة و الذال و يقال فى مثله من بنى آدم رجل ذليل بين الذل بضم الهمزة و الذال و الذله بكسرها و المذله و الإثارة إظهار الشىء بالكشف و أثار الأرض أى كربها و قلبها و الحرث كل أرض ذلته للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر فى الأرض للازدراع و الزرع الإنبات و الإنماء قال عز اسمه «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» مسلمه مبرأه من العيوب مفعله من السلامه الشيه اللون فى المشى يخالف عامه لونه و الوشى خلط اللون باللون و «لا شِيَهَ فِيهَا» أى لا وضح فيها يخالف لون جلدها يقال وشيت الثوب أشيه شيه و وشيا و منه قيل لمن يسعى بالرجل إلى السلطان واش لكذبه عليه عنده و تحسينه كذبه بالأباطيل و يقال منه وشيت به وشايه قال كعب بن زهير:

تسعى الوشاه بجنيها و قولهم

إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

يعنى أنهم يتقولون بالأباطيل و يقولون إنه إن لحق بالنبي صلى الله عليه و آله قتله و الذبح فرى الأوداج و ذلك فى البقر و الغنم و النحر فى الإبل و لا يجوز فيها عندنا غير ذلك و فيه خلاف بين الفقهاء و

قيل للصادق عليه السلام إن أهل مكة يذبحون البقره فى اللبه فما ترى فى أكل لحومها فسكت هنيهة ثم قال قال الله تعالى «فَذَبْحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» لا تأكل إلا ما ذبح من مذبحه

الإعراب

حذفت الفاء من قوله «قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا» لاستغناء ما قبله من الكلام عنه و حسن الوقف على قوله «أَنْ تَذَبْحُوا بَقَرَةً» كما حسن إسقاطها من قوله قال «فَمَا حَطْبُكُمْ

أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا»* و لم يقل فقالوا و لو قيل بالفاء لكان حسنا و لو قلت قمت ففعلت لم يجر إسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه و قوله «هُزُوا» لا يخلو من أحد أمرين (أحدهما) أن يكون المضاف محذوفا لأن الهزء حدث و المفعول الثاني من تتخذ يكون الأول نحو قوله «لا تَتَّخِذُوا عِدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» (و الثاني) أن يكون الهزء بمعنى المهزوء به مثل الصيد فى قوله تعالى «أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ» و نحوه و كما يقال رجل رضى أى مرضى أقام المصدر مقام المفعول و أما قوله تعالى «لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً» فلا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف لأن الدين ليس بعين و قوله «أَعُوذُ بِاللَّهِ» أصله أعود فنقلت الضمه من الواو إلى الساكن قبلها من غير استئثار لذلك غير أنه لما أعلت عين الماضى لتحركها و انفتاح ما قبلها أعلت عين المضارع أيضا ليجرى الباب على سنن واحد و كذلك القول فى أعاذ يعيد و استعاذ يستعيد و الأصل أعود يعوذ و استعوذ يستعوذ و قوله «لا فَارِضٌ وَ لا بَكْرٌ» قال الأخفش ارتفع و لم ينتصب كما ينتصب المنفى لأنه صفة لبقره و قوله «عَوَانٌ» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هى عوان و قال الزجاج ارتفع فارض بإضمار هى أى هى لا فارض و لا- بكر قال و إنما جاز «بَيِّنَ ذَلِكَ» و بين لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر لأن ذلك ينوب عن الحمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذاك و ظننت ذلك قال أبو على لا- يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من أن يكون إشاره إلى المصدر كما ذهب إليه سيبويه أو يكون إشاره إلى أحد مفعولى ظننت و أن تكون نائبة عن الجملة كما قاله أبو إسحاق و لا يجوز أن يكون إشاره إلى أحد المفعولين لأنه لو كان كذلك للزم أن يذكر الآخر كما لو أنك ذكرت اسم المشار إليه للزم فيه ذلك و كما أنك إذا ذكرت المبتدأ لزمك ذكر الخبر أو يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكرك له و لا يجوز أن تكون نائبة عن الجملة هنا و لا- إشاره إليها كما لم ينب عن الجملة فى غير هذا الموضع من المواضع التى تقع فيها الجملة نحو صله الذى و وصف النكرات فثبت أن ذاك فى قولهم ظننت ذاك إشاره إلى المصدر الذى هو الظن و لا- يجوز أن يقع اسم مفرد موقع جملة و لو كان سائغا أن ينوب ذلك عن الحمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل أ لا ترى أن ذلك إشاره إلى ما تقدم مما دل عليه قوله «لا فَارِضٌ وَ لا بَكْرٌ» و هو البكاره و الفروض فإنما يدل قوله ذلك عليهما فلو كان واقعا موقع جملة ما دل عليهما لأن الجملة يسند فيها الحدث إلى المحدث عنه و ليس واحد من الفروض و البكاره يسند

إلى الآخر ألا ترى أن المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح و اعلم أن الاسم الذى يضاف إليه بين لا يخلو من أن يكون دالا على واحد أو على أكثر من الواحد فإذا كان دالا على الواحد غير دال على أكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من أن أصله الافتراق فكما يمتنع أن يقول افتراق و اجتماع زيد حتى تضيف إليه ما يزيد به على الأفراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف إليه آخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفه و إذا كان الاسم دالا على الكثيره و إن كان مفردا جاز أن يضاف بين إليه و أما قوله «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» فإنما أضيف فيه بين إلى ذلك من حيث جاز إضافته إلى القوم و ما أشبه ذلك من الأسماء التى تدل على الكثيره و إنما جاز أن يكون قولنا ذلك يراد به مره الانفراد و مره الجمع و الكثيره لمشابهته الموصوله كالذى و ما ألا ترى أن البابين يشتبهان فى دلاله كل واحد منهما على غير شىء بعينه فجاز أن يراد به الواحد مره و أكثر من الواحد مره و يدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع و ما زاد على الواحد أن رؤبه لما قال له أبو عبيده فى قوله:

فيه خطوط من سواد و بلق

كأنه فى الجلد توليع البهق.

إن أردت الخطوط و جب أن تقول كأنها و إن أردت السواد و البلق و جب أن تقول كأنهما قال أردت كان ذلك فعلم به أنهم يقصدون ذلك غير المفرد و يدل عليه أيضا قول القائل:

إن للخير و للشر مدى

و كلا ذلك وجه و قبل

ألا- ترى أن كلا-لا- تضاف إلى المفرد فلو لا- أن المراد بذلك غير الأفراد لما أضيف كلا إليه فكذلك القول فى «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» و المراد بذلك الزيادة على الواحد ألا ترى أنه إشارة إلى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض و البكاره و موضع ما من قوله «ما هِىَ» و «ما لُونُهَا» رفع لأنه خبر المبتدأ لأن تأويله الاستفهام أى شىء هو و أى لون لونها «قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ» إنها ما بعد القول من باب إن مكسوره أبدا كأنك لم تذكر القول فى صدر كلامك و إنما وقعت قلت فى كلام العرب على أن يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدى مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كأنك حكيت زيد منطلق و كذلك أن زيدا منطلق إذا حكيتته تقول قلت إن زيدا منطلق و قوم من العرب و هم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا و قوله «فَاعِجٌ لَوْنُهَا» ارتفع لونها بأنه فاعل فاعل و هو صفه البقره مثل صفراء و كذلك «تَسِيرُ النَّاطِرِينَ» جملة مرفوعه الموضع بكونها صفه

لبقره و يقال فقع لونه فقوعا و فقع يفقع إذا خلصت صفرته و قوله «إِنَّ الْبُقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» كل جمع يكون واحده بالهاء. نحو البقر و النخل و السحاب فإنه يؤنث و يذكر قال الله تعالى «كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» و فى موضع آخر نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ و التذكير الغالب و قوله «تُثِيرُ الْأَرْضَ» فى موضع رفع بكونه صفة لذلول و هو داخل فى معنى النفى أى بقره ليست بذلول مثيره للأرض و لا ساقيه للحرث و مسلمه صفة لبقره أيضا و «لَا شَيْءَ فِيهَا» جملة فى موضع رفع أيضا بأنها صفة البقره و شيه مصدر من وشيت و أصلها وشى فلما أسقطت الواو منها عوضت الهاء فى آخرها قالوا وشيته شيه كما قالوا وزنته زنه و وصلتته صله فوزنها عله «قَالُوا الْآنَ» و فيه وجوه أجودها إسكان اللام من الآن و حذف الواو من اللفظ و يجوز قال لأن على إلغاء الهمزه و فتح اللام من الآن و ترك الواو محذوفه لالتقاء الساكنين و لا يعتد بفتح اللام و يجوز قالوا لأن بإظهار الواو لحرکه اللام لأنهم إنما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها و الأجود فى العرييه حذفها و لا ينبغى أن يقرأ إلا بما وردت به روايه صحيحه فإن القراءة سنه متبعه قال أبو على إنما بنى الآن لتضمنه معنى الحرف و هو تضمن معنى التعريف لأن التعريف حكمه أن يكون بحرف و ليس تعرفه بما فيه من الألف و اللام لأنه لو كان كذلك للزم أن يكون قبل دخول اللام عليه نكره كرجل و الرجل و كذلك الذى فإن فيه الألف و اللام و ليس تعرف الاسم بهما إنما تعرفه بغيرهما و هو كونه موصولا مخصوصا و لو كان تعرفه باللام لوجب أن يكون سائر الموصولات المتعرفه بالصلات نحو من و ما غير متعرفه و يقوى زياده اللام ما رواه المبرد عن المازنى قال سألت الأصمعى عن قول الشاعر:

و لقد جنيتك أكمؤا و عساقلا

و لقد نهيتك عن بنات الأوبر

لم أدخل اللام قال أدخله زياده للضرورة كقول الآخر:

(بإعدام العمرو عن أسيرها)

و أنشد ابن الأعرابي:

يا ليت أم العمرو كانت صاحبى

مكان من أنشأ على الركائب

فكما أن اللام فى الذى و فى هذه الحكايه زائده كذلك فى الآن زائده و قوله «و ما كادُوا يَفْعَلُونَ» كاد يدل على مقاربه مباشره و يفعلون فى موضع نصب بأنه خير كاد و الفصيح لا يدخل عليه أن لأن أن حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر و إنما يسند إلى أن أفعال غير ثابتة و لا مستقره مثل الطمع و الرجاء نحو عسى أن تفعل و دليل على ذلك أن أن لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع فى المستأنف فلهذا كانت أن لازمه لعسى و لا

يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع أن فى الشعر أنشد الأصمعى:

كادت النفس أن تفيض عليه

إذ ثوى حشو ريطه و برود.

[القصة]

كان السبب فى أمر الله تعالى بذبح البقره فيما

رواه العياشى مرفوعا إلى الرضا (عليه السلام) أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قرابه له ثم أخذه و طرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بنى إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط آل فلان قتل فأخبرنا من قتله قال ائتوني ببقره «قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا» الآية و لو أنهم عمدوا إلى بقره أجزأتهم و لكن شددوا فشدد الله عليهم «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» أى لا صغيره و لا كبيره إلى قوله «قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» فطلبوها فوجدوها عند فتى من بنى إسرائيل فقال لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً فجاءوا إلى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال و قال لرسول الله صلى الله عليه و آله بعض أصحابه أن هذه البقره ما شأنها فقال إن فتى من بنى إسرائيل كان باراً بأبيه و أنه اشترى سلعه فجاء إلى أبيه فوجده نائماً و الإقليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك و استيقظ أبوه فأخبره فقال له أحسنت خذ هذه البقره فهى لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه و آله انظروا إلى البر ما بلغ بأهله

و قال ابن عباس كان القتييل شيخاً مثرياً قتله بنو أخيه و ألقوه على باب بعض الأسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا إلى موسى (عليه السلام) فسأل من عنده فى ذلك علم فقالوا أنت نبى الله و أنت أعلم منا فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقره فأمرهم موسى (عليه السلام) أن يذبحوا بقره و يضرب القتييل ببعضها فيحى الله القتييل فيبين من قتله و قيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه و

قيل إنما قتله ليتزوج بنته و قد خطبها فلم ينعم له و خطبها غيره من خيار بنى إسرائيل فأنعم له فحسده ابن عمه الذى لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حملة إلى موسى فقال يا نبى الله هذا ابن عمى قد قتل فقال موسى من قتله قال لا أدرى و كان القتل فى بنى إسرائيل عظيماً فعظم ذلك على موسى (عليه السلام) و هذا هو المروى عن الصادق (عليه السلام).

المعنى

هذه الآيات معطوفه على ما تقدمها من الآيات الواردة فى البيان لنعم الله تعالى على بنى إسرائيل و مقابلتهم لها بالكفران و العصيان فقال و اذكروا أيضا من نكنكم ميثاقى الذى أخذته عليكم بالطاعة «إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا» قال قوم موسى له أ تسخر بنا حيث سألناك عن القتييل فتأمرنا بذبح بقره و إنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين فى الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما أمرهم به لأن موسى عليه السلام أمرهم بالذبح و لم يبين لهم أن الذبح لأى معنى فقالوا أى اتصال لذبح البقره بما ترفعنا فيه إليك فهذا استهزاء بنا «قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ

الْجَاهِلِينَ» أى معاذ الله أن أكون من المستهزئين و إنما قال «مِنَ الْجَاهِلِينَ» ليدل على أن الاستهزاء لا يصدر إلا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يخلو إما أن يستهزئ بخلقه أو بفعل من أفعاله فأما الخلقه فلا معنى للاستهزاء بها و أما الفعل فإذا كان قبيحا فالواجب أن ينبه فاعله على قبحة لينزجر عنه فأما إن يستهزئ به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيره لا يقع إلا عن جاهل به أو محتاج إليه فإذا قيل لم أمروا بذبح البقره دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبده من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان فى نفوسهم من عبادته و إنما أحيا الله القتيل بقتل حى ليكون أظهر لقدرته فى اختراع الأشياء من أضدادها فلما علموا أن ذبح البقره فرض من الله تعالى سألوا عنها فبدأوا بسنها فقالوا «اذْعُ لَنَا رَبِّكَ» أى سل من أجلنا ربك «يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» و لم يظهر فى السؤال أن المسئول عنه سن البقره و إنما ظهر ذلك فى الجواب «قَالَ» موسى عليه السلام «إِنَّهُ يَقُولُ» أى إن الله عز اسمه يقول «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا- فَارِضٌ وَلَا- بَكْرٌ» أى ليست بكبيره هرمه و لا- صغيره «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» أى هى وسط بين الصغيره و الكبيره و هى أقوى ما يكون و أحسن من البقر و الدواب عن ابن عباس و قيل وسط ولدت بطنا أو بطنين عن مجاهد «فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ» أى اذبحوا ما أمرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقره سألوا عن لونها «قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا» أى سل ربك يبين لنا ما لون البقره التى أمرنا بذبحها «قَالَ» موسى «إِنَّهُ» سبحانه و تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ» حتى قرنها و ظلها أصفران عن الحسن و سعيد بن جبیر «فَأَفْعَلُوا لَوْنُهَا» أى شديده صفره لونها و قيل خالص الصفرة و قيل حسن الصفرة و قوله «تَسْرُّ النَّاطِرِينَ» أى تعجب الناظرين و تفرحهم بحسنها عن قتاده و غيره و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى «صَفْرَاءُ فَافْعَلُوا لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّاطِرِينَ»

و لما بين سبحانه سن البقره و لونها سألوا عن صفتها ف «قَالُوا» يا موسى «اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» أى من العوامل أم من السوائم «إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» أى اشتبه علينا صفه البقره التى أمرنا الله بذبحها «وَ إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ» إلى صفه البقره بتعريف الله إيانا و بما يشاؤه لنا من اللطف و الزيادة فى البيان و

روى ابن جريج و قتاده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله أنهم أمروا بأدنى بقره و لكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم و أيم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد

«قَالَ» يعنى موسى (عليه السلام) «إِنَّهُ» يعنى الله تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ» أى البقره التى أمرتم بذبحها «لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ» أى لم يذلها العمل بإثارة الأرض بأظلافها «وَ لَا تَسْقَى الْحَرْثَ» أى لا يستقى عليها الماء فتسقى الزرع «مُسَلَّمَةٌ» أى بريئه من العيوب

عن قتاده و عطاء و قيل مسلمه من الشيه ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد و قيل سليمه من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا- يخلو من آثار العمل فى قوائمه و بدنه و قال الحسن أنها كانت وحشيه «لا شَيْبَةَ فِيهَا» قال أهل اللغه لا وضح فيها يخالف لون جلدها و قيل لا- لون فيها سوى لونها عن قتاده و مجاهد «قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» أى ظهر لنا الحق الآن و هى بقره فلان و هذا يدل على أنهم جوزوا أنه قبل ذلك لم يجىء بالحق على التفصيل و إنما أتى به على وجه الجملة و قال قتاده الآن بينت الحق و هذا يدل على أنه كان فيهم من يشك فى أن موسى (عليه السلام) ما بين الحق «فَدَبَّحُوهَا» يعنى ذبحوا البقره على ما أمروا به «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» أى قرب أن لا يفعلوا ذلك مخافه اشتهاه فضيحه القاتل و قيل كادوا لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكى عن ابن عباس أنهم اشتروها بملء جلدتها ذهباً من مال المقتول و عن السدى بوزنها عشر مرات ذهباً قال عكرمه و ما ثمنها إلا ثلاثه دنانير و نذكر هاهنا فصلاً موجزاً ينجذب إلى الكلام فى أصول الفقه اختلف العلماء فى هذه الآيات فمنهم من ذهب إلى أن التكليف فيها متغاير و أنهم لما قيل لهم اذبحوا بقره لم يكن المراد منهم إلا- ذبح أى بقره شاءوا من غير تعيين بصفه و لو أنهم ذبحوا أى بقره اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كان المصلحه أن يشدد عليهم التكليف و لما راجعوا المره الثانيه تغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفه تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثانى و الثالث ضم تكليف إلى تكليف زياده فى التشديد عليهم لما فيه من المصلحه و منهم من قال إنه يجب أن يكون بالصفه الأخيره فقط دون ما تقدم و على هذا القول يكون التكليف الثانى نسخاً للأول و التكليف الثالث نسخاً للثانى و قد يجوز نسخ الشىء قبل الفعل لأن المصلحه تجوز أن يتغير بعد فوات وقته و إنما لا يجوز نسخ الشىء قبل وقت الفعل لأن ذلك يؤدى إلى البداء و ذهب آخرون إلى أن التكليف واحد و أن الأوصاف المتأخره هى للبقره المتقدمه و إنما تأخر البيان و هو مذهب المرتضى قدس الله روحه و استدل بهذه الآيه على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجه قال إنه تعالى لما كلفهم ذبح بقره قالوا لموسى عليه السلام «اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» فلا يخلو قولهم ما هى من أن يكون كناية عن البقره المتقدم ذكرها أو عن التى أمروا بها ثانياً و الظاهر من قولهم ما هى يقتضى أن يكون السؤال عن صفه البقره المأمور بذبحها لأنه لا

علم لهم بتكليف ذبح بقره أخرى فيستفهموا عنها و إذا صح ذلك فليس يخلو قوله «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ» من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقره الأولى أو عن غيرها و ليس يجوز أن يكون كناية عن بقره ثانية لأن الظاهر يقتضى أن تكون الكناية متعلقه بما تضمنه سؤالهم و لأنه لو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن جوابا لهم و قول القائل فى جواب من سأله ما كذا و كذا أنه بالصفه الفلانيه صريح فى أن الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم «إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» فإنهم لم يقولوا ذلك إلا و قد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير ميبين و لو كان الأمر على ما ذهب إليه القوم فلم لم يقل لهم و أى تشابه عليكم و إنما أمرتم فى الابتداء بذبح بقره أى بقره كانت و فى الثانى بما يختص بالسن المخصوص و فى الثالث بما يختص باللون المخصوص من أى البقر كان و أما قوله «فَذَبِّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» فالظاهر أن ذمهم مصروف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام و هو غير مقتض ذمهم على ترك المبادره فى الأول إلى ذبح بقره فلا دلالة فى الآيه على ذلك.

البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٣

إشاره

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَكُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)

اللغه

ادارأتهم اختلفتم و أصله تدارأتهم فأدغمت التاء فى الدال بعد أن سكنت ثم جعلوا قبلها همزه الوصل ليتمكن النطق بالساكن و أصل الدرء الدفع و منه

الحديث ادراءوا الحدود بالشبهات

و منه قوله وَ يَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ وَ قَالَ رُوْبِه:

أدركتها قدام كل مدره

بالدفع عنى درء كل عنجه

و قيل الدارأ العوج و منه قول الشاعر:

فنكب عنهم درء الأعادى

و داووا بالجنون من الجنون

ثم بين الله سبحانه المقصود من الأمر بالذبح فبدأ بذكر القتل و قال «وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا» ذكر فيه وجهان (أحدهما) أنه متقدم فى المعنى على الآيات المتقدمة فى اللفظ فعلى هذا يكون تأويله و إذ قتلتم نفساً «فَادَارَأْتُمْ فِيهَا» فسألتم موسى فقال لكم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقره فقدم المؤخر و آخر المقدم و نحو ذا كثير فى القرآن و الشعر قال سبحانه «الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا» تقديره أنزل على عبده الكتاب قيماً و لم يجعل له عوجاً و قال الشاعر:

إن الفرزدق صحره مملومه

طالت فليس ينالها الأوعالا

أى طالت الأوعال (و الوجه الآخر) أن الآية قد تعلقت بما هو متأخر فى الحقيقه و هو قوله «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» الآية فكأنه قال فذبحوها و ما كادوا يفعلون و لأنكم قتلتم نفساً فادارأتم فيها أمرناكم أن تضربوه ببعضها لينكشف أمره و المراد و اذكروا إذ قتلتم نفساً و هذا خطاب لمن كان على عهد النبى صلى الله عليه و آله و المراد به أسلافهم على عادة العرب فى خطاب الأبناء و الأحفاد بخطاب الأسلاف و الأجداد و خطاب العشيره بما يكون من أحدها فقالت فعلت بنو تميم كذا و إن كان الفاعل واحداً و يحتمل أن يكون خطاباً لمن كان فى زمن موسى عليه السلام و تقديره و قلنا لهم و إذ قتلتم نفساً و قيل إن اسم المقتول عاميل «فَادَارَأْتُمْ فِيهَا» الهاء من فيها يعود إلى النفس أى كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه و قيل إنها تعود إلى القتل أى اختلفتم فى القتله لأن قوله «قَتَلْتُمْ» يدل على المصدر و عودها إلى النفس أولى و أشبه بالظاهر «وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» أى مظهر ما كنتم تسرون من القتل و قيل معناه أنه مخرج من غامض أخباركم و مطلع من معاييكم و معايب أسلافكم على ما تكتُمونه أنتم و هو خطاب لليهود فى زمن النبى صلى الله عليه و آله «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» أى قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقره و اختلفوا فى البعض المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقره فقام حياً و قال قتلنى فلان ثم عاد ميتاً عن مجاهد و قتاده و عكرمه و قيل ضرب بذيئها عن سعيد بن جبير و قيل بلسانها عن الضحاک و قيل ضرب بعظم من عظامها عن أبى العالى و قيل بالبضعه التى بين الكتفين عن السدى و قيل ضرب ببعض آرابها عن أبى زيد و هذه الأقاويل كلها محتمله الظاهر و المعلوم أن الله سبحانه و تعالى أمر أن يضرب القتيل ببعض البقره ليحيا القتيل إذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلنى ليزول الخلف و التدارؤ بين القوم

و الصانع عز اسمه و إن كان قادرا على إحيائه من دون ذلك فإنما أمرهم بذلك لأنهم سألوا موسى أن يبين لهم حال القتل و هم كانوا يعدون القربان من أعظم القربات و كانوا جعلوا له بيتا على حده لا يدخله إلا خيارهم فأمرهم الله بتقديم هذه القربه تعليما منه لكل من اعتاص عليه أمر من الأمور أن يقدم نوعا من القرب قبل أن يسأل الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون أقرب إلى الإجابة و إنما أمرهم بضرب القتل ببعضها بعد أن جعل اختيار وقت الإحياء يهم ليعلموا أن الله سبحانه و تعالى قادر على إحياء الأموات فى كل وقت من الأوقات و التقدير فى الآيه فقلنا اضربوه ببعضها فضربه فحيى كما قال سبحانه «اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ» تقديره فاضرب فانفلق و قوله «كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى (عليه السلام) لقومه أى اعلّموا بما عاينتموه أن الله تعالى قادر على إحياء الموتى للجزاء و يحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى لمشركى قريش و الإشارة وقعت إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقره لأنه

روى أنه قام حيا و أوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان ابن عمى ثم قبض

«وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» يعنى المعجزات الباهره الخارقه للعادة من إحياء ذلك الميت و غيره و قيل أراد الأعلام الظاهره الداله على صدق محمد صلى الله عليه و آله «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لكى تستعملوا عقولكم فإن من لم يستعمل عقله و لم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له و قيل لكى تعقلوا ما يجب عليكم من أمور دينكم و احتج الله تعالى بهذه الآيات على مشركى العرب فيما استبعده من البعث و قيام الأموات بقولهم «أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» فأخبرهم سبحانه بأن الذى أنكره و استبعده لا يتعذر فى اتساع قدرته و نبههم على ذلك بذكر المقتول و إحيائه بعد خروجه من الحياه و أبطنوا خبر قتله و كيفيته و قيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم أن إحياء جميع الأموات بعد أن صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه و لا يتعذر بل يهون عنده و يتيسر و فيها دلالة على صدق نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله حيث أخبرهم بغوامض أخبارهم التى لا يجوز أن يعلمها إلا- من قرأ كتب الأولين أو أوحى إليه من عند رب العالمين و قد صدقه مخالفوه من اليهود فيما أخبر به من هذه الأقايس و قد علموا أنه أمى لم يقرأ كتابا و لم يرتابوا فى ذلك و هذه آيه صادعه و حجه ساطعه فى تثبيت نبوته ص.

البقره (٢): آيه ٧٤

اشاره

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

ص: ١٩٤

قرأ ابن كثير وحده هاهنا عما يعملون بالياء والباقون بالتاء و اختلفوا فى قوله تعالى «و ما الله بغافل عما تعملون» «و ما ربك بغافل عما تعملون» قرأهما أبو جعفر وحده بالتاء فى كل القرآن إلا- فى الأنعام و قرأ ابن عامر بالياء فى كل القرآن و قرأ حمزه و الكسائى الأول بالتاء و الثانى بالياء فى كل القرآن و اختلف عن ابن كثير و نافع و عاصم و أبى عمرو.

الإعراب

قال أبو على القول فى ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» ثم قال «عَمَّا تَعْمَلُونَ» بالتاء و لو كان بالياء على لفظ الغيبة أى و ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء أيها المسلمون لكان حسنا و إن كان الذى قبله غيبه حسن أن يجعل على لفظ الغيبة و يجوز فيه الخطاب أيضا و وجه ذلك أن يجمع بين الغيبة و الخطاب فيغلب الخطاب على الغيبة كتغليب المذكر على المؤنث ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة فى باب الضمير و هو موضع ترد فيه الأشياء إلى أصولها نحو تك فى نحو قوله (فلا- تك ما أسأل و لا أغام) فلما قدموا المخاطب على الغائب فقالوا أعطاكه و لم يقولوا أعطاهوك علم أنه أقدم فى الرتبة فإذا كان الأمر على هذا فالخطاب فى هذا النحو يعنى به الغيب و المخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة و يجوز فيه وجه آخر و هو أن يراد به و قل لهم أيها النبى ما الله بغافل عما تعملون و الله أعلم.

اللغه

القسوه ذهاب اللين و الرحمه من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا و قسوه و قساوه و القسوه الصلابه فى كل شى ء و نقيضه الرقه و الشده القوه فى الجسم و الشده صعوبه الأمر و الشد العقده و النهر المجرى الواسع من مجارى الماء و الجدول و السرى دون ذلك يقال نهر و نهر و الفتح أفصح قال سبحانه فى جَنَاتٍ وَ نَهْرٍ و جمعه نهر و أنهار و التفجر التفعّل من فجر الماء و ذلك إذا أنزل خارجا من منبعه و كل سائل شخص خارجا من موضعه و مكانه فقد انفجر ماء كان أو دما أو غير ذلك قال عمر بن لجا:

و لما أن قرنت إلى جرير

أبى ذو بطنه إلا انفجارا

أى خروجا و سيلانا و أصل يشقق يتشقق أدغمت التاء فى الشين و هو أن ينقطع من غير أن يبين و الغفله السهو عن الشىء و هو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره و يقال تغافت على عمد أى عملت عمل الساهى.

المعنى و الإعراب

لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهره و الأعلام الظاهره بين ما فعلوا بعدها من العصيان و الطغيان فقال عز اسمه «ثُمَّ قَسَيْتُ قُلُوبَكُمْ» أى غلظت و يبست و عتت و قشت «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى من بعد آيات الله كلها التى أظهرها على يد موسى عليه السلام و قيل أنه أراد بنى أخى المقتول حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله تعالى إياه أنه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك إشارة إلى الإحياء أى من بعد إحياء الميت لكم ببعض من أعضاء البقره بعد أن تدارأتم فيه فأخبركم بقاتله و السبب الذى من أجله قتله و كان يجب ممن شاهد هذه الآيه العجيبه و المعجزه الخارقه للعاده أن يخضع و يلين قلبه و يحتمل أن يكون ذلك إشارة أيضا إلى الآيات الآخر التى تقدمت كمشخ القرده و الخنازير و رفع الجبل فوقهم و انبجاس الماء من الحجر و انفراق البحر و غير ذلك و إنما جاز أن يقول ذلك و أن كانوا جماعه و لم يقل ذلكم لأن الجماعه فى معنى الجمع و الفريق فلفظ الخطاب مفرد فى معنى الجمع و لو قال ذلكم لجاز و قوله «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ» شبه قلوبهم بالحجاره فى الصلابه و اليبس و الغلظ و الشده و

قد ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسى القلب و إن أبعد الناس من الله القاسى القلب

«أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» أى أو هى أشد قسوه و يجوز أن يكون عطفًا على موضع الكاف و كأنه قال فهى مثل الحجاره أو أشد قسوه أى أشد صلابه لا تمتناعهم عن الإقرار اللازم بقيام حجته و العمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدته الآيات و قيل فى تأويل أو هاهنا وجوه (أحدها) ما ذكره الزجاج أن معناها الإباحه كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فإن جالست أحدهما أو جمعت بينهما فأنت مصيب فيكون معنى الآيه على هذا أن قلوبهم قاسيه فإن شبهت قسوتها بالحجر أصبت و إن شبهتها بما هو أشد أصبت و إن شبهتها بهما جميعا أصبت كما مر نحو هذا فى قوله سبحانه «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ» (و ثانيها) أن يكون أو دخلت للتفصيل و التمييز فيكون معنى الآيه إن قلوبهم قاسيه فبعضها كالحجاره و بعضها أشد قسوه من الحجاره و قد يحتمل قوله تعالى «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ»

هذا الوجه أيضا (و ثالثها) أن يكون أو دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب و إن كان تعالى عالما بذلك غير شاك فيه فأخبر أن قسوه قلوب هؤلاء كالحجاره أو أشد قسوه و المعنى أنها كأحد هذين لا يخرج عنهما كما يقال أكلت بسره أو تمره و هو يعلم ما أكله على التفصيل إلا أنه أبهم على المخاطب و كما قال لبيد:

تمنى ابتئى أن يعيش أبوهما

و هل أنا إلا من ربيعه أو مضر

أراد و هل أنا إلا من أحد هذين الجنسین فسيلى أن أفنى كما فنيا و إنما حسن ذلك لأن غرضه الذى نحاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت و يفنى و لم يخل بقصده الذى أجرى إليه إجمال ما أجمل من كلامه فكذلك هنا الغرض الإخبار عن شدة قسوه قلوبهم و أنها مما لا يصغى إلى و عظ و لا يعرج على خير فسواء كانت كالحجاره أو أشد منها فى أنه لا يحتاج إلى ذكر تفصيله (و رابعها) أن يكون أو بمعنى بل كما قال الله تعالى «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» و معناه بل يزيدون و روى عن ابن عباس أنه قال كانوا مائه ألف و بعضا و أربعين ألف و أنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس فى روتق الضحى

و صورتها أو أنت فى العين أملح

كما تكون أم المنقطعه فى الاستفهام بمعنى بل يقول القائل أ ضربت عبد الله أم أنت متعنت أى بل أنت و قال الشاعر:

فو الله ما أدرى أ سلمى تغولت

أم النوم أم كل إلى حبيب

معناه بل كل و قد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز أن يخاطبنا الله عز اسمه بلفظه بل و هى تقتضى الاستدراك و النقض للكلام الماضى و الإضراب عنه و هذا غير سديد لأن الاستدراك أن أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوما فلا يصح و إن أريد به الأخذ فى الكلام الماضى و استئناف زياده عليه فهو صحيح فالقائل إذا قال أعطيته ألفا بل ألفين لم ينقض الأول و كيف ينقضه و الأول داخل فى الثانى و إنما أراد عليه و إنما يكون ناقضا للثانى لو قال لقيت رجلا بل حمارا لأن الأول لا يدخل فى الثانى على وجه و قوله تعالى «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» غير ناقض للأول لأنها لا تزيد على الحجارة إلا بأن يساويها و إنما تزيد عليها بعد المساواه (و خامسها) أن يكون بمعنى الواو كقوله تعالى «أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ» معناه و بيوت آبائكم قال جرير:

أ ثعلبه الفوارس أو رياحا

عدلت بهم طهيه و الخشابا

أراد و رباحا و قال أيضا:

نال الخلافه أو كانت له قدرا

كما أتى ربه موسى على قدر

و قال توبه بن الحمير:

و قد زعمت ليلي بأنى فاجر

لنفسى تقاها أو عليها فجورها

فإن قيل كيف يكون أو فى الآيه بمعنى الواو و الواو للجمع و الشىء إذا كان على صفه لم يجز أن يكون على خلافها أجيب عنه بأنه ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجاره فى حاله و أشد من الحجاره فى حاله أخرى فيصح المعنى و لا يتنافى و فائده هذا الجواب أن قلوب هؤلاء مع قساوتها ربما لانت بعض اللين و كادت تصغى إلى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجاره التى ربما لانت و تكون فى حال أخرى فى نهايه البعد عن الخير فتكون أشد من الحجاره.

و جواب آخر و هو أن قلوبهم لا- تكون أشد من الحجاره إلا- بعد أن يكون فيها قسوه الحجاره لأن قولنا فلان أعلم من فلان إخبار بأنه زائد عليه فى العلم الذى اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافى ها هنا ثم فضل سبحانه الحجاره على القلب القاسى فقال «وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ» معناه أن من الحجاره ما هو أنفع من قلوبكم القاسيه فيتفجر منه أنهار الماء و استغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء و قيل المراد منه الحجر الذى كان ينفجر منه اثنتا عشره عينا و قيل هو عام «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ» يعنى و من الحجاره ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعه لا أنهارا جاربه حتى يكون مخالفا للأول و قال الحسين بن على المغربى الحجاره الأولى حجاره الجبال منها تتفجر الأنهار و الثانیه حجر موسى عليه السلام الذى كان يضربه فيخرج منه العيون فلا- يكون تكرارا و قوله «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» الضمير فى منها يرجع إلى الحجاره أى و من الحجاره ما يهبط من خشيه الله و عليه أكثر أهل التفسير و قيل يرجع إلى القلوب أى و من القلوب ما يهبط من خشيه الله أى تخشع و هى قلوب من آمن من أهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسيه قلوبهم عن أبى مسلم و من قال إن الضمير يرجع إلى الحجاره فإنهم اختلفوا فى تأويله على وجوه (أحدها) ما روى عن مجاهد و ابن جريج أن كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشيه الله فمعناه أن الحجاره قد تصير إلى الحال التى ذكرها

من خشية الله و قلوب اليهود لا- تخشى و لا- تخشع و لا- تلين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم أقسى من الحجارة (و ثانيها) ما قاله الزجاج إن الله تعالى أعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعه الله نحو الجبل الذى تجلى الله عز و جل له حين كلم موسى فصار دكا و كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال إن حجرا كان يسلم على فى الجاهليه و إنى لأعرفه الآن

و هذا الوجه ضعيف لأن الجبل إذا كان جمادا فمحال أن يكون فيه معرفه الله و إن كان بنيته بنيه الحى فإنه لا يكون جبلا و أما الخير فإن صح فإن معناه أنه سبحانه أحياء فسلم على النبى صلى الله عليه و آله ثم أعاده حجرا و يكون معجزا له عليه السلام (و ثالثها) أنه يدعو المتفكر فيه إلى خشية الله أو يوجب الخشيه له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات و العجائب و أضاف الخشيه إليه لأن التفكر فيه هو الداعى إلى الخشيه كما قال جرير بن عطيه:

و أعور من نبهان أما نهاره

فأعمى و أما ليله فبصير

فجعل الصفه لليل و النهار و هو يريد صاحبه النبهانى الذى يهجو به بذلك من أجل أنه كان فيهما على ما وصفه به (و رابعها) أنه إنما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل أى كأنه يخشى الله سبحانه فى المثل لانقياده لأمره و وجد منه ما لو وجد من حى عاقل لكان دليلا على خشيه كقوله سبحانه «فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ» أى كأنه يريد لأنه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حى لدل على إرادته الانقضاض و مثله قوله «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» و كما قال زيد الخيل:

بجمع تفضل البلق فى حجراته

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

فجعل ما ظهر فى الأ-كم من آثار الحوافر و قله مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها و لو كانت الأكم فى صلابه الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل أنها تسجد للحوافر قال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة و الجبال الخشع

أى كأنها كذلك و قال جرير أيضا:

و الشمس طالعه ليست بكاسفه

تبكى عليك نجوم الليل و القمر

و كما قال سبحانه «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» أى لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرأيته خاشعا و يؤيد هذا الوجه قوله سبحانه «وَ تَلَكَّ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ».

و (خامسها) أن هبط يجوز أن يكون متعديا قال الشاعر:

ما راغنى إلا جناح هابطا

على البيوت قوطه العلابطا

فاعمله بالقوط كما ترى و يكون على هبطت الشىء فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله أى إذا رآه الإنسان خشع لطاعه خالقه إلا- أنه حذف المفعول تخفيفا و لدلاله الكلام عليه و نسب الفعل إلى الحجر لأن طاعه رائيه لخالقه سببها النظر إليه أى منها ما يهبط الناظر إليه أى يخضعه و يخشعه و قوله «وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أيها المكذبون بآياته الجاحدون نبوه نبيه محمد صلى الله عليه و آله و قد ذكرناه قبل.

البقره (٢): آيه ٧٥

اشاره

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)

اللغه

الطمع تعليق النفس بما تظنه من النفع و نظيره الأمل و الرجاء و نقيضه اليأس و الفريق جمع كالطائفه لا واحد له من لفظه و هو فاعيل من التفرق كما سميت الجماعه بالحزب من التحزب قال الأعشى بن ثعلبه:

أجدوا فلما خفت أن يتفرقوا

فريقين منهم مصعد و مصوب

و التحريف فى الكلام تغيير الكلمه عن معناها.

الإعراب

«أَفَتَطْمَعُونَ» ألف استخبار تجرى فى كثير من المواضع مجرى الإنكار إذا لم يكن معها نفي فإذا جاءت مع النفي فإنكار النفي تثبيت و يكون بمعنى الاستدعاء إلى الإقرار نحو أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ فَجوابه بلى كقوله «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلى» و جواب أفتطمعون لا على ما ذكرناه.

هذا خطاب لأمه نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول «أَفَتَطْمَعُونَ» أيها المؤمنون «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» من طريق النظر والاعتبار و الانقياد للحق بالاختيار «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أي ممن هو في مثل حالهم من أسلافهم «يَسْمِعُونَ كَلَامَ اللَّهِ» و يعلمون أنه حق و يعاندون فيحرفونه و يتأولونه على غير تأويله و قيل إنهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراه فيجعلون الحلال حراما و الحرام حلالا- اتباعا لأهوائهم و إعانه لمن يرشوهم عن مجاهد و السدى و قيل إنهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره و حرفوا القول في إخبارهم لقومهم حين رجعوا إليهم عن ابن عباس و الربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة و قيل المراد بكلام الله صفه محمد صلى الله عليه وآله في التوراه و قوله «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ مَا عَقَلُوهُ» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معناه أنهم غيروه من بعد ما فهموه فأنكروه عنادا «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم يحرفونه أي يغيرونه (و الثاني) أن معناه من بعد ما تحققوه و هم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب و الأول أليق بمذهبننا في الموافاه و إنما أراد الله سبحانه بالآيه أن هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله إن لم يؤمنوا به و كذبوه و جحدوا نبوته فلهم بآبائهم و أسلافهم الذين كانوا في زمان موسى (عليه السلام) أسوه إذا جروا على طريقتهم في الجحد و العناد و هؤلاء الذين عاندوا و حرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ و الاتفاق في كتمان الحق و إن كان يتمتع ذلك على الجمع الكثير و الجم الغفير لأمر يرجع إلى اختلاف الدواعى و يبطل قول من قال إنهم كانوا كلهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه إنما نسب فريقا منهم إلى المعانده و إن كانوا بأجمعهم كافرين و في هذه الآيه دلاله على عظم الذنب في تحريف الشرع و هو عام في إظهار البدع في الفتاوى و القضايا و جميع أمور الدين.

البقره (٢): آيه ٧٦

إشاره

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضٍ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)

الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من الحدوث و كأنه إخبار عن حوادث الزمان و الفتح فى الأصل فتح المغلق و قد يستعمل فى مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال اللهم افتح بينى و بين فلان أى احكم يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ أى متى هذا القضاء و يوم الفتح يوم القضاء و قال الشاعر:

ألا أبلغ بنى عصم رسولا

فإنى عن فتاحتكم غنى

و يقال للقاضى الفتح و منها التعليم يقال افتح على هذا أى علمنى ما عندك فيه و منها النصره يقال استفتحه أى أطلب منه النصر و منه قوله إِنَّ تَسِدًا تَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ و يستعمل فى فتح البلدان يقال فتح المسلمون أرض كذا و المحاجه و المجادله و المناظره نظائر فالمحاجه أن يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه و الحجه الوجه الذى به يكون الظفر عند الحجاج و يقال حاججته فحججته

و فى الحديث فحج آدم موسى

أى غلبه فى الحجه و أصله من القصد و منه الحج و هو القصد إلى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحججه هى النكته المقصوده فى تصحيح الأمور.

النزول

روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما فى التوراه من صفه محمد فنهاهم كبراًؤهم عن ذلك و قالوا لا تخبروهم بما فى التوراه من صفه محمد فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآيه

و قال مجاهد نزلت فى بنى قريظه لما قال لهم النبى صلى الله عليه و آله يا إخوه القرده و الخنازير

قالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج إلا منكم و قال السدى هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به أسلافهم فقال بعضهم لبعض أ تحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن أكرم على الله منكم.

المعنى

ثم ذكر الله سبحانه خصله أخرى من خصالهم الذميمة فقال «وَ» هم الذين «إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا» أى رأوهم «قَالُوا آمَنَّا» أى صدقنا بمحمد أنه نبى صادق نجده فى كتابنا بنعته و صفته و بما صدقتم به و أقرنا بذلك أخبر الله تعالى عنهم أنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين و تحلوا بحليتهم و استنوا بسنتهم «وَ إِذَا خَلَا بِعَضُ حُمْمٍ إِلَى بَعْضٍ» أى إذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله إلى

بعض منهم فصاروا في خلاء و هو

ص: ٢٠٢

الموضع الذى ليس فيه غيرهم «قالوا» يعنى قال بعضهم لبعض «أُتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قال الكلبي بما قضى الله عليكم فى كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم أى لا تقروا بأنه نبي وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وأنه النبي الذى كنا ننتظره و نجده فى كتابنا اجحدوه و لا تقروا لهم به و قال الكسائي أ تحدثونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم من العلم يبعث محمد صلى الله عليه و آله و البشاره به و بعض الأقوال فيه ذكرناه فى النزول و أقوى التأويلات قول من قال «أُتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أى حكم الله به عليكم و قضاه فيكم و من حكمه عليكم ما أخذ به ميثاقكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و صفته الموصوفه لكم فى التوراه و من قضائه فيكم أنه جعل منكم القرده و الخنازير و قوله «لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» أى ليكون لهم الحججه عليكم عند الله فى الدنيا و الآخرة فى إيمانهم بالنبي صلى الله عليه و آله إذ كنتم مقرين به و مخبرين بصحة أمره من كتابكم فهذا يبين حجتهم عليكم عند الله و قيل معناه ليجادلوكم و يقولوا لكم قد أقررتم أنه نبي حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه و قوله «عِنْدَ رَبِّكُمْ» قال ابن الأنبارى معناه فى حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعى أى فى حكمه و هذا يحل عند الله أى فى حكمه و قوله «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا- تفقهون أيها القوم أن إخباركم محمداً و أصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد فى كتبكم حجه عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم و قيل معناه أفلا- تعقلون أيها المؤمنون أنهم لا يؤمنون فلا تسمعوا فى ذلك عن الحسن و قيل إنه خطاب لليهود أى فلا تعقلون أيها اليهود إذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذا و هذا تحذير لهم عن الرجوع إلى قول رؤسائهم.

البقره (٢): آيه ٧٧

اشاره

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٧)

المعنى

«أَوْ لَا يَعْلَمُونَ» يعنى اليهود أن الله يعلم سرهم و علانيتهم فكيف يستجيزون أن يسروا إلى إخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق و هم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم و جهرهم كالكفار و المنافقين فهم من هذه الجهه ألوم و المذمه لهم ألزم عن أكثر المفسرين و قيل معناه أ و لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون من كفرهم

و تكذيبهم محمدا إذا خلا بعضهم إلى بعض و ما يعلنون من قولهم آمنا إذا لقوا أصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتاده و
أبي العالیه.

البقره (٢): آیه ٧٨

اشاره

وَ مِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨)

القراءه

قرأ أبو جعفر و شبيهه و الحسن أمانى مخففه و الباقر بالتشديد و كذلك فى قوله «لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَ لَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ».

الإعراب

قال ابن جنى الأصل فيه التثقيب أمانى جمع أمنيه و التخفيف فى هذا النحو كثير و المحذوف منه الياء الأولى التى هى نظيره ياء
المد مع غير الإدغام نحو ياء قراطيس و حوامين و أراجيح جمع حومانه و أرجوحه ألا تراها قد حذفت فى نحو قوله:

و البكرات الفسح العظامسا

و قوله:

و غير سفع مثل يحامم

يريد عظاميس و يحاميم على أن حذف الياء مع الإدغام أسهل من حذفه و لا إدغام معه و ذلك أن هذه الياء لما أدغمت خفيت
و كادت تستهلك فإذا أنت حذفتها فكأنك إنما حذفت شيئا هو فى حال وجوده فى حكم المحذوف.

اللغه

الأمى الذى لا يحسن الكتابه و إنما سمي أميا لأحد وجوه (أحدها) أنه الأمه الخلقه فسمى أميا لأنه باق على خلقته و منه قول
الأعشى:

و إن معاويه الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمم

(و ثانيها) أنه مأخوذ من الأمه التى هى الجماعه أى هو على أصل ما عليه الأمه فى أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابه بعد أن لم
يكن يكتب (و ثالثها) أنه مأخوذ من الأم أى هو على ما ولدته أمه فى أنه لا يكتب و قيل إنما نسب إلى أمه لأن الكتابه إنما
تكون فى الرجال دون النساء و الأمنيه ذكر فيها وجوه (أحدها) أن معناها التلاوه يقال تمنى كتاب الله أى قرأ و تلا و قال كعب

بن مالك:

تمنى كتاب الله أول ليله

و آخره لاقى حمام المقادر

ص: ٢٠٤

و قال آخر:

تمنى كتاب الله بالليل خاليا

تمنى داود الزبور على رسل

(و ثانيها) أن المراد بالأمانى الأحاديث المختلفه عن الفراء و العرب تقول أنت إنما تتمنى هذا القول أى تختلقه و قال بعضهم ما تمنيت مذ أسلمت أى ما كذبت (و ثالثها) أن المراد بالأمانى أنهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» و قولهم «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» و قال الزجاج إذا قال القائل ما لا يعلمه فكأنه إنما يتمناه و هذا مستعمل فى كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقه له و هو يحبه هذا أمنيته و هذه أمنيته و الظن هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر لأماره صحيحه و ليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب و فى الناس من قال هو اعتقاد.

الإعراب

قال الزجاج يرتفع أميون بالابتداء و منهم الخبر و فى قول الأخفش يرتفع أميون بفعلمهم كان المعنى و استقر منهم قال أبو على ليس يرتفع أميون عند الأخفش بفعلمهم و إنما يرتفع بالظرف الذى هو منهم و مذهب سيبويه أنه يرتفع بالابتداء فى منهم عنده ضمير لقوله أميون و موضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فأما على مذهب الأخفش فلا ضمير لقوله أميون فى منهم و لا- موضع له عنده كما لا- موضع لذهب فى قولك ذهب زيد و إنما رفع الأ-خفش الاسم بالظرف لأنه نظر إلى هذه الظروف فوجدها تجرى مجرى الفعل فى مواضع و فى أنها تحتل الضمير كما يحتمله الفعل و ما قام مقامه من أسماء الفاعلين و ما أشبه به و يؤكد ما فيها كما يؤكد ما فى الفعل و ما قام مقامه فى نحو مررت بقوم لك أجمعون و ينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل و يوصل بهما الأسماء الموصولة كما يوصل بالفعل و الفاعل فيصلر فيها ضمير الموصول كما يصلر ضميره فى الفعل و يوصف به النكره كما يوصف بالفعل و الفاعل فلما رآها فى هذه المواضع تقوم مقام الفعل أجزاها أيضا مبتدأ مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل إذا قامت هذه الظروف مقام الفعل فى هذه المواضع فقال فى عندك زيد و فى الدار عمرو و منهم أميون و نحو ذلك أنه يرتفع بالظرف إذ كان الظرف قد أقيم مقام الفعل فى غير هذه المواضع و الدليل على أن الاسم هاهنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذى هو استقر و نحوه أنه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما فى الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا

ص: ٢٠٥

يدل على أنه لا عمل للفعل هنا و قوله «إِلَّا أَمَانِيَّ» نصب على الاستثناء المنقطع كقوله «مَا لَهْمُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ» و كقول الشاعر:

ليس بينى و بين قيس عتاب

غير طعن الكلى و ضرب الرقاب

و قول النابغه:

حلفت يمينا غير ذى مثويه

و لا علم إلا حسن ظن بصاحب

و إن فى قوله «إِنْ هُمْ» بمعنى ما أى ما هم إلا ظانون فهم مبتدأ و يظنون خبره.

المعنى

«وَأَمْنُهُمْ» يعنى و من هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم فى هذه الآيات و قطع الطمع عن إيمانهم «أُمَّيُونَ» أى غير عالمين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا و تلاوه لا رعايه و درايه و فهما لما فيه عن ابن عباس و قتاده و قال أبو عبيده الأميون هم الأمم الذين لم ينزل عليهم كتاب و النبى الأمى الذى لا يكتب و أنشد لتبع:

له أمه سميت فى الزبور

أميه هى خير الأمم

و قوله «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ» أى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى أنزل الله عز و جل و لا يدرون ما أودعه الله إياه من الحدود و الأحكام و الفرائض فهم كهيته البهائم مقلده لا يعرفون ما يقولون و الكتاب المعنى به التوراه أدخل عليه لام التعريف «إِلَّا» بمعنى لكن «أَمَانِيَّ» أى قولاً يقولونه بأفواههم كذبا عن ابن عباس و قيل أحاديث يحدثهم بها علماؤهم عن الكلى و قيل تلاوه يتلونها و لا يدرونها عن الكسائى و الفراء و قيل أمانى يتمنون على الله الرحمه و يخطر الشيطان ببالهم أن لهم عند الله خيرا و يتمنون ذهاب الإسلام بموت الرسول صلى الله عليه و آله و عود الرياسه إليهم و قيل أمانى يتخرصون الكذب و يقولون الباطل و التمنى فى هذا الموضوع هو تخلق الكذب و تخرصه و يقوى ذلك قوله «وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» فبين أنهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا و لو كان المعنى أنهم يتلونه لما كانوا ظانين و كذلك لو كانوا يتمنونه لأن الذى يتلوه إذا تدبره علمه و لا يقال للمتمنى فى حال وجود تمنيه أنه يظن تمنيه و لا أنه شاك فيما هو عالم به و اليهود الذين عاصروا النبى لم يشكوا فى أن التوراه من عند الله و قوله «وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» و معناه أنهم يشكون و فى هذه الآيه دلالة على أن التقليد فى معانى الكتاب و فيما طريقه العلم غير جائز و أن الاختصار على

الظن في أبواب الديانات لا- يجوز و أن الحجه بالكتاب قائمه على جميع الخلق و إن لم يكونوا عالمين إذا تمكنوا من العلم به و إن من الواجب أن يكون التعويل على معرفه معانى الكتاب لا على مجرد تلاوته.

البقره (٢): آيه ٧٩

إشاره

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)

اللغه

الويل فى اللغه كلمه يستعملها كل واقع فى هلكه و أصله العذاب و الهلاك و مثله الويح و الويس و قال الأصمعى هو التقيح و منه وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ و قال المفضل معناه الحزن و قال قوم هو الهوان و الخزى و منه قول الشاعر:

يا زبرقان أخا بنى خلف

ما أنت ويل أبيك و الفخر

و أصل الكسب العمل الذى يجلب به نفع أو يدفع به ضرر و كل عامل عملا بمباشره منه له و معاناه فهو كاسب له قال لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه

غبس كواسب ما يمن طعامها

و قيل الكسب عباره عن كل عمل بجارحه يجتلب به نفع أو يدفع به مضره و منه يقال للجوارح من الطير كواسب.

الإعراب

ويل رفع بالابتداء و خبره للذين قال الزجاج و لو كان فى غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا للذين و الرفع على معنى ثبوت الويل للذين و قال غيره إذا أضفت ويل و ويح و ويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد و ويل زيد و أما التعس و البعد و ما أشبههما فلا يحسن فيها الإضافه بغير لام فلذلك لم ترفع و إنما يقال فى نحوها تعسا له و بعدا له و تبا له و قد نصب أيضا ويل و ويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد و ويحا

له قال الشاعر:

كسا اللؤم تيما خضره فى جلودها

فويلا لتيمن من سراييلها الخضر.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر علماء اليهود فقال «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ» قال ابن عباس الويل فى الآيه العذاب وقيل جبل فى النار

و روى الخدرى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره

و الأصل فيه ما ذكرناه من أنه كلمه التحسر و التفجع و التلهف و التوجع يقولها كل مكروب هالك و فى التنزيل يا وَيْلَتنا ما لِهَذَا الْكِتابِ و قوله «لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه إلى الله سبحانه كقوله سبحانه «مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا» أى نحن تولينا ذلك لم نكله إلى أحد من عبادنا و مثله خلقت بيدي و يقال رأيتته بعينى و سمعته بإذنى و لقيته بنفسى و المعنى فى جميع ذلك التأكيد و أيضا فقد يضيف الإنسان الكتاب إلى نفسه و قد أمر غيره بالكتابه عنه فيقول أنا كتبت إلى فلان و هذا كتابى إلى فلان و كقوله سبحانه «يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ» و إنما أمر به فأعلمنا الله سبحانه أنهم يكتبونه بأيديهم و يقولون هو من عند الله و قد علموا يقينا أنه ليس من عنده و قيل معناه أنهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم كالرجل إذا اخترع مذهبا أو قولاً لم يسبق إليه يقال له هذا مذهبك و هذا قولك و أن كان جميع ما يؤخذ عنه من الأقوال قوله و المراد أن هذا من تلقاء نفسك و أنك لم تسبق إليه

و قيل كتابتهم بأيديهم أنهم عمدوا إلى التوراه و حرفوا صفة النبى صلى الله عليه و آله ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود و هو المروى عن أبى جعفر الباقر

و عن جماعه من أهل التفسير و قيل كانت صفته فى التوراه أسمر ربه فجعلاه آدم طويلا و فى روايه عكرمه عن ابن عباس قال إن أحبار اليهود وجدوا صفة النبى صلى الله عليه و آله مكتوبه فى التوراه أكحل أعين ربه حسن الوجه فمحوه من التوراه حسدا و بغيا فأتاهم نفر من قريش فقالوا أ تجدون فى التوراه نبيا منا قالوا نعم نجده طويلا أزرق سبط الشعر ذكره الواحدى بإسناده فى الوسيط و قيل المراد بالآيه كاتب كان يكتب للنبي فيغير ما يملى عليه ثم ارتد و مات فلفظته الأرض و الأول أوجه لأنه أليق بنسق الكلام و قوله «لَيْسْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا» يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الأموال و إنما ذكر لفظ الاشتراء توسعا و المراد أنهم تركوا الحق و أظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك شيئا كمن يشتري السلعه بما يعطيه و الفائده فى قوله «تَمَنَّا قَلِيلًا» أن كل ثمن له لا- يكون إلا قليلا و للعرب فى ذلك طريقه معروفه يعرفها من تصفح كلامهم و قيل إنما بالقله لأنه عرض الدنيا و هو قليل المده كقوله تعالى «قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ» عن أبى العالیه و قيل إنما قال

قليل لأنه حرام وقوله «فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ» أى عذاب لهم وخزى لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب «وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» من المعاصى وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشى التى يأخذونها عن العوام.

البقره (٢): آيه ٨٠

اشاره

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠)

اللغه

المس نظير اللمس و الفرق بينهما أن مع اللمس إحساسا و أصله اللصوق و حده الجمع بين الشئين على نهايه القرب و الإخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل.

الإعراب

أياما انتصب على الظرف و أصل اتخذتم أ اتخذتم دخلت همزه الاستفهام على همزه الوصل فسقطت همزه الوصل و من القراء من أدغم الذال فى التاء من اتخذتم و فيهم من لم يدغم و أم هاهنا يحتمل أن تكون متصله على المعادله لهمزه الاستفهام كأنه قال على أى الحاليتين أنتم أ تقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون و يحتمل أن تكون منقطعه على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل و الهمزه كأنه استأنف فقال بل أ تقولون.

النزول

قال ابن عباس و مجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه و آله المدينة و اليهود تزعم أن مده الدنيا سبعة آلاف سنه و إنما يعذب بكل ألف سنه يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فأنزل الله هذه الآية و قال أبو العاليه و عكرمه و قتاده هى أربعون يوما لأنها عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل ..

المعنى

«وَقَالُوا» أى قالت اليهود «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ» أى لن تصيبنا «إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» معناه أياما قلائل كقوله ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ و قيل معدوده محصاه و المعدوده إذا أطلقت كان معناها القليله قال الله سبحانه «قُلْ» يا محمد لهم «أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» أى موثقا إنه لا يعذبكم إلا هذه المده و عرفتم ذلك بوحيه و تنزيله فإن كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده و ميثاقه «أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ» الباطل جهلا منكم به و جرأه عليه.

البقره (٢): الآيات ٨١ الى ٨٢

اشاره

بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)

ص: ٢٠٩

قرأ أهل المدينة خطيئته على الجمع و الباقون على التوحيد.

الإعراب

قال أبو على يجوز أن يكون من للجزاء الجازم و يجوز أن يكون للجزاء غير الجازم فتكون السيئه و إن كانت مفردة يراد بها الكثره و كذلك تكون خطيئته مفرده و إنما حسن أن يفرد لأنه مضاف إلى ضمير مفرد و إن كان يراد به الكثره كما قال تعالى بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فَأَفْرَدَ الْوَجْهَ وَ الْأَجْرَ وَ إِنْ كَانَ فِي الْمَعْنَى جَمْعًا فِي الْمَوْضِعِينَ فَكَذَلِكَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ الْخَطِيئَةُ لِمَا لَمْ يَكُنْ جَمْعًا لَمْ يَجْمَعْ كَمَا جَمَعْتَ فِي قَوْلِهِ نَعْفِرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّ ذَلِكَ مُضَافٌ إِلَى جَمْعٍ وَ مِنْ قَالَ خَطِيئَاتِهِ فَجَمَعَ حَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى وَ الْمَعْنَى الْجَمْعُ وَ الْكَثْرَةُ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «فَأَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ» فَأَوْلِيكَ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ مِنْ فِي قَوْلٍ مِنْ جَعَلَهُ جَزَاءً مَجْزُومًا وَ فِي كَلَا الْوَجْهَيْنِ يَرَادُ بِهِ مِنْ فِي قَوْلِهِ «بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً» وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ فَيَجُوزُ لِذَلِكَ أَنْ يَجْمَعَ خَطِيئَةَ لِأَنَّهَا مُضَافَةٌ إِلَى جَمْعٍ فِي الْمَعْنَى قَوْلُهُ بَعْدَ هَذِهِ «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلِيكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أَلَا تَرَى أَنَّ الَّذِينَ جَمَعَ وَ هُوَ مُعَادِلٌ بِهِ فَكَذَلِكَ الْمُعَادِلُ بِهِ يَكُونُ جَمْعًا مِثْلَ مَا عَوْدَلُ.

الإعراب

بلى جواب لقولهم لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً وَ الْفَرْقُ بَيْنَ بَلَى وَ نَعَمْ أَنَّ بَلَى جَوَابُ النَّفْيِ وَ نَعَمْ جَوَابُ الْإِيجَابِ قَالَ الْفَرَاءُ إِنَّمَا امْتَنَعُوا مِنْ اسْتِعْمَالِ نَعَمْ فِي جَوَابِ الْجَحْدِ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ لِغَيْرِهِ مَا لَكَ عَلَى شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ فَقَدْ صَدَقَهُ وَ كَأَنَّهُ قَالَ نَعَمْ لَيْسَ لِي عَلَيْكَ شَيْءٌ وَ إِذْ قَالَ بَلَى فَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِكَلَامِهِ أَيْ لِي عَلَيْكَ شَيْءٌ وَ قَوْلُهُ «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» عَطْفٌ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى الْأُولَى بِغَيْرِ حَرْفِ الْعَطْفِ لِأَنَّ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ ذَكَرْنَا مَنْ فِي الْأُولَى وَ الضَّمِيرُ يَرْبِطُ الْكَلَامَ الثَّانِيَّ بِالْأَوَّلِ كَمَا أَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ يَرْبِطُهُ بِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» وَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَ كَانُوا يَصْرُونَ بِالْوَاوِ وَ قَالَ «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةً وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فَحَذَفَتِ الْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ رَابِعُهُمْ وَ سَادِسُهُمْ اسْتِغْنَاءً

عنها بما فى الجملة من ذكر ما فى الأول لأن الحرف يدل على الاتصال و ما فى الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فاستغنى به عنه.

المعنى

رد الله تعالى على اليهود قولهم لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً فقال «بلى» أى ليس الأمر كما قالوا و لكن «مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً» اختلف فى السيئه فقال ابن عباس و مجاهد و قتاده و غيرهم السيئه هاهنا الشرك و قال الحسن هى الكبيره الموجبه للنار و قال السدى هى الذنوب التى أوعد الله عليها النار و القول الأول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود فى النار عندنا و قوله «أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنها أهدت به من كل جانب كقوله تعالى «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (و الثانى) أن المعنى أهلكته من قوله «إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» و قوله «وَظُنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» و قوله «وَ أُحِيطَ بِشَمْرِهِ» و هذا كله بمعنى البوار و الهلكه فالمراد أنها سدت عليهم طريق النجاه و روى عن ابن عباس و الضحاك و أبى العالى أن المراد بالخطيئه الشرك و عن الحسن إنها الكبيره و عن عكرمه و مقاتل إنها الإصرار على الذنب و إنما قال «مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» و لم يقل و أحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون أبلغ و أفصح «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى يصحبون النار و يلازمونها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون أبدا عن ابن عباس و غيره و الذى يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآيه قول ابن عباس لأن أهل الإيمان لا يدخلون فى حكم هذه الآيه و قوله «وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» يقوى ذلك لأن المعنى أن خطاياهم قد اشتملت عليه و أهدت به حتى لا يجد عنها مخلصا و لا مخرجا و لو كان معه شىء من الطاعات لم تكن السيئه محيطه به من كل وجه و قد دل الدليل على بطلان التحابط و لأين قوله تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» فيه وعد لأهل التصديق و الطاعه بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم و يدل أيضا على أن المراد بالسيئه فى الآيه الشرك فيبطل الاحتجاج بالآيه على دخول العمل فى الإيمان على ما ذكره أهل التفسير أن سيئه واحده لا تحبط جميع الأعمال عند أكثر الخصوم فلا- يمكن إذا إجراء الآيه على العموم فيجب أن يحمل على أكبر السيئات و أعظم الخطيئات و هو الشرك ليتمكن الجمع بين الآيتين.

إشارة

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣)

القراءة

قرأ ابن كثير و حمزه و الكسائي لا يعبدون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ حمزه و الكسائي و قولوا للناس حسنا بفتح الحاء و السين و الباقون حسناً بضم الحاء و إسكان السين.

الإعراب

حجه من قرأ «لا تَعْبُدُونَ» بالتاء على الخطاب قوله «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ» إلى آخر الآيه و يقويه قوله «وَ قُولُوا» و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ» فإذا كان هذا خطاباً و هو عطف على ما تقدم و جب أن يكون المعطوف عليه في حكمه و حجه من قرأ بالياء قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» فحمله على لفظ الغيبة و أما قوله «حُسْنًا» فمن قرأه بضم الحاء ففيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الحسن بمعنى الحسن كالنجل و النجل و الرشد و الرشد و جاز ذلك في الصفه كما جاز في الاسم قالوا العرب و العرب و هو صفه بدلاله قولهم مررت بقوم عرب أجمعين فعلى هذا يكون الحسن صفه كالحلو و المر و (ثانيها) أن يكون الحسن مصدرا كالشكر و الكفر و حذف المضاف معه أى قولوا قولاً ذا حسن و (ثالثها) أن يكون منصوباً على أنه مصدر الفعل الذى دل عليه الكلام أى ليحسن قولكم حسنا و من قرأه حسنا جعله صفه و تقديره و قولوا للناس قولاً حسناً كقوله تعالى فَأَمَّا قَلِيلًا أَى متاعاً قليلاً.

اللغة

الأخذ ضد الإعطاء و القربى مصدر قولهم قربت منى رحم فلان قرابه و قربى و قرباً و اليتامى جمع يتيم مثل نديم و ندامى و اليتيم الذى مات أبوه إلى أن يبلغ الحلم و لا يقال لمن ماتت أمه يتيم يقال لمن يتم يتيم يتما إذا فقد أباه هذا فى الإنسان فأما فى غير الإنسان فيتيمه من قبل أمه قال الأصمعي إن اليتيم فى الناس من قبل الأب و فى

غير الناس من قبل الأم و المسكين هو المتخضع المتذلل من الحاجه مأخوذ من السكون كأنه قد أسكنه الفقر.

الإعراب

قوله «لا- تَعْبُدُونَ» لا- يخلو إما أن يكون حالاً أو يكون تلقى القسم أو يكون على لفظ الخبر و المعنى معنى الأمر أو يكون على تقدير أن لا تعبدوا فتحذف أن فيرفع الفعل فإن جعلته حالاً فالأولى أن يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذى الحال و كأنه قال أخذنا ميثاقهم موحدين و إن جعلته تلقى قسم و عطفت عليه الأمر و هو قوله «وَقُولُوا» كنت قد جمعت بين أمرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الأمر على القسم و أضمرت القول كأنه قال و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل تعبدون إلا الله و قلنا و أحسنوا بالوالدين إحساناً فيكون و قلنا على هذا معطوفاً على أخذنا جاز لأن أخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا هم كذا و كذا و إن حملته على أن اللفظ لفظ خبر و المعنى معنى الأمر يكون مثل قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» و يدل على ذلك قوله يَعْزُزْ لَكُمْ و يؤكد ذلك أنه قد عطفت عليه بالأمر و هو قوله «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» «وَقُولُوا» «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» و إن حملته على أن المعنى أخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف أن ارتفع الفعل كما قال طرفه:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فإن هذا قول أن حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف و زعم سيبويه أن حذف أن من هذا النحو قليل و قوله «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر و لا- يجوز أن يتعلق بقوله «إِحْسَانًا» لأن ما تعلق بالمصدر لا يجوز أن يتقدم عليه. و أحسن يصل إلى المفعول بالباء كما يصل بالى يدل على ذلك قوله وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ فتعدى بالباء كما تعدى بالى فى قوله وَ أَحْسَنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ» قال الزجاج نصب قليلاً على الاستثناء المعنى أستثنى قليلاً منكم قال أبو على إن فى هذا التمثيل إيها ما أن الاسم المستثنى ينتصب على معنى أستثنى أو بإلا و ليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التى قبل إلا- بتوسط إلا كما ينتصب الطيالس و نحوها فى قولك جاء البرد و الطيالس و ما صنعت و أباك عن الجملة التى قبل الواو بتوسط الواو و يدل على ذلك قولهم ما جاءنى إلا زيد فلو كان لإلا أو لما يدل عليه عمل فى المستثنى لجاز نصب هذا كما أنك لو قلت أستثنى زيدا لنصبته فإن قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبقى فارغاً بلا فاعل قيل فهلا ذلك امتناع هذا من الجواز على أن ما بعد إلا متصل بما قبلها و أنه ليس لإلا فيه عمل و لا أثر إلا ما يدل عليه من معنى الاستثناء.

ثم عاد سبحانه إلى ذكر بنى إسرائيل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى عهدهم و قيل الميثاق الأدله من جهة العقل و الشرع و قيل هو موثيق الأنبياء على أممهم و العهد و الميثاق لا يكون إلا بالقول فكأنه قال أمرناهم و وصيناهم و أكدنا عليهم و قلنا لهم و الله «لَا تَعْبُدُونَ» إذا حملناه على جواب القسم و إذا حملناه على الحال أو على أن معناه الأمر فكما قلناه قبل و إذا حملناه على حذف أن فتقديره و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بأن لا تعبدوا «إِلَّا اللَّهَ» وحده دون ما سواه من الأنداد «وَ» بأن تحسنوا إلى «الوالدين إِحْسَانًا» و الإحسان الذى أخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه إلى الوالدين هو ما فرض على أمتنا أيضا من فعل المعروف بهما و القول الجميل و خفض جناح الذل لهما و التحنن عليهما و الرأفة بهما و الدعاء بالخير لهما و ما أشبه ذلك و قوله «وَ ذِي الْقُرْبَى» أى و بذى القربى أن تصلوا قرابته و رحمه «وَ الْيَتَامَى» أى و باليتامى أن تعطفوا عليهم بالرأفة و الرحمه «وَ الْمَسَاكِينِ» أى و بالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم و قوله «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» فيه عدول إلى الخطاب بعد الخبر و إنما استجازت العرب ذلك لأن الخبر إنما كان عمن خاطبوه بعينه لا عن غيره و قد يخاطبون أيضا ثم يصيرون بعد الخطاب إلى الخبر فمثال الأول قول عنتره:

شطت مزار العاشقين فأصبحت

عسرا على طلابك ابنه مخرم

و مثال الثانى قول كثير عزه:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومه

لدينا و لا مقلية إن تقلت

و قيل معناه قلنا لهم قولوا و اختلف فى معنى قوله حسنا فقل هو القول الحسن الجميل و الخلق الكريم و هو مما ارتضاه الله و أحبه عن ابن عباس و قيل هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن سفيان الثورى و قال الربيع بن أنس «قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» أى معروفا و

روى جابر عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قوله «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» قال قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف و يجب الحليم العفيف المتعفف

ثم اختلف فيه من وجه آخر فقل

هو عام فى المؤمن و الكافر على ما روى عن الباقر

و قيل هو خاص فى المؤمن و اختلف من قال أنه عام فقال ابن عباس و قتاده أنه منسوخ بآيه السيف

بقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يقرؤوا بالجزية و قد روى ذلك أيضا عن الصادق ع

و قال الأكثرون إنها ليست بمنسوخه لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول فى دعائهم إلى الإيمان كما قال الله تعالى «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» و قال فى آيه أخرى «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» و قوله «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بحدودها الواجبه عليكم «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» أى أعطوها أهلها كما أوجبها الله عليكم روى عن ابن عباس أن الزكاه التى فرضها الله على بنى إسرائيل كانت قربانا تهبط إليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله و متى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل و روى عنه أيضا أن المعنى به طاعه الله و الإخلاص و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ» أى أعرضتم «إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ» أخبر الله سبحانه عن اليهود أنهم نكثوا عهده و نقضوا ميثاقه و خالفوا أمره و تولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده و ميثاقه و وصف هؤلاء بأنهم قليل بالإضافه إلى أولئك و اختلف فيه فقيل أنه خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه و آله من يهود بنى إسرائيل و ذم لهم بنقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم فى التوراه و تبدلهم أمر الله و ركوبهم معاصيه و قيل أنه خطاب لأسلافهم المذكورين فى أول الآيه و إنما جمع بين التولى و الإعراض و إن كان معناهما واحدا تأكيداً و قيل معنى تولوا فعلوا الإعراض و هم معرضون أى مستمرين على ذلك و فى هذه الآيه دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه و قدمه على كل حق لأنه الخالق المنعم بأصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين و خصهما بالمزيه لكونهما سببا للوجود و إنعامهما بالتربيه ثم ذكر ذوى القربى لأنهم أقرب إلى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم و الفقراء لفقرتهم.

البقره (٢): آيه ٨٤

إشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)

اللغه

السفك الصب سفكت الدم أسفكه سفكا و واحد الدماء دم و أصله دمی فى قول أكثر النحويين و دليل من قال إن أصله دمی قول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين

و قال قوم أصله دمی إلا أنه لما حذف و رد إليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركه على أنه استعمل محذوفا و النفس مأخوذه من النفاسه و هى الجلاله فنفس الإنسان أنفـس ما فيه و الدار هى المنزل الذى فيه أبنیه المقام بخلاف منزل الارتحال و قال الخليل كل موضع حله قوم فهو دار لهم و إن لم يكن فيه أبنیه و الإقرار الاعتراف و الشهاده أخذ من المشاهده و هو الإخبار عن الشىء بما يقوم مقام المشاهده فى المعرفه.

الإعراب

تقدير الإعراب فى هذه الآيه مثل الذى قلناه فى الآيه الأولى على السواء.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الأخبار عن اليهود بنقض المواثيق و العهود بقوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» أى ميثاق أسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى و الأنبياء الماضين صلوات الله على نبينا و عليهم أجمعين و إنما أضاف الميثاق إليهم لما كانوا أخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه و قوله «لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ» معناه لا يقتل بعضكم بعضا لأن فى قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه إذا كانت ملتئما واحده و دينهما واحد أو أهل الدين الواحد بمنزله الرجل الواحد فى ولايه بعضهم بعضا

قال النبى صلى الله عليه و آله إنما المؤمنون فى تراحمهم و تعاطفهم بمنزله الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر

هذا قول قتاده و أبى العالیه و قيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاربه قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لأنه كالسبب فيه و قوله «وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» معناه لا يخرج بعضكم بعضا من دياركم بأن تغلبوا على الدار و قيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الإخراج من دياركم كما فعله بنو النضير و قوله «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أى أقررتم بذلك و أنتم شاهدون على من تقدمكم بأخذنا منهم الميثاق و بما بذلوه من أنفسهم من القبول و الالتزام و قيل معنى إقرارهم هو الرضاء به و الصبر عليه كما قال الشاعر:

أ لست كلييا إذا سيم خطه

أقر كإقرار الحليله للبل

و اختلف فى المخاطب بقوله «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» فقيل اليهود الذين بين ظهرائى مهاجر رسول الله صلى الله عليه و آله أيام هجرته إليهم و يخهم الله تعالى على تضييعهم أحكام ما فى أيديهم من التوراه التى كانوا يقرون بحكمها و قال لهم «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ» يعنى أقر أولكم و سلفكم و أنتم تشهدون على إقرارهم بأخذى الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا دماءكم و لا

تخرجوا أنفسكم من دياركم و تصدقون بذلك عن ابن عباس و قيل إنه خبر من الله عز و جل عن أوائلهم و لكنه أخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبه لهم على النحو الذى تقدم فى الآيات و أنتم تشهدون أى و أنتم شهود عن أبى العالیه و يحتمل قوله «وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أمرين (أحدهما) أن معناه و أنتم تشهدون على أنفسكم بالإقرار و (الثانى) أن معناه و أنتم تحضرون سفك دمائكم و إخراج أنفسكم من دياركم و قال بعض المفسرين نزلت الآية فى بنى قريظه و النصير و قيل نزلت فى أسلاف اليهود.

البقره (٢): آيه ٨٥

إشاره

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا و فى التحريم و الباقون بالتشديد فيهما و قرأ أبو جعفر و نافع و عاصم و الكسائى و يعقوب «أسارى تُفادُوهُمْ» بالألف فيهما و قرأ حمزه وحده أسرى تفدوهم بغير ألف فيهما و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو أسارى بألف تفدوهم بغير ألف و كان أبو عمرو و حمزه و الكسائى يميلون الراء من أسارى و نافع يقرأ بين بين و الباقون يفتحون.

الإعراب

من قرأ «تَظَاهَرُونَ» بالتخفيف فالأصل فيه تتظاهرون فحذف التاء الثانيه لاجتماع التاءين و من قرأ تظاهرون بالتشديد فالأصل فيه أيضا تتظاهرون فأدغم التاء فى الظاء لقرب المخرجين و كل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال ففريق خفف بالإدغام و فريق بالحذف فالتاء التى اعتلت بالإدغام هى التاء التى اعتلت بالحذف و وجه قول من قرأ أسرى أنه جمع أسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول و قتلى و جريح و جرحى

و هو أقيس من أسارى و وجه قول من قال «أسارى» أنه شبهه بكسالى و ذلك أن الأسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للأسر كما أن الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئه شبه به فأجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى و موتى و هلكى لما كانوا مبتلين بهذه الأشياء المصائب بها فأشبهه فى المعنى فعلا بمعنى مفعول فأجرى عليه فى الجمع اللفظ الذى لفعيل بمعنى مفعول و كما شبه أسارى بكسالى شبه كسلى بأسرى و من قرأ «تَفَادُوهُمْ» فلأن لكل واحد من الفريقين فعلا فمن الأسر دفع الأسير و من المأسور منهم دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر و من قرأ تفادوهم فالمعنى فيه مثل المعنى فى «تَفَادُوهُمْ» و هذا الفعل يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه و إلى الثانى بالجار كقوله «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» و قول الشاعر:

يودون لو يفدوننى بنفوسهم

و مثنى الأواقى و القيان النواهد

و قال الأعشى فى فادى:

عند ذى تاج إذا قيل له

فاد بالمال تراخى و مرح

المفعول الأول محذوف و التقدير فاد الأسرى بالمال و فى الآيه المفعول الثانى الذى يصل إليه الفعل بالحرف محذوف.

اللغة

تظاهرون تعاونون و الظهير المعين و قوله وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ التقدير فيه الجمع و اللفظ على الأفراد و مثله قول رؤبه:

(دعها فما النحوى من صديقها)

أى من أصدقائها و ظاهر بين درعين لبس إحداهما فوق الأخرى و الإثم الفعل القبيح الذى يستحق بها اللوم و نظيره الوزر و قال قوم معنى الإثم هو ما تنفر منه النفس و لم يطمئن إليه القلب و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله لنواس بن سمرعان حين سأله عن البر و الإثم فقال البر ما اطمأنت إليه نفسك و الإثم ما حكك فى صدرك

و العدوان الإفراط فى الظلم يقال عدا فلان فى ظلمه عدوا و عدوا و عدوانا و عدا و قيل العدوان مجاوزة الحد و الأسر الأخذ بالقهر و أصله الشد و الحبس و أسره إذا شده و قال أبو عمرو بن العلاء الأسارى الذين هم فى الوثاق و الأسرى الذين هم فى اليد و إن لم يكونوا فى الوثاق و الخزى السوء و الذل يقال خزى الرجل خزيا و يقال فى الحياء خزى خزيا.

الإعراب

قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ» فيه ثلاثه أقوال (أحدها) أن أنتم مبتدأ و هؤلاء منادى مفرد تقديره يا هؤلاء و تقتلون خبر المبتدأ (و ثانيها) أن هؤلاء تأكيد لأنتم (و ثالثها) أنه بمعنى الذين و تقتلون صله له أى أنتم الذين تقتلون أنفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا

ص: ٢١٨

موضع له من الإعراب و مثله فى الصلّه و قوله «وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى» أى و ما التى بيمينك و أنشد النحويون فى ذلك:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحمليين طليق

و قوله «تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ» فى موضع نصب على الحال من تخرجون و قوله «وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ» هو على ضربين (أحدهما) أن يكون إضمار الإخراج الذى تقدم ذكره فى قوله «وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ» ثم بين ذلك بقوله «إِخْرَاجُهُمْ» تأكيداً لتراخى الكلام (و الآخر) أن يكون هو ضمير القصة و الحديث فكأنه قال و الحديث محرم عليكم إخراجهم كما قال الله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» أى الأمر الذى هو الحق الله أحد.

المعنى

«ثُمَّ أَنْتُمْ» يا معشر يهود بنى إسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم أن لا تسفكوا دماءكم و لا تخرجوا أنفسكم من دياركم و بعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنه واجب عليكم و لازم لكم الوفاء به «تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ» أى يقتل بعضكم بعضاً كقوله سبحانه «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أى ليسلم بعضكم على بعض و قيل معناه تتعرضون للقتل «وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ» أى متعاونين عليهم فى إخراجكم إياهم «بِالْأَيْمِ وَالْعِيْدَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَتَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ» أى و أنتم مع قتلكم من تقتلون منكم إذا وجدتم أسيراً فى أيدي غيركم من أعدائكم تفدونهم و قتلهم إياهم و إخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم كما أن تركهم أسرى فى أيدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم و لا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم و هما جميعاً فى حكم اللازم لكم فيهم سواء لأن الذى حرمت عليكم من قتلهم و إخراجهم من دورهم نظير الذى حرمت عليكم من تركهم أسرى فى أيدي عدوهم «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» الذى فرضت عليكم فيه فرائضى و بينت لكم فيه حدودى و أخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى فتصدقون به فتفادون أسراكم من أيدي عدوهم «وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» و تكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم و قومكم و تخرجونهم من ديارهم و قد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدى و ميثاقى و اختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمه عن ابن عباس أن قريظه و النضير كانا أخوين كالأوس و الخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج و كانت قريظه مع الأوس فإذا اقتتلوا عاونت كل فرقه حلفاءها فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصديقا لما فى التوراه و الأوس و الخزرج أهل شرك

يعبدون الأوثان لا يعرفون جنه ولا نارا ولا قيامه ولا كتابا فأنبأ الله تعالى اليهود بما فعلوه وقال أبو العالیه كان بنو إسرائيل إذا استضعف قوم قوما أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأخذ عليهم الميثاق أن أسر بعضهم بعضا أن يفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فأمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوهم وقيل ليس الذين أخرجوهم الذين فودوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فأنبههم الله تعالى على ذلك وقال أبو مسلم الأصبهاني ليس المراد بقوله «أَفْتَوْمُنُونَ» الآية أنهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وإنما يرجع ذلك إلى بيان صفه محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» اختلف في الخزي الذي خزاهم الله إياه بما سلف منهم من المعصيه فقبل هو حكم الله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو إخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بنى النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بنى قريظه وسبى ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وأنهم صائرون بعده إلى عذاب عظيم فقال «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ» أى إلى أشد العذاب الذى أعده الله لأعدائه وهو العذاب الذى لا روح فيه مع اليأس من التخلص «وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أى وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثه بل هو حافظ لها ومجاز عليها ومن قرأه بالتاء رده إلى المواجهين بالخطاب فى قوله «أَفْتَوْمُنُونَ بِيَعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعُضِ» ومما يسأل فى هذه الآية أن ظاهرها يقتضى صحه اجتماع الإيمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه أن المعنى أنهم أظهروا التصديق ببعض الكتاب والإنكار للبعض دون بعض وهذا يدل على أنهم لا ينفعهم الإيمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفى هذه الآية تسليه لنبينا عليه السلام فى ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الإيمان به فكأنه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع إقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى.

البقره (٢): آيه ٨٦

إشاره

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)

الخفة نقيض الثقل و التخفيف و التسهيل و التهوين نظائر و اختلف في الخفة و الثقل فقليل أنه يرجع إلى تناقص الجواهر و تزايدها و قيل إن الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا و الاعتماد اللازم المختص بوجهه العلو يسمى خفه.

المعنى

أشار إلى الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى ابتاعوا رياسه الدنيا «بِالْآخِرَةِ» أى رضوا بها عوضا من نعيم الآخرة التى أعدّها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم أخبر أنهم لا- حظ لهم فى نعيم الآخرة بقوله «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» أى لا ينقص من عذابهم و لا يهون عنهم «وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ» أى لا ينصرهم أحد فى الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى.

البقرة (٢): آية ٨٧

إشاره

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)

القراءه

قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال فى جميع القرآن و الباقون بضم القاف و الدال و روى فى الشواذ عن أبى عمرو و أيدنه على زنه أفعلناه و القراءه «أَيَّدْنَاهُ» بالتشديد.

الإعراب

التخفيف و التثقيل فى القدس و كذلك فيما كان مثله نحو الحلم و الحلم و العنق و العنق و «أَيَّدْنَاهُ» إنما كانت القراءه المشهوره فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافه توالى إعلالين فى أيدنه على أفعلناه و معنى هذا أنه لو أعلنت عينه كما يجب إعلال عين أفعلت من الأ-جوف كأقمت و أبعث لتتابع فيه إعلالين لأن أصل آيدت أ أيدت كما أن أصل آمن ءامن فانقلبت الهمزه الثانيه ألفا لاجتماع همزتين فى كلمه واحده و الأولى منهما

مفتوحه و الثانيه ساكنه و كان يجب أيضا أن تلقى حركة العين على الفاء و تحذف العين كما أقيت حركة الواو من أقومت على القاف قبلها فصار أقت و كان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واوا لأنها قد تحركت و انفتح ما قبلها و لا بد من قلبها لوقوع الهمزه الأولى قبلها كما قلبت فى تكسير آدم أوادم فكان يجب أن تقول أودته كأقمته فتحذف العين كما ترى و تقلب الفاء التى هى فى الأصل همزه واوا فيعتل الفاء و العين جميعا و إذا كان يؤدي القياس إلى هذا رفض و كثر فيه فعلت ليؤمن الإعلان و جاء أيدت قليلا شاذا على الأصل و إذا كانوا قد أخرجوا عين أفعلت و هى حرف عله على الصحه فى نحو قوله:

صددت فأطولت الصدود و قلما

وصال على طول الصدود يدوم

و أعوز القوم و أغيمت السماء و لو أعلت لم يخف فيه توالى إعلايين كان خروج أيدت على الصحه لئلا يجتمع إعلان أولى و أخرى.

اللغه

قفينا أى أردفنا و أتبعنا بعضهم خلف بعض و أصله من القفا يقال قفوت فلانا إذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس:

و قفى على آثارهن بحاصب

و غيبه شؤبوب من الشد ملهب

و الرسل جمع رسول كالصبر و الشكر فى جمع صبور و شكور و أيدناه قوينا من الأيد و الآد و هما القوه و مثلهما فى البناء على فعل و فعل الذيم و الذام و العيب و العاب قال العجاج:

(من أن تبدلت بادى آدا)

أى بقوه شبابى قوه الشيب و القدس الطهر و التقديس التطهير و قولنا فى صفة الله تعالى القدوس أى الطاهر المنزه عن أن يكون له ولد أو يكون فى فعله و حكمه ما ليس بعدل و بيت المقدس لا- يخلو المقدس فيه إما أن يكون مصدرا أو مكانا فإن كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذى فعل فيه الطهاره و أضيف إلى الطهاره لأنه منسك كما جاء أن طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ و تطهيره إخلاؤه من الصنم و إبعاده منه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهاره و إن كان مصدرا كان كقوله إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ و نحوه من المصادر التى جاءت على هذا المثل و الهوى مقصورا و الشهوه نظيران هوى يهوى هوى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه إنعامه عليهم بإرسال رسله إليهم و ما قابلوه به من

تكذيبهم فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى أعطيناه التوراه و أنزلنا إليه «وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أى أتبعنا من بعد موسى «بِالرُّسُلِ» رسولا بعد رسول يتبع الآخر الأول فى الدعاء إلى وحدانيه الله تعالى و القيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعثه الله تعالى نبيا بعد موسى إلى زمن عيسى عليه السلام فإنما بعثه بإقامه التوراه و العمل بما فيها و الدعاء إلى ذلك «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» أى أعطيناه المعجزات و الدلالات على نبوته من إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و نحو ذلك من الآيات الداله على صدقه و صحه نبوته و قال بعضهم أراد بالبينات الإنجيل و ما فيه من الأحكام و الآيات الفاصله بين الحلال و الحرام «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» أى قويناه و أعناه بجبريل (عليه السلام) عن قتاده و السدى و الضحاك و الربيع و اختلف فى سبب تسميه جبرائيل عليه السلام روحا على وجوه (أحدها) أنه يحيى بما يأتى به من البينات الأديان كما يحيى بالأرواح الأبدان (و ثانيها) أنه سمى بذلك لأن الغالب عليه الروحانيه و كذلك سائر الملائكه و إنما خص بهذا الاسم تشريفا له (و ثالثها) أنه سمى به و أضيف إلى القدس لأنه كان بتكوين الله تعالى إياه روحا من عنده من غير ولاده و ولد و قال ابن زيد المراد بروح القدس الإنجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحا فقال وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا فكَذَلِكَ سَمَى الْإِنْجِيلَ رُوحًا وَ رَوَى الضحاك عن ابن عباس أن الروح الاسم الذى كان عيسى (عليه السلام) يحيى به الموتى و قال الربيع هو الروح الذى نفخ فيه فأضافه إلى نفسه تشريفا كما قال بيت الله و نَاقَهُ اللَّهُ وَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ وَ الْوَجُوهُ قَوْلٌ مِنْ قَالَ هُوَ جِبْرَائِيلُ (عليه السلام) و إذا قيل لم خص عيسى (عليه السلام) من بين الأنبياء بأنه مؤيد بجبرائيل و كل نبى مؤيد به فالقول فيه إنه إنما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره إلى كبره فكان يسير معه حيث سار و لما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به إلى السماء و كان تمثل لمريم عند حملها به و بشرها به و نفخ فيها و اختلف فى معنى القدس فقيل هو الطهر و قيل هو البركه عن السدى و حكى قطرب أنهم يقولون قدس عليه الأنبياء أى برکوا و على هذا فإنه كدعاء إبراهيم (عليه السلام) للحرم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ كَقَوْلِ زَكَرِيَّا وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا وَ قِيلَ الْقُدُسُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْحَسَنِ وَ الرَّبِيعِ وَ ابْنِ زَيْدٍ وَ قَالُوا الْقُدُوسُ وَ الْقُدُسُ وَاحِدٌ وَ قَوْلُهُ «أَفُكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ» خطاب لليهود فكأنه قال يا معشر يهود بنى إسرائيل أكلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى تهواه أنفسكم تعظمتم و تجبرتم و أنفتم من قبول قوله «فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» أى فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدرُوا على قتله مثل عيسى (عليه السلام) و محمد (صلى الله عليه و آله) و قتلتم بعضا مثل يحيى و زكريا و غيرهما و ظاهر الخطاب و إن خرج مخرج التقرير

فهو بمعنى الخبر و إنما أضاف هذا الفعل إليهم و إن لم يباشروه بنفوسهم لأنهم رضوا بفعل أسلافهم فأضيف الفعل إليهم و إن فعله أسلافهم ..

البقره (٢): آيه ٨٨

إشاره

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)

القراءه

القراءه المشهوره «غُلْفٌ» بسكون اللام و روى فى الشواذ عن أبى عمرو غلف بضم اللام.

الإعراب

من قرأ بالتسكين فهو جمع الأغلّف مثل أحمر و حمر و يقال للسيف إذا كان فى غلاف أغلف و قوس غلفاء و جمعها غلف و لا يجوز تثقيله إلا فى ضروره الشعر نحو قول طرفه:

أيها الفتیان فى مجلسنا

جردوا منها ورادا و شقر

فحركت لضروره الشعر فمن قرأ غلف مثقلا- فهو جمع غلاف نحو مثال و مثل و حمار و حمر فيكون معناه أن قلوبنا أوعيه للعلم فما بالها لا تفهم و يجوز أن يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل و رسل.

اللغه

اللعن هو الإقصاء و الإبعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون ثم يصرف.

مفعول منه إلى فعيل فليل لعين قال الشماخ:

و ماء قد وردت لوصل أروى

عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا و نفيت عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين

الإعراب

«فَقَلِيلًا» منصوب بأنه صفة لمصدر محذوف و إنما حذف لأن الصفة تقوم مقامه و تدل عليه أى فإيماننا قليلا ما يؤمنون و قيل أنه منصوب على الحال أى يؤمنون و هم قليل و قيل و تقديره بقليل ما يؤمنون حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه و ما هاهنا مزیده للتوكيد و لا معنى لها كما فى قوله «فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ» و تقدير الكلام قليلا يؤمنون و كما فى قول الشاعر:

لو بأبائين جاء يخطبها

خضب ما أنف خاطب بدم

و قيل إن معنى ما هاهنا هو أن يدل على غايه التنكير فى الاسم و فرط الإبهام فيه

ص: ٢٢٤

المعنى

«وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ» رجع الكلام إلى الحكايه عن اليهود و عن سوء مقالهم و فعالهم فالمعنى على القراءه الأولى أنهم ادعوا أن قلوبهم ممنوعه من القبول فقالوا أى فائده فى إنذارك لنا و نحن لا نفهم ما تقول إذ ما تقوله ليس مما يفهم كقوله تعالى «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» و قال أبو على الفارسى ما يدرك به المعلومات من الحواس و غيرها من الأعضاء إذا ذكر بأنه لا- يعلم وصف بأن عليه مانعا من ذلك و دونه حائلا- فمن ذلك قوله تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه و حائلا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلا جعل مثالا للقلوب بأنها لا تعى و لا- تفقه و كذلك قوله «لَقَالُوا إِنَّمَا سُبُكَّتْ أَبْصَارُنَا» و «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي» و قوله «بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» كان شده عنادهم تحملهم على الشك فى المشاهدات و دفع المعلومات و أما المعنى على القراءه الثانيه من تحريك العين فى غلف فهو على أن المراد أن قلوبنا أوعيه للعلم و نحن علماء و لو كان ما تقوله شيئا يفهم أوله طائل لفهمناه أو يكون المراد ليس فى قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها و قوله «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» رد الله سبحانه عليهم قولهم أى ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد أقصاهم و أبعدهم من رحمته و طردهم عنها بجحودهم به و برسله و قيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازاه لهم بكفرهم و قوله «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» معناه أن هؤلاء الذين وصفهم قليلو الإيمان بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و آله و إن كان معهم بعض الإيمان من التصديق بالله و بصفاته و غير ذلك مما كان فرضا عليهم و ذلك قليل بالإضافه إلى ما جحدوه من التصديق بنبوه نبينا صلى الله عليه و آله و بما جاء به و الذى يليق بمذهبتنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلا و إنما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أى ما رأيت هذا قط و إن جعلت قليلا نصبا على الحال أى يؤمنون قليلا فمعناه لا يؤمن به إلا نفر قليل كعبد الله بن سلام و أصحابه و فى هذه الآيه رد على المجبره لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الإيمان و يحول بينها و بينه فكذبهم الله تعالى فى ذلك بأن لعنهم و ذمهم و لو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن و الطرد و لكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه ..

اشاره

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)

الإعراب

مصدق رفع لأنه صفة لكتاب و لو نصب على الحال لكان جائزا لكنه لم يقرأ به فى المشهور و قيل ضم على الغايه و قد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبيل و أما جواب لما فى قوله «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» فعند الزجاج و الأخفش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ» كما حذف جواب لو من نحو قوله «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَتْهُ بِه الْمَوْتَى وَ تَقْدِيرُهُ وَ لو أن قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن و قيل إن قوله «كَفَرُوا» جواب لقوله «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و لقوله «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» و إنما كرر لما لطول الكلام عن المبرد.

النزول

قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أى يستنصرون على الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه و آله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب و لم يكن من بنى إسرائيل كفروا به و جحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله و أسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد و نحن أهل الشرك و تصفونه و تذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير ما جاءنا بشىء نعرفه و ما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية و

روى العياشى بإسناده رفعه إلى أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجد فى كتبها أن مهاجر محمد رسول الله صلى الله عليه و آله ما بين عير و أحد فخرجوا يطلبون الموضوع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد و أحد سواء فتفرقوا عنده فتنزل بعضهم بتيماء و بعضهم بفدك و بعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمر بهم أعرابى من قيس فتكاثروا منه و قال لهم أمر بكم ما بين عير و أحد فقالوا له إذا مررت بهما فأذنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينه قال ذلك عير و هذا أحد فتنزلوا عن ظهر إبله و قالوا له قد أصبنا بغيثنا فلا حاجه بنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت و كتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك و خيرب أنا قد أصبنا الموضوع فهلما إلينا

فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار و اتخذنا بها الأموال و ما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم و اتخذوا بأرض المدينة أموالا فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم أمنهم فنزلوا عليه فقال لهم إني قد استطبت بلادكم و لا أراني إلا مقيما فيكم فقالوا له ليس ذلك لك إنها مهاجر نبي و ليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم فإني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده و نصره فخلف حين تراهم الأوس و الخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا و أموالنا فلما بعث الله محمد صلى الله عليه و آله آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود و هو قوله تعالى «وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى آخر الآيه.

المعنى

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ» أى جاء اليهود من بنى إسرائيل الذين وصفهم الله «كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» يعنى به القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه و آله «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» أى للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراه و الإنجيل و غيرهما و فيه وجهان (أحدهما) أن معناه إنه مصدق لما تقدم به الأخبار فى التوراه و الإنجيل فهو مصدق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (و الآخر) إنه مصدق لهما أى بأنهما من عند الله تعالى و أنهما حق «وَ كَانُوا» يعنى اليهود «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه و آله و نزول القرآن «يَسْتَفْتِحُونَ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه يستنصرون أى يقولون فى الحروب اللهم افتح علينا و انصرنا بحق النبى الأمى اللهم انصرنا بحق النبى المبعوث إلينا فهم يسألون عن الفتح الذى هو النصر (و ثانيها) أنهم كانوا يقولون لمن يباذهم هذا نبى قد أطل زمانه ينصرنا عليكم (و ثالثها) أن معنى يستفتحون يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث أنكروه (و رابعها) أن معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال:

ألا أبلغ بنى عصم رسولا

فإني عن فتاحتكم غنى

أى عن محاكمتكم به و قوله «عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» أى مشركى العرب «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» يعنى محمدا صلى الله عليه و آله أى عرفوا صفته و مبعثه «كَفَرُوا بِهِ» حسدا و بغيا و طلبا

للياسه «فَلَعْنَةُ اللَّهِ» أى غضبه و عقابه «عَلَى الْكَافِرِينَ» و قد فسرنا معنى اللعنه و الكفر فيما مضى.

البقره (٢): آيه ٩٠

اشاره

بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)

القراءه

قرأ أبو عمرو أن ينزل خفيفه كل القرآن إلا- فى الأنعام أن يُنزل آيةً فإنه شددتها وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن إلا فى سبحان و نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَ حَيَّتِي تُنَزَّلَ فإنه شددتها وقرأ حمزه و الكسائى كل القرآن بالتشديد إلا- فى الم و حم عسق ينزل الغيث فإنهما قراءها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا فى الحجر و ما نُزِّلَهُ أنه مشدد.

الإعراب

نزل فعل غير متعد و يعدى بالإضراب الثلاثه و هى النقل بالهمزه و تضعيف العين و حرف الجر فأنزل و نزل لغتان و مما عدى بالحرف قوله تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ فيمن رفع الروح و قد كثر مجىء التنزيل فى القرآن فهذا يقوى نزل و لم يعلم فيه الإنزال و كثر فيه مجىء أنزل.

اللغه

بئس و نعم فعلاين ماضيان أصلهما على وزن فعل و فيها أربع لغات نعم و بئس مثل حمد و نعم و بئس بسكون العين و نعم و بئس بكسر الفاء و العين و نعم و بئس و اشتروا افتعلوا من الشراء و أكثر الكلام شريت بمعنى بعت و اشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد الحميرى:

و شريت بردا ليتنى

من بعد برد كنت هامه

و ربما استعمل اشتريت بمعنى بعت و شريت بمعنى ابتعت و الأكثر ما تقدم و البغى أصله الفساد مأخوذ من قولهم بغى الجرح إذا فسد و قيل أصله الطلب لأن الباغى يطلب التناول الذى ليس له ذلك و سميت الزانيه بغيا لأنها تطلب و الإهانه الإذلال.

الإعراب

قال الزجاج بئس إذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزله اسم منكور

و إنما كان ذلك في نعم و بئس لأنهما لا يعملان في اسم علم إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس أو اسم فيه ألف و لام يدل على جنس و إنما كانت كذلك لأن نعم مستوفيه لجميع المدح و بئس مستوفيه لجميع الذم فإذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه و كذا إذا قلت بئس الرجل زيد دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجز إذ كان يستوفى مدح الأجناس أن يعمل من غير لفظ جنس فإذا كان معها اسم جنس بغير ألف و لام فهو نصب أبدا و إذا كانت فيه ألف و لام فهو رفع أبدا نحو نعم الرجل زيد و نعم الرجل زيد و إنما نصبت رجلا للتمييز و في نعم اسم مضمرة على شريطه التفسير و لذلك كانت ما في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح و تخصص و القصد في نعم أن يليها اسم منكور أو اسم جنس فقله «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» تقديره بئس شيئا اشتروا به أنفسهم قال أبو علي قوله و لذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على أن ما إذا كانت موصولة لم يجز عنده أن تكون فاعله نعم و بئس و ذلك عندنا لا يمتنع و جهة جوازه أن ما اسم مبهم يقع على الكثرة و لا يخصص واحدا بعينه كما أن أسماء الأجناس تكون للكثرة و ذلك في نحو قوله تعالى وَ يَعْجَبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَالْقَصْدُ بِهِ هُنَا الْكَثْرَةُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْفِظِ مَفْرُودًا بَدَلَالَهُ قَوْلُهُ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَ تَكُونُ مَعْرِفُهُ وَ نَكَرُهُ كَمَا أَنَّ أَسْمَاءَ الْأَجْناسِ تَكُونُ مَعْرِفُهُ وَ نَكَرُهُ وَ قَدْ أَجَازَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَبْرِدُ فِي الَّذِي أَنَّ تَلَى نَعْمَ وَ بَيْسَ إِذَا كَانَ عَامَا غَيْرِ مَخْصُوصِ كَمَا فِي قَوْلِهِ وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ إِذَا جَازَ فِي الَّذِي كَانَ فِي مَا أَجُوزَ فَقَوْلُهُ «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» يَجُوزُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مَا مَوْصُولُهُ وَ مَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِكُونِهَا فَاعِلُهُ لِبَيْسَ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَنكُورُهُ فَتَكُونَ اشْتَرَوْا صِفَهُ غَيْرِ صِلِهِ وَ يَدُلُّ عَلَى صِحِّهِ مَا رَأَيْتَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

و كيف أرهب أمرا أو أراع له

و قد زكات إلى بشر بن مروان

فنعمة مزكا من ضاقت مذاهبه

و نعم من هو في سر و إعلان

ألا- ترى أنه جعل مزكا فاعل نعم لما كان مضافا إلى من و هي تكون عامه غير معينه و أما قوله «أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فموضعه رفع و هو المخصوص بالذم فإن شئت رفعته على أنه مبتدأ مؤخر و إن شئت على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا الشيء المذموم كفرهم بما أنزل الله و قوله «بَغِيًّا» نصب بأنه مفعول له كقول حاتم:

و أغفر عوراء الكريم ادخاره

و أعرض عن شتم اللئيم تكرما

المعنى أغفر عوراءه لادخاره و أعرض عن الشتم للتكريم و موضع أن الثانيه نصب على حذف حرف الجر يعنى بغيا لأن ينزل الله أى من أجل أن ينزل الله.

المعنى

ثم ذم الله سبحانه اليهود بإيثارهم الدنيا على الدين فقال «بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» أى بئس شيئا باعوا به أنفسهم أو بئس الشئ ء باعوا به أنفسهم «أَنْ يَكْفُرُوا» أى كفرهم «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» يعنى القرآن و دين الإسلام المنزل على محمد صلى الله عليه و آله فإذا سأل كيف باعت اليهود أنفسهم بالكفر فالجواب أن البيع و الشراء إزاله ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك فى كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان أو شرا فاليهود لما أوبقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه و آله و أهلکوا خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بئس الشئ ء رضوا به عوضا من ثواب الله و ما أعد له لو كانوا آمنوا بالله و ما أنزل الله على نبيه النار و ما أعد لهم بكفرهم و نظير ذلك الآيات فى سورة النساء من قوله أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ إِلَى قَوْلِهِ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا و قوله «بَغِيًّا» أى حسدا لمحمد صلى الله عليه و آله إذا كان من ولد إسماعيل و كانت الرسل قبل من بنى إسرائيل و قيل طلبا لشيء ء ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله «أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و هو الوحي و النبوه و قوله «فَبَأَوْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ» معناه رحبت اليهود من بنى إسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار بمحمد و الاستفتاح به و الإخبار بأنه نبى مبعوث مرتدين ناكصين على أعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم و قال مؤرج معنى «فَبَأَوْ بِغَضَبٍ» استوجبوا اللعنه بلغه جرهم و لا يقال باء مفردة حتى يقال إما بخير و إما بشر و قال أبو عبيده «فَبَأَوْ بِغَضَبٍ» احتملوه و أقروا به و أصل البوء التقرير و الاستقرار و قوله «عَلَى غَضَبٍ» فيه أقوال (أحدها) أن الغضب الأول حين غيروا التوراه قبل مبعث النبى و الغضب الثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه و آله عن عطاء و غيره (و ثانيها) أن الغضب الأول حين عبدوا العجل و الثانى حين كفروا بمحمد عن السدى (و ثالثها) أن الأول حين كفروا بعبسى (عليه السلام) و الثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه و آله عن الحسن و عكرمه و قتاده (و رابعها) أن ذلك على التوكيد و المبالغه إذ كان الغضب لازما لهم فيتكرر عليهم عن أبى مسلم و الأصم «وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» معناه للجاحدين بنوه محمد عذاب مهين من الله إما فى الدنيا و إما فى الآخره و المهين هو الذى يذل صاحبه و يخزيه و يلبسه الهوان و قيل المهين الذى لا ينتقل منه إلى إعزاز و إكرام و قد يكون غير مهين إذا

كان تحميصا و تكفيرا ينتقل بعده إلى إعزاز تعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار إلى الجنة لا يكون عذابه مهينا.

البقره (٢): آيه ٩١

اشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصِِّدًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

اللغه

ما وراء أى ما بعده قال الشاعر:

تمنى الأمانى ليس شىء وراءها

كموعد عرقوب أخاه بيثرب

قال الفراء معنى وراءه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شىء يراد ليس عند المتكلم به شىء سوى ذلك الكلام.

الإعراب

قوله «مُصِِّدًا» نصب على الحال و هذه حال مؤكده قال الزجاج زعم سيويوه و الخليل و جميع النحويين الموثوق بعلمهم أن قولك هو زيد قائما خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس فى الحال فائده لأن الحال يوجب هاهنا أنه إذا كان قائما فهو زيد و إذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فأما قولك هو زيد معروفا و هو الحق مصدقا فى الحال هنا فائده كأنك قلت أثبتته له معروفا و كأنه بمنزلة قولك هو زيد حقا فمعروف حال لأنه إنما يكون زيدا بأنه يعرف بزيد و كذلك القرآن هو الحق إذا كان مصدقا لكتب الرسل عليه السلام و قوله «فَلِمَ تَقْتُلُونَ» و إن كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضى و إنما جاز ذلك لقوله «مِنْ قَبْلُ» و إن بمعنى الشرط و يدل على جوابه ما تقدم و تقديره إن كنتم مؤمنين فلم قتلتم أنبياء الله و قيل إن بمعنى ما النافيه أى ما كنتم مؤمنين.

المعنى

«وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» يعنى اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمَنُوا» أى صدقوا

«بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» من القرآن على محمد صلى الله عليه وآله والشرائع التي جاء بها «قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» يعنون التوراه «وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ» أى يجحدون بما بعده يريد الإنجيل و القرآن أو بما سوى التوراه من الكتب المنزله كقوله سبحانه وَ أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَمْ و قال ابن الأنبارى تم الكلام عند قوله «بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» ثم ابتداء الله بالإخبار عنهم فقال «وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ» أى بما سواه «وَ هُوَ الْحَقُّ» يعنى القرآن «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» يعنى التوراه لأن تصديق محمد و ما أنزل معه من القرآن مكتوب عندهم فى التوراه قال الزجاج و فى هذا دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم إذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم «نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» فقال «قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ» أى قل يا محمد لهم فلم قتلتم أنبياء الله و قد حرم الله فى الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم و أمركم فيه باتباعهم و فرض عليكم طاعتهم و تصديقهم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بما أنزل عليكم و قال الزجاج إن بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين و هذا وجه بعيد و إنما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضى إذا كان ذلك من الصفات اللازمه كما يقال أنت تسرق و تقتل إذا صار ذلك عادة له و لا يراد بذلك ذمه و لا توبيخه على ذلك الفعل فى المستقبل و إنما يراد به توبيخه على ما مضى و إنما أضاف إليهم فعل آبائهم و أسلافهم لأحد أمرين (أحدهما) أن الخطاب لمن شهد من أهل مله واحده و من غاب منهم واحد فإذا قتل أسلافهم الأنبياء و هم مقيمون على مذهبهم و طريقتهم فقد شركوهم فى ذلك و الآخر أنهم رضوا بأفعالهم و الراضى بفعل قوم كالدخول فيه معهم و هذا المعنى قريب من الأول و فى هذه الآيه دلالة على أن الإيمان بكتاب من كتب الله لا يصح إذا لم يحصل الإيمان بما سواه من كتب الله المنزله التى هى مثله فى اقتران المعجزه به.

البقره (٢): آيه ٩٢

إشاره

وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قله بصيرتهم فى الدين و ضعفهم فى اليقين فقال «وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» الداله على صدقه و المعجزات المؤيده لنبوته كاليد البيضاء و انبجاس الماء من الحجر و فلق البحر و قلب العصا حيه و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و سماها بينات لظهورها و تبينها للناظرين إليها أنها معجزه يتعذر

الإتيان بها على كل بشر وقوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» يعنى اتخذتم العجل إليها و عبدتموه «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد موسى لما فارقكم ومضى إلى ميقات ربه و يجوز أن يكون الهاء كناية عن المجىء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجىء البينات «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» لأنفسكم بكفركم و عبادتكم العجل لأن العبادة لا تكون لغير الله.

البقره (٢): آيه ٩٣

إشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِنَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

اللغه

اسمعوا معناه اقبلوا و منه قوله (سمع الله لمن حمده) أى قبل الله حمد من حمده و قوله «وَ أَشْرَبُوا» أصله من الشرب يقال شرب و أشرب غيره إذا حملة على الشرب و أشرب الزرع أى سقى و أشرب قلبه حب كذا قال زهير:

فصحوت عنها بعد حب داخل

و الحب يشربه فؤادك داء

الإعراب

قوله «الْعِجْلَ» أى حب العجل حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و مثله قول الشاعر:

حسبت بغام راحلتى عناقا

و ما هى ويب غيرك بالعناق

أى حسبت بغام راحلتى بغام عناق و قال طرفه:

ألا إننى سقيت أسود حالكا

ألا بجلى من الشراب الأجل

يريد سقيت سم أسود قال آخر:

و شر المنايا ميت وسط أهله

كهلك الفتى قد أسلم الحى حاضره

أى منیه میت و قوله «بِسْمِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانَكُمْ» فقد تقدم ذكر إعرابه و أن يجوز أن

ص: ۲۳۳

يكون بمعنى ما أى ما كنتم مؤمنين و جاز أن يكون تقديره إن كنتم مؤمنين فبئسما يأمركم به إيمانكم هذا.

المعنى

قوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» قد فسرناه فيما مضى و الفائدة فى تكرير هذا و أمثاله التأكيد و إيجاب الحجة عليهم على عادة العرب فى مخاطباتها و قيل إنه سبحانه لما عد فضائح اليهود أعاد ذكر رفع الجبل و قيل أنه تعالى إنما ذكر الأول للاعتبار بأخبار من مضى و الثانى للاحتجاج عليهم و قوله «وَ اسْمِعُوا» أى اقبلوا ما سمعتم و اعملوا به و أطيعوا الله و قيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم أى استمعوا لتسمعوا و هذا اللفظ يحتمل الاستماع و القبول و لا تنافى بينهما فيحتمل عليهما فكأنه قيل استمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا و أطيعوا و بدل عليه أنه قال فى الجواب عنهم «قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا» و فيه قولان (أحدهما) أنهم قالوا هذا القول فى الحقيقة استهزاء و معناه سمعنا قولك و عصينا أمرك (و الثانى) أن حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر:

(قالت جناحاه لرجليه ألقى)

و إن كان الجناح لا يقول ذلك و إنما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب إلى الخبر عن الغائب على عادة العرب المألوفه و اختلف فى هذا الضمير إلى من يعود فقيل إلى اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه و آله فإنهم قالوا ذلك ثم رجع إلى حديث أوائلهم فقال «وَ أُشْرِبُوا» و قيل إلى اليهود الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام إذ ردوا عليه قوله و قابله بالعصيان و قوله «وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ» فمعناه دخل قلوبهم حب العجل و إنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل فى الأعضاء حتى يصل إلى بواطنها و الطعام يجاوز الأعضاء و لا يتغلغل فيها قال الشاعر:

تغلغل حيث لم يبلغ شراب

و لا حزن و لم يبلغ سرور

و ليس المعنى فى قوله «وَ أُشْرِبُوا» أن غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل أنسيت ذلك من النسيان و ليس يريد أن غيره فعل ذلك به و يقال أوتى فلان علما جما و إن كان هو المكتسب له و قوله «بِكُفْرِهِمْ» ليس معناه أنهم أشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن محبه العجل كفر قبيح و الله سبحانه لا يفعل الكفر فى العبد لا ابتداء و لا جزاء بل معناه أنهم كفروا بالله تعالى بما أشربوه من محبه العجل و قيل إنما أشرب حب العجل قلوبهم من زينه عندهم و دعاهم إليه كالسامرى و شياطين الجن و الإنس فقوله «بِكُفْرِهِمْ» معناه لاعتقادهم التشبيه و جهلهم بالله تعالى و تجويزهم العباده لغيره أشربوا

فى قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا إلى ذلك لهذه المعانى التى هى كفر و قول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبه و مجازاه غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبه فى شىء و لا ضرر فيه و قوله «قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ» معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بئس الشىء الذى يأمركم به إيمانكم إن كان يأمركم بقتل أنبياء الله و رسله و التكذيب بكتبه و جحد ما جاء من عنده و معنى إيمانهم تصديقهم بالذى زعموا أنهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا و قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى مصدقين كنا زعمتم بالتوراه و فى هذا نفى عن التوراه أن يكون يأمر بشىء يكرهه الله من أفعالهم و إعلام بأن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم و يحملهم عليه آراؤهم.

البقره (٢): آيه ٩٤

إشاره

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)

اللغه

الخالصه الصافيه يقال خلص لى هذا الأمر أى صار لى وحدى و صفا لى يخلص خلوصا و خالصه مصدر كالعافيه و أصل الخلوص أن يصفو الشىء من كل شائبه و دون يستعمل على ثلاثه أوجه أن يكون الشىء دون الشىء فى المكان و فى الشرف و فى الاختصاص و هو المراد فى الآيه و التمنى من جنس الأقوال عند أكثر المتكلمين و هو أن يقول القائل لما كان ليته لم يكن و لما لم يكن ليته كان و قال أبو هاشم هو معنى فى القلب و لا خلاف فى أنه ليس من قبيل الشهوه.

الإعراب

خالصه نصب على الحال.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى الاحتجاج على اليهود بما فضح به أحبارهم و علماءهم و دعاهم إلى قضيه عادله بينه و بينهم فقال «قُلْ» يا محمد لهم «إِنْ كَانَتْ» الجنه «خَالِصَةً» لكم «دُونِ النَّاسِ» كلهم أو دون محمد و أصحابه كما ادعيتم بقولكم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى و كنتم صادقين فى قولكم نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ و إن الله لا يعذبنا «فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لأن من اعتقد أنه من أهل الجنه قطعاً كان الموت أحب إليه من حياه الدنيا التى فيها أنواع المشاق و الهموم و الآلام و الغموم و من كان على يقين أنه إذا مات

تخلص منها و فاز بالنعيم المقيم فإنه يؤثر الموت على الحياه ألا ترى إلى

قول أمير المؤمنين عليه السلام و هو يطوف بين الصفيين بصفين في غلامه لما قال له الحسن ابنه ما هذا زى الحرب يا بنى إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه

و قول عمار بن ياسر بصفين أيضا الآن ألقى الأحبه محمدا و حزبه و أما

ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به و لكن ليقل اللهم أحيني ما دامت الحياه خيرا لى و توفنى ما كانت الوفاه خيرا لى

فإنما نهى عن تمنى الموت لأنه يدل على الجزع و المأمور به الصبر و تفويض الأمور إليه تعالى و لأننا لا نأمن وقوع التفصير فما أمرنا به و نرجو فى البقاء التلافى.

البقره (٢): آيه ٩٥

اشاره

وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)

الإعراب

أبدا نصب على الظرف أى طول عمرهم يقول القائل لا أكلمك أبدا يريد ما عشت و ما بمعنى الذى أى بالذى قدمت أيديهم و يجوز أن يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمه أيديهم.

المعنى

أخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بأنهم لا يتمنون ذلك أبدا بما قدموه من المعاصى و القبائح و تكذيب الكتاب و الرسول عن الحسن و أبى مسلم و قيل بما كتموا من صفه النبي صلى الله عليه و آله عن ابن جريج و أضاف ذلك إلى اليد و إن كانوا إنما فعلوا ذلك باللسان لأن العرب تقول هذا ما كسبت يداك و إن كان ذلك حصل باللسان و الوجه فيه أن الغالب أن تحصل الجنايه باليد فيضاف بذلك إليها ما يحصل بغيرها و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» خصص الظالمين بذلك و إن كان عليما بهم و بغيرهم بأن الغرض بذلك الزجر و التهديد كما يقال الإنسان لغيره إني عارف بصير بعملك و قيل معناه إن الله عليم بالأسباب التى منعت عن تمنى الموت و بما أضمره و أسروه من كتمان الحق عناداً مع علم كثير منهم أنهم مبطلون و

روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا و لرأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه إنهم «لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا» تحقيقاً لكذبهم

و فى ذلك أعظم دلالة على صدق نبينا و صحة نبوته لأنه

ص: ٢٣٦

أخبر بالشيء قبل كونه فكان كما أخبر و أيضا فإنهم كفوا عن التمني للموت لعلمهم بأنه حق و أنهم لو تمنوا الموت لماتوا و

روى الكلبي عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لهم إن كنتم صادقين في مقاتلكم فقولوا اللهم أمتنا
فو الذي نفسى بيده لا يقولها رجل إلا غص بريقه فمات مكانه

و هذه القصة شبيهه بقصه المباله و أن النبي صلى الله عليه و آله لما دعا النصارى إلى المباله امتنعوا لقله ثقتهم بما هم عليه و
خوفهم من صدق

النبي صلى الله عليه و آله في قوله لو باهلونى لرجعوا لا يجدون أهلا و لا مالا

فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما أن النصارى لما أحجموا عن المباله افتضحوا و ظهر الحق فإن قيل من أين علمتم أنهم
لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب أن من قال التمني هو القول فالسؤال ساقط عنه و من قال هو معنى فى القلب قال لو تمنوه
بقلوبهم لأظهوره بألسنتهم حرصا منهم على تكذيبه فى إخباره و لأن تحديدهم بتمنى الموت إنما وقع بما يظهر على اللسان و كان
يسهل عليهم أن يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه صلى الله عليه و آله و وضحت حجته.

البقره (٢): آيه ٩٦

اشاره

وَ لَتَجِدَنَّهْم أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاهِ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْزُحٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ
اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)

اللغه

وجده و صادفه و ألفاه نظائر يقال وجدت الشىء و وجدانا إذا أصبته و يقال وجدت بمعنى علمت و الحرص شدة الطلب و رجل
حريص و قوم حراص و الموده المحبه يقال وددت الرجل أوده ودا ودا وودادا ووداده و موده و التعمير طول العمر و العمر و
العمر لغتان و أصله من العماره الذى هو ضد الخراب فالعمر المده التى يعمر فيها البدن بالحياه و الألف من التأليف سمي بذلك
العدد لأنه ضم مائه عشر مرات و الزحزحه التنحيه يقال زحزحته فترزح و قال الشاعر:

و قالوا ترزح لا بنا فضل حاجه

إليك و لا منا لو هيك راقع

و البصير بمعنى المبصر كما أن السميع بمعنى المسمع و لكنه صرف إلى فعل و مثله بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ بمعنى المبدع و العذاب الأليم بمعنى المؤلم هذا فى اللغة و عند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات و البصير هو الحى الذى لا آفه به فهو ممن يجب أن يبصر المبصرات إذا وجدت و ليس أحدهما هو الآخر و كذلك القول فى السميع و السامع.

الإعراب

«لَتَجِدَنَّهْمُ» اللام لام القسم و النون للتأكيد و تقديره و الله لتجدنهم قال سيبويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن إذا جاءت مبتدأ فقال هى على نيه القسم و هذه اللام إذا دخلت على المستقبل لزمته فى الأمر الأكثر بالنون و إذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى إلى مفعول واحد كفقدت الذى هو ضده فينتصب أحرص على الحال و إذا كان بمعنى علمت تعدى إلى مفعولين ثانيهما عبارته عن الأول فيكون أحرص هو المفعول الثانى و هو الأصح و قوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» قال الفراء يريد و أحرص من الذين أشركوا أيضا كما يقال هو أسخى الناس و من حاتم و من هرم لأن تأويل قولك أسخى الناس إنما هو أسخى الناس و قال الزجاج تقديره و لتجدنهم أحرص من الذين أشركوا و قيل إنما دخلت من فى قوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» و لم يدخل فى قوله «أَحْرَصَ النَّاسِ» لأنهم بعض الناس و الإضافة فى باب أفعل لا يكون إلا كذلك تقول الياقوت أفضل الحجارة و لا تقول الياقوت أفضل الزجاج بل تقول أفضل من الزجاج فلذلك قال «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» لأن اليهود ليسوا هم بعض المجوس و هم بعض الناس و قوله «وَمَا هُوَ بِمَرْحُوزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» فيه وجوه (أحدها) أن هو كناية عن أحدهم الذى جرى ذكره و أن يعمر فى موضع رفع بأنه فاعل تقديره و ما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره كما يقال مررت برجل معجب قيامه (و ثانيها) أنه كناية عما جرى ذكره من طول العمر و قوله أن يعمر بيان لقوله هو و تقديره و ما تعميره بمزحزحه من العذاب و كأنه قيل و ما هو الذى ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير (و ثالثها) أنه عماد و أن يعمر فى موضع الرفع بأنه مبتدأ و بمزحزحه خبره و منع الزجاج هذا القول الأخير قال لا يجوز البصريون ما هو قائما زيد و ما هو بقائم زيد بمعنى الأمر و الشأن و قال غيره إذا كانت ما غير عامله فى الباء جاز كقولهم ما بهذا بأس.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن أحوال اليهود فقال «وَلَتَجِدَنَّهْمُ» أى و لتعلمن

يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعنى به علماء اليهود «أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاهِ» أى أحرصهم على البقاء فى الدنيا أشد من حرص سائر الناس «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أى ولتجدنهم أحرص من الذين أشركوا وهم المجوس و من لا يؤمن بالبعث و قال أبو على الجبائى إن الكلام تم عند قوله «عَلَى حَيَاهِ» و قوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» تقديره و من [اليهود] الذين أشركوا من يود أحدهم لو يعمر ألف سنه فحذف من و قال على بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز فى مثل هذا الموضع و قال أبو مسلم الأصفهانى أن فى هذا الكلام تقديمًا و تأخيرًا و تقديره و لتجدنهم و طائفه من الذين أشركوا أحرص الناس على حيوة و أقول إذا جاز هاهنا أن يحذف الموصوف الذى هو طائفه و تقام الصفه مقامه و هو قوله «مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» فليجز على ما ذهب إليه الجبائى أن يكون تقديره و من الذين أشركوا طائفه يود أحدهم فيحذف الموصوف و يقام صفته الذى هو «يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ» مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف و يستوى القولان من حيث الصورة و الصفه و يختلفان من حيث المعنى و يكون من هنا هى الموصوفه لا- الموصوله كما قدره الجبائى و قوله «يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ» ذكر الألف لأنها نهايه ما كانت المجوس يدعو به بعضهم لبعض و تحبى به الملوك يقولون عش ألف نوروز و ألف مهرجان قال ابن عباس هو قول أحدهم لمن عطس هزار سأل بزى يقال فهؤلاء الذين يزعمون أن لهم الجنة لا- يتمنون الموت و هم أحرص ممن لا- يؤمن بالبعث و كذلك يجب أن يكون هؤلاء لعلمهم بما أعد الله لهم فى الآخرة من الجحيم و العذاب الأليم على كفرهم و عنادهم مما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا- يؤمنون بالبعث و على الحياه أحرص لهذه العله و قوله «وَمَا هُوَ بِمُزْحَضٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» أى و ما أحدهم بمنجيه من عذاب الله و لا بمبعده منه تعميره و هو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من الفناء هذا هو أحسن الوجوه التى تقدم ذكرها «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالهم لا يخفى عليه شىء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب و فى هذه الآيه دلالة على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا و نحوه مذموم و إنما المحمود طلب البقاء للازدياد فى الطاعة و تلافى الفئات بالتوبه و الإنابه و درك السعاده بالإخلاص فى العباده و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله: بقيه عمر المؤمن لا قيمه له يدرك بها ما فأت و يحيى بها ما أمات.

إشاره

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)

القراءه

قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم و كسر الراء من غير همز و قرأ حمزه و الكسائي و أبو بكر إلا يحيى جبرئيل بفتح الجيم و الراء مهموزا على زنه جبرعيل و روى يحيى كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرعل و الباقون بكسر الجيم و الراء و بعدها ياء من غير همزه و قرأ أهل المدينة ميكايل بهمزه مكسوره بعد الألف على زنه ميكاعل و قرأ أهل البصره «ميكال» بغير همز و لا ياء و الباقون بإثبات ياء ساكنه بعد الهمزه على زنه ميكاغيل.

الإعراب

قال أبو على روينا عن أبي الحسن أنه قال في جبريل ست لغات جبرائيل و جبرائل و جبرئل و جبرال و جبريل و جبرئيل فمن قال جبريل كان على لفظ قنديل و برطيل و من قال جبرئيل كان على وزن عندليب و من قال جبرئل كان على وزن جحمرش و من قال ميكال على وزن قنطار و ميكايل و جبرائيل خارج عن كلام العرب و هذه الأسماء معربه فإذا أتى بها على ما في أبيه العرب مثله كان أذهب في باب التعريب و قد جاء في أشعارهم ما هو على لفظ التعريب و ما هو خارج عن ذلك قال:

عبدوا الصليب و كذبوا بمحمد

و بجبرئيل و كذبوا ميكالاً

و قال حسان:

و جبريل رسول الله منا

و روح القدس ليس له كفاء.

اللغه

جبرئيل و ميكايل اسمان أعجميان عربيا و قيل جبر في اللغه السريانيه هو العبد و إيل هو الله و ميك هو عبيد فمعنى جبريل عبد الله و معنى ميكايل عبيد الله و قال أبو على الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين أحدهما أن إيل لا يعرف من أسماء الله تعالى في

اللغة العربية و الآخر أنه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورا أبدا كقولهم عبد الله و البشرى و البشاره الخبر السار أول ما يرد فيظهر ذلك في بشره الوجه.

الإعراب

جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبرائيل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك ياذن الله و الهاء في قوله فإنه تعود إلى جبريل و الهاء في نزله تعود إلى القرآن و إن لم يجر له ذكر كما أن هاء في قوله تعالى: ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ تعود إلى الأرض و يجوز أن يكون على معنى جبرئيل و تقديره فإن الله نزل جبريل على قلبك لا أنه نزل بنفسه و الأول أصح و نصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله و هو ضمير القرآن أو جبريل ع.

النزول

قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روى أن ابن سوريا و جماعه من يهود أهل فدك لما قدم النبي صلى الله عليه و آله المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناى و قلبى يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة فقال أما العظام و العصب و العروق فمن الرجل و أما اللحم و الدم و الظفر و الشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شىء أو يشبه أخواله و ليس فيه من شبه أعمامه شىء فقال أيهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فأخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فقال له ابن سوريا خصله واحده إن قلتها آمنت بك و اتبعتك أى ملك يأتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال و الشده و الحرب و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك.

المعنى

فأنزل الله تعالى هذه الآية جوابا لليهود و ردا عليهم فقال «قُلْ» لهم يا محمد «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» إذا كان هو المنزل للكتاب عليك «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» لا- من تلقاء نفسه و إنما أضافه إلى قلبه لأنه إذا أنزل عليه كان يحفظه و يفهمه بقلبه و معنى قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» بأمر الله و قيل أراد بعلمه أو بإعلام الله إياه ما ينزل على قلبك و قوله «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» معناه موافقا لما بين يديه من الكتب و مصدقا له بأنه حق و بأنه من عند الله لا مكذبا لها «و هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» معناه إن كان فيما أنزله الأمر بالحرب و الشده على الكافرين فإنه هدى و بشرى للمؤمنين و إنما خص الهدى

بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين بما فيه و إن كان هدى لغيرهم أيضا و قيل أراد بالهدى الرحمة و الثواب فلذلك خصه بالمؤمنين و معنى البشرى أن فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم و إن جعلت مصدقا و هدى و بشرى حالا لجبريل فالمعنى أنه يصدق بكتب الله الأولى و يأتى بالهدى و البشرى و إنما قال سبحانه «عَلَى قَلْبِكَ» و لم يقل على قلبى على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا- تقل للقوم أن الخبر عندك و يجوز أن تقول لا تقل لهم أن الخبر عندى و كما تقول قال القوم جبريل عدونا و يجوز أن تقول قالوا جبريل عدوهم و أما قوله تعالى: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ» فمعناه من كان معاديا لله أى يفعل فعل المعادى من المخالفه و العصيان فإن حقيقه العداوه طلب الإضرار به و هذا يستحيل على الله تعالى و قيل المراد به معاداه أوليائه كقوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ قَوْلَهُ «وَ مَلَائِكَتِهِ» أى و معاديا لملائكته «وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ» و إنما أعاد ذكرهما لفضلهما و منزلتهما كقوله تعالى «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ» و قيل إنما أعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا و ميكائيل و لينا فخصهما الله بالذكر لأن النزاع جرى فيهما فكان ذكرهما أهم و لثلاثا تزعم اليهود أنهما مخصوصان من جملة الملائكه و ليسا بداخلين فى جملتهم فنص الله تعالى عليهما ليبتل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال «فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لِّلْكَافِرِينَ» و لم يقل فإنه و كرر اسم الله لثلاثا يظن أن الكنايه راجعه إلى جبرائيل أو ميكائيل و لم يقل لهم لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوه بالإيمان و قد طعن بعض الملحده فى هذا فقال كيف يجوز أن يقول عاقل أنا عدو جبريل و ليس هذا القول من اليهود بمستنكر و لا- عجب مع ما أخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر و الآيات الخارقة للعادة اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ و قولهم أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً و عبادتهم العجل و غير ذلك من جهالاتهم.

البقره (٢): آيه ٩٩

اشاره

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)

اللغه

الآيه العلامه التى فيها عبره و قيل العلامه التى فيها الحجج و البينه الدلاله الفاصله الواضحه بين القضييه الصادقه و الكاذبه مأخوذه من إبانة أحد الشيين من الآخر ليزول التباسه به.

ص: ٢٤٢

قد تدخل فى الكلام لأحد أمرين أحدهما لقوم يتوقعون الخبر و الآخر لتقريب الماضى من الحال تقول خرجت و قد ركب الأمير و هى هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام إذا خرج ذلك المخرج كان أوكد و أبلغ.

النزول

قال ابن عباس إن ابن سوريا قال لرسول الله صلى الله عليه و آله يا محمد ما جئتنا بشىء نعرفه و ما أنزل الله عليك من آية بينه فنتبعك لها فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

يقول «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «آيَاتٍ» يعنى سائر المعجزات التى أعطىها النبى صلى الله عليه و آله عن البلخى و قيل هى القرآن و ما فيها من الدلالات عن أبى مسلم و أبى على و قيل هى علم التوراه و الإنجيل و الأخبار عما غمض مما فى كتب الله السالفه عن الأصم كقوله تعالى يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات تفصل بين الحق و الباطل «وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ» و معناه الكافرون و إنما سُمى الكفر فسقاً لأن الفسق خروج من شىء إلى شىء و اليهود خرجوا من دينهم و هو دين موسى بتكذيب النبى صلى الله عليه و آله و إنما لم يقل الكافرون و إن كان الكفر أعظم من الفسق لأحد أمرين (أحدهما) أن المراد أنهم خرجوا عن أمر الله إلى ما يعظم من معاصيه و الثانى أن المراد به أنهم الفاسقون المتمردون فى كفرهم لأن الفسق لا يكون إلا أعظم الكبائر فإن كان فى الكفر فهو أعظم الكفر و إن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصى.

البقره (٢): آيه ١٠٠

إشاره

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)

اللغه

النبد طرحك الشىء عن يدك أمامك أو خلفك و المنابذه انتباز الفريقين للحرب و نابذناهم الحرب و المنبذون هم الأولاد الذين يطرحون و المنابذه فى البيع منهى عنها و هو كالرمى كأنه إذا رمى به و جب البيع له و سُمى النبيذ نبيذاً لأن التمر كان يلقى فى الجره و غيرها و قيل معنى نبذه تركه و قيل ألقاه قال أبو الأسود الدؤلى:

نظرت إلى عنوانه فنبدته

كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

الواو فى قوله «أَ وَ كَلَّمَا» عند سيبويه و أكثر النحويين واو العطف إلا أن ألف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام و هى أم حروف الاستفهام بدلاله أن هذه الواو تدخل على هل تقول و هل زيد عالم لأن الألف أقوى منها و قال بعضهم يحتمل أن تكون زائده كزياده الفاء فى قولك أ فالله ليفعلن و الأول أصح لأنه لا- يحكم على الحرف بالزياده مع وجود معنى من غير ضروره و نصب كلما على الظرف و العامل فيه نبذه و لا يجوز أن يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما إما صلته و إما صفه.

المعنى

أخبر الله سبحانه عن اليهود أيضا فقال «أَ وَ كَلَّمَا عَاهِدُوا» الله «عَهْدًا» أراد به العهد الذى أخذه الأنبياء عليهم أن يؤمنوا بالنبى الأسمى عن ابن عباس و كلما لفظ يقتضى التكرار فيقتضى تكرار النقص منهم و قال عطاء هى العهود التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه و آله و بين اليهود فنقضوها كفعل قريظه و النضير عاهدوا أن لا يعينوا عليه أحدا فنقضوا ذلك و أعانوا عليه قريشا يوم الخندق «تَيَّدَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أى نقضه جماعه منهم «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» أى أكثر المعاهدين «لَا يُؤْمِنُونَ» و لا تعود الهاء و الميم إلى فريق إذ كانوا كلهم غير مؤمنين فأما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام و كعب الأحرار و غيرهما فأما وجه دخول بل على قوله «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» فإنه لأمرين (أحدهما) أنه لما نبذه فريق منهم دل على أن ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل أكثرهم كفار بالنقض الذى فعلوه و إن كان بعضهم نقضه جهلا و بعضهم نقضه عنادا و الثانى أنه أراد كفر فريق منهم بالنقض و كفر أكثرهم بالجحد للحق و هو أمر النبى صلى الله عليه و آله و ما يلزم من اتباعه و التصديق به.

البقره (٢): آيه ١٠١

إشاره

وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَيِّدٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

الإعراب

لما فى موضع نصب بأنه ظرف و يقع به الشىء بوقوع غيره و العامل فيه نبذ و مصدق رفع لأنه صفه لرسول لأنها نكرتان و لو نصب لكان جائزا لأن رسول قد وصف بقوله «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» فلذلك يحسن نصبه على الحال إلا أنه لا يجوز فى القراءه إلا

الرفع لأن القراءه سنه متبعه و موضع ما جر باللام و مع صله لها و الناصب لمع معنى الاستقرار و المعنى لما استقر معهم.

المعنى

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ» أى و لما جاء اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه و آله «رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» يعنى محمدا صلى الله عليه و آله عن أكثر المفسرين و قيل أراد بالرسول الرساله كما قال كثير:

فقد كذب الواشون ما بحت عندهم

بليلى و ما أرسلتهم برسول

قال على بن عيسى و هذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل فى الاستعمال و قوله «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه مصدق لكتبهم من التوراه و الإنجيل لأنه جاء على الصفه التى تقدمت بها البشاره (و الثانى) أنه مصدق للتوراه بأنها حق من عند الله لأن الأخبار هاهنا إنما هو عن اليهود دون النصارى و الأول أحسن لأن فيه حجه عليهم و قوله «تَبَيَّنَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أى ترك و ألقى طائفه منهم و إنما قال «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» و لم يقل منهم و قد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود فأعاد ذكرهم لاختلاف المعنى و قيل أنه لم يكن عنهم للبيان لما طال الكلام و قوله «كِتَابَ اللَّهِ» يحتمل أن يريد به التوراه و يحتمل أن يريد به القرآن و قوله «وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» كناية عن تركهم العمل به قال الشعبى هو بين أيديهم يقرءونه و لكن نبذوا العمل به و قال سفيان بن عيينه أدرجوه فى الحرير و الديباج و حلوه بالذهب و الفضة و لم يحلوا حلاله و لم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا إذا حمل الكتاب على التوراه و قال أبو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الأول أيضا الذى فيه البشاره به و قال السدى نبذوا التوراه و أخذوا بكتاب آصف و سحر هاروت و ماروت يعنى أنهم تركوا ما تدل عليه التوراه من صفه النبى صلى الله عليه و آله و قال قتاده و جماعه من أهل العلم أن ذلك الفريق كانوا معاندين و إنما ذكر فريقا منهم لأن الجمع العظيم و الجم الغفير و العدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف الهمم و تشتت الآراء و تباعد الأهواء لأنه خلاف المؤلف من العادات إلا- إذا كانوا عددا يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان و قوله «كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أى لا- يعلمون أنه صدق و حق و المراد أنهم علموا و كتموا بغيا و عنادا و قيل المراد كأنهم لا- يعلمون ما عليهم فى ذلك من العقاب و قيل المراد كأنهم لا يعلمون ما فى كتابهم أى حلوا محل الجاهل بالكتاب.

اشاره

وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

القراءه

قرأ ابن عامر و حمزه و الكسائي و لكن الشياطين كفروا و لكن الله قتلهم و لكن الله رمى بتخفيف النون من لكن و رفع الاسم بعدها و الباقون بالتشديد و روى فى الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس و الحسن.

الإعراب

قال أبو على اعلم أن لكن لا نعلم شيئا على مثاله فى الأسماء و لا فى الأفعال و هى مثل إن فى أنها مثقله ثم تخفف إلا أن إن و أن إذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين و إن كان غير الأعمال أكثر و لم نعلم أن أحدا حكى النصب فى لكن إذا خففت فيشبهه إن و النصب لم يجىء فى هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلاله على أن الأصل فى هذه الحروف أن لا تعمل إذا خففت لزوال اللفظ الذى به شابه الفعل فى التخفيف و لكن و إن لم يشابه الفعل فإن فيه ما يشبه الفعل إذا فصلته كقولهم أراك منتفخا أريد أن تفخ مثل كتف فقدر منفصلا ثم خفف كذلك يقدر فى لكن الانفصال فيشبهه ليت و إن.

أتبعه أقتدى به و تتلو معناه تتبع لأن التالى تابع و قيل معناه تقرأ من تلوت كتاب الله أى قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت أى تتبع و قال حسان بن ثابت:

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله

و يتلو كتاب الله فى كل مشهد

و السحر و الكهان و الحيله نظائر يقال سحره يسحره سحرا و قال صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين و من السحر الأخذه التى تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما ترى و ليس الأمر كما ترى و الجمع الأخذ فالسحر عمل خفى لخفاء سببه يصور الشىء بخلاف صورته و يقبله عن جنسه فى الظاهر و لا يقبله عن جنسه فى الحقيقة أ لا ترى إلى قوله سبحانه و تعالى يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى و السحر الغذاء قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب

و نسحر بالطعام و بالشراب

و السحر أيضا الرئه يقال للجبان انتفخ سحره و الفتنة و الامتحان و الاختبار نظائر يقال فتنته فتنة و أفتنه قال أعشى همدان فجاء باللغتين:

لقد فتننتى و هى بالأمس أفتنت

سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

و فنت الذهب فى النار إذا اختبرته فيها لتعلم أ خالص هو أم مشوب فليل لكل ما أحميته فى النار فتنة و فنت الخبز فى النار أنضجتها و منه قوله يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ أى يشوون و تعلم قد تكون بمعنى اعلم كما قيل علمت و أعلمت بمعنى و كذلك فهمت و أ فهمت قال كعب بن زهير:

تعلم رسول الله أنك مدركى

و أن وعيدا منك كالأخذ باليد

و قيل إن بينهما فرقا فمعنى تعلم تسبب إلى ما به تعلم من النظر فى الأدله و ليس فى اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تأمل كقولك اعلم أن الفعل يدل على الفاعل و أن ما لم يسبق المحدث محدث و تقول فى الأول تعلم النحو و الفقه و المرء تأنيته المرأه و يقال مره بلا ألف و الضرر و الألم و الأذى نظائر و الضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا و أضر به إضرارا و اضطره إليه اضطرارا قال صاحب العين الضر و الضر لغتان فإذا ضمنت إليه النفع فتحت الضاد و الضرير الذاهب البصر من الناس

يقال رجل ضريير بين الضراره

ص: ٢٤٧

فى الحديث لا ضرر ولا ضرار

و ضريرا الوادى جانباه و كل شىء دنا منك حتى يزحمك فقد أضر بك و أصل الباب الانتقاص و الأذن فى اللغة على ثلاثه أقسام (أحدها) بمعنى العلم كقوله فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ أَى فاعلموا و قال الحطيئه:

ألا يا هند إن جددت وصلا

و إلا فأذنينى بانصرام

و (الثانى) بمعنى الإباحه و الإطلاق كقوله تعالى فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ و الثالث بمعنى الأمر كقوله نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ و النفع و المنفعه و اللذه نظائر و حد النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتذا أما لأنه لذه أو يؤدي إلى لذه و حد الضرر كل ما يكون به الحيوان ألما أما لأنه ألم أو يؤدي إلى ألم و الخلاق النصيب من الخير قال أميه بن أبى الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم

إلا سراييل من قطر و أغلال

الإعراب

قوله «ما تَتْلُوا» فيه وجهان أحدهما أن تكون تتلوا بمعنى تلت و إنما جاز ذلك لما عام من اتصال الكلام بعهد سليمان فيمن قال إن المراد على عهد ملك سليمان أو فى زمن ملك سليمان أو بملك سليمان فيمن لم يقدر حذف المضاف فدل ذلك على إن مثال المضارع أريد به الماضى قال سيويه قد تقع يفعل فى موضع فعل كقول الشاعر:

و لقد أمر على اللثيم يسبنى

فمضيت ثمه قلت لا يعينى

و الوجه الآخر أن يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل و لكنه حكاية حاول و إن كان ماضيا كقوله وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ فيسومونكم حكاية للحال فى الوقت الذى كانت فيه و إن كان آل فرعون منقرضين فى وقت هذا الخطاب و من هذا ما أنشده ابن الأعرابى:

جاريه فى رمضان الماضى

تقطع الحديث بالإيماض

و قوله «و ما أُنزلَ» ذكر فى ما ثلاثه أقوال (أحدها) أنه بمعنى الذى و أنزل صلته و موضعه نصب بكونه معطوفا على السحر و قيل

أنه معطوف على قوله «مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» و (ثانيها) أنه بمعنى أيضا و موضعه جر و يكون معطوفا بالواو على ملك سليمان و (ثالثها) أنه بمعنى الجحد و النفي و تقديره و ما كفر سليمان و لم ينزل الله السحر على الملكين و بابل اسم بلد لا- ينصرف للتعريف و التأنيث و قوله فَيَتَعَلَّمُونَ» لا

ص: ٢٤٨

يخلو من أحد أمرين إما أن يكون الفعل معطوفاً بالفاء على فعل قبله أو يكون خبر مبتدأ محذوف و الفعل الذى قبله لا يخلو إما أن يكون كفروا من قوله «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» فيجوز أن يكون فيتعلمون معطوفاً عليه لأن كفروا فى موضع رفع بكونه خبر لكن فعطف عليه بالمرفوع و هو قول سيبويه فأما يعلمون فيجوز أن تكون فى موضع نصب على الحال من كفروا أى كفروا فى حال تعليمهم و يجوز أن يكون بدلاً من كفروا لأن تعليم الشياطين كفر فى المعنى و إذا كان كذلك جاز البديل فيه إذا كان إياه فى المعنى كما كان مضاعفه العذاب لما كان لقى الآثام فى قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ جَازِ إِبْدَالِهِ مِنْهُ» إما أن يكون الفعل الذى عطف عليه يتعلمون قوله «يُعَلِّمُونَ» و هو قول الفراء و أنكروا الزجاج هذا القول قال لأن قوله «مِنْهُمَا» دليل على التعلم من الملكين خاصة قال أبو على فهذا يدخل على قول سيبويه أيضاً كما يدخل على قول الفراء لأنهما جميعاً قالوا بعطفه على فعل الشياطين قال و هذا الاعتراض ساقط من جهتين إحداهما أن التعلم و إن كان من الملكين خاصة فلا يمتنع أن يكون قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ» عطف على كفروا و على يعلمون و إن كان متعلقاً بهما و كان الضمير فى منهما راجعاً إلى الملكين فإن قلت كيف يجوز هذا و هل يسوغ أن يقدر هذا التقدير و يلزمك أن يكون النظم و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما فتضم الملكين قبل ذكرهما و الإضمار قبل الذكر غير جائز و إن لزمك فى هذا القول الإضمار قبل الذكر و كان ذلك غير جائز لزم أن لا تجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا و يعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج فإنه عطف على ما يوجهه معنى الكلام عند قوله «فَلَا تَكْفُرْ» أى فيأبون فيتعلمون أو على يعلمان من قوله «مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» لأنهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب أما النظم فإنه على ما ذكرته و هو صحيح و أما الإضمار قبل الذكر فإن منهما فى قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» إذا كان ضميراً عائداً إلى الملكين فإن إضمارهما بعد تقدم ذكرهما و ذلك سائغ و نظيره قوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ لَمَّا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ أَضْمَرَ اسْمَهُ وَ لَوْ قَالَ ابْتَلَىٰ رَبَّهُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَجْزِ لِكَوْنِهِ إِضْمَارًا قَبْلَ الذِّكْرِ وَ هَذَا بَيْنَ جَدَا فَالاعتراض بذلك على سيبويه و الفراء ساقط و أما الوجه الأخرى التى يسقط منها ذلك فهى أنه قد قيل فى قوله تعالى «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ» ثلاثه أقوال يأتى شرحها فى المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين و قول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا و لكن الشياطين هاروت و ماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما «وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ» أى لم ينزل «وَ مَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» أى و ما يعلم هاروت و ماروت من أحد فمنهما على هذا القول لا يرجع إلى الملكين إنما يرجع إلى هاروت و ماروت اللذين هما الشياطين فى المعنى فأما حمل الكلام على التشبيه و الشياطين جمع فسائغ يجوز أن يحمل على المعنى فيجمع و على لفظ هاروت و ماروت فيثنى و نظيره قوله وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ثُمَّ قَالُوهَا فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى و يجوز أن يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» فيكون الضمير الذى فى يتعلمون لأحد إلا أنه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ فأما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله و قيل إن يتعلمون عطف على ما يوجهه معنى الكلام لأن المعنى إنما نحن فتنه فلا تكفر فيأبون فيتعلمون و هذا قول حسن فهو قول الفراء قال أبو على و هو عندى جائز لأنه من المضمرة الذى فهم للدلالة عليه و أما كونه خبرا للمبتدأ المحذوف فعلى أن تقديره فهم يتعلمون منهما و ذلك غير ممتنع و قد قيل فى قوله منهما أن الضمير عائد إلى السحر و الكفر قاله أبو مسلم قال لأنه تقدم الدليل عليها فى قوله «كَفَرُوا» و هذا كقوله سبحانه سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَ يَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى أى يتجنب الذكرى و قوله «وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ» قال الزجاج دخول اللام على قد على وجه القسم و التوكيد و قال النحويون فى قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط و جعل الجواب «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» و هذا ليس بموضع شرط و جزاء و لكن المعنى و لقد علموا الذى اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق كما تقول و الله لقد علمت للذى جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج و أقول فموضع من رفع بالابتداء و موضع «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» رفع على أنه خبر المبتدأ و هذا قول سيبويه فاللام فى قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيداً لغير القسم و اللام مع الجملة التى بعدها فى موضع نصب بعلموا كما أن الاستفهام كذلك فى نحو علمت أزيد فى الدار أم عمرو و هذا هو المسمى تعليقا قال أبو على قول من قال إن من جزاء بعيد لأنه إذا كان جزاء فاللام فى لمن اشتراه سبب دخوله القسم كالتى فى قوله وَ لَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَ لَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ فَيَقْتَضِي ذلك قسما و القسم الذى يقتضيه قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» إذا حملت من على أنه جزاء لا يخلو من أن يكون علموا لأن العلم و الظن قد يقامان مقام القسم كما فى قوله:

و لقد علمت لتأتين منيتى

إن المنايا لا تطيش سهامها

و قوله وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ أو يكون مضمرا بين قوله «عَلِمُوا» و قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ»

و يبعد أن يكون علموا قسما و قوله «لَمَنْ اشْتَرَاهُ» جوابه هنا لأنه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم و المقسم عليه لا- يكون قسما لأنه يلزم من هذا أن يدخل قسم على قسم لأن في أول الكلام قسما و هو المضمرة الجالب للأم في لقد فهذا هو القسم الأول و الثاني هو الذى يدخل عليه هذا القسم الأول المضمرة و هو قد علموا إذا أجبته باللام فيمن جعله ابتداء و بالنفى فيمن جعل من جزاء و دخول القسم على القسم يبعد عند سيبويه و لا يسوغ فمن أجل هذا بعد عنده أن يكون علموا هنا بمنزلة القسم و أن يجاب بجوابه فقال سيبويه و الخليل لا- يقوى أن تقول و حقك و حق زيد لأفعلن و الواو الثاني و او قسم لا- يجوز إلا مستكرها لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه إلا أن يضم الآخر إلى الأول و يحلف بهما على المحلوف عليه و لهذا جعل هو و الخليل الحرف في قوله وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى للعطف دون القسم فلهذا حمل اللام في لمن اشتراه على أنها لام ابتداء دون قسم و ليست كاللام الأخرى في أنها تقتضى قسما لا محاله في نحو قولهم لعمر ك لأفعلن كذا فلا يلزم على تأوله دخول قسم على قسم و يبعد أيضا أن يكون القسم مضمرا بين قوله «وَ لَقَدْ عَلِمُوا» و بين «لَمَنْ اشْتَرَاهُ» لأن علموا يقتضى مفعوليه و إذا وقع قسم بينه و بين مفعوليه لم يجب و كان لغوا كما أنه في نحو قولك زيد و الله منطلق و إن تأتني و الله أتيتك لغوا لا جواب له و لأنه لو أوجب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولى علمت و ذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجته عما وضع له لأنه إذا وضع ليؤكد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجته عن أن يكون تأكيدا لغيره و لجعلته قائما بنفسه و لو جاز أن يكون في موضع مفعولى علمت لجاز أن يوصل به و يوصف به النكرة و هذا ممتنع فمعلوم إذا أن القسم بعد علمت لا يلزم أن يكون له جواب فإضمار القسم بعد علموا غير جائز لأنه ليس يجوز إلا أن يكون له جواب يدل عليه إذا حذف كما يدل ليفعلن و نحوه من الجواب على القسم و المحذوف فإذا لم يجر أن يكون له جواب لم يجر حذفه و إرادته فقد بعد أيضا أن يكون القسم مضمرا بعد علمت فلما كان علموا مقسما عليه في هذا الموضع فإذا جعلت من بغير معنى الذى لزمك أن يكون علمت قسما و يكون قوله «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ» و جوابه و كان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه و حمل اللام في لمن على أنه لام الابتداء و من بمعنى الذى لثلا- يلزم ما لا يستحسنه و لا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البين.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أنه نبذ فريق من اليهود كتاب الله

الذى فى أيديهم وراء ظهورهم فقال «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» و اختلف فى المعنى بقوله «وَ اتَّبِعُوا» على ثلاثة أقوال (أحدها) أنهم اليهود الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه و آله عن الربيع و ابن إسحاق و السدى (و ثانيها) أنهم اليهود الذين كانوا فى زمن سليمان عن ابن عباس و ابن جريج (و ثالثها) أن المراد به الجميع لأن متبعى السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد صلى الله عليه و آله و روى عن الربيع أن اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه و آله زمانا عن التوراه لا يسألونه عن شىء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل علينا منا و أنهم سألوه عن السحر و خصموه به فأنزل الله تعالى «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» الآية أى اقتدوا بما كانت تتلو الشياطين أى تتبع و تعمل به عن ابن عباس و قيل معناه تقرأ عن عطا و قتاده و قيل معناه تكذب عن أبى مسلم يقال تلا عليه إذا كذب قال سبحانه و تعالى وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فإذا صدق قيل تلا عنه و إذا أبهم جاز الأمران و اختلف فى قوله «الشَّيَاطِينُ» فقيل هم شياطين الجن لأنه المستفاد من إطلاق هذه اللفظه و قيل هم شياطين الإنس المتمردون فى الضلاله كما قال جرير:

أيام يدعوننى الشيطان من غزلى

و كن يهويننى إذ كنت شيطانا

و قيل هم شياطين الجن و الإنس و قوله «عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ» قيل معناه فى ملك سليمان كقول أبى النجم:

(فهى على الأفق كعين الأحول)

أى فى الأفق ثم إن هذا يحتمل معنيين (أحدهما) فى عهد ملك سليمان (و الثانى) فى نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن فى ملك فلان و فى نفس فلان و قيل معناه على عهد ملك سليمان و قال أبو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين و أما قوله «وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ» بين بهذا أن ما كانت تتلوه الشياطين و تأثره و ترويه كان كفرا إذ برأ سليمان (عليه السلام) منه و لم يبين سبحانه بقوله «مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ» أنها أى شىء كانت تتلو الشياطين ثم لم يبين بقوله سبحانه «وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ» أن ذلك الكفر أى نوع من أنواع الكفر حتى قال «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ» فبين سبحانه أن ذلك الكفر كان من نوع السحر فإن اليهود أضافوا إلى سليمان السحر و زعموا أن ملكه كان به فبرأه الله منه و هو قول ابن عباس و ابن جبير و قتاده و اختلف فى السبب الذى لأجله أضافت اليهود السحر إلى سليمان (عليه السلام) فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحرة و وضعها فى خزانته و قيل كتبتها تحت كرسية لثلا

يطلع عليها الناس و لا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك الكتب و قالوا إنما تم ملك سليمان بالسحر و به سخر الإنس و الجن و الطير و زينوا السحر فى أعين الناس بالنسبه إلى سليمان (عليه السلام) و شاع ذلك فى اليهود و قبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدى و

روى العياشى بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لما هلك سليمان وضع إبليس السحر ثم كتبه فى كتاب و اطواه و كتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا و كذا فليقل كذا و كذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا و قال المؤمنون هو عبد الله و نبيه فقال الله فى كتابه «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» الآية

و فى قوله «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» ثلاثه أقوال (أحدها) أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر و (ثانيها) أنهم كفروا بما نسبوا إلى سليمان من السحر (و ثالثها) أنهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر و فى قوله «يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» قولان (أحدهما) أنهم ألقوا السحر إليهم فتعلموه (و الثانى) أنهم دلوه على استخراجهم من تحت الكرسي فتعلموه و قوله «وَ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ» فيه وجوه.

(أحدها) أن المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر و الذى أنزل على الملكين و إنما أنزل على الملكين وصف السحر و ماهيته و كيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك و يعرفاه الناس فيجتنبوه غير أن الشياطين لما عرفوه استعملوه و إن كان المؤمنون إذا عرفوه اجتنبوه و انتفعوا بالاطلاع على كيفية (و ثانيها) أن يكون المراد على ما ذكرناه قبل من أن معناه و اتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين أى معهما و على ألسنتهما كما قال سبحانه ما وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ أى معهما و على ألسنتهم (و ثالثها) أن يكون ما بمعنى النفي و المراد و ما كفر سليمان و لا أنزل الله السحر على الملكين و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت و ماروت و يكون قوله ببابل هاروت و ماروت من المؤخر الذى معناه التقديم و يكون فى هذا التأويل هاروت و ماروت رجلين من جملة الناس و يكون الملكان اللذان نفى عنهما السحر جبرئيل و ميكائيل (عليه السلام) لأن سحره اليهود فيما ذكر كانت تدعى أن الله عز و جل أنزل السحر على لسان جبرئيل و ميكائيل على سليمان فأكذبهم الله فى ذلك و يجوز أن يكون هاروت و ماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال و لكن الشياطين هاروت و ماروت كفروا و يسوغ ذلك كما ساغ فى قوله وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ يعنى لحكم داود و سليمان و يكون على هذا قوله «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» راجعا إلى هاروت و ماروت و معنى قولهما إنما نحن فتنه

«فَلَا تَكْفُرُ» يكون على طريق الاستهزاء و التماجن لا على سبيل النصيحة و التحذير و يجوز على هذا التأويل أيضا الذى يتضمن النفى و الجحد أن يكون هاروت و ماروت اسمين للملكين و نفى عنهما إنزال السحر و يكون قوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ» راجعا إلى قبيلتين من الجن و الإنس أو إلى شياطين الجن و الإنس فيحسن التثنيه لهذا و روى هذا التأويل فى حمل ما على النفى عن ابن عباس و غيره من المفسرين و حكى عنه أيضا أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام و يقول متى كان العليجان ملكين إنما كانا ملكين و على هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» إليهما و يمكن على هذه القراءة فى الآيه وجه آخر و إن لم يحمل قوله «وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ» على الجحد و النفى و هو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين و تدعيه على ملك سليمان و اتبعوا ما أنزل على الملكين من السحر و لا يكون الإنزال مضافا إلى الله تعالى و إن أطلق لأنه جل و عز لا- ينزل السحر بل يكون أنزله إليهما بعض الضلال و يكون معنى أنزل و إن كان من الأرض حمل إليهما لا من السماء أنه أتى به من نجود البلاد و أعاليها فإن من هبط من النجد إلى الغور يقال نزل و اختلف فى بابل فقيل هى بابل العراق لأنه تبلبت بها الألسن عن ابن مسعود و قيل هى بابل دماوند عن السدى و قيل هى نصيبين إلى رأس العين و هاروت و ماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه و قيل هما ملكان من الملائكة أهبطهما الله إلى الأرض على صورته الإنس لثلاثين نفرا منهنما إذا كانا على صورته الملائكة و اختلف فى سبب هبوطهما فقيل إن الله أهبطهما ليأمر بالدين و ينهى عن السحر و يفرقا بينه و بين المعجز لأن السحر كان كثيرا فى ذلك الوقت ثم اختلف فى ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر و ينهيان عن فعله ليكون النهى بعد العلم فإن من لا- يعرف الشىء لا- يمكنه اجتنابه و قال آخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما فى ذلك من الإغراء بفعله و إنما اهبطا لمجرد النهى إذ كان السحر فاشيا و قيل أيضا فى سبب هبوطهما

إن الملائكة تعجبت من معاصى بنى آدم مع كثره نعم الله عليهم فقال طائفه منهم يا ربنا أ ما تغضب مما يعمل خلقك فى أرضك و مما يفترون عليك من الكذب و الزور و يرتكبونه من المعاصى و قد نهيتهم عنها و هم فى قبضتك و تحت قدرتك فأحب الله سبحانه أن يعرفهم ما من به عليهم من عجيب

خلقهم و ما طبعهم عليه من الطاعة و عصمهم به من الذنوب فقال لهم انذبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض و اجعل فيهما من طبائع المطعم و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لى قال فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا من أشد الملائكة قولا في العيب لولد آدم و استجرار عتب الله عليهم قال فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلت في ولد آدم و أنظر أن لا تشركا بى شيئا و لا تقتلا النفس التى حرم الله قتلها و لا تزنيا و لا تشربا الخمر ثم أهبطهما إلى الأرض على صورة البشر و لباسهم فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا امرأه جميله حسناء أقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم إنهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا إليها فراوداها عن نفسها فقالت إن لى دينا أدين به و لست أقدر فى دىنى على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخلنا فى دىنى فقالا و ما دينك فقالت لى إله من عبده و سجد له كان لى السبيل إلى أن أجيبه إلى كل ما سألتى قالا و ما إلهك قالت هذا الصنم قال فائتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التى جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت قالت فدونكما فاشربا الخمر فإنه قربان لكما عنده و به تصلان إلى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك و الزنا و شرب الخمر فائتموا بينهما ثم قالا لها ما أعظم البليه بك قد أجبناك قال فاشربا الخمر و سجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رأياه فزعا منه فقال لهما إنكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأه الحسناء إنكما لرجلا- سوء و خرج عنهما فقالت لهما بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما و يفضحنى ثم دونكما فاقضيا حاجتكما و أنتما مطمئنان آمنان قال فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سوآتهما و نزع عنهما رياشهما و سقط فى أيديهما فأوحى الله تعالى إليهما إنما أهبطتكما إلى الأرض ساعه من نهار فعصيتما نى بأربع معاص قد نهيتكما عنها و تقدمت إليكما فيها فلم تراقباني و لم تستحيا منى و قد كنتما أشد من ينقم على أهل الأرض من المعاصى فاخترتا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة قال فاخترتا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بأرض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان فى الهواء إلى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشى مرفوعا إلى أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و من قال بعصمه الملائكة (عليه السلام) لم يجز هذا الوجه و قوله «و ما يُعلمان من أحدى حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفروا» يعنى الملكين ما يعلمان أحدا و العرب تستعمل لفظه علم بمعنى أعلم أى لا يعرفان

صفات السحر و كيفيته حتى يقلا أى الأبعد أن يقولوا إنما فتنه أى محنه لأن الفتنه بمعنى المحنه و الاختبار و الابتلاء و إنما كانا محنه من حيث ألقيا إلى المكلفين أمرا لينزجروا عنه و يمتنعوا من مواقعه و هم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه و يرتكبوه فقلالا لمن يطلعانه على ذلك لا- تكفر باستعماله و لا- تعدل عن الغرض فى إلقائه إليك فإنه إنما ألقى إليك لتجنبه لا لتفعله و لا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرا و معصيه كما أن من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه و إنما يأثم بالعمل و قيل إن المراد به نفى تعليمهما السحر و التقدير و لا يعلمان أحدا السحر فيقولان إنما نحن فتنه فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين و النهى عنه من الملكين و قوله «فَلَا تَكْفُرُوا» يعنى به أحد ثلاثة أشياء (أحدها) فلا تكفر بالعمل بالسحر (و الثانى) فلا تكفر بتعلم السحر و يكون مما امتحن الله عز و جل بالملكين الناس فى ذلك الوقت و جعل المحنه فى الكفر و الإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر و فيكون بتعلمه كافرا و بتركه التعلم مؤمنا لأن السحر كان قد كثر و هذا ممكن أن يمتحن الله به كما امتحن بالنهر فى قوله فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي (و الثالث) فلا- نكفر بكليهما و قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» أى من هاروت و ماروت و قيل من السحر و الكفر و قيل أراد بدلا مما علماهم و يكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهى عن السحر إلى فعله و استعماله كما يقال ليت لنا من كذا و كذا أى بدلا منه و كقول الشاعر:

جمعت من الخيرات و طبا و علبه

و صرا لإخلاف المزممه البزل

و من كل أخلاق الكرام نميمه

و سعيها على الجار المجاور بالمحل.

و قوله «مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ» فيه وجوه (أحدها) أنهم يوجدون أحدهما على صاحبه و يبغضونه إليه فيؤدى ذلك إلى الفرقه عن قتاده (و ثانيها) أنه يغوون أحد الزوجين و يحملونه على الكفر و الشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحل و تباين المله (و ثالثها) أنهم يسعون بين الزوجين بالنميمه و الوشايه حتى يؤول أمرهما إلى الفرقه و المبايه و قوله «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى لا يلحقون بغيرهم ضررا إلا بعلم الله فيكون على وجه التهديد و قيل معناه إلا بتخليه الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر و من شاء خلى بينه و بينه فيضره و قوله «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ» معناه يضرهم

فى الآخرة ولا- ينفعمهم و إن كان ينفعمهم فى الدنيا لأنهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه و ىرتكبوه لا أن ىجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم و قوله «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» ىعنى اليهود الذين نبذوا كتاب وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهاء فى اشتراه كناية عن السحر عن قتاده و جماعه من المفسرين فما له فى الآخرة من نصيب و قوله «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» ىعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر و قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» بعد قوله «وَلَقَدْ عَلَّمُوا» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن ىكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا أو ىكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر تعالى عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم و الذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (و ثانيها) أن ىكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا- أنهم علموا شيئا و لم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك و رضيه لنفسه على الجملة و لم يعلموا كنه ما يصيرون إليه من العقاب الدائم (و ثالثها) أن تكون الفائدة فى نفى العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير ىصف ذنبا و غرابا تبعاه لىصيبا من زاده:

إذا حضرانى قلت لو تعلمانه

أ لم تعلما أنى من الزاد مرمل

ففى عنهما العلم ثم أثبتته و المعنى فى نفيه العلم عنهما أنها لم يعملوا بما علماه فكأنهما لم يعلماه و فى هذه الآية دلالة على أن الأفعال تختلف باختلاف المقاصد و لذلك كان تعلم السحر لإزاله الشبهه و التحرز منه و اجتنابه إيمانا و لتصديقه و استعماله كفرا و اختلف فى ماهيه السحر على أقوال فقيل أنه ضرب من التخيل و صنعه من لطيف الصنائع و قد أمر الله تعالى بالتعود منه و جعل التحرز بكتابه و قايه منه و أنزل فيه سورة الفلق و هو قول الشيخ المفيد أبى عبد الله من أصحابنا و قيل أنه خدع و مخاريق و تمويهات لا- حقيقه لها ىخيل إلى المسحور أن لها حقيقه و قيل أنه ىمكن الساحر أن ىقلب الإنسان حمارا و ىقلبه من صورته إلى صورته و ينشئ الحيوان على وجه الالاختراع و هذا لا- ىجوز و من صدق به فهو لا ىعرف النبوه و لا يأمن أن تكون معجزات الأنبياء من هذا النوع و لو أن الساحر و المعزم قدرا على نفع أو ضرر و علما الغيب لقدرا على إزاله الممالك و استخراج الكنوز من معادنها و الغلبه على البلدان بقتل الملوك من غير أن ىنالهم مكروه و ضرر فلما رأيناهم أسوء الناس حالا و أكثرهم مكيد و احتيالا علمنا أنهم لا ىقدرون على شىء من

ذلك فأما ما روى من الأخبار أن النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى أنه فعل ما لم يفعله وأنه لم يفعله ما فعله فأخبار مفتعله لا يلتفت إليها وقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فإنه حجه الله على خليقته و صفوته على بريته.

البقرة (٢): آية ١٠٣

إشارة

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

اللغة

المثوبة و الثواب و الأجر نظائر و نقيض المثوبة العقوبة يقال تاب يثوب ثوبا و ثوبا و أثابه إثابه و مثوبه و ثوبا و الأصل فى الثواب ما رجع إليك من شىء يقال اعترت الرجل غشيه ثم ثابت إليه نفسه و لذلك سمي الثواب ثوبا لأنه العائد إلى صاحبه مكافاه لما فعل و منه التثويب فى الأذان و هو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعى إذا كرر دعاءه إلى الحرب أو غيرها و يقال انهزم القوم ثم تابوا أى رجعوا و الثوب مشتق من هذا أيضا لأنه تاب لباسا بعد أن كان قطناً أو غزلاً و المثابه الموضع يثوب إليه الناس و فى الشواذ قرأ قتاده لمثوبه بسكون التاء و فتح الواو و هى لغه كما قالوا مشوره و مشوره و أجمع العرب على قولهم هذا خير منه و هذا شر منه إلا بعض بنى عامر فإنهم يقولون هذا أخير من ذا و أشر من ذا.

الإعراب

اللام فى لمثوبه لام الابتداء و هى فى موضع جواب لو لأنها تنبئ عن قولك لا تشيخوا و الضمير فى أنهم عائد إلى الذين يتعلمون السحر.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَ لَوْ أَنَّهُمْ» يعنى الذين يتعلمون السحر و يعملونه و قيل هم اليهود «آمَنُوا» أى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله و القرآن «وَ اتَّقَوْا» السحر و الكفر و قيل جميع المعاصى «لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» أى لأثيبوا و ثواب الله خير «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كانوا يستعملون ما يعلمونه و ليس أنهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الإنسان لصاحبه و هو يعظه ما أدعوك إليه خير لك لو كنت تعقل أو تنظر فى العواقب و فى قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» و هو خير علموا أو لم يعلموا وجهان (أحدهما) أن معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك أى لعلموا أن ثواب الله خير من السحر (و الآخر) أن المعنى فيه الدلالة على جهلهم و ترغيبهم فى أن يعلموا ذلك و أن يطلبوا ما هو خير لهم من السحر و هو ثواب الله الذى ينال بطاعته و اتباع مرضاته و فى هذه الآية دلالة على بطلان قول أصحاب

المعارف لأنه نفى ذلك العلم عنهم.

البقره (٢): آيه ١٠٤

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)

اللغه

المراعاة التفقد للشىء فى نفسه أو أحواله و المراعاة و المحافظه و المراقبه نظائر و نقيض المراعاة الإغفال و رعى الله فلانا أى حفظه و رعيت له حقه و عهده فيمن خلف و أرعيتة سمعى إذا أصغيت إليه و راعيتة بعينى إذا لاحظته و جمع الراعى رعاء و رعا و رعيان و كل من ولى قوما فهو راعيهم و هم رعيتة و المرعى من الناس المسوس و الراعى السائس و استرعاه الله خلقه أى و لاه أمرهم ليرعاهم و الإرعاء الإبقاء على أخيك و الاسم الرعى و الرعا و راعى سمعك أى استمع و رجل ترعيه للذى صنعته و صنعه آباءه الرعايه و قال الشاعر:

يسوسها ترعيه حاف فضل

و أصل الباب الحفظ و نظرت الرجل أنظر نظره بمعنى انتظرته و ارتقبتة.

المعنى

لما قدم سبحانه نهى اليهود عن السحر عقبه بالنهاى عن إطلاق هذه اللفظه فقال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا أى استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظه فقالوا يا محمد راعنا و هم يلحدون إلى الرعونه يريدون به النقيصه و الوقيعه فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله «لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا» و قال قتاده إنها كلمه كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء و قال عطاء هى كلمه كانت الأنصار تقولها فى الجاهليه فنهوا عنها فى الإسلام و قال السدى كان ذلك كلام يهودى بعينه يقال له رفاعه بن زيد يريد بذلك الرعونه فنهى المسلمون عن ذلك و

قال الباقر (عليه السلام) هذه الكلمه سب بالعبرانيه إليه كانوا يذهبون

و قيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت و روى عن الحسن أنه كان يقرأ راعنا بالتونين و هو شاذ لا يؤخذ به و معنى «انظُرْنَا» يحتمل وجوها (أحدها) انتظرنا نفهم و نتبين ما تعلمنا (و الآخر) فقهننا و بين لنا يا محمد (و الثالث) أقبل علينا و يجوز أن يكون معناه أنظر إلينا فحذف حرف الجر و قوله «وَ اسْمَعُوا» يحتمل أمرين (أحدهما) أن معناه اقبلوا ما يأمركم به قوله سمع الله لمن حمده و سمع الله دعاءك أى قبله (و الثانى) أن معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن «وَ لِلْكَافِرِينَ» بمحمد و القرآن «عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجع

قال الحسن و الضحاک کل ما فی القرآن یا أئہا الذین آمنوا فإنه نزل بالمدينه.

البقره (٢): آيه ١٠٥

اشاره

ما يودُ الذین کفروا من أهیل الکتاب و لا المشرکین أن ینزلَ علیکم من خیرٍ من ربکم و اللہ یختص برحمته من یشاء و اللہ ذو الفضل العظیم (١٠٥)

اللغه

الموده المحبه و الاختصاص بالشیء هو الانفراد به و ضد الاختصاص الاشتراک و يقال خصه بالشیء ٤ یخصه خصا إذا فضله به و الخصاص الفرج و الخص بيت من قصب أو شجر و إنما سمي خصا لأنه يرى ما فيه من خصاصه و کل خلل أو خرق يكون فی السحاب أو المنخل فهو الخصاصه و أصل الباب الانفراد بالشیء ٤ و منه يقال للفرج الخصائص لانفراد کل واحد عن الآخر من غير جمع بينها و يقال أخصصته بالفائده و اخصصت أنا بها كما يقال أفردته بها و انفردت أنا بها.

الإعراب

«الذین کفروا» فی موضع رفع لأنه فاعل يود و المشرکین فی موضع جر بالعطف على أهل الكتاب و تقديره و لا من المشرکین و قوله «أن ینزلَ» فی موضع نصب لأنه مفعول يود و من فی قوله «من خیرٍ» زائده مؤكده كقولك ما جاءني من أحد و موضع من خیر رفع و من فی قوله «من ربکم» لابتداء الغايه و التي فی قوله «من أهیل الکتاب» للتنويع و التبيين مثل التي فی قوله فأجتنبوا الرجس من الأوثان.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أيضا عن اليهود فقال «ما يودُ الذین کفروا من أهیل الکتاب و لا المشرکین أن ینزلَ علیکم من خیرٍ من ربکم» معناه ما يحب الكافرون من أهل الكتاب و لا من المشرکین بالله من عبده الأوثان أن ينزل الله عليكم شيئا من الخير الذي هو عنده و الخير الذي تمنوا أن لا ينزله الله عليهم ما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه و آله و أنزله عليه من القرآن و الشرائع بغيا منهم و حسدا «و اللہ یختص برحمته من یشاء» و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أن المراد برحمته هنا النبوه

و به قال الحسن و أبو على و الرماني و غيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوه من یشاء من عباده «و اللہ ذو الفضل العظیم» هذا خبر منه سبحانه أن كل خير نال عباده في دينهم و دنياهم فإنه من

عنده ابتداء منه إليهم و تفضلاً عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن و الطول.

البقره (٢): آيه ١٠٦

اشاره

ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)

القراءه

قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون و كسر السين و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمرو نساها بفتح النون و السين و إثبات الهمزه و الباقون بضم النون و كسر السين بلا همز.

الإعراب

أما قراءه ابن عامر ننسخ فلا يخلو من أن يكون أفعل لغه في فعل نحو بدأ و أبدأ و حل من إحرامه و أحل أو تكون الهمزه للنقل نحو ضرب و أضربته و نسخ الكتاب و أنسخته الكتاب أو يكون المعنى في أنسخ الآيه و جدتها منسوخه كقولهم أحمدت زيدا و أبخلته و الوجه الصحيح هو الأول و هو أن يكون نسخ و أنسخ لغتين متفقتين في المعنى و إن اختلفتا في اللفظ و قول من فتح النون أبين و أوضح و أما نساها فهي من النسي و هو التأخير يقال نسأت الإبل عن الحوض أنساها نسا إذا أخرتها عنه و انتسأت أنا أى تأخرت و منه قولهم أنسا الله أجلك و نسا في أجلك و أما القراءه الأخرى فمن النسيان الذى هو بمعنى السهو أو بمعنى الترك.

اللغه

النسخ فى اللغه إبطال شىء و إقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل أى أذهبته و حلت محله و قال ابن دريد كل شىء خلف شيئاً فقد انتسخه و انتسخ الشيب الشباب و تناسخ الورثه أن تموت ورثه بعد ورثه و أصل الميراث قائم لم يقسم و كذلك تناسخ الأزمنه و القرون بعد القرون الماضيه و أصل الباب الإبدال من الشىء غيره و قال على بن عيسى النسخ الرفع لشىء قد كان يلزم العمل به إلى بدل منه كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلا منها فى مكانها و هذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بمن يلزمه الصلاه قائما فعجز عن القيام فإنه يسقط عنه القيام لعجزه و لا يسمى العجز ناسخا و لا القيام منسوخا و ينتقض

أيضا بمن يستبيح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بخطره فإنه لا يقال إن الشرع نسخ حكم العقل ولا أن حكم العقل منسوخ و أولى ما يجد به النسخ أن يقال هو كل دليل شرعى دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت فى المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الأول مع تراخيه عنه و النسخ فى القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية و تلاوتها كما روى عن أبى بكر أنه قال كنا نقرأ لا- ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم و منها أن تثبت الآية فى الخط و يرفع حكمها كقوله وَ إِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ الآية فهذه ثابتة اللفظ فى الخط مرتفعه الحكم و منها ما يرتفع اللفظ و يثبت الحكم كآيه الرجم فقد قيل أنها كانت منزله فرفع لفظها و قد جاءت أخبار كثيرة بأن أشياء كانت فى القرآن فنسخ تلاوتها فمنها ما روى عن أبى موسى أنهم كانوا يقرءون لو أن لابن آدم واديين من مال لا يتغى إليهما ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب ثم رفع و عن أنس أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا بيئر معونه قرأنا فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا و أرضانا ثم إن ذلك رفع و قال أبو عبيده معنى نساها أى نمضيها فلا ننسخها قال طرفه:

أمون كالواح الأران نسأتها

على لا حب كأنه ظهر برجد

أى أمضيتها و قال غيره نسأت الإبل فى ظمئها أنساها نسا إذا زدتها فى ظمئها يوما أو يومين و ظمؤها منعها الماء و نسأت الماشيه تنسأ نسا إذا سمتت و كل سمين ناسئ قال الزجاج و تأويله أن جلودها نسأت أى تأخرت عن عظامها و قال غيره إنما قيل ذلك لأنها تأخرت فى المرعى حتى سمتت و يقال للعصا المنسأة لأنها ينسأ بها أى يؤخر ما يساق عن مكانه و يدفع بها الإنسان عن نفسه الأذى و نسأت ناقتى إذا دفعتها فى السير و أصل الباب التأخير.

الإعراب

«ما نَسَّيْخُ» ما اسم ناب مناب أن و هو فى موضع نصب بنسخ و إنما لزمه التقديم و إن كان مفعولا و مرتبه المفعول أن يكون بعد الفاعل لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام و ننسخ مجزوم بالشرط و ننس جزم لأنه معطوف عليه و نأت مجزوم لأنه جزاء و من فى قوله «مِنْ آيَةٍ» للتبويض و قيل هى مزيدة و لفظ أ لم ها هنا لفظ الاستفهام و معناه التقرير و تعلم مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله.

النظم

لما قال سبحانه فى الآية الأولى ما يَوُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَأَ

المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ دل بهذه الآية على أنه سبحانه لا يخليهم من إنزال خير إليهم بخلاف ما تمناه أعداؤهم فيهم وأنه أبدا ينزل عليهم ما هو أصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل إنه سبحانه لما عاب اليهود بأشياء ورد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا (عليه السلام) وكان مما طعنوا فيه أنه يقول بنسخ كل شريعته تقدمت شريعته فينبى الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن أبى مسلم.

المعنى

«ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ» قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية أو حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ «أَوْ نَسَّهَا» فمعناه على وجهين فإن لفظ النسي المنقول منه أنسى على ضربين (أحدهما) بمعنى النسيان الذى هو خلاف الذكر نحو قوله «اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسَيْتَ (و الآخر) بمعنى الترك نحو قوله نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أى تركوا طاعه الله فترك رحمتهم أو ترك تخليصهم فالوجه الأول فى الآية مروى عن قتاده وهو أن يكون محمولا على النسيان الذى هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأئمة بأن يؤمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الأيام ولا يجوز ذلك على النبى صلى الله عليه وآله لأنه يؤدى إلى التنفير كذا ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله فى تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبى صلى الله عليه وآله وقالوا أنه لا يؤدى إلى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز أيضا أن ينسيهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وإن كانوا جمعا كثيرا وجمعا غفيرا بأن يفعل النسيان فى قلوب الجميع وإن كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبى صلى الله عليه وآله واستدل من حمل الآية على النسيان الذى هو خلاف الذكر وجوز كون النبى صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أى إلا ما شاء الله أن تنساه قال وإلى هذا ذهب الحسن فقال إن نبيكم أقرئ القرآن ثم نسيه وأنكر الزجاج هذا القول فقال إن الله تعالى قد أنبا النبى صلى الله عليه وآله فى قوله «وَلَيْتَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لتفتري علينا غيره بأنه لا يشاء أن يذهب بما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وآله قال أبو على الفارسى هذا الذى احتج به على من ذهب إلى أن ننسها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا إليه وذلك أن قوله «وَلَيْتَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إنما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الأخبار وأقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل الذى ينسأه النبى صلى الله عليه وآله وهو ما يجوز أن ينسخ من الأوامر والنواهى الموقوفة على المصلحة وفى الأوقات التى يكون ذلك فيها أصلح ويدل على أن ننسها من النسيان الذى هو خلاف الذكر قراءه من قرأ أو تنسها وهو قراءه سعد بن أبى وقاص وقراءه من قرأ أو ننسها وهو المروى عن سالم مولى أبى حذيفة وقراءه من قرأ أو تنسها وهو المروى عن

سعد بن مالك فالمفعول المراد المحذوف في قراءه من قرأ «أَوْ نُنْسِيهَا» مظهر في قراءه من قرأ ننسكها و يبينه ما روى عن الضحاك أنه قرأ ننسها و يؤكد ذلك أيضا ما روى من قراءه ابن مسعود ما ننسك من آيه أو ننسخها و به قرأ الأعمش و روى عن مجاهد أنه قال قراءه أبي ما ننسخ من آيه أو ننسك فهذا كله يثبت قراءه من جعل ننسها من النسيان و يؤكد ما روى عن قتاده أنه قال كانت الآيه تنسخ بالآيه و ينسى الله نبيه من ذلك شيئا و الوجه الثاني و هو أن المراد بالنسيان الترك في الآيه مروى عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنسها نأمركم بتركها أى بترك العمل بها قال الزجاج إنما يقال في هذا نسيت إذا تركت و لا- يقال فيه أنسيت تركت و إنما معنى «أَوْ نُنْسِيهَا» أو نتركها أى نأمركم بتركها قال أبو على من فسر أنسيت بتركت لا يكون مخطئا لأنك إذا أنسيت فقد نسيت و من هذا قال على بن عيسى إنما فسره المفسرون على ما يؤول إليه المعنى لأنه إذا أمر بتركها فقد تركها فإن قيل إذا كان نسخ الآيه رفعها و تركها أن لا تنزل فما معنى ذلك و لم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها ألا- تنزل و قد غلط الزجاج في توهمه ذلك و إنما معناه إقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها و إضافه الترك إلى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ وَ تَرَكَنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ أى خليانهم و ذاك و أما من قرأ أو نسأها على معنى التأخير فقيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه أو تؤخرها فلا ننزلها و ننزل بدلا منها مما يقوم مقامها في المصلحه أو يكون أصلح للعباد منها (و ثانيها) أن معناه تؤخرها إلى وقت ثان و نأتى بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (و ثالثها) أن يكون معنى التأخير أن ينزل القرآن فيعمل به و يتلى ثم يؤخر بعد ذلك بأن ينسخ فيرفع تلاوته البتة و يمحي فلا- تنسأ و لا- يعمل بتأويله مثل ما روى عن زر بن حبيش أن أبا قال له كم تقرأون الأحزاب قال بضعا و سبعين آيه قال قد قرأتها و نحن مع رسول الله صلى الله عليه و آله أطول من سورة البقره أوردته أبو على في كتاب الحججه (و رابعها) أن يؤخر العمل بالتأويل لأنه نسخ و يترك خطه مثبتا و تلاوته قرآن يتلى و هو ما حكى عن مجاهد يثبت خطها و يبدل حكمها و الوجهان الأولان عليهما الاعتماد لأن الوجهين الأخيرين يرجع معنهما إلى معنى النسخ فلا يحسن إذ يكون في التقدير محصوله ما ننسخ من آيه أو ننسخها و هذا لا يصح على أن الوجه الأول أيضا فيه ضعف لأنه لا فائده في تأخير ما لم يعرفه العباد و لا- علموه و لا- سمعوه فالأقوى هو الوجه الثاني و قوله «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» فيه قولان (أحدهما) نأت بخير منها لكم في التسهيل و التيسير كالأمر بالقتال الذى سهل على المسلمين بقوله الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَوْ مِثْلَهَا في السهوله كالعباده بالتوجه إلى

الكعبه بعد أن كان إلى بيت المقدس عن ابن عباس (و الثاني) نأت بخير منها في الوقت الثاني أى هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الأولى في الوقت الأول في باب المصلحه أو مثلها في ذلك عن الحسن وقوله «أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد ألم تعلم أيها السامع أو أيها الإنسان إن الله تعالى قادر على آيات و سور مثل القرآن ينسخ بها ما أمر فيقوم في النفع مقام المنسوخ و على القول الأول معناه ألم تعلم يا محمد أنه سبحانه قادر على نصرك و الانتصار لك من أعدائك و قيل هو عام في كل شىء و استدل من زعم أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومه بهذه الآيه قال أضاف الإتيان بخير منها إلى نفسه و السنه لا تضاف إليه حقيقه ثم قال بعد ذلك «أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فلا بد من أن يكون أراد ما يختص سبحانه بالقدره عليه من القرآن المعجز و الصحيح أن القرآن يجوز أن ينسخ بالسنة المقطوع عليها و معنى خير منها أى أصلح لنا منها فى ديننا و أنفع لنا بأن نستحق به مزيد الثواب فأما إضافه ذلك إليه تعالى فصحيحه لأن السنه إنما هى بوحىه تعالى و أمره بإضافتها إليه كإضافه كلامه و آخر الآيه إنما يدل على أنه قادر على أن ينسخ الآيه بما هو أصلح و أنفع سواء كان ذلك بقرآن أو سنه و فى هذه الآيه دلالة على أن القرآن محدث و أنه غير الله تعالى لأن القديم لا يصح نسخه و لأنه أثبت له مثلا و الله سبحانه قادر عليه و ما كان داخلا تحت القدره فهو فعل و الفعل لا يكون إلا محدثا.

البقره (٢): آيه ١٠٧

إشاره

أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١٠٧)

اللغه

الولى هو القائم بالأمر و منه ولى عهد المسلمين و دون الله سوى الله قال أميه بن أبى الصلت:

يا نفس ما لك دون الله من واق

و ما على حدثان الدهر من باق

و النصير الناصر و هو المؤيد و المقوى.

الإعراب و المعنى

«أَلَمْ تَعْلَمَنَّ» استفهام تقرير و تثبيت و يؤول فى المعنى إلى الإيجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقه كما قال جرير:

أ لستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

فلهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل إن الآية وإن كانت خطابا للنبي (عليه السلام) فالمراد به أمته كقوله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ وَمِثْلَهُ قَوْلُ الْكَمِيثِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ (عليه السلام):

لج بتفضيلك اللسان و لو

أكثر فيك الضجاج و اللجب

وقيل أفرطت بل قصدت و لو

عنفتي القائلون أو ثلبوا

أنت المصطفى المهذب المحض

في النسبه إن نص قومك النسب

فأخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وأراد به أهل بيته لأن أحدا من المسلمين لا يعنف مادح النبي (عليه السلام) ولا يكثر الضجاج و اللجب في إطناب القول فيه فكأنه قال أ لم تعلم أيها الإنسان «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه خلقهما و ما فيهما و قوله «وَمَا لَكُمْ مِنْ» قال إن الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وآله قال أتى بضمير الجمع في الخطاب تفخيما لأمره و تعظيما لقدره و من قال هي خطاب له و للمؤمنين أو لهم خاصة فالمعنى أ لم تعلموا ما لكم أيها الناس «مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى سوى الله «مِنْ وَلِيٍّ» يقوم بأمركم «وَلَا نَصِيرٍ» ناصر ينصركم.

البقره (٢): آيه ١٠٨

اشاره

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)

اللغه

السؤال هو أن يطلب أمر ممن يعلم معنى الطلب و سواء بالمد على ثلاثه أوجه بمعنى قصد و عدل و بمعنى وسط في قوله إلى سواء الجحيم و بمعنى غير في قولك أتيت سواك أى غيرك و معنى ضل هاهنا ذهب عن الاستقامه قال الأخطل:

كنت القذى في موج أكرد مزبد

قذف الآتي به فضل ضلّالا

ص: ٢٦٦

أم هذه منقطعه فإن أم على ضربين متصله و منقطعه فالمتصله عديله الألف و هي مفرقه لما جمعته أى كما أن أو مفرقه لما جمعه أحد تقول أضرب أيهم شئت زيدا أم عمرا أم بكرا كما تقول اضرب أحدهم زيدا أو عمرا أو بكرا و المنقطعه لا تكون إلا بعد كلام لأنها بمعنى بل و همزه الاستفهام كقول العرب أنها لإبل أم شاء كأنه قال بل أهي شاء فقوله «أَمْ تُرِيدُونَ» تقديره بل أ تريدون و مثله قول الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط

غلس الظلام من الرباب خيالاً

«أَنْ تَشِيْلُوا» موصول و صله فى محل النصب لأنه مفعول تريدون كما أن الكاف حرف جر ما حرف موصول «سُئِلَ مُوسَى» جملة فعلية هى صله ما و الموصول و الصله فى محل الجر بالكاف و الكاف متعلق بتسألوا و الجار و المجرور فى محل النصب على المصدر و من قبل فى محل النصب لأنه ظرف قوله «سُئِلَ» و من اسم للشرط فى محل الرفع بالابتداء و الفاء فى قوله «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» فى محل الجزم لأنه جواب الشرط و معنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الجملتين فى محل الرفع لأنه خبر المبتدأ.

النزول

اختلف فى سبب نزول الآيه فروى عن ابن عباس أنه قال إن رافع بن حرملة و وهب بن زيد قالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه و فجر لنا أنهارا نتبعك و نصدقك فأنزل الله هذه الآيه و قال الحسن عنى بذلك مشركى العرب و قد سألو فقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا إِلَى قَوْلِهِ أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً و قالوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا و قال السدى سألت العرب محمدا أن أتتهم بالله فيروه جهره و قال مجاهد سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهابا قال نعم و لكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى (عليه السلام) فرجعوا و قال أبو على الجبائى روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط و هى شجره كانوا يعبدونها و يعلقون عليها الثمر و غيره من المأكولات كما سألو موسى (عليه السلام) اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.

المعنى

«أَمْ تُرِيدُونَ» أى بل أ تريدون «أَنْ تَشِيْلُوا رَسُولَكُمْ» يعنى النبى محمدا «كَمَا سُئِلَ مُوسَى» أى كما سأل قوم موسى موسى «مِنْ قَبْلِ» من الاقتراحات أى ذهب يمينا و شمالا و السبيل و الطريق و المذهب نظائر و الجمع السبل.

و المحاللات «وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ» أى من استبدل الجحود بالله و بآياته بالتصديق بالله و بالإقرار به و بآياته و اقترح المحاللات على النبى صلى الله عليه و آله و سأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى ذهب عن قصد الطريق و قيل عن طريق الاستقامه و قيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من أطرافه.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه لما دل الله تعالى بما تقدم على تدييره لهم فيما يأتى به من الآيات و ما ينسخه و اختياره لهم ما هو الأصلح فى كل حال قال أ ما ترضون بذلك و كيف تتخيرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحه فإذا أتى بآيه تقوم بها الحجه فليس لأحد الاعتراض عليها و لا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحه البرهان بها يكون تعنتا.

البقره (٢): آيه ١٠٩

اشاره

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

اللغه

الحسد إرادته زوال نعمه المحسود إليه أو كراهه النعمه التى هو فيها و إرادته أن تصير تلك النعمه بعينها له و قد يكون تمنى زوال نعمه الغير حسدا و إن لم يطمع الحاسد فى تحول تلك النعمه إليه و أشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد و أما الغبطه فهى أن يراد مثل النعمه التى فيها الغير و إن لم يرد زوالها عنه و لا- يكره كونها له فهذه غير مذموم و الحسد مذموم و يقال حسدته على الشىء أحسده حسدا و حسدته الشىء بمعنى واحد و منه قول الشاعر:

يحسد الناس الطعاما

و الصفح و العفو و التجاوز عن الذنب بمعنى و يقال لظاهر جلدته الإنسان صفحته و كذا هو من كل شىء و منه صافحته أى لقت صفحه كفه صفحه كفى و قولهم صفحت عنه فيه قولان (أحدهما) أن معناه إنى لم آخذه بذنبه و أبديت له منى صفحه جميله و الآخر أنه لم ير منى ما يقبض صفحته و يقال صفحت الورقه أى تجاوزتها إلى غيرها و منه تصفحت الكتاب و قد يتصفح الكتاب من لا يحسن أن يقرأه.

الإعراب

من فى قوله «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يتعلق بمحذوف تقديره فريق كائون

من أهل الكتاب فيكون صفه لكثير من بعد في محل نصب على الظرف و العامل فيه يرد و كفارا مفعول ثان ليرد و مفعوله الأول كم من يردونكم و فيه انتصاب قوله «حَسَدًا» وجهان (أحدهما) أن الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره و تقديره حسدوكم حسدا كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسدا فكأنه قال يحسدك حسدا و الآخر أن يكون مفعولا له فكأنه قال يردونكم كفارا لأجل الحسد كما تقول جثته خوفا منه و قوله «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» يتعلق بقوله «وَدَّ كَثِيرٌ» لا بقوله «حَسَدًا» لأن حسد الإنسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج و قال غيره يجوز أن يتعلق بقوله «حَسَدًا» على التوكيد كقوله عز و جل وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ وَ يَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْيَهُودُ قَدْ أَضَافُوا الْكُفْرَ وَ الْمَعَاصِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ سَبْحَانَهُ تَكْذِيبًا لَهُمْ إِنْ ذَلِكَ «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» و قوله «مَا تَبَيَّنَ» ما حرف موصول و تبين لهم الحق صلته و الموصول و الصلة في محل الجر بإضافه بعد إليه «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ» يأتي منصوب بإضمار أن و هما في محل الجر بحتى و الجار و المجرور مفعول فاعفوا و اصفحوا.

النزول

نزلت الآية في حبي بن أخطب و أخيه أبى ياسر بن أخطب و قد دخلا على النبي صلى الله عليه و آله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحبي أ هو نبى قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة إلى الموت و هو الذى نقض العهد و أثار الحرب يوم الأحزاب عن ابن عباس و قيل نزلت في كعب بن الأشرف عن الزهرى و قيل في جماعه اليهود عن الحسن.

المعنى

ثم أخبر الله سبحانه عن سرائر اليهود فقال «وَدَّ» أى تمنى «كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» كحبي بن أخطب و كعب بن الأشرف و أمثالهما «لَوْ يَرُدُّونَكُمْ» يا معشر المؤمنين أى يرجعونكم «مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا» منهم لكم بما أعد الله لكم من الثواب و الخير و إنما قال «كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» لأنه إنما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار و قيل إنما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوه فيهم و ذهابها عنهم و زوال الرياسه إليهم و قوله «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» قد بينا ما فيه فى الإعراب و قوله «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» أى بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله و الإسلام دين الله عن ابن عباس و قتاده و السدى و قوله «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا» أى تجاوزوا عنهم و قيل أرسلوهم فإنهم

لا يفوتون الله ولا يعجزونه وإنما أمرهم بالعفو والصفح وإن كانوا مضطهدين مقهورين من حيث أن كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم وأقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فأمرهم الله بالعفو وإن كانوا قادرين على الانتصاف «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ» أى بأمره لكم بعقابهم أو يعاقبهم هو على ذلك ثم أتاهم بأمره فقال قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ الْآيَةَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ وَقِيلَ بِأَمْرِهِ أَيْ بِآيَةِ الْقَتْلِ وَالسَّبِي لِبْنِي قَرِيظَةَ وَالْجَلَاءَ لِبْنِي النَّضِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ بِأَمْرِهِ بِالْقِتَالِ عَنْ قَتَادَةَ فَإِنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْآيَةَ وَبِهِ قَالَ الرَّبِيعُ وَالسَّدِيُّ وَقِيلَ نَسَخَتْ بِقَوْلِهِ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَقَلَدَهُ سِيفًا

وقوله «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيه ثلاثة أقوال. (أحدها) أنه قدير على عقابهم إذ هو على كل شيء قدير عن أبي علي (و ثانيها) أنه قدير على أن يدعو إلى دينه بما أحب مما هو الأليق بالحكمه فيأمر بالصفح تاره و بالعقاب أخرى على حسب المصلحه عن الزجاج (و ثالثها) أنه لما أمر بالإمهال والتأخير فى قوله «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا» قال إن الله قادر على عقوبتهم بأن يأمرهم بقتالهم و يعاقبهم فى الآخرة بنفسه.

البقره (٢): آيه ١١٠

إشاره

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)

الإعراب

ما اسم للشرط فى موضع رفع بالابتداء و تقدموا شرط «مِنْ خَيْرٍ» من مزيده و الجار و المجرور مفعول تقدموا و تجدوه مجزوم لأنه جزاء و علامه الجزم فى الشرط و الجزاء سقوط النون و معنى حرف الشرط الذى تضمنه ما مع الشرط و الجزاء فى محل الرفع لأنه خبر المبتدأ و ما فى قوله «بِمَا تَعْمَلُونَ» اسم موصول أو حرف موصول و الموصول و الصله فى موضع جر بالباء و الباء متعلق ببصير الذى هو خبر إن.

المعنى

لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار و التجاوز علم أنه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود و غيرهم لهم فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاه و الزكاه فإن فى ذلك معونه لهم على الصبر مع ما يحوزون بهما من الثواب و الأجر كما قال فى

موضع آخر وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَقوله «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى من طاعه و إحسان و عمل صالح «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ» أى تجدوا ثوابه معدا لكم عند الله و قيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم به و فى هذه الآيه دلالة على أن ثواب الخيرات و الطاعات لا يضيع و لا يبطل و لا يحبط لأنه إذا أحبط لا تجدونه و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم سيجازيكم على الإحسان بما تستحقونه من الثواب و على الإساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن أنه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شىء من عمله و فى هذا دلالة على الوعد و الوعيد و الأمر و الزجر و إن كان خبرا عن غير ذلك فى اللفظ.

البقره (٢): آيه ١١١

إشارة

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)

اللغة

فى هود ثلاثة أقوال (أحدها) أنه جمع هائد كعائد و عوذ و عائط و عوط و هو جمع للمذكر و المؤنث على لفظ واحد و الهائد التائب الراجع إلى الحق (و ثانيها) أن يكون مصدرا يصلح للواحد و الجمع كما يقال رجل فطر و قوم فطر و رجل صوم و قوم صوم (و ثالثها) أن يكون معناه إلا من كان يهودا فحذفت الياء الزائدة و البرهان و الحجج و الدلالة و البيان بمعنى واحد و هو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله إلى ذلك و فرق على بن عيسى بين الدلالة و البرهان بأن قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر و قد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر و البرهان ليس كذلك لأنه بيان عن معنى ينبئ عن معنى آخر و قد نوزع فى هذا الفرق و قيل أنه محض الدعوى.

الإعراب

قالوا جملة فعلية و الجنه ظرف مكان ليدخل و إلا- هاهنا لنقض النفي و من موصول و هو مع صلته مرفوع الموضع بأنه فاعل يدخل و لن يدخل مع ما بعده معمول قالوا و إن حرف شرط و جوابه محذوف و تقديره إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم.

المعنى

ثم حكى سبحانه نبذا من أقوال اليهود و دعاويهم الباطلة فقال «وَقَالُوا

لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» و هذا على الإيجاز و تقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا و قالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا و وحد كان لأن لفظه من قد تكون للواحد و قد تكون للجماعه و إنما قلنا أن الكلام مقدر هذا التقدير لأن من المعلوم أن اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة و لا النصارى لليهود فعلمنا أنه أدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال بشىء من المعنى فإن شهره الحال تغنى عن البيان الذى ذكرناه و مثله قول حسان بن ثابت:

أ من يهجو رسول الله منكم

و يمدحه و ينصره سواء

تقديره و من يمدحه و ينصره غير أنه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الأول و صار كأنه إخبار عن جماعه واحده و إنما حقيقته عن بعضين متفرقين و قوله «تَلْمِكَ أَمَانِيهِمْ» أى تلك المقالاه أمانى كاذبه يتمنونها على الله عن قتاده و الربيع و قيل أمانيههم أباطيلهم بلغه قريش عن المؤرج و قيل معناه تلك أقاويلهم و تلاوتهم من قولهم تمنى أى تلا و قد يجوز فى العريبه أمانيههم بالتخفيف و التثقيب أجود «قُلْ» يا محمد «هاتوا» أى أحضروا و ليس بأمر بل هو تعجيز و إنكار بمعنى إذا لم يمكنكم الإتيان ببرهان يصحح مقالكم فاعلموا أنه باطل فاسد «بُزْهَانِكُمْ» أى حججكم عن الحسن و مجاهد و السدى «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى قولكم «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» و فى هذه الآيه دلالة على فساد التقليد أ لا ترى أنه لو جاز التقليد لما أمروا بأن يأتوا فيما قالوه ببرهان و فيها أيضا دلالة على جواز المحاجه فى الدين.

البقره (٢): آيه ١١٢

اشاره

بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)

اللغه

أسلم يستعمل فى شيئين (أحدهما) أسلمه إلى كذا أى صرفه إليه تقول أسلمت الثوب إليه (و الثانى) أسلم له بمعنى أخلص له و منه قوله وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ أى خالصا و قال زيد بن عمرو بن نفيل:

أسلمت وجهى لمن أسلمت

له الأرض تحمل صخرا ثقلا

و أسلمت وجهى لمن أسلمت

له المزن تحمل عذبا زلالا

و يروى و أسلمت نفسى و الوجه مستقبل كل شىء و وجه الإنسان محياه و يقال وجه الكلام تشبيها بوجه الإنسان لأنه أول ما يبدو منه و يعرف به و يقال هذا وجه الرأى أى الذى يبدو منه و يعرف به و الوجه من كل شىء أول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده و قد استعملت العرب لفظه وجه الشىء و هم يريدون نفسه إلا أنهم ذكروه باللفظ الأشرف الأئبه و دلوا عليه به كما قال سبحانه كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ أَى إِلَّا هُوَ وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أَى ربك و قال الأعشى:

و أول الحكم على وجهه

ليس قضائى بالهوى الجائر

أى على ما هو به من الصواب و قال ذو الرمه:

فطاوعت همى و انجلى وجه نازل

من الأمر لم يترك خلاجا نزولها

يريد و انجلى النازل من الأمر.

الإعراب

بلى يدخل فى جواب الاستفهام مثل قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى و يصلح أن يكون تقديره هنا أ ما يدخل الجنة أحد فقيل «بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» لأن ما تقدم يقتضى هذا السؤال و يصلح أن يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام و يكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى و لكن «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فهو يدخلها و من أسلم يجوز أن يكون من موصولا- و يجوز أن يكون للشرط فيكون أسلم أما صله له و أما مجزوم الموضوع بكونه شرطا أو يكون من مبتدأ و الفاء فى قوله «فَلَهُ أَجْرُهُ» للجزاء و اللام تتعلق بمحذوف فى محل الرفع لأنه خبر لقوله أَجْرُهُ و المبتدأ مع خبره فى محل الرفع لوقوعه بعد الفاء و الفاء مع ما دخل فيه فى محل الجزم و معنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الشرط و الجزاء فى محل الرفع بأنه خبر المبتدأ و إن كان من موصولا فمن مع أسلم مبتدأ و الفاء مع الجملة بعده خبره و عند ربه ظرف مكان فى موضع نصب على الحال تقديره كائنا عند ربه و العامل فيه المحذوف الذى تعلق به اللام و ذو الحال الضمير المستكن فيه و قوله «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فى موضع نصب على الحال و إنما قال «فَلَهُ أَجْرُهُ» على التوحيد ثم قال «وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مره و على المعنى أخرى.

المعنى

ثم رد الله سبحانه عليهم مقالتهم فقال «بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» قيل

معناه من أخلص نفسه لله بأن سلك طريق مرضاته عن ابن عباس و قيل وجه وجهه لطاعه الله و قيل فوض أمره إلى الله و قيل استسلم لأمر الله و خضع و تواضع لله لأن أصل الإسلام الخضوع و الانقياد و إنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه «وَهُوَ مُحْسِنٌ» في عمله و قيل و هو مؤمن و قيل مخلص «فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» معناه فله جزاء عمله عند الله «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» في الآخرة و هذا ظاهر على قول من يقول أنه لا- يكون على أهل الجنة خوف و لا حزن في الآخرة و أما على قول من قال أن بعضهم يخاف ثم يأمن فمعناه أنهم لا يخافون فوت جزاء أعمالهم لأنهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم.

البقره (٢): آيه ١١٣

إشارة

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

اللغة

القيامة مصدر إلا- أنه صار كالعلم على وقت بعينه و هو الوقت الذي يبعث الله عز و جل فيه الخلق فيقومون من قبورهم إلى محشرهم تقول قام يقوم قياما و قيامه مثل عاد يعود عيادا و عياده.

الإعراب

«وَهُمْ يَتْلُونَ» جملة من مبتدئ و خبر منصوبه الموضع على الحال و العامل قالت و ذو الحال اليهود و النصارى و الكاف في كذلك يتعلق بيتلون أو بقال الذين و تقديره و هم يتلون الكتاب كتلاوتكم أو قال الذين لا يعلمون و هم المشركون كقول اليهود و النصارى و مثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم.

النزول

قال ابن عباس أنه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه و آله أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه و آله فقال رافع بن حرملة ما أنتم على شىء و جحد نبوه عيسى و كفر بالإنجيل فقال رجل من أهل نجران ليست اليهود على شىء و جحد نبوه موسى و كفر بالتوراه فأنزل الله هذه الآية.

ثم بين سبحانه ما بين أهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوه الكتاب فقال «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ» فى تدنيهم بالنصرانية «وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» فى تدنيهم باليهودية «وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ» أى يقرءونه و ذكر فيه وجهان (أحدهما) أن فيه حل الشبهه بأنه ليس فى تلاوه الكتاب معتبر فى الإنكار لما لم يؤت على إنكاره ببرهان فلا ينبغى أن يدخل الشبهه بإنكار أهل الكتاب لملة الإسلام إذ كل فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر ثم بين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركى العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم فى الإنكار لدين الإسلام (و الوجه الآخر) الذم لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهه العناد إذ قد ساوى المعاند منهم للحنى الجاهل به فى الدفع له فلم ينفعه علمه و قوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» معناه أن مشركى العرب الذين هم جهال و ليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد و أصحابه أنهم ليسوا على شىء من الدين مثل ما قالت اليهود و النصارى بعضهم لبعض عن السدى و مقاتل و قيل معناه أن مشركى العرب قالوا بأن جميع الأنبياء و أممهم لم يكونوا على شىء و كانوا على خطأ فقد ساوكم يا معشر اليهود فى الإنكار و هم لا يعلمون و قيل أن هؤلاء الذين لا يعلمون أمم كانت قبل اليهود و النصارى و قبل التوراه و الإنجيل كقوم نوح و عاد و ثمود قالوا لأنبيائهم لستم على شىء عن عطاء و قيل أن الأصح أن المراد بقوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» أسلاف اليهود و المراد بقوله «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ» هؤلاء الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه و آله لأنه حكى قول مبطل لمبطل فلا يجوز أن يعطف عليه قول مبطل لمحق و قوله «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فيه وجوه (أحدها) أن حكمه بينهم أن يكذبهم جميعا و يدخلهم النار عن الحسن (و ثانيها) أن حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجه و لا برهان للمظلوم المكذب عن أبى على (و ثالثها) أن حكمه أن يريهم من يدخل الجنة عيانا و من يدخل النار عيانا و هذا هو الحكم الفصل فى الآخره بما يصير إليه كل فرقه فأما الحكم بينهم فى العقد فقد بينه الله جل و عز فيما أظهر من حجج المسلمين و فى عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج.

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)

اللغة

المنع و الصد و الحيلولة نظائر و ضد المنع الإطلاق يقال منعه فامتنع و رجل منيع أى لا يخلص إليه و هو فى عز و منعه تخفف و تثقل و امرأه منيعه لا- تواتى على فاحشه و السعى و الركض و العدو نظائر و ضد السعى الوقف و فلان يسعى على عياله أى يكسب لهم و سعى للسلطان إذا ولى أمر الصدقه قال الشاعر:

سعى عقالا فلم يترك لها سبدا

فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

و العقال صدقه عام و ساعى الرجل الأمه إذا فجر بها و لا تكون المساعاه إلا فى الإماء و الخراب و الهدم و النقض نظائر و الخربه سعه خرق الأذن و كل ثقب مستدير و الخارب اللص قال الأصمعى يختص بسارق الإبل و الخرابه سرقة الإبل.

الإعراب

موضع من رفع و هو استفهام و أظلم رفع لأنه خبر الابتداء و موضع أن نصب على البدل من مساجد و هو بدل الاشتمال و التقدير و من أظلم ممن منع أن يذكر فى مساجد الله اسمه و يجوز أن يكون موضع أن نصبا على أنه مفعول له فيكون تقديره كراهه أن يذكر فيها اسمه و يجوز أن يكون على حذف من و تقديره من أن يذكر و أن يدخلوها فى موضع رفع بأنه اسم كان و قيل إن كان هاهنا مزيده و تقديره ما لهم أن يدخلوها فعلى هذا يكون موضع أن يدخلوها رفعا بالابتداء و إلا حرف استثناء و هو هنا لنقض النفي و خائفين منصوب على الحال و قوله «خِزْيٌ» مرفوع من وجهين (أحدهما) الابتداء (و الآخر) أن يكون مرفوعا بلهم و قوله «فى الدُّنْيَا» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و ذو الحال الضمير المستكن فى لهم و كذلك قوله «وَلَهُمْ فى الْآخِرَةِ».

النزول

اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس و مجاهد أنهم الروم غزوا بيت المقدس و سعوا فى خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم و صاروا لا يدخلونه إلا خائفين و قال الحسن و قتاده هو بخت نصر خرب بيت المقدس و أعانه عليه

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم قرئش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد الحرام

و به قال البلخى و الرمانى و الجبائى و ضعف هذا الوجه الطبرى بأن قال إن مشركى قرئش لم يسعوا فى تخريب المسجد الحرام و قوله يُفْسِدُ بأن عماره المساجد إنما تكون بالصلاه فيها و خرابها بالمنع من الصلاه فيها و قد وردت الروايه بأنهم هدموا مساجد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله يصلون فيها بمكته لما هاجر النبى صلى الله عليه وآله إلى المدينه قال و هو أيضا لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق به إذا عنى به النصارى و بيت المقدس و جوابه أنه قد جرى أيضا ذكر غير أهل الكتاب فى قوله كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ و هذا أقرب لأن الكلام خرج مخرج الذم فمره توجه الذم إلى اليهود و مره إلى النصارى و مره إلى عبده الأصنام و المشركين.

المعنى

«وَمَنْ أَظْلَمُ» أى و أى أحد أشد و أعظم ظلما «مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ» من «أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ» و يكون معناه لا أحد أظلم ممن منع أن يذكر فى مساجد الله اسمه سبحانه و عمل فى المنع من إقامة الجماعه و العباده فيها و إذا حمل قوله «مَسَاجِدَ اللَّهِ» على بيت المقدس أو على الكعبه فإنما جاز جمعه على أحد و جهين أما أن تكون مواضع السجود فإن المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد و يقال لجملته مسجد و أما أن يدخل فى هذه اللفظه المساجد التى بناها المسلمون للصلاه

و روى عن زيد بن على عن آبائه عن على (عليه السلام) أنه أراد جميع الأرض لقول النبى صلى الله عليه وآله جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا

و قوله «وَسَعَى فِي خَرَابِهَا» أى عمل فى تخريبها و التخريب إخراجهم أهل الإيمان منها عند الهجره و قيل هو صدهم عنها و يجوز حمله على الأمرين و قيل المراد المنع عن الصلاه و الطاعه فيها و هو السعى فى خرابها و قوله «أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» فيه خلاف قال ابن عباس معناه أنه لا يدخل نصرانى بيت المقدس إلا نهك ضربا و أبلغ عقوبه و هو كذلك اليوم و من قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآيه أمر النبى صلى الله عليه وآله مناديا فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك و لا يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك و قال الجبائى بين الله سبحانه أنه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام و لا دخول غيره من المساجد فإن دخل منهم داخل إلى بعض المساجد كان على المسلمين إخراجهم منه إلا أن يدخل إلى بعض الحكام لخصومه بينه و بين غيره فيكون فى دخوله خائفا من الإخراج على وجه الطرد

بعد انفصال خصومته و لا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه و هذا يليق بمذهبننا و يمكن الاستدلال بهذه الآيه على أن الكفار لا يجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فأما المسجد الحرام خاصة فيستدل على أن المشركين يمنعون من دخوله و لا يمكنون منه لحكومته و لا غيرها بأن الله تعالى قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله ما كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ يَعْنِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَقَوْلُهُ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَقَالَ الزَّجَاجُ أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ يَظْهَرُ عَلَىٰ جَمِيعٍ مِنْ خَالَفِهِمْ حَتَّىٰ لَا يُمْكِنُ دُخُولُ مُخَالَفٍ إِلَىٰ مَسَاجِدِهِمْ إِلَّا خَائِفًا وَ هَذَا كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فَكَأَنَّهُ قِيلَ أَوْلَيْتُكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لِإِعْزَازِ اللَّهِ الدِّينِ وَ إِظْهَارِهِ الْمُسْلِمِينَ وَ قَوْلُهُ «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ (أَحَدُهَا) أَنْ يَرَادَ بِالْخِزْيِ أَنَّهُمْ يَعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ عَنْ قِتَادِهِ (وَ ثَانِيهَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْقِتْلَ وَ سَبَى الذَّرَارِيِّ وَ النِّسَاءِ إِنْ كَانُوا حَرْبًا وَ إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ إِنْ كَانُوا ذَمَّةً عَنِ الزَّجَاجِ (وَ ثَالِثُهَا) إِنْ الْمُرَادَ بِخِزْيِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ إِذَا قَامَ الْمَهْدِيُّ وَ فَتَحَ قَسْطَنْطِينِيَةَ فَحِينَئِذٍ يَقْتُلُهُمْ عَنِ السَّدِيِّ (وَ رَابِعُهَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِخِزْيِهِمْ طَرْدَهُمْ عَنِ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ عَنِ أَبِي عَلِيٍّ وَ قَوْلُهُ «وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِالْعَذَابِ الْأَعْظَمِ إِذْ كَانُوا مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ أَظْلَمٍ.

البقره (٢): آيه ١١٥

اشاره

وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)

اللغه

المشرق و الشرق اسمان لمطلع الشمس و القمر و شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت أضواءت و يقال لا أفعل ذلك ما ذر شارق أى ما طلع قرن الشمس و أيام التشريق أيام تشريق اللحم فى الشمس و

فى الحديث لا تشريق إلا فى مصر أو مسجد جامع

أى لا صلاه عيد لأن وقتها طلوع الشمس و المغرب و المغيب بمعنى و هو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب إذا غابت و أصل الغرب الحد و التباعد و غربه النوى بعد المنتأى و غرب السيف حده سمي بذلك لأنه يمضى و لا يرد فهو مأخوذ من الإبعاد و الواسع الغنى سمي به لسعه مقدوراته و قيل هو الكثير الرحمه و السعه و الفسحه من النظائر و ضد السعه الضيق يقال وسع يسع سعه و أوسع الرجل إذا صار ذا سعه فى المال.

اللام فى قوله «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» لام الملك و إنما وحد المشرق و المغرب لأنه أخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال أهللك الناس الدينار و الدرهم و ابن بنى لتضمنه معنى الحرف و إنما بنى على الفتح لالتقاء الساكنين و فيه معنى الشرط و تولوا مجزوم بالشرط و جوابه «فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» و علامه الجزم فى تولوا سقوط النون و أين فى موضع نصب لأنه ظرف لقوله تُولُوا و ما فى قوله «فَأَيْنَمَا» هى التى تهىى الكلمه لعمل الجزم و لذلك لم يجاز ياذ و حيث حتى يضم إليهما ما فىقال حيثما تكن أكن و إذا ما تفعل أفعال و لا يقال حيث تكن أكن و إذ تفعل أفعال و يجوز فى أين الجزم و إن لم يدخل ما عليها كقول الشاعر:

أين تضرب بنا العداه تجدنا

نصرف العيس نحوها للتلافي

و ثم موضعه نصب لأنه ظرف مكان و بنى على الفتح لالتقاء الساكنين و إنما بنى فى الأصل لأنه معرفه و حكم الاسم المعرف أن يكون بحرف فبنى لتضمنه معنى الحرف الذى يكون به التعريف و العهد ألا- ترى أن ثم لا- تستعمل إلا- فى مكان معهود معروف لمخاطبك.

النزول

اختلف فى سبب نزول هذه الآيه فقيل أن اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبه عن بيت المقدس فنزلت الآيه ردا عليهم عن ابن عباس و اختاره الجبائى قال بين سبحانه أنه ليس فى جهه دون جهه كما تقول المجسمه و قيل كان للمسلمين التوجه حيث شاءوا فى صلاتهم و فيه نزلت الآيه ثم نسخ ذلك بقوله قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عن قتاده قال و كان النبى صلى الله عليه و آله قد اختار التوجه إلى بيت المقدس و كان له إن يتوجه حيث شاء و قيل نزلت فى صلاه التطوع على الراحله تصلبها حيثما توجهت إذا كنت فى سفر و أما الفرائض فقوله وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ يعنى

أن الفرائض لا تصلبها إلا إلى القبلة و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

قالوا و صلى رسول الله صلى الله عليه و آله إيماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر و حين رجع من مكه و جعل الكعبه خلف ظهره

و روى عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه و آله سريره كنت فيها فأصابتنا ظلمه فلم نعرف القبلة فقالت طائفه منا قد عرفنا القبلة هى هاهنا قبل الشمال فصلوا و خطوا خطوطا و قال بعضنا القبلة هاهنا قبل الجنوب و خطوا خطوطا فلما أصبحوا و طلعت

الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

«وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» أراد أن المشرق والمغرب لله ملكا وقيل أراد أنه خالقهما و صانعهما وقيل معناه يتولى إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها «فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» معناه فأينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم أى فهناك وجه الله أى قبله الله عن الحسن ومجاهد و قتاده والوجه والوجه والوجه والوجه القبلة ومثله الوزن والزنه والعرب تسمى القصد الذى تتوجه إليه وجها قال الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه

رب العباد إليه الوجه والعمل

معناه إليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى: يُرِيدُونَ وَجْهَهُ أى يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ أى إلا هو وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أى يبقى ربك عن الكلبى وقيل معناه ثم رضوان الله يعنى الوجه الذى يؤدى إلى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن أبى على والرماني «إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ» أى غنى عن أبى عبيده وتقديره غنى عن طاعتكم وإنما يريد لها لمنافعكم وقيل واسع الرحمه فلذلك رخص فى الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقذور يفعل ما يشاء «عَلِيمٌ» أى عالم بوجه الحكمة فبادروا إلى ما أمركم به وقيل عليم أين يضع رحمته على ما توجه الحكمة وقيل عليم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتكم.

النظم

ووجه اتصال الآية بما قبلها أن التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد عن أن تذكره حيث كنتم من أرضه فله المشرق والمغرب والجهات كلها عن على بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها.

البقره (٢): آيه ١١٦

إشاره

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ (١١٦)

القرءه

قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو.

حذف الواو هنا يجوز من وجهين (أحدهما) أن يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (و الآخر) أن للجملة التي هي «قالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» ملابسها بما قبلها من قوله وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ الْآيَةَ فَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مِنْ جَمَلِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقْدِمُ ذِكْرَهُمْ فَيَسْتَعْنِي عَنِ الْوَاوِ لِالتَّبَاسِ الْجَمَلِ بِمَا قَبْلَهَا كَمَا اسْتَعْنَى عَنْهَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ لَوْ كَانَ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لَكَانَ حَسَنًا.

اللغة

الأصل في القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها أن يكون بمعنى الطاعة كقوله «كُلُّ لَهْ قَانِتُونَ» أى مطيعون و منها أن يكون بمعنى الصلاة كقوله يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ وَ بمعنى طول القيام

و روى جابر بن عبد الله قال سئل النبي صلى الله عليه و آله أى الصلاة أفضل قال طول القنوت أى طول القيام

و يكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت فى الصلاة دعاء بعد القراءة فى آخر الوتر يدعو قائما و منه قوله أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا وَ يكون بمعنى السكوت قال زيد بن أرقم كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَأَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ.

النزول

نزلت الآية فى النصرارى حيث قالوا المسيح ابن الله و قيل نزلت فيهم و فى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله.

المعنى

لما حكى الله سبحانه قول اليهود فى أمر القبله و رد عليهم قولهم ذكر مقالتهم فى التوحيد رادا عليهم قال «وَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ» أى إجلالا له عن اتخاذ الولد و تنزيها عن القبائح و السوء و الصفات التى لا تليق به

و روى عن طلحة بن عبيد الله أنه سأل النبي صلى الله عليه و آله عن معنى قوله «سُبْحَانَهُ» فقال تنزيها لله عن كل سوء بل له ما فى السموات و الأرض

هذا رد عليهم قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» أى ليس الأمر كما زعموا «بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ملكا و الولد لا يكون ملكا للأب لأن البنوه و الملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم فى السماء و المسيح الذى هو فى الأرض ولدا له فنبه بذلك على أن المسيح و غيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزله سائر الخلق و قيل معناه بل له ما فى السموات و الأرض فعلا و الفعل لا يكون من جنس الفاعل و الولد لا يكون إلا من جنس أبيه فإن من تبنى إنسانا فالذى تبناه لا بد من أن يكون من جنسه و قوله «كُلُّ لَهْ قَانِتُونَ» قال ابن عباس و مجاهد معناه مطيعون و قال السدى كل له مطيع يوم القيامة و قال الحسن كل له قائم بالشهادة أنه عبده و قال الجبائى كل دائم على حال واحده

بالشهادة بما فيه من آثار الصنعه و الدلاله على الربوبيه و قال أبو مسلم كل في ملكه و قهره يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه.

البقره (٢): آيه ١١٧

إشاره

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)

القراءه

قرأ ابن عامر فيكون بالنصب و الباقون بالرفع.

الإعراب و الحجه

قال أبو على يمتنع النصب في قوله «فَيَكُونُ» لأن قوله كُنْ و إن كان على لفظ الأمر فليس بأمر و لكن المراد به الخبر لأن المنفى الذى ليس بكائن لا يؤمر و لا يخاطب فالتقدير نكون فيكون فاللفظ لفظ الأمر و المراد الخبر كقولهم فى التعجب أكرم يزيد فإذا لم يكن قوله كُنْ أمراً فى المعنى و إن كان على لفظه لم يجز أن ينصب الفعل بعد الفاء بأنه جواب كما لم يجز النصب فى الفعل الذى يدخله الفاء بعد الإيجاب نحو آتيك فأحدثك إلا أن يكون فى شعر نحو قوله:

لنا هضبه لا ينزل الذل وسطها

و يأوى إليها المستجير فيعصما

و يدل أيضا على امتناع النصب فيه أن الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءه ابن عامر كن فيكون لأن المعنى يصير إن ذهبت ذهبت و هذا الكلام لا يفيد و إنما يفيد إذا اختلفت الفاعلان و الفعلان نحو قم فأعطيتك لأن المعنى إن قمت أعطيتك و إذا كان الأمر على هذا لم يكن ما روى عنه من نصبه فيكون متجها و يمكن أن يقال فيه أن اللفظ لما كان على لفظ الأمر حملة على اللفظ كما حمل أبو الحسن فى نحو قوله قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ أَنَّهُ أُجْرَىٰ مجرى جواب الأمر و إن لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه فى يكون الرفع على أن يكون معطوفا على كن لأن المراد به نكون فيكون أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون.

اللغه

البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع و بينهما فرق من حيث أن فى بديع مبالغه ليست فى مبدع و يستحق الوصف به فى غير حال الفعل على الحقيقة

بمعنى أن من شأنه إنشاء الأشياء على غير مثال واحتذاء و الابتداء و الاختراع و الإنشاء نظائر و كل من أحدث شيئا فقد أبدعه و الاسم البدعه

و فى الحديث كل بدعه ضلاله و كل ضلاله سبيلها إلى النار

و القضاء و الحكم من النظائر و أصل القضاء الفصل و إحكام الشىء قال أبو ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما

داود أو صنع السوابغ تبع

أى أحكمهما ثم ينصرف على وجوه منها الأمر و الوصيه كقوله تعالى: وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أَى وصى ربك و أمر و منها أن يكون بمعنى الإخبار و الإعلام كقوله وَ قَضَى بِنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَى أخبرناهم و قوله وَ قَضَى بِنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَى عهدنا إلى لوط و منها أن يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ أَى فرغتم من أمر المناسك و قوله فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ

و فيما رواه على بن موسى الرضا عن أبيه عن جده الصادق (عليه السلام) قال القضاء على عشره أوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التى ذكرناها (و الرابع) بمعنى الفعل فى قوله فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَى فافعل ما أنت فاعل و منه قوله إِذَا قَضَى أَمْرًا يَعْنِي إِذَا فَعَلَ أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و منه قوله إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا يَقُولُ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَعَلَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ شَيْئًا فِي تَرْوِيجِ زَيْنَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ (و الخامس) فى قوله لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ أَى لينزل علينا الموت و قوله لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا أَى لَا يَنْزِلُ بِهِمُ الْمَوْتُ وَ قَوْلُهُ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ أَى فَأَنْزَلَ بِهِ الْمَوْتَ (و السادس) قوله وَ أَنْزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَى وَجِبَ الْعَذَابُ فَوْقَ بَأَهْلِ النَّارِ وَ كَذَا قَوْلُهُ وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ (و السابع) قوله وَ كَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا أَى مَكْتُوبًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهُ يَكُونُ (و الثامن) بمعنى الإتمام فى نحو قوله فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ أَى أتم و أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ أَى أتممت و قوله مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ جِبْرَائِيلُ إِلَيْكَ الْوَحْيُ (و التاسع) بمعنى الحكم و الفصل كقوله وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ أَى يَفْصِلُ وَ فِي الْإِنْعَامِ يَقْضِي بِالْحَقِّ أَى يَفْصِلُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ بِالْعَذَابِ (و العاشر) بمعنى الجعل فى قوله فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ أَى جعلهن

المعنى

لما نزه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الأولاد و دل عليه بأن له ما فى السماوات و الأرض أكد ذلك بقوله «يَدْبَعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أَى منشئ السماوات

و الأرض على غير مثال امثله و لا احتذاء من صنع خالق كان قبله «وَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا» قيل معناه إذا فعل أمرا أى أراد إحداث أمر كقوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَى إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا أَحْكَمَ أَمْرًا وَ قِيلَ مَعْنَاهُ حَكْمٌ وَ حَتْمٌ بِأَنَّهُ يَفْعَلُ أَمْرًا وَ الْأَوَّلُ أَوْجَهُ وَ قَوْلُهُ «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» اِخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ (أَحَدُهَا) أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ التَّمْثِيلِ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَخَاطَبَ وَ لَا يُؤْمَرُ وَ حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ أَنْ مَنْزِلَةَ الْفِعْلِ فِي تَسْهَلِهِ وَ تَيْسَرِهِ عَلَيْهِ وَ انْتِفَاءُ التَّعْذُرِ مِنْهُ كَمَنْزِلَةِ مَا يُقَالُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا يُقَالُ قَالَ فُلَانٌ بِرَأْسِهِ أَوْ بِيَدِهِ كَذَا إِذَا حَرَّكَ رَأْسَهُ أَوْ أَوْمَأَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ كَمَا قَالَ أَبُو النَّجْمِ:

قد قالت الأنساع للبطن الحق

قدما فاضت كالفنيق المحنق

و قال العجاج يصف ثورا:

و فيه كالأعراض للعكور

فكر ثم قال فى التفكير

إن الحياه اليوم فى الكرور

و قال عمرو بن قميئه السدوسى:

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه

إذا رام تطيارا يقال له قع

و قال آخر:

و قالت له العينان سمعا و طاعه

و حدرتا كالدرا لما يثقب

و المشهور فيه قول الشاعر:

امتلاً الحوض و قال قطنى

مهلا رويدا قد ملأت بطنى

و هو قول أبى على و أبى القاسم و جماعه من المفسرين (و ثانيها) أنه علامه جعلها الله للملائكه إذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرا و هذا هو المحكى عن أبى الهذيل.

(و ثالثها) ما قاله بعضهم أن الأشياء المعدومه لما كانت معلومه عند الله تعالى صارت كالموجود فصح أن يخاطبها و يقول لما شاء إيجادها منها كن و الأصح من الأقوال الأول و هو الأشبه بكلام العرب و يؤيده قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و إن حمل على القول الثاني فالمراد أن يقول للملائكة على جهة الإعلام منه

لهم و إخباره إياهم عن الغيب كن أى يقول أكون فيكون فاعل كن الله و هو فى معنى الخبر و إن كان اللفظ لفظ الأمر على ما تقدم بيانه و قد يجوز على هذا أن يكون فاعل كن الشىء المعدوم المراد كونه و تقديره يقول من أجله للملائكة يكون شىء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لا خلف له و لا تبديل عما يخبر به و أما القول الثالث فبعيد لأن المعدوم لا يصح خطابه و لا أمره بالكون و الوجود ليخرج بهذا الأمر إلى الوجود لأن ذلك امتثال للأمر و تلق له بالقبول و الطاعة و هذا إنما يتصور من المأمور الموجود دون المعدوم و لو صح ذلك لوجب أن يكون المأمور المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقى لما يؤمر به بالقبول فاعلا- لما أمر به و هذا فاسد ظاهر البطلان و قال بعضهم إنما يقول كن عند وجود الأشياء لا قبلها و لا بعدها كقوله تعالى: ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ و إنما أراد أنه يدعوهم فى حال خروجهم لا قبله و لا بعده و هذا الوجه أيضا ضعيف لأن من شرط حسن الأمر أن يتقدم المأمور به و كذلك الدعاء و فى هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يجوز أن يتخذ ولدا لأنه إذا ثبت أنه منشئ السماوات و الأرض ثبت بذلك أنه سبحانه ليس بصفه الأجسام و الجواهر لأن الجسم يتعذر عليه فعل الأجسام و من كان بهذه الصفه لم يجز عليه اتخاذ الولد و لأنه سبحانه قد أنشأ عيسى من غير أب من حيث هو مبدع الأشياء فجعل عن اتخاذ الأبناء و تعالى علوا كبيرا.

البقره (٢): آيه ١١٨

إشاره

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)

اللغه

اليقين و العلم و المعرفه نظائر فى اللغه و نقيضه الشك و الجهل و أيقن و تيقن و استيقن بمعنى و قال صاحب العين اليقن اليقين قال:

و ما بالذى أبصرته العيون

من قطع يأس و لا من يقن

فاليقين علم يثلج به الصدر و لذلك يقال وجدت برد اليقين و لا يقال وجدت برد العلم.

لو لا بمعنى هلا و لا تدخل إلا على الفعل و معناها التحضيض قال:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم

بنى ضو طرى لو لا الكمى المقنعا

أى هلا تعقرون الكمى المقنع و الكاف فى كذلك تتعلق بقال و الجار و المجرور فى موضع نصب على المصدر أى كقولهم.

المعنى

لما بين سبحانه حالهم فى إنكارهم التوحيد و ادعائهم عليه اتخاذ الأولاد عقبه بذكر خلافهم فى النبوات و سلوكهم فى ذلك طريق التعنت و العناد فقال «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» و هم النصارى عن مجاهد و اليهود عن ابن عباس و مشركو العرب عن الحسن و قتاده و هو الأقرب لأنهم الذين سألوا المحالات و لم يقتصروا على ما ظهر و اتضح من المعجزات و قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْمَأْرُضِ يَتَّبِعُهَا آيَاتِ إِلَى آخِرِهَا و لأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين أنهم ليسوا من أهل الكتاب و من قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها و قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و هم الذين قالوا المسيح ابن الله و هذا لا دلالة فيه لأنه يجوز أن يذكر قوما ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على أن مشركى العرب قد أضافوا أيضا إلى الله سبحانه البنات فدخلوا فى جملة من قال اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و قوله «لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ» أى هلا يكلمنا معانيه فيخبرنا بأنك نبى و قيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى و غيره من الأنبياء و قوله «أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ» أى تأتينا آية موافقه لدعوتنا كما جاءت الأنبياء آيات موافقه لدعوتهم و لم يرد أنه لم تأتهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات و المعجزات و قوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ على النصارى و قيل هم اليهود و النصارى جميعا عن قتاده و السدى و قيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الإسلام عن أبى مسلم «تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» أى أشبه بعضها بعضا فى الكفر و القسوه و الاعتراض على الأنبياء من غير حجة و التعنت و العناد كقول اليهود لموسى أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً و قول النصارى للمسيح أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ و قول العرب لنبينا صلى الله عليه و آله حول لنا الصفا ذهبا و لذلك قال الله سبحانه أ تَوَاصَوْا بِهِ و قوله «قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ» يعنى الحجج و المعجزات التى يعلم بها صحه نبوه محمد صلى الله عليه و آله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أى يستدلون بها من الوجه الذى يجب الاستدلال به فأيقنوا لذلك فكذلك

فاستدلوا أنتم حتى توقنوا كما أيقن أولئك و المعنى فيه أن فيما ظهر من الآيات الباهرات الداله على صدقه كفايه لمن ترك التعنت و العناد فإن قيل لم يؤتوا الآيات التي اقترحوها لتكون الحجه عليهم أكد قلنا الاعتبار فى ذلك بالمصالح و لو علم الله سبحانه أن فى إظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحه لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا أنه لم يكن فى إظهارها مصلحه.

البقره (٢): آيه ١١٩

إشاره

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)

القراءه

قرأ نافع

و لا تسئل بفتح التاء و الجزم على النهى و روى ذلك عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و ابن عباس ذكر ذلك الفراء و أبو القاسم البلخى و الباقر على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله.

الإعراب

الرفع فى «تُسْئَلُ» يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» أى و غير مسئول و يكون ذكر الجملة بعد المفرد الذى هو قوله «بَشِيرًا» كما ذكر الجملة فى قوله وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهَيْدِ وَ كَهَلًا بعد ما تقدم من المفرد و كذلك قوله وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ و هو هنا يجرى مجرى الجملة (و الآخر) أن يكون منقطعا عن الأول مستأنفا به كأنه قيل و لست تسأل عن أصحاب الجحيم و أما قراءه نافع و لا تسئل بالجزم ففيه قولان (أحدهما) أن يكون على النهى عن المسأله (و الآخر) أن يكون النهى لفظا و المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان أى قد صار إلى أكثر مما تريده و سألت يتعدى إلى مفعولين مثل أعطيت قال الشاعر:

سألتانى الطلاق إذ رأتنى

قل ما لى قد جئمانى بنكر

و يجوز أن يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين (أحدهما) أن يتعدى بغير حرف كقوله وَ سِئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ فَسئَلُوا أَهْلَ الدُّكْرِ (و الآخر) أن يتعدى بحرف كقوله تعالى سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ و قولهم سألت عن زيد و إذا تعدى إلى مفعولين كان على ثلاثه أضرب (أحدها) أن يكون بمنزله أعطيت كقوله سألت عمرا بعد بكر حقا فمعنى هذا استعطيته أى سألته أن يفعل ذلك (و الآخر) أن يكون بمنزله اخترت الرجال زيدا و ذلك قوله تعالى وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا أى لا يسأل حميم عن حميمه

(و الثالث) أن يتعدى إلى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام و ذلك كقوله تعالى سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ وَ سَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَوْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ.

اللغة

الجحيم النار بعينها إذا شب وقودها و صار كالعلم على جهنم كقول أمية بن أبي الصلت:

إذا شبت جهنم ثم زادت

و أعرض عن قوابسها الجحيم

و جحمت النار تجحجج جحما إذا اضطرت و الجحمة العين بلغه حمير قال:

أيا جحمتي بكى على أم واهب

قتيله قلوب يا حدى المذانب

و جحمتا الأسد عيناه و جاحم الحرب شدة القتل فى معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعه:

و الحرب لا يبقى لجاحمها

التخيل و المراح

إلا الفتى الصبار فى

النجادات و الفرس الوقاح

المعنى

بين الله سبحانه فى هذه الآية تأييده نبيه محمد صلى الله عليه و آله بالحجج و بعثه الحق فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «بِالْحَقِّ» قيل بالقرآن عن ابن عباس و قيل بالإسلام عن الأصم و قيل على الحق أى بعثناك على الحق كقوله سبحانه خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ أى على أنهما حق لا باطل و قوله «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» أى بشيرا من اتبعك بالثواب و نذيرا من خالفك بالعقاب و قوله «وَ لَا تُشِئْتُمْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» أى لا تسأل عن أحوالهم و فيه تسليه للنبي صلى الله عليه و آله إذ قيل له إنما أنت بشير و نذير و لست تسأل عن أهل الجحيم و ليس عليك إجبارهم على القبول منك و مثله قوله فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ و قوله لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ و قيل معناه لا تؤاخذ بذنبهم كقوله سبحانه عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا أَى فعلية الإبلاغ و عليكم القبول.

إشارة

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)

اللغة

الرضا و الموده و المحبه نظائر و ضد الرضا الغضب و الرضا أيضا بمعنى المرضي و هو من بنات الواو و بدلاله قولهم الرضوان و تقول رجل رضا و رجال و نساء رضا و المله و النحله و الديانه نظائر و مله رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر الذى أوضحه و امتل الرجل إذا أخذ فى مله الإسلام أى قصد ما أمل منه و الإملاء إملاء الكتاب ليكتب.

الإعراب

تتبع نصب بحتى قال سيبويه و الخليل إن الناصب للفعل بعد حتى أن إلا أنها لا تظهر بعد حتى و يدل على أن حتى لا تنصب بنفسها إنها تجر الاسم فى نحو قوله حَتَّىٰ مَطَّلَعَ الْفَجْرَ و لا يعرف فى العرييه حرف يعمل فى اسم يعمل فى فعل و لا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام فى قولك ما كان زيد ليضربك فى أنها جاره و الناصب ليضربك أن المضمرة و لا يجوز إظهارها مع هذه اللام أيضا هو ضمير مرفوع بالابتداء أو فصل و الهدى خبر المبتدأ أو خبر إن و قوله «مِنَ الْعِلْمِ» يتعلق بمحذوف فى موضع الحال و ذو الحال الموصوف المحذوف الذى قوله «الَّذِي جَاءَكَ» صفته و كذلك قوله «مِنَ اللَّهِ» فى موضع الحال و «مِنَ وَلِيٍّ» فى موضع رفع بالابتداء و من مزيده و قوله «مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» فى موضع الجزاء للشرط و لكن الجزاء إذا قدر فيه القسم لا يجزم فلا يكون فى موضع جزم و لا بد أن يكون فيه أحد الحروف الداله على القسم فحرف ما هاهنا تدل على القسم فلهذا لم يجزم.

المعنى

كانت اليهود و النصارى يسألون النبى صلى الله عليه و آله الهدنه و يرونه أنه إن هادتهم و أمهلهم اتبعوه فأيسه الله تعالى من موافقتهم فقال «وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» و قيل أيضا أن النبى صلى الله عليه و آله كان مجتهدا فى طلب ما يرضيهم ليدخلوا فى الإسلام فقبل له دع ما يرضيهم إلى ما أمرك الله به من مجاهدتهم و هذا يدل على أنه لا يصح إرضاء اليهود و النصارى على حال لأنه تعالى علق رضاهم بأن يصير (عليه السلام) يهوديا أو نصرانيا و إذا استحال ذلك استحال إرضائهم يعنى أنه لا يرضى كل فرقه منهم إلا أن يتبع ملتهم أى دينهم و قيل قبلتهم «قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ» أى قل يا محمد لهم أن دين الله الذى يرضاه هو الهدى أى الدين الذى أنت عليه عن ابن عباس و قيل معناه أن هدى الله يعنى القرآن هو الذى يهدى إلى الجنة لا طريقه اليهود و النصارى

وقيل معناه أن دلالة الله هي الدلالة و هدى الله هو الحق كما يقال طريقه فلان هي الطريقه و قوله «وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ» أى مراداتهم و قال ابن عباس معناه أن صليت إلى قبلتهم «بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من البيان من الله تعالى و قيل من الدين «ما لك» يا محمد «مِنَ اللَّهِ مِنْ وَليِّ» يحفظك من عقابه «وَلَا نَصِيْرٍ» أى معين و ظهير يعينك عليه و يدفع بنصره عقابه عنك و هذه الآيه تدل على أن من علم الله تعالى منه أنه لا يعصى يصح وعيده لأنه علم أن نبيه (عليه السلام) لا يتبع أهواءهم فجرى مجرى قوله لئن أشركت ليحبطن عملك و المقصود منه التنبيه على أن حال أمته فيه أغلظ من حاله لأن منزلتهم دون منزلته و قيل الخطاب للنبي (عليه السلام) و المراد أمته.

البقره (٢): آيه ١٢١

إشارة

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)

الإعراب

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» رفع بالابتداء و يتلونه فى موضع خبره و أولئك ابتداء ثان و يؤمنون به خبره و إن شئت كان أولئك يؤمنون به فى موضع خبر المبتدأ الذى هو الذين و يتلونه فى موضع نصب على الحال و إن شئت كان خبر الابتداء يتلونه و أولئك جميعا فيكون للابتداء خبر إن كما تقول هذا حلو حامض و حق تلاوته منصوب على المصدر.

النزول

قيل نزلت فى أهل السفينه الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشه و كانوا أربعين رجلا اثنان و ثلاثون من الحبشه و ثمانيه من رهبان الشام منهم بحيراء عن ابن عباس و قيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام و شعبه بن عمرو و تمام بن يهودا و أسد و أسيد ابنى كعب و ابن يامين و ابن صوريا عن الضحاك و قيل هم أصحاب محمد عن قتاده و عكرمه فعلى القولين الأولين يكون المراد بالكتاب التوراه و على القول الأخير المراد به القرآن.

المعنى

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» أى أعطيناهم «الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أنه يتبعونه يعنى التوراه حق اتباعه و لا يحرفونه ثم يعلمون بحلاله و يقفون عند حرامه و منه قوله وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا أى تبعها و به قال ابن مسعود و مجاهد و قتاده إلا أن المراد به القرآن عندهم و (ثانيها) أن المراد به يصفونه حق صفته

فى كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبى و على هذا تكون الهاء راجعه إلى محمد صلى الله عليه و آله و (ثالثها) ما

روى عن أبى عبد الله أن «حَقَّ تِلَاوَتِهِ» هو الوقوف عند ذكر الجنة و النار يسأل فى الأولى و يستعيز من الأخرى.

و (رابعها) أن المراد يقرءونه حق قراءته يرتلون ألفاظه و يفهمون معانيه و (خامسها) أن المراد يعملون حق العمل به فيعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه و يكون ما أشكل عليهم إلى عالمه عن الحسن و قوله «أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» أى بالكتاب عن أكثر المفسرين و قيل بالنبي (عليه السلام) عن الكلبى «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ» و هم اليهود و قيل هم جميع الكفار و هو الأولى لعمومه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا أنفسهم و أعمالهم و قيل خسروا فى الدنيا الظفر و النصره فى الآخرة ما أعد الله للمؤمنين من نعيم الجنة.

البقره (٢): آيه ١٢٢

اشاره

يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢)

المعنى

هذه الآيه قد تقدم ذكر مثلها فى رأس نيف و أربعين آيه و مضى تفسيرها و قيل فى سبب تكريرها ثلاثه أقوال (أحدها) أن نعم الله سبحانه لما كانت أصول كل نعمه كرر التذكير بها مبالغه فى استدعائهم إلى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا إلى طاعه ربهم المظاهر نعمه عليهم و (ثانيها) أنه سبحانه لما ذكر التوراه و فيها الدلاله على شأن عيسى و محمد (عليه السلام) فى النبوه و البشاره بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك و ما فضلهم به كما عدد النعم فى سوره الرحمن و كرر قوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فكل تقريع جاء بعد تقريع فإنما هو موصول بتذكير نعمه غير الأولى و ثالثه غير الثانيه إلى آخر السوره و كذلك الوعيد فى سوره المرسلات بقوله وَيَلُومُنَدِّ لِلْمُكَذِّبِينَ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَعْمَالِ تَعْظُمُ التَّكْذِيبُ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْأَدْلَةُ.

البقره (٢): آيه ١٢٣

اشاره

وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)

و مثل هذه الآيه أيضا قد تقدم ذكره و مر تفسيره.

البقره (٢): آيه ١٢٤

اشاره

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

القراءه

قرأ ابن عامر إبراهيم هاهنا و فى مواضع من القرآن و الباقون «إِبْرَاهِيمَ» و قرأ حمزه و حفص عهدى بإرسال الياء و الباقون بفتحها.

الإعراب

فى إبراهيم خمس لغات إبراهيم و إبراهيم و إبراهيم فحذفت الألف استخفافا قال الشاعر:

عذت بما عاذ به إبراهيم

و إبراهيم قال أميه:

(مع إبراهيم التقى و موسى)

و أبرهم قال:

نحن آل الله فى كعبته

لم يزل ذاك على عهد أبرهم

و الوجه فى هذه التغييرات ما تقدم ذكره من قولهم إن العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه و تلعبت بحروفه فتغيرها و أما قوله «عَهْدِي» فإنما فتح هذه الياء إذا تحرك ما قبلها لأن أصل هذه الياء الحركه فإنها بإزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء و من أسكنها فإنه يحتج بأن الفتحه مع الياء قد كرهت فى الكلام كما كرهت الحركتان الأخيران فيها ألا ترى أنهم قد أسكنوها فى حال السعه إذا لزم تحريكها بالفتح كما أسكنوها إذا لزم تحريكها بالحركتين الأخيرين و ذلك قولهم قالى قلا و بادى و بدا و معديكرب فالياء فى هذه المواضع فى موضع الفتحه التى فى آخر الاسمين نحو حضر موت و قد أسكنت كما أسكنت فى الجر و الرفع.

الابتلاء الاختبار و التمام و الكمال و الوفاء نظائر و ضد التمام النقصان يقال تم تماما و أتمه و تممه تميما و تتمه و التم الشىء التام و لكل حامله تمام بفتح التاء و كسرهما و بدر تمام و ليل تمام بالكسر و الذريه و النسل و الولد نظائر و بعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذريه و روى أنه قراءه زيد بن ثابت و بعضهم فتحها فقال ذريه و فى أصل الكلمه أربعه مذاهب من الذرء و من الذر و الذرو و الذرى فإن جعلته من الذرء فوزنه فعليه كمريق ثم ألزمت

ص: ٢٩٢

التخفيف أو البديل كنبى فى أكثر اللغه و البريه و إن أخذته من الذر فوزنه فعليه كقمريه أو فعيله نحو ذريه فلما كثرت الرءاءات أبدلت الأخيره ياء و أدغم الياء الأولى فيها نحو سريه فيمن أخذها من السر و هو النكاح أو فعوله نحو ذروره فأبدلوا الرء الأخيره لما ذكرنا فصار ذرويه ثم أدغم فصار ذريه و إن أخذته من الذرو أو الذرى فوزنه فعوله أو فعيله و فيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جنى فى المحتسب و النيل و اللحاق و الإدراك نظائر و النيل و النوال ما نلته من معروف إنسان و أناله معروفه و نوله أعطاه قال طرفه:

إن تنوله فقد تمنعه

و تريه النجم يجرى بالظهر

و قولهم نولك أن تفعل كذا معناه حقك أن تفعل.

الإعراب

اللام فى قوله «لِلنَّاسِ» تتعلق بمحذوف تقديره إماما استقر للناس فهو صفة لإمام فلما قدمه انتصب على الحال و يجوز أن تتعلق بجاعلك و قوله «إماماً» مفعول ثان لجعل «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» تتعلق بمحذوف تقديره و اجعل من ذريتي.

المعنى

«وَأَذْكُرُوا» إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ» أى اختبر و هو مجاز و حقيقته أنه أمر إبراهيم ربه و كلفه و سمي ذلك اختبار لأن ما يستعمل الأمر منا فى مثل ذلك يجرى على جهه الاختبار و الامتحان فأجرى على أمره اسم أمور العباد على طريق الاتساع و أيضا فإن الله تعالى لما عامل عباده معامله المبتلى المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم أنهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازى المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي أمره ابتلاء و حقيقه الابتلاء تشديد التكليف و قوله «بِكَلِمَاتٍ» فيه خلاف

فروى عن الصادق أنه ما ابتلاه الله به فى نومه من ذبح ولده إسماعيل أبى العرب فأتها إبراهيم و عزم عليها و سلم لأمر الله فلما عزم الله ثوبا له لما صدق و عمل بما أمره الله «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» ثم أنزل عليه الحنيفيه و هى الطهاره و هى عشره أشياء خمسها منها فى الرأس و خمسها منها فى البدن فأما التى فى الرأس فأخذ الشارب و إعفاء اللحي و طم الشعر و السواك و الخلال و أما التى فى البدن فحلق الشعر من البدن و الختان و تقليم الأظفار و الغسل من الجنابه و الطهور بالماء فهذه الحنيفيه الظاهره التى جاء بها إبراهيم فلم تنسخ و لا تنسخ إلى يوم القيامة و هو قوله «وَاتَّبَعْ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» ذكره على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره

و قال قتاده و هو إحدى الروايتين عن ابن عباس أنها عشر خصال كانت فرضا فى شرعه سنه فى شريعتنا المضمضه و الاستنشاق و فرق الرأس و قص الشارب و السواك فى الرأس و الختان و حلق العانه و نتف الإبط و تقليم الأظفار و الاستنجاء بالماء فى البدن و فى الروايه الأخرى

عن ابن عباس أنه ابتلاه بثلاثين خصله من شرائع الإسلام لم يبتل أحدا بها فأقامها كلها إبراهيم فآتمهن فكتب له البراءة فقال وَ
إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى وَ هِيَ عَشْرٌ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ التَّائِبِينَ الْعَابِدُونَ إِلَى آخِرِهَا وَعَشْرٌ فِي الْأَحْزَابِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ إِلَى
آخِرِهَا وَعَشْرٌ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ وَ رَوَى فِي سُورَةِ سَأَلَ سَائِلٌ إِلَى قَوْلِهِ وَ
الَّذِينَ هُمْ عَلَى صِيَغَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ وَ فِي رِوَايَةٍ ثَالِثَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِمَنَاسِكَ الْحَجِّ وَقَالَ الْحَسَنُ ابْتِلَاهُ اللَّهُ
بِالْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ وَالْخِتَانِ وَ بِذَبْحِ ابْنِهِ وَ بِالنَّارِ وَ بِالْهَجْرَةِ فَكَلَّهِنَّ وَ فِي اللَّهِ فِيهِنَّ وَقَالَ مُجَاهِدٌ ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي
بَعْدَهَا وَ هِيَ قَوْلُهُ «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَّائِيُّ أَرَادَ بِذَلِكَ كَلِمَةً كَلَّفَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ
الشَّرْعِيَّةِ وَ الْآيَةِ مُحْتَمَلَةً لِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ يَقُولُ

كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف و أول الناس اختتن و أول الناس قص شاربه و استحد و أول الناس رأى الشيب فلما رآه
قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقارا و هذا أيضا قد رواه السكوني عن أبي عبد الله

و لم يذكر أول من قص شاربه و استحد و زاد فيه* و أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم و أول من أخرج الخمس إبراهيم و أول
من اتخذ النعلين إبراهيم و أول من اتخذ الرايات إبراهيم و

روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوه بإسناده مرفوعا إلى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال
سألته عن قول الله عز وجل «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام)
من ربه فتاب عليه و هو أنه قال يا رب أسألك بحق محمد و علي و فاطمه و الحسن و الحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو
التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فما يعنى بقوله «فَأَتَمَّهُنَّ» قال أتمهن إلى القائم اثني عشر إماما تسعه من ولد الحسين
(عليه السلام) قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني عن كلمة الله عز وجل وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ قَالَ يَعْنِي
بذَلِكَ الْإِمَامَةَ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي عَقْبِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَكَيْفَ صَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي وَدِّ الْحُسَيْنِ دُونَ
وَلَدِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ هُمَا جَمِيعًا وَ لَدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سِبْطَاهُ وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ إِنَّ مُوسَى وَ
هَارُونَ نَبِيَّانِ مَرْسَلَانِ أَخَوَانِ فَجَعَلَ اللَّهُ النَّبُوَّةَ فِي صُلْبِ هَارُونَ دُونَ صُلْبِ مُوسَى وَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَفْعَلِ اللَّهُ ذَلِكَ وَ أَنْ
الْإِمَامَةَ خَلَّافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ

لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله عز و جل هو الحكيم في أفعاله لا يُسئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ

وقال الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله و لقوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين (أحدهما) مستحيل على الله تعالى (و الآخر) جائز فالمستحيل هو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيام عنه و هذا ما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب و الآخر أن يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق و لينظر إليه الناظر فيقتدى به فيعلم من حكمه الله عز و جل أنه لم تكن أسباب الإمامه إلا إلى الكافي المستقل بها الذي كشفت الأيام عنه فأما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين و ذلك قوله عز و جل وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ و منها المعرفة بالتوحيد و التنزيه عن التشبيه حين نظر إلى الكوكب و القمر و الشمس و منها الشجاعه بدلاله قوله فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ و مقاومته و هو واحد ألوفاً من أعداء الله تعالى و منها الحلم و قد تضمنه قوله عز و جل إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ و منها السخاء و يدل عليه قوله هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَافٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ثم العزله عن العشيره و قد تضمنه قوله وَ أَعْتَزَلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بيان ذلك في قوله يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ الْآيَاتِ ثم دفع السيئه بالحسنه في جواب قول أبيه لئن لم تنته لما رجمتك وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سِدِّ لَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ثم التوكل و بيان ذلك في قوله الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ الْآيَاتِ ثم المحنه في النفس حين جعل في المنجنيق و قذف به في النار ثم المحنه في الولد حين أمر بذبح ابنه إسماعيل ثم المحنه في الأهل حين خلص الله حرمة من عباده القبطى في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق ساره ثم استقصاره النفس في الطاعه بقوله وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ثم الزلفه في قوله مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا الْآيَةِ ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله إِنَّ صِدْقِي وَ نُسُوكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي إِلَى قَوْلِهِ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ثم استجابته الله دعوته حين قال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى الْآيَةِ ثم اصطفاه الله سبحانه إياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبه أنه من الصالحين في قوله وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثم اقتداء من بعده من الأنبياء به في قوله وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَ يُعْقَبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ الْآيَةِ و في قوله ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا انتهى كلام الشيخ أبي جعفر رحمه الله و قوله «فَأَتَمَّهُنَّ» معناه وفى بهن فى قول الحسن و عمل بهن على التمام فى قول قتاده و الضمير فى أتمهن عائداً إلى الله تعالى فى قول أبى القاسم البلخى و هو اختيار

الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الإمامه على ما قاله مجاهد قال لأن الكلام متصل و لم يفصل بين قوله «إني جاعلك للناس إماماً» و بين ما تقدمه بواو العطف و أتمهن الله بأن أوجب بها الإمامه بطاعته و اضطراره بما ابتلاه و قوله «قال إني جاعلك للناس إماماً» معناه قال الله تعالى (إني جاعلك إماماً يقتدى بك في أفعالك و أقوالك) لأن الاستفادة من لفظ الإمام أمران (أحدهما) أنه المقتدى به في أفعاله و أقواله (و الثاني) أنه الذي يقوم بتدبير الأمة و سياستها و القيام بأمورها و تأديب جناتها و توليه ولايتها و إقامة الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها فعلى الوجه الأول لا يكون نبي من الأنبياء إلا و هو إمام و على الوجه الثاني لا يجب في كل نبي أن يكون إماماً إذ يجوز أن لا يكون مأموراً بتأديب الجنه و محاربه العداة و الدفاع عن حوزة الدين و مجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه إبراهيم بالكلمات فأتمهن جعله إماماً للأمام جزاء له على ذلك و الدليل عليه أن قوله «جاعلك» عمل في قوله «إماماً» و اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل و لو قلت أنا ضارب زيدا أمس لم يجز فوجب أن يكون المراد أنه جعله إماماً إما في الحال أو في الاستقبال و النبوه كانت حاصله له قبل ذلك و قوله «قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» أي و اجعل من ذريتي من يوشح بالإمامه و يوشح بهذه الكرامه و قيل إنما قال ذلك على وجه التعرف ليعلم هل يكون في عقبه أئمه يقتدى بهم و الأولي أن يكون ذلك على وجه السؤال من الله تعالى أن يجعلهم كذلك و قوله «قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال مجاهد

العهد الإمامه و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

أي لا- يكون الظالم إماماً للناس فهذا يدل على أنه يجوز أن يعطى ذلك بعض ولده إذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد أن يجعل أحدا منهم إماماً للناس لوجب أن يقول في الجواب لا أو لا ينال عهدي ذريتك و قال الحسن معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً و إن كانوا قد يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم و قد كان يجوز في العربي أن يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلت و قد روى ذلك في قراءة ابن مسعود و استدلل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامه ظالم و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه و إما لغيره فإن قيل إنما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه فإذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح أن يناله فالجواب أن الظالم و إن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها و الآية مطلقه غير مقيدة بوقت دون وقت

فيجب أن تكون محموله على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم وإن تاب فيما بعد.

البقره (٢): آيه ١٢٥

اشاره

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ اٰمَنًا وَ اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ اِبْرٰهِيْمَ مُصَدِّقِيْنَ وَ عَهِدْنَا اِلَى اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْمٰعِيْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِيْنَ وَ الْعٰكِفِيْنَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُوْدِ (١٢٥)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و اتخذوا مفتوحه الخاء و قرأ الباقون «وَ اتَّخِذُوا» مكسوره الخاء.

الإعراب

من قرأ بكسر الخاء فإنه على الأمر و الإلزام و يكون عطفا على قوله يا بني إسرائيل اذكروا و يجوز أن يكون عطفا على قوله «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ» من طريق المعنى لأن معناه ثوبوا و اتخذوا و من قرأ بالفتح عطفه على ما تقدمه من الفعل الذي أضيف إليه إذ فكأنه قال و إذ اتخذوا.

اللغه

البيت و المأوى و المنزل نظائر و البيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمه الحروف و الكلام كما يضم البيت من بيوت الناس أهله و البيت من بيوتات العرب و هي أحيائها و امرأه الرجل بيته قال الراجز:

ما لى إذا أجذبها صائت

أ كبر قد غالنى أم بيت

المثابه هاهنا الموضع الذى يثاب إليه من ثاب يثوب مثابه و مثابا و ثوبا إذا رجع قال ورقه بن نوفل فى صفه الحرم:

مثاب لإفناء القبائل كلها

تخب إليها اليعملات الطلائح

و منه ثاب إليه عقله أى رجع بعد عزوبه و أصل مثابه مثوبه نقلت حركه الواو إلى التاء ثم قلبت ألفا على ما قبلها و قيل إن التاء فيه للمبالغه كما قيل نسابه و قيل إن معناهما واحد

كمقامه و مقام قال زهير:

و فيهم مقامات حسان وجوهها

و أُنديه ينتابها القول و الفعل

و جمع المقام مقاوم قال:

و إني لقوام مقاوم لم يكن

جرير و لا مولى جرير يقومها

و الطائف و الجائل و الدائر نظائر و يقال طاف يطوف طوفا إذا دار حول الشىء و أطاف به إطفاه إذا ألم به و أطاف به إذا أحاط به و الطائف العاس و الطوافون المماليك و الطائف طائف الجن و الشيطان و هو كل شىء يغشى القلب من وسواسه و هو طيف أيضا و العاكف المقيم على الشىء اللازم له و عكف يعكف عكفا و عكوفاً قال النابغة:

عكوف على أبياتهم يثمدونها

رمى الله فى تلك الأكف الكوانع

و العاكف المعتكف فى المسجد و قل ما يقولون عكف و إنما يقولون اعتكف و الركع جمع الراكع و السجود جمع الساجد و كل فعل مصدره على فعول جاز فى جمع الفاعل منه أن يكون على فعول كالتعود و الركوع و السجود و نحوها.

المعنى

قوله «وَ إِذْ جَعَلْنَا» عطف على قوله وَ إِذْ ابْتَلَى وَ ذَلِكَ معطوف على قوله يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ وَ «الْبَيْتَ» الذى جعله الله مثابه هو البيت الحرام و هو الكعبة و روى أنه سُمى البيت الحرام لأنه حرم على المشركين أن يدخلوه و سُمى الكعبة لأنها مربعة و صارت مربعة لأنها بحذاء البيت المعمور و هو مربع و صار البيت المعمور مربعة لأنه بحذاء العرش و هو مربع و صار العرش مربعة لأن الكلمات التى بنى عليها الإسلام أربع و هى سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و قوله «مَثَابَةً لِلنَّاسِ» ذكر فيه وجوه فقل أن الناس يثوبون إليه كل عام أى ليس هو مره فى الزمان فقط على الناس عن الحسن و قيل معناه أنه لا ينصرف منه أحد و هو يرى أنه قد قضى منه وطرا فهم يعودون إليه عن ابن عباس

و قد ورد فى الخبر أن من رجع من مكة و هو ينوى الحج من

قابل زيد في عمره و من خرج من مكة و هو لا ينوي العود إليها فقد قرب أجله

و قيل معناه يحجون إليه فيشربون عليه و قيل مثابه معاذ و ملجأ و قيل مجمعا و المعنى فى الكل يؤول إلى أنهم يرجعون إليه مره بعد مره و قوله «وَ أَمْنًا» أراد مأمنا أى موضع أمن و إنما جعله الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به و التجأ إليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه و بما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه و ماله و إن كانوا يتخطفون الناس من حوله و لعظم حرمة لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جنايه فالتجأ إليه و إلى حرمة لكن يضيق عليه فى المطعم و المشرب و البيع و الشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه لأنه هتك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه و كان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرض له و هذا شىء كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل فبقوا عليه إلى أيام نبينا صلى الله عليه و آله و قوله «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» قال ابن عباس الحج كله مقام إبراهيم و قال عطاء مقام إبراهيم عرفه و المزدلفه و الجمار و قال مجاهد الحرم كله مقام إبراهيم و قال الحسن و قتاده و السدى

هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمرنا بالصلاة عنده بعد الطواف و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و قد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة و نسى أن يصلى ركعتين عند مقام إبراهيم فقال يصليها و لو بعد أيام أن الله تعالى قال «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» و هذا هو الظاهر لأن مقام إبراهيم إذا أطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذى هو فى المسجد الحرام و فى المقام دلالة ظاهره على نبوه إبراهيم (عليه السلام) فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه و كان فى ذلك معجزه له و

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال نزلت ثلاثه أحجار من الجنة مقام إبراهيم و حجر بنى إسرائيل و الحجر الأسود استودعه الله إبراهيم (عليه السلام) حجرا أبيض و كان أشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بنى آدم.

[القصة]

ابن عباس قال لما أتى إبراهيم بإسماعيل و هاجر فوضعهما بمكة و أتت على ذلك مده و نزلها الجرهميون و تزوج إسماعيل امرأه منهم و ماتت هاجر و استأذن إبراهيم ساره أن يأتى هاجر فأذنت له و شرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم (عليه السلام) و قد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد و كان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى شىء و ما عندى أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولى له فليغير عتبه بابه و ذهب إبراهيم (عليه السلام) فجاء إسماعيل (عليه السلام) فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل

جاءك أحد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفه بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي أقرئي زوجك السلام و قولي له فليغير عتبه بابه فطلقها و تزوج أخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن ساره أن يزور إسماعيل فأذنت له و اشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد و هو يجي ء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافه قالت نعم فجاءت باللبن و اللحم فدعا لهما بالبركه فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكان أكثر أرض الله برا و شعيرا و تمرا فقالت له أنزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعتة على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثره فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فقال لها إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولي له قد استقامت عتبه بابك فلما جاء إسماعيل (عليه السلام) وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهها و أطيبهم ريحا فقال لي كذا و كذا و قلت له كذا و غسلت رأسه و هذا موضع قدميه على المقام فقال إسماعيل لها ذاك إبراهيم (عليه السلام) و قد روى هذه القصة بعينها على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان عن الصادق (عليه السلام) و إن اختلف بعض ألفاظه و قال في آخرها إذا جاء زوجك فقولي له جاء هاهنا شيخ و هو يوصيك بعتبه بابك خيرا قال فأكب إسماعيل على المقام يبكي و يقبله

و

في روايه أخرى عنه (عليه السلام) أن إبراهيم استأذن ساره أن يزور إسماعيل فأذنت له أن لا يلبث عنها و أن لا ينزل من حماره فقيل له كيف كان ذلك فقال إن الأرض طويت له

و

روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال الركن و المقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما و لو لا أن نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق و المغرب

و قوله «مُصَلَّى» فيه أقوال قيل مدعى من صليت أى دعوت عن مجاهد و قيل قبله عن الحسن و

قيل موضع صلاة فأمر أن يصلى عنده عن قتاده و السدى و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و استدل أصحابنا به على أن صلاة الطواف فريضه مثل الطواف لأن الله تعالى أمر بذلك و ظاهر الأمر يقتضى الوجوب و لا صلاة واجبه عند مقام إبراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف و قوله «وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» أى أمرناهما

وألزماهنا «أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ» أى قلنا لهما أن طهرا بيتي لأن أن هذه هى المفسره التى تكون عبارته عن القول إذا صاحبت من الألفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه «عَهْدُنَا» هنا و ذكر فى التطهير هنا وجوه (أحدها) أن المراد طهرا من الفرث و الدم الذى كان يطرحه المشركون عند البيت قبل أن يصير فى يد إبراهيم و إسماعيل عن الجبائى (و ثانيها) أن المراد طهراه من الأصنام التى كانوا يعلقونها على باب البيت قبل إبراهيم عن مجاهد و قتاده (و ثالثها) أن المراد طهراه بنيانا بكماله على الطهارة كما قال سبحانه أَلَمْ نَسِّ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ وَ إِنَّمَا أَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى نَفْسِهِ تَفْضِيلًا لَهُ عَلَى سَائِرِ الْبِقَاعِ وَ تَمِيِزًا وَ تَخْصِيصًا وَ قَوْلُهُ «لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ» أَكْثَرَ الْمَفْسَرِينَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفِينَ هُمُ الدَّائِرُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَ الْعَاكِفِينَ هُمُ الْمَجَاوِرُونَ لِلْبَيْتِ وَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَنَّ الطَّائِفِينَ هُمُ الطَّارِثُونَ عَلَى مَكَّةَ مِنَ الْآفَاقِ وَ الْعَاكِفِينَ هُمُ الْمَقِيمُونَ فِيهَا وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَاكِفُونَ الْمَصْلُونَ وَ الْأَوَّلُ أَصَحُّ لِأَنَّهُ الْمَفْهُومُ مِنْ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَ قَوْلُهُ «وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» قِيلَ هُمُ الْمَصْلُونَ عِنْدَ الْبَيْتِ يَرْكَعُونَ وَ يَسْجُدُونَ عَنِ قِتَادِهِ وَ قِيلَ هُمُ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ الرُّكُوعَ وَ السُّجُودَ عَنِ الْحَسَنِ وَ قَالَ عَطَاءٌ إِذَا طَافَ بِهِ فَهُوَ مِنَ الطَّائِفِينَ وَ إِذَا جَلَسَ فَهُوَ مِنَ الْعَاكِفِينَ وَ إِذَا صَلَّى فَهُوَ مِنَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ

قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله عز و جل فى كل يوم و ليلة عشرين و مائه رحمه تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفين و أربعون للعاكفين و عشرون للناظرين.

البقره (٢): آيه ١٢٦

اشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)

القراءه

قرأ ابن عامر فأمتعته بسكون الميم خفيفه من أمتعته و الباقيون بالتشديد و فتح الميم من تمتع و روى فى الشواذ عن ابن عباس فأمتعته قليلا ثم أضطره إلى عذاب

النار على الدعاء من إبراهيم (عليه السلام) و عن ابن محيصة ثم أطره بإدغام الضاد فى الطاء.

الإعراب

قال أبو على التشديد فى «فَأَمْتَعُهُ» أولى لأن التنزيل عليه قال سبحانه يُمْتَعُكُمْ مَتَاعاً حَسِيناً وَ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ وجه قراءه ابن عامر إن أمتع لغه قال الراعى:

خليلين من شعبين شتى تجاوزا

قديما و كانا بالتفرق أمتعا

قال أبو زيد أمتعا أراد تمتعا فأما قراءه ابن عباس فأمتعه فيحتمل أمرين من ابن جنى (أحدهما) أن يكون الضمير فى قال لإبراهيم أى قال إبراهيم أيضا و من كفر فأمتعه يا رب و حسن إعادته قال لطول الكلام و لأنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين و الآخر أن يكون الضمير فى قال لله تعالى أى فأمتعه يا خالق أو يا إله يخاطب بذلك نفسه عز و جل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه كقول الأعشى:

ودع هريره إن الركب مرتحل

و هل تطيق وداعا أيها الرجل.

اللغة

البلد و المصر و المدينه نظائر و أصله من قولهم بلد للأثر فى الجلد و غيره و جمعه أبلاد و من ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس و تأثيرهم و من ذلك قولهم لكركره البعير بلده لأنه إذا برك تأثرت و الاضطراب هو الفعل فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه إذا كان من جنس مقدوره و لهذا لا يقال فلان مضطر إلى لونه و إن كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره و يقال هو مضطر إلى حركه الفالج و حركه العروق لما كانت الحركه من جنس مقدوره و المصير الحال التى يؤدى إليها أول لها و صار و حال و آل نظائر و صير كل أمر مصيره و صير الباب شقه و

فى الحديث من نظر فى صير باب فقد دمر

و صيور الأمر آخره.

الإعراب

قوله «مَنْ آمَنَ» محله نصب لأنه بدل من أهله و هو بدل البعض من الكل كما تقول أخذت المال ثلثه و جعلت متاعك بعضه على بعض و قوله «وَمَنْ كَفَرَ» يجوز أن يكون موصولا و صلته فى موضع الرفع على الابتداء و يجوز أن يكون من أسماء الشرط فى موضع رفع بالابتداء و كفر شرطه و «فَأَمْتَعُهُ» الفاء و ما بعده جزاء و معنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الشرط و الجزاء

فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ وَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَالْفَاءُ وَ مَا بَعْدَهُ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ «وَ بَشَّ الْمَصْتَبِرُ» فَعَلٌ وَ فَاعِلٌ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ لِأَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ

ص: ٣٠٢

محذوف تقديره و بس المصير النار أو العذاب و انتصب قليلا على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعاً حسيناً قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئاً فيقول رويدا أى علاجاً رويدا و إنما وصفه بالقله مع أن التمتع يدل على التكثير من حيث كان إلى نفاذ و نقص و تناه كقوله سبحانه قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ (و الثانى) أن يكون وصفاً للزمان أى زماناً قليلاً و يدل عليه قوله سبحانه عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَهُنَّ نَادِمِينَ و تقديره بعد زمان قليل كما يقال عرق عن الحمى و أطعمه عن الجوع أى بعد الحمى و بعد الجوع.

المعنى

«وَ» اذكر «إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا» أى هذا البلد يعنى مكة «بَلَدًا آمِنًا» أى ذا أمن كما يقال بلد أهل أى ذو أهل و قيل معناه يأمنون فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه قال ابن عباس يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره و لا يقطع شجره و لا يختلى خلاؤه و إلى هذا المعنى يؤول ما

روى عن الصادق (عليه السلام) من قوله من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عز و جل و من دخله من الوحش و الطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم

و

قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة أن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات و الأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلى و لا تحل لأحد من بعدى و لم تحل لى إلا ساعه من النهار

فهذا الخبر و أمثاله المشهوره فى روايات أصحابنا تدل على أن الحرم كان آمناً قبل دعوه إبراهيم (عليه السلام) و إنما تأكدت حرمة بدعائه (عليه السلام) و قيل إنما صار حراماً بدعائه (عليه السلام) و قبل ذلك كان كسائر البلاد و استدل عليه

بقول النبى صلى الله عليه و آله إن إبراهيم حرم مكة و إنى حرمت المدينة

و قيل كانت مكة حراماً قبل الدعوه بوجه غير الوجه الذى صارت به حراماً بعد الدعوه فالأول بمنع الله إياها من الاصطلام و الائتفاك كما لحق ذلك غيرها من البلاد و بما جعل ذلك فى النفوس من تعظيمها و الهيبة لها و (الثانى) بالأمر بتعظيمه على ألسنه الرسل فأجابه الله تعالى إلى ما سأل و إنما سأل أن يجعلها آمناً من الجذب و القحط لأنه أسكن أهله بواد غير ذى زرع و لا ضرع و لم يسأله أمنها من الائتفاك و الخسف الذى كان حاصلها لها و قيل أنه (عليه السلام) سأله الأمرين على أن يديمهما و إن كان أحدهما مستأنفاً و الآخر قد كان قبل و قوله «وَ ارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» أى أعط من أنواع الرزق و الثمرات «مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» سأل لهم الثمرات ليجتمع لهم الأمن و الخصب فيكونوا فى رغد من العيش و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن المراد بذلك أن الثمرات تحمل إليهم من

روى عن الصادق (عليه السلام) قال هي ثمرات القلوب أى حبيبهم إلى الناس ليثوبوا إليهم

و إنما خص بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد أعلمه أنه يكون فى ذريته الظالمون فى جواب مسأله إياه لذريته الإمامه بقوله «لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فخص بالدعاء فى الرزق المؤمنين تأدبا بأدب الله تعالى وقيل أنه (عليه السلام) ظن أنه إذا دعا للكفار بالرزق أنهم يكثرون بمكه ويفسدون فربما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء أهل الإيمان وقوله «قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعَهُ قَلِيلًا» أى قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم و من كفر فأمتعه بالرزق الذى أرزقه إلى وقت مماته وقيل فأمتعه بالبقاء فى الدنيا وقيل أمتعه بالأمن و الرزق إلى خروج محمد صلى الله عليه و آله فيقتله إن أقام على كفره أو يجليه عن مكه عن الحسن «ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ» أى أدفعه إلى النار و أسوقه إليها فى الآخرة «وَبَشِّرِ الْمَصِيرَ» أى المرجع و المأوى و المال.

البقره (٢): آيه ١٢٧

إشاره

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)

اللغه

الرفع و الإعلاء و الإصعاد نظائر و نقيض الرفع الوضع و نقيض الإصعاد الإنزال يقال رفع يرفع رفعا و ارتفع الشىء نفسه و المرفوع من عدو الفرس دون الحضرة و فوق الموضوع يقال ارفع من دابتك و الرفع نقيض الخفض فى كل شىء و الرفع نقيض الذله و القواعد و الأساس و الأركان نظائر و واحد القواعد قاعده و أصله فى اللغه الثبوت و الاستقرار فمن ذلك القاعده من الجبل و هى أصله و قاعده البناء أساسه الذى بنى عليه و امرأه قاعده إذا أتت عليها سنون لم تتزوج و إذا لم تحمل المرأة أو النخله قيل قد قعدت فهى قاعده و جمعها قواعد و تأويله أنها قد ثبتت على ترك الحمل و إذا قعدت عن الحيض فهى قاعده بغيرها لأنه لا فعل لها فى قعودها عن الحيض و قعدت المرأة إذا أتت بأولاد لثام فهى قاعده و قيل فى أن واحده النساء القواعد قاعد قولان (أحدهما) أنها من الصفات المختصة بالمؤنث نحو الطالق و الحائض فلم يحتج إلى علامه التأنيث (و الآخر) و هو الصحيح أن ذلك على معنى النسبه أى ذات قعود كما يقال نابل و دارع أى ذو نبل و ذو درع و لا يراد بذلك تثبيت الفعل.

الإعراب

قوله «مِنَ الْبَيْتِ» الجار و المجرور يتعلق بيرفع أو بمحذوف فيكون فى

محل النصب على الحال و ذو الحال القواعد و موضع الجملة من قوله «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا و اتصل بما قبله لأنه من تمام الحال لأن يقولان فى موضع الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه كيف بنى إبراهيم البيت فقال «وَ إِذْ يَرْفَعُ» و تقديره و اذكر إذ يرفع «إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» أى أصول البيت التى كانت قبل ذلك عن ابن عباس و عطاء قالا

قد كان آدم (عليه السلام) بناه ثم عفا أثره فجدده إبراهيم (عليه السلام) و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و قال مجاهد بل أنشأه إبراهيم (عليه السلام) بأمر الله عز و جل و كان الحسن يقول أول من حج البيت إبراهيم و فى روايات أصحابنا أن أول من حج البيت آدم (عليه السلام) و ذلك يدل على أنه كان قبل إبراهيم و

روى عن الباقر أنه قال أن الله تعالى وضع تحت العرش أربع أساطين و سماه الضراح و هو البيت المعمور و قال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا فى الأرض بيتا بمثال و قدره و أمر من فى الأرض أن يطوفوا بالبيت

و فى كتاب العياشى بإسناده عن الصادق قال أن الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم و كان البيت دره بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء و بقى أساسه فهو حيال هذا البيت و قال يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله سبحانه إبراهيم و إسماعيل أن يبنيا البيت على القواعد

و

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن أول شىء نزل من السماء إلى الأرض لهو البيت الذى بمكة أنزله الله ياقوته حمراء ففسق قوم نوح فى الأرض فرفعه

و قوله «وَ إِسْمَاعِيلُ» أى يرفع إبراهيم و إسماعيل أساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا و فى حرف عبد الله بن مسعود و يقولان ربنا تقبل منا و مثله قوله سبحانه وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أى يقولون سلام عليكم وَ الْمَلَائِكَةُ بِاسْمِ طُورَا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ أى يقولون و قال بعضهم تقديره يقول ربنا برده إلى إبراهيم (عليه السلام) قال لأن إبراهيم وحده رفع القواعد من البيت و كان إسماعيل صغيرا فى وقت رفعها و هو شاذ غير مقبول لشذوذه فإن الصحيح أن إبراهيم و إسماعيل كانا بينان الكعبة جميعا و قيل كان إبراهيم بينى و إسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنهما رفعا البيت عن ابن عباس و فى قوله «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» دليل على أنهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لأنهما التمسوا الثواب عليه و الثواب إنما يطلب على الطاعة و معنى «تَقَبَّلْ مِنَّا» أثبنا على عمله و هو مشبه بقبول الهدية فإن الملك إذا قبل الهدية من إنسان أثابه على ذلك و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى أنت السميع لدعائنا العليم بنا و بما يصلحنا و

روى عن الباقر أن إسماعيل أول من شق

لسانه بالعرييه و كان أبوه يقول له و هما بينان البيت يا إسماعيل هات ابن أى أعطنى حجرا فيقول له إسماعيل بالعرييه يا أبه
هاك حجرا فإبراهيم بينى و إسماعيل يناوله الحجاره

و فى هذه الآيه دلالة على أن الدعاء عند الفراغ من العباده مرغّب فيه مندوب إليه كما فعله إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام).

[قصه مهاجره إسماعيل و هاجر]

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال إن إبراهيم كان نازلا فى بادية الشام فلما
ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت ساره من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذى إبراهيم فى هاجر و تغمه
فشكا ذلك إبراهيم إلى الله عز و جل فأوحى الله إليه إنما مثل المرأه مثل الضلع المعوج إن تركته استمعت به و إن رمت أن
تقيمه كسرتة و قد قال القائل فى ذلك:

هى الضلع العوجاء لست تقيمها

ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

ثم أمره أن يخرج إسماعيل و أمه عنها فقال أى رب إلى أى مكان قال إلى حرمى و أمنى و أول بقعه خلقتها من أرضى و هى
مكه و أنزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر و إسماعيل و إبراهيم فكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر و نخل و زرع إلا
قال يا جبرائيل إلى هاهنا إلى هاهنا فيقول جبرائيل لا امض لا امض حتى وافى مكه فوضعه فى موضع البيت و قد كان إبراهيم
عاهد ساره أن لا ينزل حتى يرجع إليها فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها
فاستظلت تحته فلما سرحهم إبراهيم و وضعهم و أراد الانصراف عنهم إلى ساره قالت له هاجر لم تدعنا فى هذا الموضع الذى
ليس فيه أنيس و لا ماء و لا زرع فقال إبراهيم ربي الذى أمرنى أن أضعكم فى هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى و هو
جبل بذى طوى التفت إليهم إبراهيم فقال رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ إِلَى قَوْلِهِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ثم مضى و
بقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل فقامت هاجر فى الوادى حتى صارت فى موضع المسعى فنادت هل فى الوادى من
أنيس فغاب عنها إسماعيل فصعدت على الصفا و لمع لها السراب فى الوادى و ظنت أنه ماء فتزلت فى بطن الوادى و سعت فلما
بلغت المروه غاب عنها إسماعيل ثم لمع لها السراب فى ناحيه الصفا و هبطت إلى الوادى

ص: ٣٠٦

تطلب الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت إلى إسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان فى الشوط السابع وهى على المروه نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله فعدت حتى جمعت حوله رملا وأنه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازله بذى المجاز و عرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأه وصبى نزول فى ذلك الموضوع قد استظلوا بشجره قد ظهر لهم الماء فقال لهم جرهم من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبى قالت أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا هاهنا فقالوا لها أ تأذنين أن نكون بالقرب منكم فقالت حتى أسأل إبراهيم قال فزارهما إبراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله إن هاهنا قوما من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أ فتأذن لهم فى ذلك فقال إبراهيم نعم فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم و ضربوا خيامهم و أنست هاجر و إسماعيل بهم فلما زارهم إبراهيم فى المره الثانيه و نظر إلى كثره الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك إسماعيل كانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاه و شاتين و كانت هاجر و إسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال أمر الله تعالى إبراهيم أن يبنى البيت فقال يا رب فى أى بقعه قال فى البقعه التى أنزلت على آدم القبه فأضاءت الحرم قال و لم تنزل القبه التى أنزلها الله على آدم قائمه حتى كان أيام الطوفان فى زمان نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبه و غرقت الدنيا و لم تغرق مكة فسمى البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فلما أمر الله عز و جل إبراهيم أن يبنى البيت لم يدر فى أى مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت و أنزل عليه القواعد من الجنة و كان الحجر الذى أنزله الله على آدم أشد بياضا من الثلج فلما مسته أيدى الكفار أسود قال فبنى إبراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذى طوى فرفعه فى السماء تسعه أذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه فى موضعه الذى هو فيه و جعل له بابين بابا إلى المشرق و بابا إلى المغرب فالباب الذى إلى المغرب يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشيخ و الإذخر و علقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه و فرغ حج إبراهيم و إسماعيل و نزل عليهما جبرائيل يوم الترويه لثمان خلت من ذى الحجه فقال يا إبراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى و عرفات ماء فسميت الترويه لذلك ثم

أخرجه إلى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ الْآيَةَ.

البقره (٢): آيه ١٢٨

إشارة

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّهٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

القراءة

قرأ ابن كثير أرنا بإسكان الراء كل القرآن و وافقه ابن عامر و أبو بكر عن عاصم فى السجده ربنا أرنا الذين وقرأ أبو عمرو بالاختلاس لكسره الراء من غير إشباع كل القرآن و الباقون بالكسر.

الإعراب

الاختيار كسره الراء لأنها كسره الهمزة قد حولت إلى الراء لأن أصله أرانا فنقلت الكسره إلى الراء و سقطت الهمزة و لأن فى إسكان الراء بعد سقوط الهمزة إجحافا بالكلمه و إبطالا للدلاله على الهمزة و من سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن فى مثل كبد و فخذ و نحو قول الشاعر:

(لو عصر منه ألبان و المسك انعصر)

و قال الآخر:

قالت سليمى اشتر لنا سويقا

و اشتر و عجل خادما لبيقا

و أما الاختلاس فلطلب الخفه و بقاء الدلاله على حذف الهمزة.

اللغة

الإسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع و الإقرار بجميع ما أوجب الله و هو و الإيمان واحد عندنا و عند المعتزله و فى الناس من قال بينهما فرق و يطله قوله سبحانه إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ و المناسك هاهنا المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك و المنسك فى اللغة العباده و رجل ناسك عابد و قد نسك نسكا و المنسك الذبيحه يقال من فعل كذا فعليه نسك أى دم يهريقه و النسيكه الذبيحه و المنسك الموضع الذى تذبح فيه النسائك و المنسك أيضا هو المنسك نفسه قال سبحانه وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنَا مَنَسِكًا و قال ابن دريد المنسك أصله الذبائح كانت تذبح فى الجاهليه و النسيكه شاه كانوا يذبحونها فى المحرم فى الإسلام ثم نسخ ذلك بالأضاحى قال الأعشى:

و ذا النصب المنسوب لا تنسكه

و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

قال أبو علي الفسوى المناسك جمع منسك و هو المصدر جمع لاختلاف ضروبه.

الإعراب

اللام فى لك تعلق بمسلمين «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا» من فيه تعلق بمحذوف تقديره و اجعل من ذريتنا و الجار و المجرور مفعول اجعل و أمه مفعول ثان لأجعل و أرنا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون منقولا من رأيت الذى هو بمعنى إدراك البصر نقلت بالهمزه فتعدت إلى مفعولين و التقدير حذف المضاف كأنه قال أرنا مواضع مناسكنا أى عرفناها لنقضى نسكنا فيها و ذلك نحو مواقيت الإحرام و الموقف بعرفات و موضع الطواف فهذا من رأيت الموضوع و أريته إياه (و الآخر) أن يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأى الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا و مثله قول الشاعر:

أرينى جوادا مات هزلا لعلى

أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

أراد دلىنى و لم يرد رؤيه العين.

المعنى

ثم ذكر تمام دعائهما (عليه السلام) فقال سبحانه: «رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ» أى قال ربنا و اجعلنا مسلمين فى مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين فى ماضى عمرنا بأن توفقتنا و تفعل بنا الألفاظ التى تدعونا إلى الثبات على الإسلام و يجرى ذلك مجرى أن يؤدب أحدنا ولده و يعرضه لذلك حتى صار أديبا فيجوز أن يقال جعل ولده أديبا و عكس ذلك إذا عرضه للبلاء و الفساد جاز أن يقال جعله ظالما فاسدا و قيل أن معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد إلا إياك و لا ندعو ربا سواك و قيل قائمين بجميع شرائع الإسلام مطيعين لك لأن الإسلام هو الطاعة و الانقياد و الخضوع و ترك الامتناع و قوله «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّهٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ» أى و اجعل من ذريتنا أى من أولادنا و من للتبعيض و إنما خصا بعضهم لأنه تعالى أعلم إبراهيم (عليه السلام) أن فى ذريته من لا ينال عهده الظالمين لما يرتكبه من الظلم و قال السدى أراد بذلك العرب و الصحيح الأول أمه مسلمه لك أى جماعه موحده منقادك لى معنى أمه محمد صلى الله عليه و آله بدلاله قوله وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ و

روى عن الصادق أن المراد بالأمه بنو هاشم خاصه

و قوله «وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا» أى عرفنا هذه المواضع التى تعلق النسك بها لنفعله عندها و نقضى عبادتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتاده فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت و السعى بين الصفا و المروه و الإفاضه من عرفات و من جمع و رمى الجمار حتى أكمل بها الدين و قال

عطاء و مجاهد معنى مناسكنا مذابحنا و الأول أقوى و قوله «و تَبَّ عَلَيْنَا» فيه وجوه (أحدها) أنهما قالا هذه الكلمه على وجه التسييح و التعب و الانقطاع إلى الله سبحانه ليقتدى بهما الناس فيها و هذا هو الصحيح (و ثانيها) أنهما سألا التوبه على ظلمه ذريتهما (و ثالثها) أن معناه ارجع إلينا بالمغفره و الرحمه و ليس فيه دلالة على جواز الصغيره عليهم أو ارتكاب القبيح منهم لأن الدلائل القاهره قد دلت على أن الأنبياء معصومون منزهون عن الكبائر و الصغائر و ليس هنا موضع بسط الكلام فى ذلك «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ» أى القابل للتوبه من عظام الذنوب و قيل الكثير القبول للتوبه مره بعد أخرى «الرَّحِيمُ» بعباده المنعم عليهم بالنعمة العظام و تكفير السيئات و الآثام و فى هذه الآيه دلالة على أنه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى أنه يكون لا محاله لأنهما كانا عالمين بأنهما لا يقاربان الذنوب و الآثام و لا يفارقان الدين و الإسلام.

البقره (٢): آيه ١٢٩

إشاره

رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

اللغه

«الْعَزِيزُ» القدير الذى لا يغالب و قيل هو القادر الذى لا يمتنع عليه شىء أراد فعله و نقيض العز الذل و عز يعز عزه و عزا إذا صار عزيزا و عز يعز عزا إذا قهر و منه قولهم من عز بز أى من علب سلب و اعتر الشىء إذا صلب و هو من العزاز من الأرض و هو الطين الصلب الذى لا يبلغ أن يكون حجاره و عز الشىء إذا قل حتى لا يكاد يوجد و اعتر فلان بفلان إذا تشرف به و الحكيم معناه المدبر الذى يحكم الصنع و يحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل و يكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات.

الإعراب

ابعث جمله فعلية معطوفه على تب فيهم تتعلق بابعث و يجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره رسولا- كائنا فيهم فيكون فى موضع نصب على الحال و يتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله رَسُولًا أى تاليا و عليهم تتعلق بيتلو.

المعنى

الضمير فى قوله «فِيهِمْ» يرجع إلى الأمة المسلمه التى سأل الله إبراهيم أن

يجعلهم من ذريته و المعنى به بقوله «رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» هو نبينا صلى الله عليه و آله لما

روى عنه أنه قال أنا دعوه أبى إبراهيم و بشاره عيسى (عليه السلام)

يعنى قوله مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ و هو قول الحسن و قتاده و جماعه من العلماء و يدل على ذلك أنه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة و ما حولها على ما تضمنه الآيه فى قوله «رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ» أى فى هذه الذريه «رَسُولًا مِنْهُمْ» و لم يبعث الله من هذه صورته إلا محمدا صلى الله عليه و آله و قوله «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ» أى يقرأ عليهم آياتك التى نوحى بها إليه «وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ» أى القرآن و هذا لا يعد من التكرار لأنه خص الأول بالتلاوه ليعلموا بذلك أنه معجز دال على صدقه و نبوته و خص الثانى بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد و أدلته و ما يشتمل عليه من أحكام شريعته و قوله «وَ الْحِكْمَةَ» قيل هى هاهنا السنه عن قتاده و قيل المعرفه بالدين و الفقه فى التأويل عن مالك بن أنس و قيل العلم بالأحكام التى لا يدرك علمها إلا من قبل الرسل عن ابن زيد و قيل أنه صفه للكتاب كأنه وصفه بأنه كتاب و أنه حكمه و أنه آيات و قيل الحكمة شىء يجعله الله فى القلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك المبصر و قيل هى مواظب القرآن و حرامه و حلاله عن مقاتل و كل حسن و قوله «وَ يَزَكِّيهِمْ» أى يجعلهم مطيعين مخلصين و الزكاء هو الطاعه و الإخلاص لله سبحانه عن ابن عباس و قيل معناه يطهرهم من الشرك و يخلصهم منه عن ابن جريج و قيل معناه يستدعيهم إلى فعل ما يزكون به من الإيمان و الصلاح عن الجبائى و قيل يشهد لهم بأنهم أذكىاء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأصم و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى القوى فى كمال قدرتك المنيع فى جلال عظمتك المحكم لبدائع صنعتك و إنما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكأنه قال فزعنا إليك فى دعائنا لأنك القادر على إجابتنا العالم بما فى ضمائرنا و بما هو أصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا و قصار بصائرنا و فى هذه الآيه دلالة على أن إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام) دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه و آله بجميع شرائط النبوه لأن تحت التلاوه الأداء و تحت التعليم البيان و تحت الحكمة السنه و دعوا لأمته باللطف الذى لأجله تمسكوا بكتابه و شرعه فصاروا أذكىاء و هذا لأن الدعاء صدر من إسماعيل (عليه السلام) فعلم بذلك أن النبى المدعو به من ولده لا من ولد إسحاق و لم يكن فى ولد إسماعيل نبى غير نبينا صلى الله عليه و آله سيد الأنبياء.

البقره (٢): آيه ١٣٠

اشاره

وَ مَنْ يَزَعْبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)

ص: ٣١١

الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعه و رغبت فيه ضد رغبت عنه و الرغبة و المحبة و الإرادة نظائر و نقيض الرغبة الرهبة و نقيض المحبة البغضة و نقيض الإرادة الكراهة و تقول رغبت فيه رغبة و رغباً و رغبى إذا ملت إليه و رغبت عنه إذا صدت عنه و رجل رغب نهم شديد الأكل و فرس رغب الشحوه أى كثير الأخذ بقوائمه من الأرض و موضع رغب واسع و الرغيبه العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله و الاصطفاء و الاجتباء و الاختيار نظائر و الصفاء و النقاء و الخلوص نظائر و الصفو نقيض الكدر و صفوه كل شىء خالصه و صفى الإنسان أخوه الذى يضافيه الموده و ناقة صفى كثيره اللبن و نخله صفيه كثيره الحمل و الجمع الصفايا و اصطفينا على وزن افعلنا من الصفوه و إنما قلبت التاء طاء لأنها أشبه بالصاد بالاستعلاء و الإطباق و هى من مخرج التاء فأتى بحرف وسط بين الحرفين.

الإعراب

«مَنْ يَرْغَبُ» لفظه من للاستفهام و معناه الجحد فكأنه قال ما يرغب عن مله إبراهيم و لا يزهّد فيها إلا من سفه نفسه أى الذى سفه نفسه فمن الأولى على الاستفهام و الثانى بمعنى الذى و إلا- حرف الاستثناء و يجوز أن يكون لنقض النفي و من اسم موصول و سفه نفسه صلته و الموصول و الصلة فى محل النصب على الاستثناء أو فى محل الرفع بكونه بدلاً من الضمير الذى فى يرغب و فى انتصاب نفسه خلاف قال الأخفش معناه سفه نفسه و قال يونس أراها لغه قال الزجاج أراد أن فعل لغه فى المبالغه كما أن فعل كذلك و يجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا و قال أبو عبيده معناه أهلك نفسه و أوبق نفسه فهذا كله وجه واحد و الوجه الثانى أن يكون على التفسير كقوله فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا و هو قول الفراء قال أن العرب توقع سفه على نفسه و هى معرفه و كذلك بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا و أنكر الزجاج هذا الوجه قال إن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خله تخلص من خلال فإذا عرفته صار مقصوداً قصده و هذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين و الوجه الثالث أن يكون على التمييز و الإضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله أى مثل له و الوجه الرابع أن يكون على حذف الجار فى معنى سفه فى نفسه كقوله سبحانه أَنْ تَسْتَرْضِيَهُمْ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَى لأولادكم فحذف حرف الجر من غير ظرف و مثله وَ لَا تَغْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ أَى على عقده النكاح و مثله قول الشاعر:

نغالى اللحم للأضياف نيا

و نبذله إذا نضج القدور

و المعنى نغالى باللحم قال الزجاج و هذا مذهب صحيح و الوجه الخامس ما اختاره

الزجاج و هو أن سفه بمعنى جهل و هو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا إن البطر مستقل للنعمه غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولاً- به و أنه في الآخره في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال و ذو الحال الضمير المستكن في قوله «لِمَنْ الصَّالِحِينَ».

النزول

روى أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمه و مهاجرا إلى الإسلام فقال لقد علمنا أن صفه محمد في التوراه فأسلم سلمه و أبي مهاجر أن يسلم فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

لما بين سبحانه قصه إبراهيم و أن ملته مله محمد عقبه بذكر الحدث على اتباعها فقال: «وَمَنْ يَزْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» أى لا- يترك دين إبراهيم و شريعته إلا- من أهلك نفسه و أوبقها و قيل أضل نفسه عن الحسن و قيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الأصم و قيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الداله على أن لها صانعا ليس كمثله شىء عن أبى مسلم و قوله «وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا» أى اخترناه بالرساله و اجتبيناه «وَأِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» أى من الفائزين عن الزجاج و قيل معناه لمع الصالحين أى مع آبائه الأنبياء فى الجنة عن ابن عباس و قيل إنما خص الآخره بالذكر و إن كان فى الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامه و حسن الثواب فلما كان خلوص الثواب فى الآخره دون الدنيا وصفه فيها بما ينبى عن ذلك و فى قوله سبحانه «وَمَنْ يَزْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» دلالة على أن مله إبراهيم هى مله نبينا صلى الله عليه و آله لأن مله إبراهيم داخله فى مله محمد مع زيادات فى مله محمد فبين أن الذين يرغبون من الكفار عن مله محمد التى هى مله إبراهيم قد سفهوا أنفسهم و هذا معنى قول قتاده و الربيع و يدل عليه قوله «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ».

البقره (٢): آيه ١٣١

اشاره

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)

الإعراب

قال فعل فارغ و له جار و مجرور و اللام تتعلق بقال و «قَالَ لَهُ رَبُّهُ» مجرور الموضع بإضافه إذ إليه و اللام فى «لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» تتعلق بأسلمت.

المعنى

هذا متصل بقوله «وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ» و موضع «إِذْ» نصب باصطفينا و تقديره و لقد اصطفينا حين قال له ربه أسلم و اختلف فى أنه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا

حين أفلت الشمس و رأى إبراهيم تلك الآيات و الأدله فاستدل بها على وحدانيه الله سبحانه و قال يا قوم إني برىء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض الآيه و أنه أسلم حينئذ و هذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوه و أنه قال له ذلك إلهاما استدعاء منه إلى الإسلام فأسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات و لا يصح أن يوحى الله إليه قبل إسلامه بأنه نبي الله لأن النبوه حال إجلال و إعظام و لا يكون ذلك قبل الإسلام و قال ابن عباس إنما قال ذلك إبراهيم (عليه السلام) حين خرج من السرب و قيل إنما قال ذلك بعد النبوه و معنى «أسلم» استقم على الإسلام و اثبت على التوحيد كقوله سبحانه فأعلم أنه لا إله إلا الله و قيل إن معنى أسلم أخلص دينك بالتوحيد و قوله «أسلمت لرب العالمين» أى أخلصت الدين لله رب العالمين.

البقره (٢): آيه ١٣٢

إشاره

وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الشام و أوصى بهمزه بين واوين و تخفيف الصاد و قرأ الباقون «وَ وَصَّىٰ» مشدده الصاد.

الإعراب

حجه من قرأ «وَصَّى» قوله تعالى فلا يشئ تطيعون توصية فتوصيه مصدر وصى مثل قطع تقطعه و لا يكون منه تفعيل لأنك لو قلت فى مصدر حيث تفعيل لكان يجتمع ثلاث ياءات فرفض ذلك و حجه من قرأ و أوصى بها إبراهيم قوله يُوصيكم الله و من بعد وصيته توصون بها أو دين.

اللغه

وصى و أوصى و أمر و عهد بمعنى و قد قالوا وصى البيت إذا اتصل بعضه ببعض فإلوصيه كان الموصى بالوصيه وصل جل أمره بالموصى إليه.

الإعراب

يعقوب رفع لأنه عطف على إبراهيم و التقدير و وصى إبراهيم و يعقوب و هذا معنى قول ابن عباس و قتاده و قيل أنه على الاستثناف كأنه قال و وصى يعقوب أن يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين و الأول أظهر و الفرق بين التقديرين أن الأول لا إضمار فيه لأنه معطوف و الثانى فيه إضمار و الهاء فى بها تعود إلى المله و قد تقدم ذكرها و هو قول

الزجاج وقيل إنها تعود إلى الكلمه التي هي أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الدِّينِ لِلْعَهْدِ دُونَ الْإِسْتِغْرَاقِ لِأَنَّهُ أَرَادَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» وَإِنْ كَانَ عَلَى لَفْظِ النَّهْيِ لَهُمْ عَنِ الْمَوْتِ فَالنَّهْيُ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ لثَلَاثٍ يَصَادِفُهُمُ الْمَوْتُ عَلَيْهِ وَمِثْلُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَا- أَرَيْنَكَ هَاهُنَا فَالنَّهْيُ فِي اللَّفْظِ لِلْمَتَكَلِّمِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْمَخَاطَبِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا تَتَعَرَّضْ لِأَنَّ أَرَاكَ بِكَوْنِكَ هَاهُنَا وَقَوْلُهُ «وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» جَمَلُهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَتَقْدِيرُهُ لَا تَمُوتُوا إِلَّا مُسْلِمِينَ وَذُو الْحَالِ الْوَاوُ فِي تَمُوتُوا وَمَعْنَاهُ لِأَتَكُمُ الْمَوْتَ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

المعنى

لما بين عز اسمه دعاء إبراهيم (عليه السلام) لذريته و حكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين و عهده به إلى نبيه في وصيته فقال «وَوَصَّى بِهَا» أى بالمله أو بالكلمه التي هي قوله أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَيُؤِيدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ وَقِيلَ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ لَا- إِلَهَ إِلَّا- اللَّهُ «إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ» إِنَّمَا خَصَّ الْبَنِينَ لِأَنَّ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمْ أَكْثَرُ وَهُمْ يَقْبُولُ وَصِيَّتَهُ أَجْدَرُ وَإِلَّا فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو جَمِيعَ الْأَنْامِ إِلَى الْإِسْلَامِ «وَيَعْقُوبُ» وَهُوَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُ وَصِيًّا كَانَا تَوَامِينَ فَتَقَدَّمَ عَيْصُ وَخَرَجَ يَعْقُوبُ عَلَى إِثْرِهِ أَخْذًا بِعَقْبِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْمَعْنَى وَوَصَّى يَعْقُوبَ بَنِيهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَهُمْ الْأَسْبَاطُ «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» أَيْ فَقَالَا- جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمْ دِينَ الْإِسْلَامِ «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» أَيْ لَا تَتَرَكُوا الْإِسْلَامَ فَيَصَادِفُكُمُ الْمَوْتُ عَلَى تَرْكِهِ أَوْ لَا تَتَعَرَّضُوا لِلْمَوْتِ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ بِفِعْلِ الْكُفْرِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ الزَّمُوا الْإِسْلَامَ فَإِذَا أَدْرَكَكُمْ الْمَوْتُ صَادِفُكُمْ مُسْلِمِينَ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْوَصِيَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُوصَى الْإِنْسَانُ مِنْ يَلِي أَمْرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَلزوم الدين و الطاعه.

البقره (٢): آيه ١٣٣

اشاره

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)

اللغه

الشهداء جمع شهيد و الشاهد و الحاضر من النظائر تقول حضرت القوم

أحضرهم حضوراً إذا شهدتهم و الحضيره الجماعه من الناس ما بين الخمسه إلى العشره و أحضر الفرس إحضاراً إذا عدا عدواً شديداً و حاضرت الرجل محاضره إذا عدوت معه و حاضرتة إذا جاثيته عند السلطان أو فى خصومه و حضره الرجل فناؤه و أصل الباب الحضور خلاف الغيبه.

الإعراب

أم هاهنا منقطعه و هى لا تجىء إلا و قد تقدمها كلام لأنها التى تكون بمعنى بل و همزه الاستفهام كأنه قيل بل أ كنتم شهداء و معنى أم هاهنا الجحد أى ما كنتم شهداء و إنما كان اللفظ على الاستفهام و المعنى على خلافه لأن إخراج مخرج الاستفهام أبلغ فى الكلام و أشد مظاهره فى الحجاج إذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجه أو الإنكار له فتظهر الفصيحه و إذ الأولى ظرف من قوله «شهداء» و إذ الثانيه بدل من إذ الأولى و قيل العامل فى الثانيه حضر و كلاهما جائز ما للاستفهام و هو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون و «مَنْ بَعْدِي» الجار و المجرور فى محل نصب على الظرف و قوله «إِلَهًا وَاحِدًا» منصوب على أحد وجهين أن يكون حالاً - فكأنه قال نعبد إلهك فى حال وحدانيته أو يكون بدلاً من إلهك و تكون الفائده فيه ذكر التوحيد و نحن له مسلمون جمله فى موضع الحال و يجوز أن يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الإعراب و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق فى موضع جر على البدل من آباءك كما تقول مررت بالقوم أخيك و غلامك و صاحبك.

المعنى

خاطب سبحانه أهل الكتاب فقال: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» أى ما كنتم حضوراً «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ» و ما كنتم حضوراً «إِذْ قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي» و معناه أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى و رسلى الأباطيل بأن تنسبوهم إلى اليهوديه و النصرانيه فىانى ما بعثتهم إلا بالحنيفيه و ذلك أن اليهود قالوا أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهوديه فرد الله تعالى عليهم قولهم و إنما قال «ما تَعْبُدُونَ» و لم يقل من تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الأصنام فقال أى الأشياء تعبدون من بعدى «قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ» و إنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق لأنه كان أكبر منه و إسماعيل كان عم يعقوب و جعله أباً له لأن العرب تسمى العم أباً كما تسمى الجد أباً و ذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب و لهذا

قال النبى صلى الله عليه و آله ردوا على أبى يعنى العباس عمه

«إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى مدعون مقرون بالعبوديه و قيل خاضعون منقادون مستسلمون لأمره و نهييه قولاً و عقداً و قيل داخلون فى

الإسلام يدل عليه قوله إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ.

البقره (٢): آيه ١٣٤

إشاره

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)

اللغه

الأمة على وجوه (الأول) الجماعة كما فى الآيه (و الثانى) القدوه و الإمام فى قوله إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا (و الثالث) القامه فى قول الأعشى:

و إن معاويه الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمم

(و الرابع) الاستقامه فى الدين و الدنيا قال الناغى:

حلفت فلم أترك لنفسى ريبه

و هل يأتمن ذو أمه و هو طائع

أى ذو مله و دين (و الخامس) الحين فى قوله وَ ادَّكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (و السادس) أهل المله الواحده فى قولهم أمه موسى و أمه عيسى و أمه محمد صلى الله عليه و آله و أصل الباب القصد من أمه يؤمه أما إذا قصده و خلت أى مضت و أصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه إذا انفرد و خلا المكان من أهله إذا انفرد منهم و الفرق بين الخلو و الفراغ أن الخلو إذا لم يكن مع الشىء غيره و قد يفرغ من الشىء و هو معه يقال فرغ من البناء و هو معه فإذا قيل خلا منه فليس معه و الكسب العمل الذى يجلب به نفع أو يدفع به ضرر عن النفس و كسب لأهله إذا اجتلب ذلك لهم بعلاج و مراس و لذلك لا يطلق الكسب فى صفة الله.

الإعراب

قوله «لَهَا مَا كَسَبَتْ» يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمه ما تستحقه بعملها و يجوز أن لا يكون لها موضع لأنها مستأنفه فلا- تكون جزءا من الخبر الأول لكن تكون متصله به فى المعنى و إن لم تكن جزءا منه لأنها خبران فى المعنى عن شىء واحد فكأنه قيل الجماعه قد خلت و الجماعه لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول و كانوا يعملون صلته و الموصول و الصله فى موضع الجر بعن و عن تتعلق بتسألون.

المعنى

«تِلْمَكْ أُمَّهُ قَدْ خَلَتْ» أى جماعه قد مضت يعنى إبراهيم و أولاده «لَهَا مَا كَسَبَتْ» أى ما عملت من طاعه أو معصيه «وَلَكُمْ» يا معشر اليهود و النصارى «مَا كَسَبْتُمْ» أى ما عملتم من طاعه أو معصيه «وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يقال

ص: ٣١٧

لكم لم عملوا كذا و كذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من أجل أعمالهم كما لا يقال لهم لم عملتم أنتم كذا و كذا و إنما يطالب كل إنسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَجْبِرِ أَنَّ الْأَنْبَاءَ مُؤَاخِذُونَ بِذُنُوبِ الْآبَاءِ وَ إِنَّ ذُنُوبَ الْمُسْلِمِينَ تَحْمِلُ عَلَى الْكُفَّارِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ نَفَىٰ ذَلِكَ.

البقرة (٢): آية ١٣٥

إشارة

وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)

اللغة

الحنيف المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين إلى دين و به سميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية و النصرانية و قيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم و الحنيفية الاستقامة على دين إبراهيم و إنما قيل للذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى أحنف تفاوتاً- بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازه تفاوتاً- بالفوز و النجاه و هو قول كثير من المفسرين و أهل اللغة و قال الزجاج أصله من الحنف و هو ميل في صدر القدم و سمي الأحنف لحنف كان به و قالت حاضنته و هي ترقصه:

(و الله لو لا حنف برجله

ما كان في صبيانكم كمثلته)

و

في الحديث أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة

و هي مله النبي صلى الله عليه و آله لا حرج فيها و لا ضيق.

الإعراب

جزم تهتدوا على الجواب للأمر و معنى الشرط قائم في الكلمة أي إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا فإنما انجزم تهتدوا على الحقيقيه بالجزاء و قوله «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» في انتصابه وجوه (أحدها) أن تقديره بل اتبعوا مله إبراهيم لأن قولهم «كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ» تتضمن معنى اتبعوا اليهودية أو النصرانية و تقديره قالوا اتبعوا اليهودية أو النصرانية قل بل اتبعوا مله إبراهيم فهذا عطف على المعنى (و الثاني) أن يكون على الحذف كأنه قيل بل نتبع مله إبراهيم فالأول عطف و الثاني حذف (و الثالث) أن ينتصب على تقدير بل نكون أهل مله إبراهيم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى وَ سَيُثَلِّقُ الْقُرْبَانَ فَهَذَا عطف على اللفظ و هو قول الكوفيين و حنيفا نصب على الحال أي في حال حنيفيته.

عن ابن عباس أن عبد الله بن سوريا و كعب بن الأشرف و مالك بن الضيف و جماعه من اليهود و نصارى أهل نجران خاصموا
أهل الإسلام كل فرقه تزعم أنها

أحق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء و كتابنا التوراه أفضل الكتب و قالت النصارى نبينا عيسى أفضل الأنبياء و كتابنا الإنجيل أفضل الكتب و كل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فأنزل الله تعالى هذه الآيه و قيل إن ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه و آله ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد و قالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«وَقَالُوا» الضمير يرجع إلى اليهود و النصارى أى قالت اليهود «كُونُوا هُودًا» و قالت النصارى كونوا «نَصَارَى» كل فريق منهم دعا إلى ما هو عليه و معنى «نَهْتَدُوا» أى تصيبيوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا إلى الحق أى إذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم و صرتم على سنن الاستقامه «قُلْ» يا محمد «بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» أى بل نتبع دين إبراهيم و على الوجه الآخر بل اتبعوا دين إبراهيم و قد عرفت الوجوه الثلاثه فى الإعراب فلا معنى لإعادتها «حَنِيفًا» مستقيما و قيل مائلا إلى دين الإسلام و فى الحنيفيه أربعة أقوال (أحدها) أنها حج البيت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد (و ثانيها) أنها اتباع الحق عن مجاهد (و ثالثها) أنها اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التى صار بها إماما للناس بعده من الحج و الختان و غير ذلك من شرائع الإسلام (و الرابع) أنها الإخلاص لله وحده فى الإقرار بالربوبية و الإذعان للعبودية و كل هذه الأقوال ترجع إلى ما قلناه من معنى الاستقامه و الميل إلى ما أتى به إبراهيم (عليه السلام) من الملة «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى و ما كان إبراهيم من المشركين نفى الشرك عن ملته و أثبتته فى اليهود و النصارى حيث قالوا عَزِيْزٌ ابْنُ اللَّهِ و الْمَسِيْحُ ابْنُ اللَّهِ و فى قوله سبحانه «بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» حجه على وجوب اتباع ملة إبراهيم (عليه السلام) لسلامتها من التناقض و لوجود التناقض فى اليهوديه و النصرانيه فلذلك صارت ملة إبراهيم أحرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض فى اليهوديه منعهم من جواز النسخ مع ما فى التوراه من الدلاله على جوازه و امتناعهم من العمل بما تقدمت به البشاره فى التوراه من اتباع النبى الأمى مع إظهارهم التمسك بها و امتناعهم من الإذعان لما دلت عليه الآيات الظاهره و المعجزات الباهره من نبوه عيسى و محمد صلى الله عليه و آله مع إقرارهم بنبوه عيسى بدلاله المعجزات عليها إلى غير ذلك من أنواع التناقض و من التناقض فى قول النصارى قولهم الأب و الابن و روح القدس إله واحد مع زعمهم أن الأب ليس هو الابن و أن الأب إله و الابن إله و روح القدس إله و امتناعهم من أن يقولوا ثلاثه آلهه إلى غير ذلك من تناقضاتهم المذكوره فى الكتب.

إشارة

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)

اللغة

الأسباط واحد سبط وهم أولاد إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله أى ولداه والأسباط فى بنى إسرائيل بمنزله القبائل فى ولد إسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون إلى أب واحد والسبط فى اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجره واحده وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء أو الضرب إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وأنشد التوزى فى قطع بقر:

(كأنه سبط من الأسباط)

شبهه بالجماعه من الناس يتتابعون فى أمر و من ثم قيل لولد يعقوب أسباط و الفرق بين التفريق و الفرق أن التفريق جعل الشئ مفارقا لغيره و الفرق نقيض الجمع و الجمع جعل الشئ مع غيره و الفرق جعل الشئ لا- مع غيره و الفرق بالحجه هو البيان الذى يشهد أن الحكم لأحد الشئيين دون الآخر.

الإعراب

«ما أُوتِيَ» تقديره ما أُوتيه حذف الهاء العائد إلى الموصول و من فى قوله «مِنْ رَبِّهِمْ» تتعلق بأوتى أو بمحذوف فيكون مع المحذوف فى موضع نصب على الحال و ذو الحال الضمير المستكن فى أوتى و العامل أوتى أو يكون العامل فيه أنزل و ذو الحال ما أوتى لا نفرق جمله منفيه منصوبه الموضع على الحال و العامل فيه آمنة و منهم تتعلق بمحذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد و معنى أحد منهم أى بين اثنين أو جماعه و تقديره و لا نفرق بين أحد و أحد منهم.

المعنى

«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ» خطاب للمسلمين و قيل خطاب للنبي و المؤمنين أمرهم الله تعالى بإظهار ما تدنوا به على الشرع فبدأ بالإيمان بالله لأنه أول الواجبات و لأنه بتقديم معرفته تصح معرفه النبوات و الشرائع «وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» يعنى القرآن تؤمن بأنه حق و صدق و واجب اتباعه فى الحال و إن تقدمته كتب «وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ» قال قتاده هم يوسف و إخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم أمه من الناس فسموا الأسباط و به قال السدى و الربيع و محمد بن إسحاق و ذكروا أسماء الاثنى

عشر يوسف و بنيامين و زبالون و روبيل و يهوذا و شمعون و لاوى و دان و قهاب و يشجر و نفتالى و جاد و أشرفهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه و قال كثير من المفسرين أنهم كانوا أنبياء و الذى يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم لأن ما وقع منهم من المعصيه فيما فعلوه بيوسف (عليه السلام) لا خفاء به و النبى عندنا معصوم من القبائح صغيرها و كبيرها و ليس فى ظاهر القرآن ما يدل على أنهم كانوا أنبياء و قوله «وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ لَّا يَدُلُّ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ لِأَنَّ الْإِنزَالَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانٍ عَلَى بَعْضِهِمْ مِمَّنْ كَانَ نَبِيًّا وَ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ «وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» وَ أَنَّ الْمَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ خَاصَةً لَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِمَا فِيهِ أُضِيفَ الْإِنزَالُ إِلَيْهِمْ وَ قَدْ

روى العياشى فى تفسيره عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى جعفر الباقر قال قلت له أ كان ولد يعقوب أنبياء قال لا و لكنهم كانوا أسباطا أولاد الأنبياء و لم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا و تذكروا ما صنعوا

و قوله «وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَ عِيسَى» أى أعطيا و خصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود و النصارى و المراد بما أوتى موسى التوراه و بما أوتى عيسى الإنجيل «وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ» أى ما أعطيه النبيون «مِنْ رَبِّهِمْ لَّا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» أى بأن تؤمن ببعض و تكفر ببعض كما فعله اليهود و النصارى فكفرت اليهود بعيسى و محمد و كفرت النصارى بسليمان و نبينا محمد صلى الله عليه و آله «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى نحن لما تقدم ذكره و قيل لله خاضعون بالطاعه مدعون بالعبوديه و قيل منقادون لأمره و نهيه و قد مضى هذا مستوفى فيما قبل و فائده الآيه الأمر بالإيمان بالله و الإقرار بالنبيين و ما أنزل إليهم من الكتب و الشرائع و الرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوه و إن كانت شرائعهم غير لازمه لنا فإن الإيمان بهم لا يقتضى لزوم شرائعهم و روى عن الضحاك أنه قال علموا أولادكم و أهاليكم و خدمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه حتى يؤمنوا بهم و يصدقوا بما جاءوا به فإن الله تعالى يقول «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ» الآيه.

البقره (٢): آيه ١٣٧

إشاره

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)

اللغه

الشقاق المنازعه و المحاربه و يحتمل أن يكون أصله مأخوذا من الشق لأنه

صار فى شق غير شق صاحبه للعداوه و المباينه و يحتمل أن يكون مأخوذا من المشقه لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه و يؤذيه و الكفايه بلوغ الغايه يقال يكفى و يجرى و يغنى بمعنى واحد و كفى يكفى كفايه إذا قام بالأمر و كفاك هذا الأمر أى حسبك و رأيت رجلا كافيك من رجل أى كفاك به رجلا.

الإعراب

الباء فى قوله «بِمَثَلٍ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» يحتمل ثلاثه أشياء (أحدها) أن تكون زائده و التقدير فإن آمنوا مثل ما آمنتم به أى مثل إيمانكم به كما يقال كفى بالله أى كفى الله قال الشاعر:

(كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا)

(و الثانى) أن يكون المعنى بمثل هذا و لا تكون زائده كأنه قال فإن آمنوا على مثل إيمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت و بمثل ما كتبت كأنك تجعل المثل آله توصل بها إلى العمل و هذا أجود من الأول (و الثالث) أن تلغى مثل كما ألغيت الكاف فى قوله فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مِأْكُولٍ و هذا أضعف الوجوه لأنه إذا أمكن حمل كلام الله على فائده فلا يجوز حمله على الزيادة و زياده الاسم أضعف من زياده الحرف نحو ما و لا و ما أشبه ذلك و قوله «فَقَدِ اهْتَدَوْا» فى محل الجزم أو فى محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى و كذلك قوله «فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» و إنما حرف لإثبات الشىء و نفى غيره و هم مبتدأ و فى شقاق فى موضع خبره.

النزول

لما نزل قوله تعالى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ الْآيَهُ قَرَأَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى فَلَمَّا سَمِعَتِ الْيَهُودُ ذَكَرَ عِيسَى أَنْكَرُوا وَ كَفَرُوا وَ قَالَتِ النَّصَارَى إِنَّ عِيسَى لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ فَتَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

المعنى

«فَإِنْ آمَنُوا» أخبر الله سبحانه أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به «فَقَدِ اهْتَدَوْا» إلى طريق الجنة و قيل سلكوا طريق الاستقامه و الهدايه و قيل كان ابن عباس يقول اقرءوا بما آمنتم به فليس لله مثل و هذا محمول على أنه فسر الكلام لا أنه أنكر القراءه الظاهره مع صحه المعنى و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» أى أعرضوا عن الإيمان و جحدوه و لم يعترفوا به «فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» أى فى خلاف قد فارقوا الحق و تمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس و قريب منه ما

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال يعنى فى كفر

و قيل فى ضلال عن أبى عبيده و قيل فى منازعه و محاربه عن أبى زيد و قيل فى عداوه عن الحسن «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» وعد الله سبحانه رسوله بالنصره و كفايه من يعاديه من اليهود و النصارى الذين شاقوه و فى هذا دلالة بينه على نبوته و صدقه صلى الله عليه و آلہ المعنى أن الله سبحانه يكفيك يا محمد أمرهم «وَ هُوَ

السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأعمالهم فى إبطال أمرك و لن يصلوا إليك.

البقره (٢): آيه ١٣٨

إشاره

صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)

اللغه

«صِبْغَةَ اللَّهِ» مأخوذه من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود غمسوه فى ماء لهم يسمونه المعموديه يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغه الله تطهير الله لا- تطهير كم بتلك الصبغه و هو قول الفراء و قيل إن اليهود تصبغ أبناءها يهودا و النصارى تصبغ أبناءها نصارى أى يلقنون أولادهم اليهوديه و النصرانيه عن قتاده إلى هذا يؤول ما روى عن عمر بن الخطاب أخذ العهد على بنى تغلب أن لا يصبغوا أولادهم أى لا يلقنونهم النصرانيه لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاءوا من الأديان [فى صبغه الله] و قيل سمي الدين صبغه لأنه هيئه تظهر بالمشاهده من أثر الطهاره و الصلاه و غير ذلك من الآثار الجميله التى هى كالصبغه عن الجبائى قال أميه:

فى صبغه الله كان إذا نسى العهد

و خلى الصواب إذ عرفا

و يقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء و ضمها و كسرهما صبغا بفتح الصاد و كسرهما.

الإعراب

نصب «صِبْغَةَ اللَّهِ» على أنه بدل من قوله مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ و تفسير له عن الأخفش و قيل أنه نصب على الإغراء تقديره اتبعوا صبغه الله و ألزموا صبغه الله و من استفهام و هو مبتدأ و أحسن خبره و صبغه نصب على التمييز.

المعنى

«صِبْغَةَ اللَّهِ» أى اتبعوا دين الله عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و يقرب منه ما

روى عن الصادق (عليه السلام) قال يعنى به الإسلام

و قيل شريعته الله التى هى الختان الذى هو تطهير عن الفراء و البلخى و قيل فطره الله التى فطر الناس عليها عن أبى العالىه و غيره «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» أى لا أحد أحسن من الله صبغه أى بينا لفظه لفظ الاستفهام و معناه الجحد عن الحسن و غيره «وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» أى من نحن له عابدون يجب أن تتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء و الأجداد و قيل و نحن له عابدون فى اتباعنا مله إبراهيم صبغه الله.

إشاره

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)

اللغه

الحجاج و الجدال و الخصام نظائر و الأعمال و الأحداث و الأفعال نظائر و الإخلاص و الإفراط و الاختصاص نظائر و ضد الخالص المشوب.

الإعراب

«وَهُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» المبتدأ و خبره في موضع نصب على الحال و العامل فيه تحاجون و ذو الحال الواو «وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» مبتدئان و خبران و الجملة في موضع نصب على الحال بالعطف على «هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» «وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» كذلك.

المعنى

أمر الله سبحانه نبيه (عليه السلام) في هذه الآيه أن يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم «أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ» و معناه في دين الله أى أخاصموننا و تجادلوننا فيه و هو سبحانه خالقنا و المنعم علينا و خالقكم و المنعم عليكم و اختلف في محاجتهم كيف كان ف قيل كانت محاجتهم للنبي (عليه السلام) أنهم يزعمون أنهم أولى بالحق لتقدم النبوه فيهم و الكتاب و قيل بل كانت محاجتهم أنهم قالوا نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان و قيل كانت محاجتهم أنهم قالوا يا محمد إن الأنبياء كانوا منا و لم يكن من العرب نبى فلو كنت نبيا لكنت منا و قال الحسن كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم و قالوا نَحْنُ أَوْلَى اللَّهِ وَ أَحِبَّاءُهُ وَ قالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى وَ كان غرضهم بذلك أن الدين يلتمس من جهتهم و أن النبوه أولى أن تكون فيهم فبين سبحانه أنه أعلم بتدبير خلقه بقوله «وَهُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» أى خالقنا و خالقكم فهو أعلم حيث يجعل رسالته و من الذى يقوم بأعبائها و يتحملها على وجه يكون أصلح للخلق و أولى بتدبيرهم و قوله «وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لنا ديننا و لكم دينكم و قيل معناه ما علينا مضره من أعمالكم و ما لكم منفعه من أعمالنا فضرر أعمالكم عليكم و نفع أعمالنا لنا و قيل إنه إنكار لقولهم إن العرب تعبد الأوثان و بيان لأن لا حجه فيه إذ كل مأخوذ بما كسبت يده و لا يؤخذ أحد بجرم غيره و قوله «وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» أى موحدون و المراد بذلك أن المخلص أولى بالحق من المشرك و قيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عباده العرب للأوثان فكأنه قال لا عيب علينا في ذلك إذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من أسلافكم إذا اعتقدتم الإنكار عليهم في ذلك.

روى عن حذيفه بن اليمان قال سألت النبى صلى الله عليه وآله عن الإخلاص ما هو قال سألت جبريل (عليه السلام) عن ذلك قال سألت رب العزه عن ذلك فقال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى

و

روى عن أبى إدريس الخولانى عن النبى صلى الله عليه وآله قال إن لكل حق حقيقه و ما بلغ عبد حقيقه الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شىء من عمل الله

و قال سعيد بن جبير الإخلاص أن يخلص العبد دينه و عمله لله و لا يشرك به فى دينه و لا يرائى بعمله أحدا و قيل الإخلاص أن تستوى أعمال العبد فى الظاهر و الباطن و قيل هو ما استتر من الخلاق و استصفى من العلائق و قيل هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

البقره (٢): آيه ١٤٠

اشاره

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و ابن عامر «أم تقولون» بالتاء و الباقون بالياء.

الإعراب

الأول على الخطاب فتكون أم متصله بما قبلها من الاستفهام كأنه قال أ تحاجوننا فى الله أم تقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم و التقدير بأى الحجتين تتعلقون فى أمرنا بالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع دين الأنبياء فنحن لهم متبعون و الثانى و هو القراءه بالياء على العدول من الحجاج الأول إلى حجاج آخر فكأنه قال بل تقولون إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراه و الإنجيل كانوا هودا أو نصارى و تكون أم هذه هى المنقطعه فيكون قد أعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرتة بعد ارتكاب مخاطبه جهاله شنيعه فيقول قد قامت عليه الحجه أم يقول بإبطال النظر المؤدى إلى المعرفه.

اللغه

الأعلم و الأعرف و الأدرى بمعنى واحد و الأظلم و الأجور و الأعتى نظائر و أفعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة و إنما يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم أفضل و أطول و قد قال المحققون الصفات على ثلاثه أضرب صفه ذات و صفه تحصل بالفاعل

و صفه تحصل بالمعنى (فالأول) مثل كون الذات جوهرًا أو سوادًا و هذا لا يصح فيه التزايد (و الثانى) كالوجود و لا يصح فيه أيضا التزايد (و الثالث) على ضريين (أحدهما) يصح فيه التزايد و هو كل ما يوجبه معنى له مثل كالألوان و الأكوان و نحوها (و الآخر) لا يصح فيه التزايد و هو كل ما يوجبه معنى، و كتم و أخفى و أسر واحد و الغفله و السهو و النسيان نظائر و هو ذهاب المعنى عن النفس و الصحيح أن السهو ليس بمعنى و إنما هو فقد علوم مخصوصه فإن استمر به السهو مع صحه سمي جنونا فإذا قارنه ضرب من الضعف سمي إغماء و إذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوما فإن قارنه نوع من الطرب سمي سكرًا و إذا حصل السهو بعد علم سمي نسيانا.

الإعراب

«أَمِ اللّٰهُ» الله مبتدأ و خبره محذوف تقديره أم الله أعلم و عنده ظرف مكان لكتم أو يكون صفه لشهاده تقديره شهاده كائنه عنده و من الله صفه لشهاده أيضا و هى صفه بعد صفه.

المعنى

قد ذكرنا الفرق فى المعنى بين قوله «أَمْ تَقُولُونَ» على المخاطبه و قوله أم يقولون بالياء على أن يكون المعنى لليهود و النصرارى و هم غيب و فى هذا احتجاج عليهم فى قولهم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى من وجوه (أحدها) ما أخبر به نبينا صلى الله عليه و آله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (و الثانى) ما فى التوراه و الإنجيل من أن هؤلاء الأنبياء كانوا على الحنيفيه (و الثالث) أن عندهم إنما يقع اسم اليهوديه على من تمسك بشريعه التوراه و اسم النصرانيه على من تمسك بشريعه الإنجيل و الكتابان أنزلا بعدهم كما قال سبحانه وَ مَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ (و الرابع) أنهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله سبحانه بهذه الوجوه و قوله «قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللّٰهُ» صورته صورته الاستفهام و المراد به التوبيخ و مثله قوله أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا و معناه قل يا محمد لهم أ أنتم أعلم أم الله و قد أخبر سبحانه أنهم كانوا على الحنيفيه و زعمتم أنهم كانوا هودا أو نصارى فيلزمكم أن تدعوا أنكم أعلم من الله و هذا غايه الخزى فإن قيل لم قال أ أنتم أعلم أم الله و قد كانوا يعلمونه فكتمونه و إنما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب أن من قال إنهم كانوا على ظن و توهم فوجه الكلام على قوله واضح و من قال أنهم كانوا يعلمون ذلك و إنما كانوا يجحدونه فمعناه أن منزلتكم منزله المعترض على ما يعلم أن الله أخبر به فما ينفعه ذلك مع إقراره بأن الله أعلم منه و أنه لا يخفى عليه شىء لأن ما دل

على أنه أعلم هو الدال على أنه لا- يخفى عليه شىء و هو أنه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ» فيه أقوال (أحدها) أن من فى قوله من الله لا ابتداء الغايه و هو متصل بالشهاده لا بالكتمان و معناه و ما أحد أظلم ممن يكون عنده شهاده من الله فيكتمها و المراد بهذه الشهاده أن الله تعالى بين فى كتابهم صحه نبوه محمد صلى الله عليه وآله و البشاره به عن الحسن و قتاده و قيل المراد بها أن إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و أولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهاده و ادعوا أنهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهاده من الله عندهم كتموها (و الثانى) أن من متصل بالكتمان أى من أظلم ممن كتم ما فى التوراه من الله أى من عباده الله أو كتم شهاده أن يؤديها إلى الله (و الثالث) أن المراد من أظلم فى كتمان الشهاده من الله لو كتمها و ذلك نحو قولهم من أظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغنى القوى و المعنى أنه يلزمكم أنه لا- أحد أظلم من الله إذا كتم شهاده عنده ليقع عباده فى الضلال و هو الغنى عن ذلك المتعالى أى لو كانوا هودا أو نصارى لأخبر بذلك و هذا المعنى قول البلخى و أبى مسلم و قوله «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أو عددهم سبحانه بما يجمع كل وعيد أى ليس الله بساه عن كتمان الشهاده التى لزمكم القيام بها لله و قيل هو على عمومه أى لا يخفى على الله شىء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على أعمالكم بما تستحقونه من العقاب.

البقره (٢): آيه ١٤١

اشاره

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)

توضيح

قد مضى تفسير هذه الآيه و قيل فى وجه تكراره إنه عنى بالأول إبراهيم و من ذكر معه من الأنبياء (عليه السلام) و الثانى أسلاف اليهود و قيل إنه إذا اختلفت الأوقات و المواطن لم يكن التكرير معيبا و وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه يقول إذا سلم لكم ما ادعيتم من أن الأنبياء كانوا على دين اليهوديه أو النصرانيه فليس لكم فيه حجه لأنه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فله سبحانه أن ينسخ من الشرائع ما شاء و يقر منها ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمه و قيل إن ذلك ورد مورد الوعظ لهم و الزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء و الأجداد فإن ذلك لا ينفعهم إذا خالفوا أمر الله.

البقره (٢): آيه ١٤٢

اشاره

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)

السفيه و الجاهل و الغبي نظائر و قد ذكرنا معنى السفه و السفيه فيما مضى و ولاه عنه أى صرفه و قتله و اشتقاقه من الولى و هو القرب و هو حصول الثانى بعد الأول من غير فصل فالثانى يلى الأول و الثالث يلى الثانى ثم هكذا أبدا و ولى عنه خلاف ولى إليه مثل قولك عدل عنه و عدل إليه و انصرف عنه و انصرف إليه فإذا كان الذى يليه متوجها إليه فهو متول إليه و إذا كان متوجها إلى خلاف جهته فهو متول عنه و القبلة مثل الجلسه للحال التى يقابل الشىء غيره عليها كما أن الجلسه للحال التى يجلس عليها و كان يقال فيما حكى هو لى قبله و أنا له قبله ثم صار علما على الوجه التى تستقبل فى الصلاة.

الإعراب

«مِنَ النَّاسِ» فى محل نصب حال من السفهاء و ما استفهام و هو مبتدأ و ولاههم خبره و «عَنْ قِبَلَتِهِمْ» مفعول ولى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبله بيت المقدس إلى الكعبة فقال «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ» أى سوف يقول الجهال و هم الكفار الذين هم بعض الناس «مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا» أى أى شىء حولهم و صرفهم يعنى المسلمين عن بيت المقدس الذى كانوا يتوجهون إليها فى صلاتهم اختلف فى الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس و غيره هم اليهود و قال الحسن هم مشركو العرب و إن رسول الله لما حول الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبله آباءك ثم رجعت إليها فلترجعن إلى دينهم و قال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالإسلام و اختلف فى سبب مقاتلتهم ذلك فقليل أنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ عن ابن عباس و قيل إنهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها ارجع إلى قبلتنا نتبعك و تؤمن بك أرادوا بذلك فتنته عن ابن عباس أيضا و قيل إنما قاله مشركو العرب ليوهموا أن الحق ما هم عليه و أما الوجه فى الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان (أحدهما) أنه لما علم الله تعالى فى ذلك من تغير المصلحه و (الآخر) أنه لما بينه سبحانه بقوله لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ أَمْرًا أَنْ يَتَّوَجَّهُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ لِيَتَّمِيزُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّوَجَّهُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَلَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَّوَجَّهُونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَمَرُوا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ

ليتميزوا من أولئك «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» هو أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس إلى الكعبة المشرق و المغرب ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته و في هذا إبطال لقول من زعم أن الأرض المقدسه أولى بالتوجه إليها لأنها مواطن الأنبياء و قد شرفها الله و عظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد و عن ابن عباس كانت الصلاه إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه و آله المدينة سبعة عشر شهرا و عن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة أورده مسلم في الصحيح و عن أنس بن مالك إنما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر و عن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا و

رواه على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال تحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى النبي صلى الله عليه و آله بمكة ثلاث عشره سنه إلى بيت المقدس و بعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر قال ثم وجهه الله إلى الكعبة و ذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه و آله و يقولون له أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا فاغتم رسول الله صلى الله عليه و آله من ذلك غما شديدا و خرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمرا فلما أصبح و حضر وقت صلاه الظهر كان في مسجد بنى سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه و حوله إلى الكعبة و أنزل عليه قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ كَانِ صَلَى رَكَعَتَيْنِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ رَكَعَتَيْنِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَتِ الْيَهُودُ وَ السُّفَهَاءُ «مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا»

قال الزجاج إنما أمر بالصلاه إلى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفه لحجه فأحب الله أن يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه و قوله «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي يدل و يرشده إلى الدين و إنما سماه الصراط لأنه طريق الجنة المؤدى إليها كما يؤدى الطريق إلى المقصد و قيل طريق الجنة.

إشاره

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

القراءه

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «الرؤف» على وزن رعووف و قرأ أبو جعفر لرووف مثلث غير مهموز و الباقون لرءوف على وزن رعف.

الإعراب

وجه من قرأ «الرؤف» أن بناء فعول أكثر في كلامهم من فعل ألا ترى أن باب ضروب و صبور أكثر من باب يقظ و حذر و قد جاء على هذه الزنه من صفات الله تعالى نحو غفور و شكور و ودود و لا نعلم فعلا فيها و قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا و نطيع ربا

هو الرحمن كان بنا رءوفا

و من قرأ رءوفا قال إن ذلك الغالب على أهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعاوية:

و شر الطالبين فلا تكنه

لقاتل عمه الرؤوف الرحيم

و قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقا

كفعل الوالد الرؤوف الرحيم.

اللغه

الوسط العدل و قيل الخيار و معناهما واحد لأن العدل خير و الخير عدل و قيل أخذ من المكان الذي يعدل المسافه منه إلى أطرافه و قيل بل أخذ من التوسط بين المقصر و الغالى فالحق معه قال مؤرج أى وسطا بين الناس و بين أنبيائهم قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

قال صاحب العين الوسط من كل شىء أعدلته وأفضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليبس وقيل فى صفه النبى صلى الله عليه وآله كان من أوسط قومه أى من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الإنسان نسله قال ثعلب نُزِدُ عَلَى أَغْقَابِنَا أى نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعقبه الكره بعد الكره فى الركوب والمشى والتعقيب الرجوع إلى أمر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والإضاعة مصدر أضاع يضيع وضاع الشىء ضياعاً وضاع الشىء تضييعاً وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته يقال ما ضيعتك أى حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع

ص: ٣٣٠

معروف و أصل الضياع الهلاك قال أبو زيد رأفت بالرجل أرأف به رأفه و رأفه و رؤفت به أرؤف به بمعنى.

الإعراب

في الآيه ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله «لِتَكُونُوا» لام كي و تكونوا في موضع نصب بإضمار أن و تقديره لأن تكونوا و أن تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجاره في الأصل و في قوله «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» لام توكيد و هي لام الابتداء فصلت بينها و بين إن لثلاثا يجتمع حرفان متفقان في المعنى و هي تلزم إن المخففه من الثقيله لثلاثا تلتبس بأن النافيه التي هي بمعنى ما في مثل قوله «إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» و قال الكوفيون إن في مثل هذا الموضع بمعنى ما و اللام بمعنى إلا تقديره و ما كانت إلا كبيره و أنكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال جاء القوم لزيدا بمعنى إلا زيدا و أما في قوله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ» فلام تأكيد نفى و أصلها لام الإضافه أيضا و ينتصب الفعل بعدها بإضمار أن أيضا إلا أنه لا يجوز إظهار أن بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيعا إيمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه أيضا على التأويل من غير تصريح بإظهار أن و يجوز إظهار أن بعد لام كي كما ذكرناه و الكاف في قوله «وَ كَذَلِكَ» كاف التشبيه و هو في موضع نصب بالمصدر و ذلك إشاره إلى الهدايه من قوله «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» و التقدير أنعمنا عليكم بالعداله كما أنعمنا عليكم بالهدايه و العامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فقد أنعمنا عليكم بذلك و جعلناكم أمه و سطا فأنعمنا مثل ذلك الإنعام إلا أن جعلنا يدل على أنعمنا و هدى الله صله الذين و الضمير العائد إلى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله و الجار و المجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره و إن كانت لكبيره على الكل إلا على الذين هدى الله.

المعنى

ثم بين سبحانه فضل هذه الأمه على سائر الأمم فقال سبحانه «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيَّطًا» و قد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف إلى ذلك بما تقدم أخبر عز اسمه أنه جعل أمه نبيه محمد صلى الله عليه و آله عدلا و واسطه بين الرسول و الناس و متى قيل إذا كان في الأمه من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب أن المراد به من كان بتلك الصفه و لأن كل عصر لا يخلو من جماعه هذه صفتهم و

روى بريد بن معاويه العجلي عن الباقر (عليه السلام) نحن الأمه الوسط و نحن شهداء الله على خلقه و حجته في أرضه

و

في روايه أخرى قال إلينا يرجع الغالى و بنا يلحق المقصر

و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني

فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ياسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن على (عليه السلام) أن الله تعالى إيانا عنى بقوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» فرسول الله شاهد علينا و نحن شهداء الله على خلقه و حجته فى أرضه و نحن الذين قال الله تعالى «كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»

و قوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التى خالفوا فيها الحق فى الدنيا و فى الآخرة كما قال وَ جِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قَالَ وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ وَ قال ابن زيد الأشهاد أربعة الملائكة و الأنبياء و أمه محمد صلى الله عليه و آله و الجوارح كما قال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ الْآيَةَ (و الثانى) أن المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق و الدين و يكون الرسول عليكم شهيدا مؤديا للدين إليكم و سمى الشاهد شاهدا لأنه يبين و لذلك يقال للشهادة بينه (و الثالث) أنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم بأنهم قد بلغوا و جاز ذلك لإعلام النبى صلى الله عليه و آله إياهم بذلك و قوله «وَ يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» أى شاهدا عليكم بما يكون من أعمالكم و قيل حجة عليكم و قيل شهيدا لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به و تكون على معنى اللام كقوله وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ أى للنصب و قوله «وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» قيل معنى كنت عليها صرت عليها و أنت عليها يعنى الكعبة كقوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» أى خير أمه و قيل هو الأصح يعنى بيت المقدس الذى كانوا يصلون إليها أى صرفناك عن القبلة التى كنت عليها إلا- لنعلم أو ما جعلنا القبلة التى كنت عليها فصرفناك عنها «إِلَّا لِنَعْلَمَ» و حذف لدلاله الكلام عليه و فى قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» أقوال (أولها) أن معناه ليعلم حزبنا من النبى و المؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا أو فعلنا كذا أى فتح أوليائنا و الثانى أن معناه ليحصل المعلوم موجودا و تقديره ليعلم أنه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده و الثالث أن معناه لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذى كأنه لا- يعلم إذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم أنه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما و الرابع ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه و هو أن قوله «لِنَعْلَمَ» تقتضى حقيقه أن يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الاتباع فأما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآيه و قوله «مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ» أى يؤمن به و يتبعه فى أقواله و أفعاله «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ» فيه قولان (أحدهما) أن قوما ارتدوا عن الإسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيه من وجوه

الحكمه و الآخر أن المراد به كل مقيم على كفره لأن جهه الاستقامه إقبال و خلافها إدبار و لذلك وصف الكافر بأنه أدبر و استكبر و أنه كذب و تولى أى عن الحق و قوله «وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» الضمير فى كانت يعود إلى القبله على قول أبى العاليه أى و قد كانت القبله كبيره و قيل الضمير يرجع إلى التحويله و ما أرقه القبله الأولى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و هو الأقوى لأن القوم إنما ثقل عليهم التحول لا نفس القبله و قيل الضمير يرجع إلى الصلاه عن ابن زيد و قوله «لَكَبِيرَةً» قال الحسن معناه ثقيله يعنى التحويله إلى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبله أحب إليهم من الكعبه و قيل معناه عظيمه على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمه فأما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم و هم الذين صدقوا الرسول فى التحول إلى الكعبه و إنما خص المؤمنين بأنه هداهم و إن كان قد هدى جميع الخلق لأنه ذكرهم على طريق المدح و لأنهم الذين انتفعوا بهدى الله و غيرهم كأنه لم يتعد بهم و قوله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه لما حولت القبله قال ناس كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى فأنزل الله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» عن ابن عباس و قتاده و قيل أنهم قالوا كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك و كان قد مات أسعد بن زراره و البراء بن معرور و كانا من النقباء فقال «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» أى صلاتكم إلى بيت المقدس و يمكن على هذا أن يحمل الإيمان على أصله فى التصديق أى لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبله (و ثانيها) أنه لما ذكر ما عليهم من المشقه فى التحويله أتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبه و أنه لا يضيع ما عملوه من الكلفه فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمه الحق و الرضا به عن الحسن (و ثالثها) أنه لما ذكر إنعامه عليهم بالتوليه إلى الكعبه ذكر السبب الذى استحقوا به ذلك الإنعام و هو إيمانهم بما حملوه أولاً فقال و ما كان الله ليضيع إيمانكم الذى استحققتهم به تبليغ محبتكم فى التوجه إلى الكعبه عن أبى القاسم البلخى و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» رءوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم و الرأفه أشد الرحمه دل سبحانه بالرأفه و الرحمه على أنه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه و قيل أنه سبحانه دل بقوله «الرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ» على أنه منعم على الناس بتحويل القبله و استدل كثير من العلماء بهذه الآيه على أن إجماع الأمة حجه من حيث أنه و صفتهم بأنهم عدول فإذا عدلهم الله تعالى لم يجز أن تكون شهادتهم مردوده و الصحيح أنها لا تدل على ذلك لأن ظاهر الآيه أن يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفه و معلوم خلاف ذلك و متى حملوا الآيه على بعض الأمة لم يكونوا بأولى ممن يحملها على المعصومين و الأئمه من آل الرسول (عليه السلام) و فى هذه الآيه

دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» فأخبر أنه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة و أنه هو الذي نقله عنها و ذلك هو النسخ.

البقرة (٢): آية ١٤٤

إشارة

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

اللغة

الرؤية هي إدراك الشيء بالبصر و نظيره الإبصار ثم تستعمل بمعنى العلم و التقلب و التحول و التصرف نظائر و هو التحرك في الجهات و يقال وليتك القبلة أى صيرتك تستقبلها بوجهك و ليس هذا المعنى فى فعلت منه لأنك تقول وليت الدار فلا يكون فيه دلالة على أنك واجهتها ففعلت فى هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت الذى هو وليت و قد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة و المواجهه فى نحو قوله وَ يُؤَلُّونَ الدُّبُرَ و قوله يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ فهذا منقول من قولهم دارى تلى داره تقول وليت ميامنه و ولائى ميامنه مثل فرح و فرحته و الرضا و المحبه نظيران و إنما يظهر الفرق بضديهما فالمحبه ضدها البغض و الرضا ضده السخط و هو يرجع إلى الإبراده فإذا قيل رضى عنه فكأنه أراد تعظيمه و ثوابه و إذا قيل رضى عمله فكأنه أراد ذلك و السخط إرادته الانتقام و «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى نحوه و تلقاه قال الشاعر:

و قد أظلكم من شطر ثغركم

هول له ظلم يغشاكم قطعاً

أى من نحو ثغركم و قال:

إن العسير بها داء يخامرها

فشطرها نظر العينين محسور

أى نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرون أى دورهم متصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا أى نحن نحوهم و هم نحونا و قال صاحب العين شطر كل شىء نصفه و شطره

نحوه و قصده و منه المثل احلب حلبا لك شطره أى نصفه و شطرت الشىء أى جعلته و الحرام المحرم كما أن الكتاب بمعنى المكتوب و الحساب بمعنى المحسوب و الحق وضع الشىء فى موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح و الغفله هى السهو عن بعض الأشياء خاصه و إذا كان السهو عاما فهو فوق الغفله لأن النائم لا يقال له غفل إلا مجازا.

الإعراب

«حَيْثُ مَا كُنْتُمْ» موضع كنتم جزم بالشرط و تقديره و حيثما تكونوا و الفاء و ما بعده فى موضع الجزاء و لا يجازى بحيث و إذ حتى يكف كل واحد منهما بما و ذلك لأنهما لا يكونان إلا مضافين إلى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاه بهما فألزمنا فى المجازاه ما لتكفهما عن الإضافه لأن الإضافه تمنع الجزاء بهما و ذلك لأن الفعل إذا وقع فى موضع اسم ارتفع المضاف إليه فى موضع اسم مجرور و موضعه جر بالإضافه فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كفا بما لتهيئهما لجزم فعل الشرط بالجزاء و شطر منصوب على الظرف.

التنزل

قال المفسرون كانت الكعبه أحب القبليتين إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لجبريل وددت أن الله صرفنى عن قبله اليهود إلى غيرها فقال له جبريل (عليه السلام) إنما أنا عبد مثلك و أنت كريم على ربك فادع ربك و سله ثم ارتفع جبريل و جعل رسول الله صلى الله عليه و آله يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذى سأل ربه فأنزله الله تعالى هذه الآية فقال.

المعنى

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ» يا محمد «فِي السَّمَاءِ» لانتظار الوحى فى أمر القبله و قيل فى سبب تقلب النبى وجهه فى السماء قولان (أحدهما) أنه كان وعد بتحويل القبله عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا و توقعا للموعود كما أن من انتظر شيئا فإنه يجعل بصره إلى الجبهه التى يتوقع وروده منها (و الثانى) أنه كان يكره قبله بيت المقدس و يهوى قبله الكعبه و كان لا يسأل الله تعالى ذلك لأنه لا يجوز للأنبيا أن يسألوا الله تعالى شيئا من غير أن يؤذن لهم فيه لأنه يجوز أن لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون إلى ذلك فيكون فتنه لقومهم و اختلف فى سبب إرادته تحويل القبله إلى الكعبه فليل لأن الكعبه

كانت قبله أبيه إبراهيم (عليه السلام) و قبله آبائه عن ابن عباس و قيل لأن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا و يتبع قبلتنا عن مجاهد و قيل إن اليهود قالوا ما درى محمد و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد و قيل كانت العرب يحبون الكعبة و يعظمونها غايه التعظيم فكان في التوجه إليها استماله لقلوبهم ليكونوا أحرص على الصلاه إليها و كان صلى الله عليه و آله حريصا على استدعائهم إلى الدين و يحتمل أن يكون إنما أحب ذلك لجميع هذه الوجوه إذ لا تنافى بينها و قوله «فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» أى فلنصرفنك إلى قبله تريدها و تحبها و إنما أراد به محبه الطباع لا أنه كان يسخط القبلة الأولى «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى حول نفسك نحو المسجد الحرام لأن وجه الشىء نفسه و قيل إنما ذكر الوجه لأن به يظهر التوجه و قال أبو على الجبائى أراد بالشطر النصف فأمره الله تعالى بالتوجه إلى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة و هذا خطأ لأنه خلاف أقوال المفسرين «وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» أى أينما كنتم من الأرض فى بر أو بحر أو سهل أو جبل فولوا ووجهكم نحوه فالأول خطاب للنبي صلى الله عليه و آله و أهل المدينة (و الثانى) خطاب لجميع أهل الآفاق و لو اقتصر على الأول لجاز أن يظن أن ذلك قبلتهم حسب فيين سبحانه أنه قبله لجميع المصلين فى مشارق الأرض و مغاربها و ذكر أبو إسحاق الثعلبى فى كتابه عن ابن عباس أنه قال البيت كله قبله و قبله البيت الباب و البيت قبله أهل المسجد و المسجد قبله أهل الحرم و الحرم قبله أهل الأرض كلها و هذا موافق لما قاله أصحابنا أن الحرم قبله من نأى عن الحرم من أهل الآفاق و قوله «وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أراد به علماء اليهود و قيل علماء اليهود و النصارى «لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى يعلمون أن تحويل القبلة إلى الكعبة حق مأمور به من ربهم و إنما علموا ذلك لأنه كان فى بشاره الأنبياء لهم أن يكون نبي من صفاته كذا و كذا و كان فى صفاته أنه يصلى إلى القبلتين و روى أنهم قالوا عند التحويل ما أمرت بهذا يا محمد و إنما هو شىء تبتدعه من تلقاء نفسك مره إلى هنا و مره إلى هنا فأنزل الله تعالى هذه الآيه و بين أنهم يعلمون خلاف ما يقولون «وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» أى ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه و آله و المعانده و دل هذا على أن المراد بالآيه قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب و على أن يظهروا خلاف ما يبطنون فأما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب و لا يتأتى فيهم كلهم أن يظهروا خلاف ما يعلمون و هذه الآيه ناسخه لفرض التوجه إلى بيت المقدس و قال ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة و قال قتاده نسخت هذه الآيه ما قبلها و قال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنه بالقرآن

و هذا هو الأقوى لأنه ليس فى القرآن ما يدل على التبعيد بالتوجه إلى بيت المقدس و من قال إنها نسخت قوله فَأَيُّمَا تَوْلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

فإن هذه الآيه عندنا مخصوصه بالنوافل فى حال السفر روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و ليست بمنسوخه و اختلف الناس فى صلاه النبى صلى الله عليه و آله إلى بيت المقدس فقال قوم كان (عليه السلام) يصلى بمكه إلى الكعبه فلما هاجر إلى المدينه أمره الله تعالى أن يصلى إلى بيت المقدس ثم أعيد إلى الكعبه و قال قوم كان يصلى بمكه إلى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبه بينه و بينها و لا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه و قال قوم بل كان يصلى بمكه و بعد قدومه المدينه إلى بيت المقدس و لم يكن عليه أن يجعل الكعبه بينه و بينها ثم أمره الله تعالى بالتوجه إلى الكعبه.

البقره (٢): آيه ١٤٥

إشاره

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

الإعراب

اختلف النحويون فى أن لئن لم أجيب بجواب لو فقال الأَخفش أجيب بجواب لو لأن الماضى وليها كما يلى لو فدخلت كل واحده منهما على صاحبها قال سبحانه وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصِيفًا لَظَلُّوا فَجَرَى لئن مجرى لو و قال وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ثم قال لَمُتُوبَةً فَجَرَى مجرى لئن و قال سيبويه و أصحابه أن معنى لظلوا ليلظن فمعنى لئن غير معنى لو و كل واحده منهما على حقيقتها و حقيقه معنى لو أنها يمتنع بها الشىء لامتناع غيره كقولك لو أتيتنى لأكرمتك فامتنع الإكرام لامتناع الإتيان و معنى إن أن يقع بها الشىء لو وقوع غيره تقول إن تأتيتنى أكرمك فالإكرام يقع بوقوع الإتيان و لو لما مضى و إن لما يستقبل و إنما الحق فى الجواب هذا التداخل لدلاله اللام على معنى القسم فمضى ج جواب القسم أغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه و كذلك قوله «إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» ليس بجواب للشرط على الحقيقه و لكنه جواب القسم و قد أغنى عن الجزاء بدلالته عليه و إنما يجاب الشرط بالفعل أو بالفاء أو بإذا على ما هو مشروح فى مواضعه.

المعنى

«وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» فى الكلام معنى القسم أى و الله لئن

أتيت الذين أعطوا الكتاب يعنى أهل العناد من علماء اليهود و النصارى عن الزجاج و البلخى و قيل المعنى به جميع أهل الكتاب عن الحسن و أبى على «بِكُلِّ آيَةٍ» أى بكل حجه و دلاله «ما تَبِعُوا قِبَلَتَكَ» أى لا يجتمعون على اتباع قبلك على القول الثانى و على القول الأول لا- يؤمن منهم أحد لأن المعاند لا تنفعه الدلاله و إنما تنفع الجاهل الذى لا يعلم «و ما أَنْتَ بِتَابِعِ قِبَلَتَهُمْ» فى معناه أربعة أقوال (أحدها) أنه رفع لتجويز النسخ و بيان أن هذه القبله لا تنسخ (و ثانيها) أنه على وجه المقابله لقوله «ما تَبِعُوا قِبَلَتَكَ» كما يقال ما هم بتاركى إنكار الحق و ما أنت بتارك الاعتراف به فيكون الذى جر الكلام الثانى هو التقابل للكلام الأول (و ثالثها) أن المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلكم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه إلى جهه المشرق الموضع الذى ولد فيه عيسى (عليه السلام) و اليهود إلى بيت المقدس فبين الله سبحانه أن إرضاء الفريقين محال (و رابعها) أن المراد حسم أطماع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا فى ذلك و ظنوا أنه يرجع إلى الصلاه إلى بيت المقدس و قوله «و ما بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ» فى معناه قولان (أحدهما) أنه لا- تصير النصارى كلهم يهودا أو تصير اليهود كلهم نصارى أبدا كما لا يتبع جميعهم الإسلام و هذا من الإخبار بالغيب قاله الحسن و السدى (الآخر) أن معناه إسقاط اعتلالهم بأنه لا يجوز مخالفه أهل الكتاب فيما ورثوه عن أنبياء الله و إن بيت المقدس لم يزل كان قبله الأنبياء فهو أولى بأن يكون قبله أى فكما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهه ثالثه فى زمان آخر للاستصلاح و يحتمل أيضا أن يجرى الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت أن يهوديا تنصر و لا أن نصرانيا تهود فلا ضروره بنا إلى العدول عن الظاهر إلى التأويل و هذا قول القاضى و قوله «و لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و فيه أربعة أقوال (أولها) أن المراد به غيره من أمته و إن كان الخطاب له و المراد الدلاله على أن الوعيد يستحق باتباع أهوائهم و أن اتباعهم رده عن الحسن و الزجاج (و ثانيها) أن المراد أن اتبعت أهوائهم فى المداراه لهم حرصا أن يؤمنوا إنك إذا لمن الظالمين لنفسك مع إعلامنا إياك أنهم لا- يؤمنون عن الجبائى و (ثالثها) أن معناه الدلاله على فساد مذاهبهم و تبكيتهم بها و أن من تبعهم كان ظالما (و رابعها) أنه على سبيل الزجر عن الركون إليهم و مقاربتهم تقويه لنفسه و متبعى شريعته ليستمروا على عداوتهم عن القاضى «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من الآيات و الوحى الذى هو طريق العلم و قيل من بعد ما علمت أن الحق ما أنت عليه من القبله و الدين «إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» و قد مضى معناه و هو

مثل قوله لئن أشركت ليحبطن عملك و في هذه الآية دلالة على فساد قول من قال أنه لا يصح الوعيد بشرط و إن من علم الله تعالى أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلاً لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب أنه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب و فيها دلالة على فساد قول من زعم أن في المقدور لطفاً لو فعله الله تعالى بالكافر لآمن لا محاله لقوله إن أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به المعاند لا- ينفعه شيء من الآيات و على قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم أيضاً يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم و فيها دلالة أيضاً على أن جميع الكفار لا يؤمنون.

البقره (٢): آيه ١٤٦

اشاره

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)

المعنى

أخبر الله سبحانه بأنهم يعرفون النبي (عليه السلام) و صحه نبوته فقال «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» أى أعطيناهم «الْكِتَابَ» و هم العلماء منهم «يَعْرِفُونَهُ» أى يعرفون محمداً و أنه حق «كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» قيل و الضمير فى يعرفونه يعود إلى العلم من قوله مِنَ الْعِلْمِ يعنى النبوه و قيل الضمير يعود إلى أمر القبله أى يعرفون أن أمر القبله حق عن ابن عباس فإن قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و هم كانوا يعرفون أبناءهم من جهه الحكم و يعرفون أمر النبى (عليه السلام) من جهه الحقيقه قيل أنه شبه المعرفة بالمعرفه و لم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفه و كل واحده من المعرفتين كالأخرى و إن اختلف الطريقان «وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» إنما خص الفريق منهم لأن من أهل الكتاب من أسلم كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار و غيرهما.

البقره (٢): آيه ١٤٧

اشاره

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)

اللغه

الامتراء الاستخراج و قيل الاستدرار قال الأعشى:

تدر على أسوق الممترين

و كفا إذا ما السحاب ارجحن

يعنى الشاكين فى درورها لطول سيرها و قيل المستخرجين ما عندها قال صاحب

العين المرى مسحك ضرع الناقه تمرىها لتسكن للحلب و الريح تمرى السحاب مريا و المريه من ذلك و المريه الشك و منه الامتراء و التمارى و المماراه و المراء الجدال و أصل الباب الاستدراار يقال بالشكر تتمرى النعم أى تستدر.

الإعراب

الحق مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره ذلك الحق أو هو الحق و مثله مررت برجل كريم زيد أى هو زيد و لو نصب لجاز فى العريبه على تقدير اعلم الحق من ربك أو اقرأ الحق و النون فى لا تكونن نون التأكيد يؤكد بها الأمر و النهى و لا يؤكد بها الخبر لما كان يدل على كون المخبر به و ليس كذلك الأمر و النهى و الاستخبار فألزم الخبر التأكيد بالقسم و جوابه و اختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليبدل على اختلاف المعنى فى المؤكد و لما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد و هو القسم.

المعنى

هو «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» و هو ما آتاه الله من الوحي و الكتاب و الشرائع «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» من الشاكين فى الحق الذى تقدم إخبار الله تعالى به و فى عناد من كتم النبوه و امتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجه و قيل من الممترين فى شىء يلزمك العلم به و هذا أولى لأنه أعم و الخطاب و إن كان متوجها إلى النبى (عليه السلام) فالمراد به الأمة كقوله عز اسمه يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ و أمثاله و قيل الخطاب له لأنه يجوز عليه ذلك لملازمته أمر الله سبحانه و لو لم يكن هناك أمر لم تصح الملازمه و فى هذا دلالة على جواز ثبوت قدره على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبره.

البقره (٢): آيه ١٤٨

اشاره

وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم

هو مولاها و روى ذلك عن ابن عباس و محمد بن على الباقر

و الباقر «هُوَ مُوَلِّيُّهَا».

الإعراب

من قرأ «هُوَ مُوَلِّيُّهَا» فالضمير الذى هو هو الله تعالى و التقدير الله موليها إياه حذف المفعول الثانى لجرى ذكره المظهر و هو كل فى قوله «وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ» و هو مبتدأ و موليها خبره و الجملة التى هى هو موليها فى موضع رفع لكونها وصفا لوجهه من قرأ هو مولاها

فالضمير الذى هو لكل و قد جرى ذكره و قد استوفى الاسم الجارى على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما أحدهما الضمير المرفوع من مولى و الآخر ضمير المؤنث و يجوز أن يكون الضمير الذى هو هو فى قوله «هُوَ مُوَلِّيَّهَا» عائداً إلى كل و التقدير لكل وجهه هو موليها وجهه أى كل أهل وجهه هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة.

اللغة

اختلف أهل العربية فى وجهه فبعضهم يذهب إلى أنه مصدر شذ عن القياس ف جاء مصححا و منهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على أصله و أنه لو كان مصدرا جاء مصححا للزم أن يجىء فعله أيضا مصححا ألا ترى أن هذا المصدر إنما اعتل على الفعل حيث كان عاملا- عمله و كان على حركاته و سكونه فلو صح لصح الفعل لأن هذه الأفعال المعتلة إذا صحت فى موضع تبعها باقى ذلك فوجهه اسم للمتوجه و الوجهه المصدر قالوا وجه الحجر جهة ما له يريدون هنا المصدر و ما زائده و له فى موضع الصفه للنكره و الاستباق و الابتدار و الإسراع نظائر و له فى هذا الأمر سبقه و سابقه و سبق أى سبق الناس إليه.

المعنى

هذا بيان لأمر القبله أيضا و قوله «وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه لكل أهل مله من اليهود و النصارى قبله عن مجاهد و أكثر المفسرين و (ثانيها) أن لكل نبى و صاحب مله وجهه أى طريقه و هى الإسلام و إن اختلفت الأحكام كقوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ يَعْنِي شَرَايعَ الْأَنْبِيَاءِ عَنِ الْحَسَنِ وَ (ثالثها) أن لكل من المسلمين و أهل الكتاب قبله يعنى صلاتهم إلى بيت المقدس و صلاتهم إلى الكعبه عن قتاده و (رابعها) أن لكل قوم من المسلمين وجهه من كان منهم وراء الكعبه أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها و هو اختيار الجبائى «هُوَ مُوَلِّيَّهَا» أى الله موليها إياهم و معنى توليته لهم إياها أنه أمرهم بالتوجه نحوها فى صلاتهم إليها و يدل على ذلك قوله فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا و قيل معناه لكل مولى الوجهه وجهه أو نفسه إلا أنه استغنى عن ذكر النفس و الوجه و كل و إن كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ ف جاء البناء على لفظه فلذلك قال هو فى الكنايه عنه و إن كان المراد به الجمع و المعنى كل جماعه منهم يولونها وجوههم و يستقبلونها و قوله «فَأَسِئْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» معناه سارعوا إلى الخيرات عن الربيع و الخيرات هى الطاعات لله تعالى و قيل معناه بادروا إلى القبول من الله عز و جل فيما يأمركم به مبادره من يطلب السبق إليه عن الزجاج و قيل معناه تنافسوا فيما رغبتم فيه من الخير فلكل عندى ثوابه عن ابن عباس و قوله «أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً» أى حيثما متم من بلاد الله

سبحانه يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة و روى فى أخبار أهل البيت (عليه السلام) أن المراد به أصحاب المهدي فى آخر الزمان

قال الرضا (عليه السلام) و ذلك و الله لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى هو قادر على جمعكم و حشركم و على كل شىء .

البقره (٢): آيه ١٤٩

اشاره

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)

المعنى

«وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» من البلاد «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام و قيل فى تكراره وجوه (أحدها) أنه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد و التبيين لينصرف الخلق إلى الحال الثانيه من الحال الأولى على يقين و (ثانيها) أنه مقدم لما يأتى بعده و يتصل به فأشبهه الاسم الذى تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيره كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل و ما أشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائده به و (ثالثها) أنه فى الأول بيان لحال الحضر و فى الثانى بيان لحال السفر و قوله «وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» معناه و إن التوجه إلى الكعبه الحق المأمور به من ربك و يحتمل أن يراد بالحق الثابت الذى لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بأنه الحق الثابت الذى لا يزول «وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى على ما أنتم عليه فيه و مثله قوله إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.

البقره (٢): آيه ١٥٠

اشاره

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اٰخِشُوْنِي وَ لِأَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

الإعراب

«لِئَلَّا يَكُونَ» هو لأن لا كتبت الهمزه ياء لكسره ما قبلها و ترك نافع همزها

تخفيفاً و أدغمت النون فى اللام و موضع اللام من لثلا- نصب و العامل فيه فولوا و قال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لثلا يكون و كذلك قوله «وَأَلْتَمَّ نِعْمَتِي» اللام تتعلق بقوله فَوَلُّوا و تقديره لأن أتم و قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» فيه أقوال (أحدها) أنه استثناء منقطع كقوله ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظَّنِّ و يقال ما له على حق إلا التعدى و الظلم يعنى لكنه يتعدى و يظلم و قال النابغه:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

و كأنه يقول إن كان فيهم عيب فهذا و ليس هذا بعيب فإذا ليس فيهم عيب و هكذا فى الآية إن كان على المؤمنين حجه فللظالم فى احتجاجه و ليس للظالم حجه فإذا ليس عليهم حجه و (الثانى) أن تكون الحججه بمعنى المحاجه فكأنه قال لثلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و (الثالث) ما قاله أبو عبيده أن إلا هاهنا بمعنى الواو أى و لا الذين ظلموا و أنكر عليه الفراء و المبرد قال الفراء إلا لا يأتى بمعنى الواو من غير أن يتقدمه استثناء كما قال الشاعر:

ما بالمدينه دار غيره واحده

دار الخليفه إلا دار مروانا

أى دار الخليفه و دار مروان و أنشد الأخفش:

و أرى لها دارا بأغدره السيدان

لم يدرس لها رسم

إلا رمادا هامدا دفعت

عنه الرياح خوالد سحم

أى أرى لها دارا و رمادا و قال المبرد لا يجوز أن يكون إلا بمعنى الواو أصلا و (الرابع) أن فيه إضمار على و تقديره إلا على الذين ظلموا منهم فكأنه قال لثلا يكون عليكم حجه إلا على الذين ظلموا فإنه يكون الحججه عليهم و هم الكفار عن قطرب و هو اختيار الأزهري قال على بن عيسى و هذان الوجهان بعيدان و الاختيار القول الأول.

المعنى

قد مضى الكلام فى معنى أول الآية و قيل فى تكراره وجوه (أحدها) أنه لاختلاف المعنى و إن اتفق اللفظ لأن المراد بالأول «و مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» منصرفا عن التوجه إلى بيت المقدس «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و المراد بالثانى أين ما كنت من

البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبه و سائر الأقطار (و ثانيها) أنه من مواضع

ص: ٣٤٣

التأكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب (و ثالثها) أنه لاختلاف المواطن و الأوقات التي تحتاج إلى هذا المعنى فيها و قوله «لَيْتَ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» قيل فيه وجوه (أولها) أن معناه لأن لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجه إذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بأن يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به إذ ذاك نبي يصلى بالقبليتين (و ثانيها) أن معناه لا تعدلوا عما أمركم الله به من التوجه إلى الكعبة فتكون لهم عليكم حجه بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائي (و ثالثها) ما قاله أبو روق إن حجه اليهود أنهم كانوا قد عرفوا أن النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمدا يصلى إلى الصخره احتجوا بذلك فصرفت قبلته إلى الكعبة لئلا- يكون لهم عليه حجه «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» يريد إلا- الظالمين الذين يكتُمون ما عرفوا من أنه يحول إلى الكعبة و على هذا يكون الاستثناء متصلا و قد مضى ذكر ما قيل فيه من الأقوال في الإعراب و إنما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لأن الظالم لا يكون له حجه لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجه و إن كانت باطله كما قال سبحانه حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ و قيل المراد بالذين ظلموا قريش و اليهود فأما قريش فقالوا قد علم أننا على مدى فرجع إلى قبلتنا و سيرجع إلى ديننا و أما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم و إنما فعله برأيه و زعم أنه قد أمر به و قيل المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالمقاتله و قله الاستماع و قوله «فَإِذَا تَخَشَّوهُمْ وَ أَحْشَوْنِي» لما ذكرهم بالظلم و الخصومه و المحاجه طيب نفوس المؤمنين فقال لا- تخافوهم و لا تلتفتوا إلى ما يكون منهم فإن عاقبه السوء عليهم و لا حجه لأحد منهم عليكم و لا يد و قيل لا تخشوهم في استقبال الكعبة و اخشوا عقابي في ترك استقبالها فإني أحفظكم من كيدهم و قوله «وَ لِأَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ» عطف على قوله «لَيْتَ لَوْ» و تقديره لئلا- يكون لأحد عليكم حجه و لأنتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبله إبراهيم (عليه السلام) بين سبحانه أنه حول القبله لهذين الغرضين زوال القاله و تمام النعمه و روى عن ابن عباس أنه قال و لأنتم نعمتي عليكم في الدنيا و الآخرة أما في الدنيا فأنصركم على أعدائكم و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أما في الآخرة فجنتي و رحمتي و

روى عن علي (عليه السلام) قال النعم سته الإسلام و القرآن و محمد صلى الله عليه و آله و الستر و العافيه و الغنى عما في أيدي الناس

«وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكي تهتدوا و لعل من الله واجب عن الحسن و جماعه و قيل لتهتدوا إلى ثوابها و قيل إلى التمسك بها.

البقره (٢): آيه ١٥١

اشاره

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)

الإرسال التوجيه بالرسالة و التحميل لها ليؤدي إلى من قصد و التلاوه ذكر الكلمه بعد الكلمه على نظام متسق و أصله من الاتباع و منه تلاه أى تبعه و التركيه النسبه إلى الإزدياد من الأفعال الحسنه التى ليست بمشوبه و يقال أيضا على معنى التعويض لذلك بالاستدعاء إليه و اللطف فيه يقال زكى فلان فلانا إذا أطراه و مدحه و زكاه حملة على ماله فيه الزكاء و النماء و الطهاره و القدس و الحكمة هى العلم الذى يمكن به الأفعال المستقيمة.

الإعراب

ما فى قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» مصدرية فكأنه قال كإرسالنا فيكم و يحتمل أن تكون كافه كما قال الشاعر:

أ علاقته أم الوليد بعد ما

أفنان رأسك كالثغام المخلص

فإنه يجوز كما زيد محسن إليك فأحسن إلى أسبابه و العامل فى الكاف من قوله «كَمَا» يجوز أن يكون الفعل الذى قبله و هو قوله وَ لِأْتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فعلى هذا لا يوقف عند قوله وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ و يكون الوقف عند قوله ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ و يجوز أن يكون الفعل الذى بعده و هو قوله فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و على هذا يوقف عند قوله تَهْتَدُونَ و يتبدأ بقوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» و لا يوقف عند قوله تَعْلَمُونَ و الأول أحد قولى الزجاج و اختيار الجبائى و الثانى قول مجاهد و الحسن و أحد قولى الزجاج و قوله «مِنْكُمْ» فى موضع نصب لأنه صفة لقوله رَسُولًا و كذلك قوله «يَتْلُوا» و ما بعده فى موضع الصفه.

المعنى

قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» التشبيه فيه على القول الأول معناه أن النعمة فى أمر القبله كالنعمه بالرسالة لأن الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحه و محمود العاقبه و أما على القول الثانى فمعناه أن فى بعثه الرسول منكم إليكم نعمه عليكم لأنه يحصل لكم به عز الرسالة فكما أنعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فادكرونى و اشكروا لى و اعبدونى أنعم عليكم بالجزاء و الثواب و الخطاب للعرب على قول جميع المفسرين و قوله «رَسُولًا» يعنى محمد صلى الله عليه و آله «مِنْكُمْ» بالنسب لأنه من العرب و وجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف و الذكر و أن العرب لم تكن لتتبع رسولا يبعث إليهم من غيرهم مع نخوتهم و عزتهم فى نفوسهم فكون الرسول منهم يكون أدعى لهم إلى الإيمان به

و اتباعه و قوله «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» أراد بها القرآن «وَيُزَكِّيَكُمْ» و يعرضكم لما تكونون به أذكىاء من الأمر بطاعه الله و اتباع مرضاته و يحتمل أن يكون معناه ينسبكم إلى أنكم أذكىاء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به «وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» الكتاب القرآن و الحكمة هي القرآن أيضا جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال الله العالم بالأمور كلها القادر عليها و قيل أراد بالكتاب القرآن و بالحكمة الوحي من السنه و ما لا- يعلم إلا- من جهته من الأحكام و قوله «وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» أى ما لا- سبيل لكم إلى عمله إلا من جهه السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه و يكون التعليم لما عليه دليل من جهه العقل تابعا للنعمة فيه و لا سيما إذا وقع موقع اللطف.

البقره (٢): آيه ١٥٢

إشارة

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

اللغة

الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و قد يكون بالقول و كلاهما يحضر به المعنى للنفس و فى أكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان و ليس ذلك بموجب أن لا يكون إلا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ذاكر له و أصله التنبيه على الشىء فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه و إذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه و الذكر الشرف و النباهه و الفرق بين الذكر و الخاطر أن الخاطر ما يمر بالقلب و الذكر قد يكون القول أيضا و فى قوله «وَ اشْكُرُوا لِي» محذوف أى اشكروا لى نعمتى لأن حقيقه الشكر الاعتراف بالنعمة و فى قوله «وَ لَا تَكْفُرُونِ» أيضا محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة و جحدها لا ستر المنعم و قولهم حمدت زيدا و ذمته لا حذف فيه و إن كنت إنما تحمد أو تذم من أجل الفعل كما أنه ليس فى قولك زيد متحرك حذف و إن كان إنما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف ألا ترى أن قولك زيد ضارب دل على مضرب و ليس بمحذوف فالحمد للشىء دلالة على أنه محسن و الذم للشىء دلالة على أنه مسىء كقولهم نعم الرجل زيد و بئس الرجل عمرو و قالوا شكرتك و شكرت لك و إنما قيل شكرتك لإيقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطه و الأجود شكرت لك النعمة لأنه الأصل فى الكلام قال الشاعر:

هم جمعوا بؤسى و نعمى عليكم

فهلا شكرت القوم إذ لم تقابل

و مثل ذلك نصحتك و نصحت لك ذكرنا الموجه فى حذف الياء فى مثل «وَ لَا تَكْفُرُونِ» فيما مضى.

«فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ» قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ و قيل اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي عن ابن عباس و بيانه قوله وَ الَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا و قيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و قيل اذكروني على ظهر الأرض اذكركم في بطنها و قد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء إذا نسيني الناسون من الورى و قيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى و قيل اذكروني في النعمة و الرخاء اذكركم في الشدة و البلاء و بيانه قوله سبحانه فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و

في الخبر تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة

و قيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالإجابة بيانه قوله اذعوني أستجب لكم و

روى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال قال النبي صلى الله عليه و آله إن الملك ينزل الصحيفة من أول النهار و أول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فأملوا في أولها خيرا و في آخرها خيرا فإن الله يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله فإن الله يقول «فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ»

و قال الربيع في هذه الآية إن الله عز و جل ذاكر من ذكره و زائد من شكره و معذب من كفره و قوله «وَ أَشْكُرُوا لِي» أى اشكروا نعمتى و أظروها و اعترفوا بها «وَ لَا تَكْفُرُونِ» و لا تستروا نعمتى بالجحود يعنى بالنعمة قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ» الآية.

البقرة (٢): آية ١٥٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)

الإعراب

«الَّذِينَ آمَنُوا» موضعه رفع بأنه صفة لأى كما أن الناس كذلك فى قوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ و قد ذكرناه فيما مضى و هو قول جميع النحويين إلا-الأخفش فإنه لا يجعله صفة لأى و يرفعه بأنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يا من هم الذين آمنوا إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أى و إنما حملة على ذلك لزوم البيان لأى فقال الصفة لا تلزم و إنما تلزم الصلة قال على بن عيسى و الوجه عندى أن يكون صفة بمنزلة الصلة فى اللزوم و قد ذكرنا الوجه فى لزومها أيضا عند قوله سبحانه يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ و قال أبو على لا يجوز أن يكون أى فى النداء موصوله لأنها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحده من الجمل الأربع و لم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشىء من الأسماء الموصولة فى

موضع و لجاز أيضا أن يقال يا أيها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز أن يكون مقصورا على المعرفه بالألف و اللام و لا يغير عنه و فى امتناع جميع النحويين من إجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول و أيضا فلو كانت موصوله للزم جواز إظهار المبتدأ المحذوف من الصله و كان يجوز يا أيها هو الرجل و يا أيها هى المرأه و لا خلاف فى أنه لا يجوز ذلك.

المعنى

قد مضى تفسير قوله «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» فيما مضى يخاطب المؤمنين فيقول «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ» أى بحبس النفس عما تشتهيه من المقبحات و حملها على ما تنفر منه من الطاعات و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله الصبر صبران صبر على ما تكره و صبر عما تحب

و بالصلاه لما فيها من الذكر و الخشوع لله و تلاوه القرآن الذى يتضمن ذكر الوعد و الوعيد و الهدى و البيان و ما هذه صفته يدعو إلى الحسنات و يزجر عن السيئات و اختلف فى أن الاستعانه بهما على ما ذا ف قيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعه على غيره من الطاعات و قيل على الجهاد فى سبيل الله و قوله «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أنه معهم بالمعونه و النصره كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (و الآخر) أن المراد هو معهم بالتوفيق و التسديد أى يسهل عليهم أداء العبادات و الاجتناب من المقبحات و نظيره قوله سبحانه وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى و لا يجوز أن يكون مع هنا بمعنى الاجتماع فى المكان لأن ذلك من صفات الأجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و فى الآية دلالة على أن فى الصلاه لطفًا للعبد لأنه سبحانه أمرنا بالاستعانه بها و يؤيده قوله سبحانه إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

البقره (٢): آيه ١٥٤

إشارة

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)

اللغة

السبيل الطريق و سبيل الله طريق مرضاته و إنما قيل للجهاد سبيل الله لأنه طريق إلى ثواب الله عز و جل و القتل هو نقض بنيه الحياه و الموت عند من قال أنه معنى عرض ينافى الحياه منافاه التعاقب و من قال أنه ليس بمعنى قال هو عباره عن بطلان الحياه و هو الأصح فأما الحياه فلا خلاف فى أنها معنى و هى عرض يصير الجملة كالشئ الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا و لا يقدر على فعل الحياه إلا الله سبحانه

و الشعور هو ابتداء العلم بالشىء من جهة المشاعر و هى الحواس و لذلك لا- يوصف تعالى بأنه شاعر و لا بأنه يشعر و إنما يوصف بأنه عالم و يعلم و قيل إن الشعور هو إدراك ما دق للطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته و منه الشاعر لأنه يفتن من إقامة الوزن و حسن النظم لما لا يفتن له غيره.

الإعراب

قوله «أموات» مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم أموات و لا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لأن حسنا فى موضع المصدر كأنه قال قلت قولاً حسناً فأما قوله وَ يَقُولُونَ طَاعَةً فيجوز فيه النصب فى العريه على تقدير نطيع طاعه و الفرق بين بل و لكن أن لكن نفى لأحد الشئيين و إثبات للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو و ليس كذلك بل لأنها إضراب عن الأول و إثبات للثانى و لذلك وقعت فى الإيجاب كقولك قام زيد بل عمرو.

النزول

عن ابن عباس أنها نزلت فى قتلى بدر و قتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً سته من المهاجرين و ثمانية من الأنصار و كانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

لما أمر الله سبحانه بالصبر و الصلاه للزيادة فى القوه بهما على الجهاد قال «و لا تقولوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ» فهى أن يسمى من قتل فى الجهاد أمواتاً «بَلْ أَحْيَاءٌ» أى بل هم أحياء و قيل فيه أقوال (أحدها) و هو الصحيح أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة و هو قول ابن عباس و قتاده و مجاهد و إليه ذهب الحسن و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و اختاره الجبائى و الرماني و جميع المفسرين (و الثانى) أن المشركين كانوا يقولون إن أصحاب محمد يقتلون نفوسهم فى الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فأعلمهم الله أنه ليس الأمر على ما قالوه و أنهم سيحيون يوم القيامة و يثابون عن البلخى و لم يذكر ذلك غيره و (الثالث) معناه لا تقولوا هم أموات فى الدين بل هم أحياء بالطاعة و الهدى و مثله قوله سبحانه أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ فجعل الضلال موتاً و الهداية حياه عن الأصم و (الرابع) أن المراد أنهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر و الثناء كما

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله هللك خزان الأموال و العلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقوده و آثارهم فى القلوب موجوده

و المعتمد هو القول الأول لأن عليه

إجماع المفسرين و لأن الخطاب للمؤمنين و كانوا يعلمون أن الشهداء على الحق و الهدى و أنهم ينشرون و يحيون يوم القيامة فلا- يجوز أن يقال لهم «وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» من حيث أنهم كانوا يشعرون ذلك و يقرون به و لأن حمله على ذلك يبطل فائده تخصيصهم بالذكر و لو كانوا أيضا أحياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضا و لكن لا تشعرون لأنهم كانوا يشعرون ذلك و وجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياء و إن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياء في البرزخ أنه على وجه التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون كما في الآية الأخرى يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ قِيلَ نَحْنُ نَرَى جِثَّ الشَّهَدَاءِ مَطْرُوحَةً عَلَى الْأَرْضِ لَا تَنْصَرِفُ وَ لَا يَرَى فِيهَا شَيْءٌ مِنْ عِلْمَاتِ الْأَحْيَاءِ فَالْجَوَابُ أَنَّ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ لَهُمْ أَجْسَامًا كَأَجْسَامِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا دُونَ أَجْسَامِهِمُ الَّتِي فِي الْقُبُورِ فَإِنَّ النِّعَمَ وَ الْعَذَابَ إِنَّمَا يَحْصُلُ عِنْدَهُ إِلَى النَّفْسِ الَّتِي هِيَ الْإِنْسَانُ الْمَكْلُوفُ عِنْدَهُ دُونَ الْجِثَّةِ وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا

رواه الشيخ أبو جعفر في كتاب تهذيب الأحكام مسندا إلى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا فقال ما يقول الناس في أرواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال أبو عبد الله سبحانه الله المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون و يشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا

و

عنه عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أرواح المؤمنين فقال في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان

فأما على مذهب من قال من أصحابنا إن الإنسان هذه الجملة المشاهدة و إن الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان و هو أجزاء الجو فالقول إنه يلطف أجزاء من الإنسان لا- يمكن أن يكون الحي حيا بأقل منها يوصل إليها النعيم و إن لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنه لا معتبر بالأطراف و أجزاء السمن في كون الحي حيا فإن الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيا و ربما قيل بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة و لا تكون ميتة فتصل إليها اللذات كما أن النائم حي و تصل إليه اللذات مع أنه لا يحس و لا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور و الالتذاذ حتى أنه يود أن يطول نومه فلا ينتبه و

قد جاء في الحديث أنه يفسح له مد بصره و يقال له نم نومه العروس

و قوله «وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» أي لا تعلمون أنهم أحياء و في هذه الآية دلالة على صحه مذهبنا في سؤال القبر و إثابه المؤمن

فيه و عقاب العصاه على ما تظاهرت به الأخبار و إنما حمل البلخي الآيه على حياه الحشر لإنكاره عذاب القبر.

البقره (٢): آيه ١٥٥

اشاره

وَ لَنْبَلُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشْرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)

اللغه

البلاء الاختبار و يكون بالخير و الشر و الخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر و الجوع ضد الشبع و هو المخصصه و المجاعه عام فيه جوع و حقيقه الجوع الشهوه الغالبه إلى الطعام و الشبع زوال الشهوه و لا خلاف أن الشهوه معنى فى القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى و الجوع منه و أما الشبع فهو معنى عند أبى على الجبائى و هو فعله تعالى و عند أبى هاشم ليس بمعنى و هكذا القول فى العطش و الرى و النقص نقيض الزيادة و النقصان يكون مصدرا و اسما و نقص الشىء و نقصته لازم و متعد و دخل عليه نقص فى عقله و دينه و لا- يقال نقصان و النقيصه الوقيعه فى الناس و النقيصه انتقاص الحق و تنقصه تناول عرضه و أصل النقص الحط من التمام و المال معروف و أموال العرب أنعامهم و رجل مال أى ذو مال و الثمره أفضل ما تحمله الشجره.

الإعراب

فتحت الواو فى «لَنْبَلُوْكُمْ» كما فتحت الراء فى لَنْصُرَنَّكُمْ و هو أنه بنى على الفتحه لأنها أخف إذا استحق البناء على الحركه كما استحق يا فى النداء حكم البناء على الحركه «مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ» الجار و المجرور صفه شىء .

المعنى

لما بين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال «وَ لَنْبَلُوْكُمْ» أى و لنختبرنكم و معناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم و الخطاب لأصحاب النبى (عليه السلام) عن عطاء و الربيع و لو قيل أنه خطاب لجميع الخلق لكان أيضا صحيحا «بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ» أى بشىء من الخوف و شىء من الجوع و شىء من نقص الأموال فأوجز و إنما قال من الخوف على وجه التبويض لأنه لم يكن مؤبدا و إنما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا أنفسهم على المكاره التى تلحقهم فى نصره النبى صلى الله عليه و آله لما لهم فيها من

المصلحة فأما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة و سبب الجوع تشاغلهم بالجهاد فى سبيل الله عن المعاش و احتياجهم إلى الإنفاق فيه و قيل للقط الذى لحقهم و الجذب الذى أصابهم و سبب نقص الأموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة و نقص الأنفس بالقتل فى الحروب مع رسول الله صلى الله عليه و آله و قيل نقص الأموال بهلاك المواشى «وَ الْأَنْفُسِ» بالموت و قوله «وَ الثَّمَرَاتِ» قيل أراد ذهاب حمل الأشجار بالجوانح و قله النبات و ارتفاع البركات و قيل أراد به الأولاد لأن الولد ثمره القلب و إنما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان و عن مناكحه النسوان فيقل نزل البساتين و حمل البنات و البنين و وجه الابتلاء بهذه الأشياء ما تقتضيه الحكمة من الألفاظ و دقائق المصالح و الأغراض و يدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الأعراض و قيل فى وجه اللطف فى ذلك قولان (أحدهما) أن من جاء من بعدهم إذا أصابهم مثل هذه الأمور علموا أنه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجه و حط مرتبه فإن قد أصاب ذلك من هو أعلى درجه منهم و هم أصحاب النبى صلى الله عليه و آله (و الآخر) أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق فى نصره الرسول و موافقتهم له و تنالهم هذه المكارة فلا يتغيرون فى قوه البصيره و نقاء السريه علموا أنهم إنما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين و كونهم من معرفه صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم إلى قبول الإسلام و الدخول فى جملة المسلمين و قوله «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» أى أخبرهم بما لهم على الصبر فى تلك المشاق و المكارة من المثوبه الجزيله و العاقبه الجميله.

البقره (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧

إشاره

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٥٧)

القراءه

أمال الكسائى فى بعض الروايات النون من إنا و اللام من لله و الباكون بالتفخيم.

الإعراب

و إنما جازت الإماله فى هذه الألف مع اسم الله للكسره مع كثره الاستعمال حتى صارت بمنزله الكلمه الواحده قال الفراء لا يجوز إماله إنا مع غير الاسم الله تعالى فى مثل قولك إنا لزيد و إنما لم يجر ذلك لأن الأصل فى الحروف و ما جرى مجراها امتناع الإماله فيها فلا يجوز إماله حتى و لكن ما أشبه ذلك لأن الحروف بمنزله

بعض الكلمه من حيث امتنع فيها التصريف الذى يكون فى الأسماء و الأفعال.

اللغه

المصيبه المشقه الداخله على النفس لما يلحقها من المضره و هو من الإصابه كأنها تصيبها بالنكبه و الرجوع مصير الشىء إلى ما كان يقال رجعت الدار إلى فلان إذا ملكها مره ثانيه و هو نظير العود و المصير و الاهتداء الإصابه لطريق الحق.

المعنى

ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ» أى نالتهم نكبه فى النفس أو المال فوطنوا أنفسهم على ذلك احتسابا للأجر «قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ» هذا إقرار بالعبوديه أى نحن عبيد الله و ملكه «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» هذا إقرار بالبعث و النشور أى نحن إلى حكمه نصير و لهذا

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إن قولنا «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار على أنفسنا بالملك و قولنا «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إقرار على أنفسنا بالهلك و إنما كانت هذه اللفظه تعزیه عن المصيبه لما فيها من الدلاله على أن الله تعالى يجبرها إن كانت عدلا و ينصف من فاعلها إن كانت ظلما و تقديره إن الله تسليما لأمره و رضاء بتدبيره و إنا إليه راجعون ثقة بأنا نصير إلى عدله و انفراده بالحكم فى أموره و فى الحديث من استرجع عند المصيبه جبر الله مصيبته و أحسن عقابه و جعل له خلفا صالحا يرضاه

و

قال (عليه السلام) من أصيب بمصيبه فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب

و

روى الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و آله قال أربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة من كانت عصمته شهاده أن لا إله إلا الله و من إذا أنعم الله عليه النعمه قال الحمد لله و من إذا أصاب ذنبا قال أستغفر الله و من إذا أصابته مصيبه قال «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»

و قوله «أُولَئِكَ» إشاره إلى الذين وصفهم من الصابرين «عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ثناء جميل من ربهم و تركيه و هو بمعنى الدعاء لأن الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم كما أن الدعاء يدعى به مره بعد مره ففيه معنى اللزوم و قيل بركات من ربهم عن ابن عباس و قيل مغفره من ربهم «وَ رَحْمَةٌ» أى نعمه عاجلا و آجلا فالرحمه النعمه على المحتاج و كل أحد يحتاج إلى نعمه الله فى دنياه و عقباه «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» أى المصيبون طريق الحق فى الاسترجاع و قيل إلى الجنة و الثواب و كان عمر بن الخطاب إذا قرأ هذه الآيه قال نعم العدلان و نعمت العلأوه.

اشاره

إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَيَّجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم من يطوع بالياء و تشديد الطاء و الواو و كذلك ما بعده و وافقهم زيد و رويس عن يعقوب فى الأول و الباقرن «تَطَوَّعَ» على أنه فعل ماض روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) و ابن عباس و أنس و سعيد بن جبير و أبى بن كعب و ابن مسعود ألا يطوف بهما.

الإعراب

يمكن أن يكون لا على هذه القراءه زائده كما فى قوله لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَى ليعلم و كقوله:

من غير لا عصف و لا اصطراف

أى من غير عصف و يطوع تقديره يتطوع إلا أنه أدغم التاء فى الطاء لتقاربهما.

اللغه

الصفاء فى الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو واحده صفاه قال امرؤ القيس:

لها كفل كصفاه المسيل

أبرز عنها جحاف مضر

فهو مثل حصاه و حصى و نواه و نوى و قيل إن الصفاء واحد قال المبرد الصفاء كل حجر لا يخلطه غيره من طين أو تراب و إنما اشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص و أصله من الواو لأنك تقول فى تثنيته صفوان و لا يجوز إمالته و المروه فى الأصل الحجارة الصلبه اللينه و قيل الحصاه الصغيره و المروه لغه فى المروه و قيل هو جمع مثل تمره و تمر قال أبو ذؤيب:

حتى كانى للحوادث مروه

بصفا المشرق كل يوم تفرع

و المرونبت و أصله الصلابه فالنبت إنما سمي بذلك لصلابه بزره و قد صار اسمين لجبلين معروفين بمكه و الألف و اللام فيهما للتعريف لا للجنس و الشعائر المعالم للأعمال و شعائر الله معالمه التى جعلها مواطن للعباده و كل معلم لعباده من دعاء أو

صلاه أو غيرهما فهو مشعر لتلك العباده و واحد الشعائر شعيره فشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحرف من شعرت به أى علمت قال الكميت:

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم

شعائر قربان بهم يتقرب

ص: ٣٥٤

و الحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار و في الشريعة عباره عن قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام و الطواف و السعى و الوقوف بالموقفين و غير ذلك قال الشاعر:

و أشهد من عوف حلولا كثيره

يحجون بيت الزبيرقان المزعفرا

يعنى يكثرون التردد إليه لسؤدده و العمره هى الزياره أخذ من العماره لأن الزائر يعمر المكان بزيارته و هى فى الشرع زياره البيت بالعمل المشروع و الجناح الميل عن الحق يقال جنح إليه جنوحا إذا مال و أجنحته فاجتنح أى أملتة فمال و جناحا الطائر يده و يدا الإنسان جناحاه و جناحا العسكر جانباه و الطواف الدوران حول الشىء و منه الطائف و فى عرف الشرع الدور حول البيت و الطائفه الجماعه كالحلقه الدائره و يطوف أصله يتطوف و مثله يطوع و الفرق بين الطاعه و التطوع أن الطاعه موافقه الإراده فى الفريضه و النافله و التطوع التبرع بالنافله خاصه و أصلهما من الطوع الذى هو الانقياد و الشاكر فاعل الشكر و إنما يوصف سبحانه بأنه شاكر مجازا و توسعا لأنه فى الأصل هو المظهر للإنعام عليه و الله يتعالى عن أن يكون عليه نعمه لأحد.

الإعراب

قوله «فَمَنْ حَجَّ» «وَمَنْ تَطَوَّعَ» يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون من موصولا-بمنزله الذى و الآخر أن يكون للجزاء فإن كان موصولا فلا موضع للفعل الذى بعده هو مع صلته فى موضع رفع الابتداء و الفاء على هذا مع ما بعده فى قوله «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ» فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الموصول و إن كان للجزاء كان الفعل الذى بعده فى موضع الجزم و كانت الفاء مع ما بعدها أيضا فى موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم الذى هو جزاء و الفعل الذى هو حج أو تطوع على لفظ الماضى و التقدير به المستقبل كما أن ذلك فى قولك إن أكرمتنى أكرمتك كذلك و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» إنما يصح أن يقع موقع الجزاء أو موقع خبر المبتدأ و إن لم يكن فيه ضمير عائد لأن تقديره يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاه و إيجاب المكافاه و إنما دخلت الفاء فى خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء و إن لم يكن فى موضع الجزم ألا ترى أن هذه الفاء تؤذن بأن الثانى وجب لوجوب الأول.

المعنى

لما ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف و الإلزام مره و بالمصائب و الآلام أخرى ذكر سبحانه أن من جملة ذلك أمر الحج فقال «إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أى إنهما من أعلام متعبداته و قيل من مواضع نسكه و طاعاته عن ابن عباس و قيل من دين

الله عن الحسن و قيل فيه حذف و تقديره الطواف بين الصفا و المروه من شعائر الله و

روى عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال نزل آدم على الصفا و نزلت حواء على المروه فسمى الصفا باسم آدم المصطفى و سميت المروه باسم المرأه

و قوله «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ» أى قصده بالأفعال المشروعه «أَوْ اغْتَمَرَ» أى أتى بالعمره بالمناسك المشروعه و قوله «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» أى لا حرج عليه «أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»

قال الصادق (عليه السلام) كان المسلمون يرون أن الصفا و المروه مما ابتدع أهل الجاهليه فأنزل الله هذه الآيه و إنما قال «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» و هو واجب أو طاعه على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف و على المروه صنم يقال له نائله و كان المشركون إذا طافوا بهما مسحوا فتخرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآيه

عن الشعبى و كثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما إلى تخرجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا إلى عين الطواف كما لو كان الإنسان محبوسا فى موضع لا يمكنه الصلاه إلا بالتوجه إلى ما يكره التوجه إليه من المخرج و غيره فيقال له لا جناح عليك فى الصلاه إلى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح إلى عين الصلاه لأن عين الصلاه واجبه إنما يرجع إلى التوجه إلى ذلك المكان و رويت روايه أخرى

عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه كان ذلك فى عمره القضاء و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و آله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقبل له إن فلانا لم يطف و قد أعيدت الأصنام فنزلت هذه الآيه «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» أى و الأصنام عليهما قال فكان الناس يسعون و الأصنام على حالها فلما حج النبى صلى الله عليه و آله رمى بها

و قوله «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» فيه أقوال (أولها) أن معناه من تبرع بالطواف و السعى بين الصفا و المروه بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس و غيره (و ثانيها) أن معناه من تطوع بالحج و العمره بعد أداء الحج و العمره المفروضين عن الأصم (و ثالثها) أن معناه من تطوع بالخيرات و أنواع الطاعات عن الحسن و من قال إن السعى ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعى بين الصفا و المروه و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» أى مجازيه على ذلك و إنما ذكر لفظ الشاكر تلطفا بعباده و مظاهره فى الإحسان و الإنعام إليهم كما قال مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا و الله سبحانه لا يستقرض عن عوز و لكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف أى يعامل عباده معامله المستقرض من حيث إن العبد ينفق فى حال غناه فيأخذ أضعاف ذلك فى حال فقره و حاجته و كذلك لما كان يعامل عباده معامله الشاكرين من حيث أنه يوجب الثناء له و الثواب سمي نفسه شاكرا و قوله «عَلِيمٌ» أى بما تفعلونه من الأفعال فيجازيكم عليها

وقيل عليم بقدر الجزاء فلا- يبخس أحدا حقه و في هذه الآية دلالة على أن السعي بين الصفا و المروه عباده و لا خلاف في ذلك و هو عندنا فرض واجب في الحج و في العمره و به قال الحسن و عائشه و هو مذهب الشافعي و أصحابه و قال إن السنه أوجبت السعي و هو

قوله صلى الله عليه و آله كتب عليكم السعي فاسعوا

فأما ظاهر الآية فإنما يدل على إباحه ما كرهوه من السعي و عند أبي حنيفة و أصحابه هو تطوع و هو اختيار الجبائي و روى ذلك عن أنس و ابن عباس و عندنا و عند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له.

البقره (٢): آيه ١٥٩

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)

النزول المعنى بالآيه اليهود و النصارى مثل كعب بن الأشرف و كعب بن أسد و ابن سوريا و زيد بن التابوه و غيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد و نبوته و هم يجدونه مكتوبا في التوراه و الإنجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و أكثر أهل العلم و قيل إنه

المعنى

ثم حث الله سبحانه على إظهار الحق و بيانه و نهى عن إخفائه و كتمانها فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» أى يخفون «ما أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» أى من الحجج المنزله في الكتب «وَ الْهُدَىٰ» أى الدلائل فالأول علوم الشرع و الثانى أدله العقل فعمم بالوعيد في كتمان جميعها و قيل أراد بالبينات الحجج الداله على نبوته (عليه السلام) و بالهدى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع و قيل البيّنات و الهدى هى الأدله و هما بمعنى واحد و إنما كرر لاختلاف لفظيهما «مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ» يعنى فى التوراه و الإنجيل من صفته (عليه السلام) و من الأحكام و قيل فى الكتب المنزله من عند الله و قيل أراد بقوله «ما أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» الكتب المتقدمه و بالكتاب القرآن «أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» أى يبعدهم من رحمته بإيجاب العقوبه لأنه لا يجوز لهم من لا يستحق العقوبه «وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» قيل الملائكه و المؤمنون عن قتاده و الربيع و هو الصحيح لقوله سبحانه «عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ» و قيل دواب الأرض و هوامها تقول منعنا القطر بمعاصى بنى آدم عن

مجاهد و عكرمه و قيل كل شىء سوى الثقلين الجن و الإنس عن ابن عباس و قيل إذا تلا عن الرجلان رجعت اللعنه على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله عن ابن مسعود فإن قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم و هذا الجمع لا يكون إلا للعقلاء قيل لما أضيف إليها فعل ما يعقل عوملت معاملته من يعقل كقوله سبحانه وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لى ساجِدِينَ و إنما أضيف اللعن إلى من لا يعقل لأن الله يلهمهم اللعن عليهم لما فى ذلك من الزجر عن المعاصى لأن الناس إذا علموا أنهم إذا عملوا هذه المعاصى استحقوا اللعن حتى أنه يلعنهم الدواب و الهوام كان لهم فى ذلك أبلغ الزجر و قيل إنما يكون ذلك فى الآخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم و فى هذه الآيه دلالة على أن كتمان الحق مع الحاجة إلى إظهاره من أعظم الكبائر و أن من كتم شيئاً من علوم الدين و فعل مثل فعلهم فهو مثلهم فى عظم الجرم و يلزمه كما لزمهم الوعيد و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار

و فيها أيضاً دلالة على وجوب الدعاء إلى التوحيد و العدل لأن فى كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تأكيداً لما فى العقول من الأدله.

البقره (٢): آيه ١٦٠

إشاره

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)

اللغه

التوبه هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء و ذلك بالتحسر على مواقفته و العزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاوده و اعتبروا قوم ترك المعاوده على مثله فى القبح و هذا أقوى لأن الأمه أجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبه و فيما عداها خلاف و إصلاح العمل هو إخلاصه من قبيح ما يشوبه و التبيين هو التعريض للعلم الذى يمكن به صحه التمييز من البين الذى هو القطع.

الإعراب

موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب و معنى الاستثناء الاختصاص بالشىء دون غيره فإذا قلت جاءنى القوم إلا زيدا فقد اختصاصت زيدا بأنه لم يجرى و إذا قلت ما جاءنى إلا زيد فقد اختصاصته بالمجىء و إذا قلت ما جاءنى زيد إلا راكبا فقد اختصاصته بهذه الحاله دون غيرها من المشى و العدو و غيرهما.

المعنى

ثم استثنى الله سبحانه فى هذه الآيه من تاب و أصلح و بين من جملة من

استحق اللعنه فقال «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» أى ندموا على ما قدموا «وَأَصْلَحُوا» نياتهم فيما يستقبل من الأوقات «وَيَتُوبُوا» اختلف فيه فقال أكثر المفسرين بينوا ما كتموه من البشاره بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبه وإصلاح السريره بالإظهار لذلك فإن من ارتكب المعصيه سرا كفاه التوبه سرا و من أظهر المعصيه يجب عليه أن يظهر التوبه وقيل بينوا التوبه بإخلاص العمل «فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ» أى أقبل والأصل فى أتوب أفعل التوبه إلا- أنه لما وصل بحرف الإضافه دل على أن معناه أقبل التوبه إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبه والقابل لها للترغيب فى صفه التوبه إذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من إنعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلاله على مفارقه الذنب أن الوصف بها عيب فلذلك جعلت فى أعلى صفات المدح «وَأَنَا التَّوَّابُ» هذه اللفظه للمبالغه إما لكثرة ما يقبل التوبه وإما لأنه لا يرد تائبا منيا أصلا و وصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله «التَّوَّابُ» يدل على أن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل من الله سبحانه و رحمه من جهته على ما قاله أصحابنا و أنه غير واجب عقلا- على ما يذهب إليه المعتزله فإن قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمه إذا كان منعما بسببه كالثواب و العوض لما كان منعما بالتكليف و بالألام التى تستحق بها الأ-عواض جاز أن يطلق عليها اسم النعمه فالجواب أن ذلك إنما قلناه فى الثواب و العوض ضروره و لا ضروره هاهنا تدعو إلى ارتكابه.

البقره (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)

اللغه

واحد الناس إنسان فى المعنى فأما فى اللفظ فلا واحد له فهو كافر و رهط مما يقال إنه اسم للجمع و الخلود اللزوم أبدا و البقاء الوجود فى وقتين فصاعدا و لذلك لم يجر فى صفات الله تعالى خالد و جاز باق و لذلك يقال أخلد إلى قوله أى لزم معنى ما أتى به و منه قوله وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْمَأْزُصِ أى مال إليها ميل اللازم لها و الفرق بين الخلود و الدوام أن الدوام هو الوجود فى الأزل و إلا- يزال فإذا قيل دام المطر فهو على المبالغه و حقيقته لم يزل من وقت كذا إلى وقت كذا و الخلود هو اللزوم أبدا و التخفيف هو النقصان من المقدار الذى له و العذاب هو الألم الذى له امتداد و الإنظار الإمهال قدر ما يقع النظر

فى الخلاص و أصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو بغيرها من الحواس تقول أنظر الثوب أين هو أى اطلبه أين هو و الفرق بين العذاب و الإيلام أن الإيلام قد يكون بجزء من الألم فى الوقت الواحد مقدار ما يتألم به و العذاب الألم الذى له استمرار فى أوقات و منه العذب لاستمراره فى الحلق و العذبه لاستمرارها بالحركه.

الإعراب

«وَهُمْ كُفَّارٌ» جملة فى موضع الحال و أجمعين تأكيد و إنما أكد به ليرتفع الإيهام و الاحتمال قبل أن ينظر فى تحقيق الاستدلال و لهذا لم يجر الأخفش رأيت أحد الرجلين كليهما و أجاز رأيتهما كليهما لأنك إذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل أزلت الإيهام للفساد و إذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط فى المقصد و أنت لما ذكرت التشبيه فى قولك أحد الرجلين و ذكرت أحدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم و الدليل عليه فأما ذكر التشبيه فى رأيتهما فبمنزلة ذكر الحكم وحده و خالدين منصوب على الحال و العامل فيه الظرف من قوله عَلَيْهِمْ لَأَن فِيهِ مَعْنَى الاستقرار للعه و ذو الحال الهاء و الميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين و قوله «فِيهَا» الهاء يعود إلى اللعنة فى قول الزجاج و إلى النار فى قول أبى العالیه «لَا- يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» جملة فى موضع الحال «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» كذلك و هم تأكيد لضمير فى فعل مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره و لا هم ينظرون هم.

المعنى

لما بين سبحانه حال من كتم الحق و حال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبه منهم أو من الكفار جميعا فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَّأَوْا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى ماتوا مصرين على الكفر و إنما قال «وَمَا تَوَّأَوْا وَ هُمْ كُفَّارٌ» مع أن كل كافر ملعون فى حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت التلافى بالتوبه فلذلك شرط سبحانه و بين أن الكفار لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم و قيل إن هذا الشرط إنما هو فى خلود اللعنة لهم كقوله «خَالِدِينَ فِيهَا» «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ» أى إبعاده من رحمته و عقابه «وَالْمَلَانِيكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» فإن قيل كيف قال «وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» و فى الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه (أحدها) أن كل أحد من الناس يلعن الكافر أما فى الدنيا و أما فى الآخرة أو فيهما جميعا كما قال ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَ (ثانيها) أنه أراد به المؤمنين كأنه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتاده و الربيع و (ثالثها) أنه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين فيدخل فى ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدى و اللعنة إنما تكون من الناس على وجه الدعاء و من الله على

وجه الحكم وقوله «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها أى فى تلك اللعنه عن الزجاج و الجبائى و قيل فى النار لأنه كالمذكور لشهرته فى حال المعذبين و لأن اللعن إبعاد من الرحمه و إيجاب للعقاب و العقاب يكون فى النار و أما الخلود فى اللعنه فيحتمل أمرين (أحدهما) الاستحقاق للعهه بمعنى أنها تحق عليهم أبدا (و الثانى) فى عاقبه اللعنه و هى النار التى لا تبنى أبدا و قوله «لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» أى يكون عذابهم على و تيره واحده فلا يخفف أحيانا و يشتد أحيانا «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يمهلون للاعتذار كما قال سبحانه «وَلَا يُؤَذَّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» قطعاً لطمعهم فى التوبه عن أبى العاليه و قيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر.

البقره (٢): آيه ١٦٣

إشاره

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)

اللغه

واحد شىء لا ينقسم عددا كان أو غيره و يجرى على وجهين على الحكم و على جهه الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فإنه لا ينقسم من جهه أنه جزء و الوصف كقولك إنسان واحد و دار واحده فإنه لا ينقسم من جهه أنه إنسان.

الإعراب

هو من قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فى موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل إلا زيد كأنك قلت ليس إلا زيد كما تريد من المعنى إذ لم تعتد بغيره و لا يجوز النصب على قولك ما قام أحد إلا زيد لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى و المعنى ذلك و النصب يدل على أن الاعتماد فى الأخبار إنما هو على الأول و العبارة الواضحه إن هو بدل من محل إله قبل التركيب و قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هو إثبات الله سبحانه و هو بمنزله قولك الله الآله وحده و إنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العباده و لا- لم يدل على النفى فى هذا الخبر من قبل أنه لم يدل على إله موجود و لا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى إلهها مع الله و إنما النفى إخبار بعدم شىء كما أن الإثبات إخبار بوجوده.

النزول

ابن عباس قال إن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا و انسب لنا ربك فأنزل الله هذه الآية و سوره الإخلاص.

المعنى

«وَإِلَهُكُمْ» أى خالقكم و المنعم عليكم بالنعم التى لا يقدر عليها غيره و الذى تحق له العباده و قال على بن عيسى معنى إله هو المستحق للعباده و هذا غلط لأنه لو

كان كذلك لما كان القديم سبحانه إلها فيما لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة و معنى قولنا إنه تحق له العبادة أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة و قوله «إِلَهُ وَاحِدٌ» وصفه سبحانه بأنه واحد على أربعة أوجه (أحدها) أنه ليس بذى أبعاد و لا يجوز عليه الانقسام و لا يحتمل التجزئه (و الثانى) أنه واحد لا نظير له و لا شبيه له (و الثالث) أنه واحد فى الإلهيه و استحقاق العباده (و الرابع) أنه واحد فى صفاته التى يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا الله تعالى بأنه قديم أنه المختص بهذه الصفه لا- يشاركه فيها غيره و وصفنا له بأنه عالم قادر أنه المختص بكيفيه استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به أنه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل و قادر على الأجناس كلها لا يجوز عليه العجز و وصفنا له بأنه حى باق أنه لا يجوز عليه الموت و الفناء فصار الاختصاص بكيفيه الصفات كالاختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره و قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هذه كلمه لإثبات الإلهيه لله تعالى وحده و معناه الله هو الإله وحده و اختلف فى أنه هل فيها نفى المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نفى المثل عنه لأن النفى إنما يصح فى موجود أو معدوم و الله عز اسمه ليس له مثل موجود و لا معدوم و قال بعضهم فيها نفى المثل المقدر عن الله سبحانه و قوله «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» إنما قرن «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» بقوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لأنه بين به سبب استحقاق العباده على عباده و هو ما أنعم عليهم من النعم العظام التى لا يقدر عليها أحد غيره فإن رحمه هى النعمه على المحتاج إليها و قد ذكرنا معنى «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» فيما مضى.

النظم

الآيه متصله بما قبلها و بما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنه بالسيئه لتمحو أثرها و يحذر من مواقعتها لأنه لما ذكر الشرك و أحكامه أتبع ذلك بذكر التوحيد و أحكامه و اتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلاله على صحته لأن ما ذكر فى الآيه التى بعدها هى الحجه على صحه التوحيد.

البقره (٢): آيه ١٦٤

اشاره

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

ص: ٣٦٢

قرأ حمزه والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف ولايم وقرأ أبو جعفر «الرَّيَّاحِ» على الجمع كل القرآن إلا في الذاريات وقرأ أبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم «الرَّيَّاحِ» في عشره مواضع في البقره والأعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين و فاطر والجاثيه وقرأ نافع اثني عشر موضعاً هذه العشره وفي إبراهيم وعسق وقرأ ابن كثير في خمسه مواضع البقره والحجر والكهف وأول الروم والجاثيه وقرأ الكسائي الرَّيَّاحِ* في ثلاثه مواضع في الحجر والفرقان وأول الروم و وافقه حمزه إلا في الحجر.

الإعراب

قال ابن عباس «الرَّيَّاحِ» للرحمه والريح للعذاب و

روى أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا

و يقوى هذا الخبر قوله سبحانه وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ و يشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وآله إنما قصد بقوله هذا الموضع و بقوله ولا تجعلها ريحا قوله سبحانه وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ و قد تختص اللفظه في التنزيل بشيء فيكون أماره له فمن ذلك أن عامه ما جاء في القرآن من قوله ما يُدْرِيكَ* مبهم غير مبين و ما كان من لفظ ما أدراك* مفسر كقوله وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ وَ مَا الْقَارِعَةُ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ قال أبو على «وَ تَضْيِرِيفِ الرِّيحِ» على الجمع أولى لأن كل واحده من الرياح مثل الأخرى في دلالتها على التوحيد و من وحد فإنه أراد الجنس كما قالوا أهلكت الناس الدينار و الدرهم فأما قوله وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً و إن كانت الرياح كلها سخرت له فالمراد بها الجنس و الكثره و إن كانت قد سخرت له ريح بعينها كان كقولك الرجل و أنت تريد به العهد و أما قوله وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فَهِيَ واحده يدللك عليه قوله فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحاً صَرْصِراً و

في الحديث نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور

فهذا يدل على أنها واحده.

اللغه

الخلق هو الإحداث للشئ على تقدير من غير احتذاء على مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله سبحانه لأنه لا أحد سوى الله يكون جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال و قد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا

بمعنى المرضى و هو بمنزله المصدر و ليس معنى المصدر بمعنى المخلوق و اختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الإرادة له و قال آخرون إنما هو على معنى مقدر كقولك وجود و عدم و حدوث و قدم و هذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعانى المختلفه و إلا فالمعنى بها هذا الموصوف فى الحقيقه و السماوات جمع السماء و كل سقف سماء غير أنه إذا أطلق لم يفهم منه غير السماوات السبع و إنما جمعت السماوات و وحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع فى قوله فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ و قوله خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ جمع لثلاثا يوهم التوحيد معنى الواحد من هذه السبع و قوله وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ و إن دل على معنى السبع فإنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيل فى اللفظ و أيضا فإن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذى لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف و ليس تجرى السماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دبر فى كل سماء أمرها التدبير الذى هو حقها و الاختلاف نقيض الاتفاق و «اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أخذ من الخلف لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبه و قيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الإدراك و المختلفان ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته و الليل هو الظلام المعاقب للنهار واحده ليله فهو مثل تمر و تمره و النهار هو الضياء المتسع و أصله الاتساع و منه قول الشاعر:

ملكته بها كفى فأنهت فتقها

يرى قائم من دونها ما وراءها

أى أوسعت و إنما جمعت الليله و لم يجمع النهار لأن النهار بمنزله المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير و القليل على أنه قد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ و قال الشاعر:

لولا الثريدان هلكننا بالضم

ثريد ليل و ثريد بالنهر

و الفلك السفن تقع على الواحد و الجمع و الفلك فلك السماء و كل مستدير فلك فإن صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصه و قيل بل اسم لإطباق سبعة فيها النجوم و فلكت الجارية إذا استدار ثديها و أصل الباب الدور و ما أنزل الله من السماء و قال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شىء علا شيئا فهو سماء له و قال على بن عيسى قيل إن السحاب بخارات تصعد من الأرض و ذلك جائز لا يقطع به و لا مانع من صحته من دليل عقل و لا سمع و السماء السقف قال سبحانه وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا فَالسماء المعروفة سقف

الأرض و أصله من السمو و هو العلو فالسماء الطبقة العاليه على الطبقة السافله و الأرض الطبقة السافله و يقال أرض البيت و أرض الغرفه فهو سماء لما تحته من الطبقة السافله و أرض لما فوقه إلا- أنه صار ذلك الاسم بمنزله الصفه الغالبه على السماء المعروفه و هذا الاسم كالعلم على الأرض المعروفه و البحر هو الخرق الواسع للماء الذى يزيد على سعه النهر و المنفعه هى اللذه و السرور أو ما أدى إليهما أو إلى واحد منهما و النفع و الخير و الحظ نظائر و قد تكون المنفعه بالآلام إذا أدت إلى لذات و الإحياء فعل الحياه و حياه الأرض عمارتها بالنبات و موتها خرابها بالجفاف الذى يمتنع معه النبات و البث التفريق و لك شىء بثته فقد فرقته و سمى الغم بثا لتقسم القلب به و الدابه من الدبيب و كل شىء خلقه الله مما يدب فهو دابه و صار بالعرف اسما لما يركب و التصريف التقليل و صرف الدهر تقلبه و جمعه صروف و السحاب مشتق من السحب و هو جرك الشىء على وجه الأرض كما تسحب المرأه ذيلها و كل منجر منسحب و سمى سحابة لانجراره فى السماء و التسخير و التذليل و التمهيد نظائر يقال سخر الله لفلان كذا إذا سهله له و سخرت الرجل إذا كلفته عملا بلا أجره و هى السخره و سخر منه إذا استهزأ به و الرياح أربع الشمال و الجنوب و الصبا و الدبور فالشمال عن يمين القبلة و الجنوب عن يسارها و الصبا و الدبور متقابلان فالصبا من قبل المشرق و الدبور من قبل المغرب و أنشد أبو زيد:

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى

نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

فإذا جاءت الرياح بين الصبا و الشمال فهى النكباء و التى بين الجنوب و الصبا الجرياء و الصبا هى القبول و الجنوب يسمى الأزيب و يسمى النعامى و الشمال يسمى محوه لا تنصرف و يسمى مسعا و نسعا و يسمى الجنوب لاقحا و الشمال حائلا قال أبو داود يصف سحابة:

لقحن ضحيا للقق الجنوب

فأصبحن ينتجن ماء الحيا

قوله للقق الجنوب أى للإلقاح الجنوب و قال زهير:

جرت سنحا فقلت لها مروعا

نوى مشموله فمتى اللقاء

مشموله أى مكروهه لأنهم يكرهون الشمال لبردها و ذهابها بالغيمة فصار كل مكروه

المعنى

لما أخبر الله سبحانه الكفار بأن إلههم إله واحد لا ثانى له قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله سبحانه «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى فى إنشائهما مقدرين على سبيل الاختراع «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر على وجه المعاقبه أو اختلافهما فى الجنس و اللون و الطول و القصر «وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ» أى السفن التى تحمل الأحمال «بِمَا يُنْفَعُ النَّاسَ» خص النفع بالذكر و إن كان فيه نفع و ضرر لأن المراد هنا عد النعم و لأن الضرر غيره إنما يقصد منفعه نفسه و النفع بها يكون بركوبها و الحمل عليها فى التجارات و المكاسب «وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ» أى من نحو السماء عند جميع المفسرين و قيل يريد به السحاب «مِنْ مَاءٍ» يعنى المطر «فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى فعمر به الأرض بعد خرابها لأن الأرض إذا وقع عليها المطر أنبتت و إذا لم يصبها مطر لم تنبت و لم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالبيت و قيل أراد به إحياء أهل الأرض بإحياء الأقوات و غيرها مما تحيى به نفوسهم «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» أى فرق فى الأرض من كل حيوان يدب و أراد بذلك خلقها فى مواضع متفرقه «وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ» أى تقلبيها بأن جعل بعضها صباء و بعضها دبوراً و بعضها شمالاً و بعضها جنوباً و قيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتى بالرحمه و بعضها يأتى بالعذاب عن قتاده و روى أن الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح و لكن قولوا اللهم اجعلها رحمه و لا تجعلها عذاباً «وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ» أى المذلل «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» يصرفها كما يشاء من بلد إلى بلد و من موضع إلى موضع «لآيَاتٍ» أى حججاً و دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» قيل أنه عام فى العقلاء من استدل منهم و من لم يستدل و قيل أنه خاص بمن استدل به لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات و لم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا» وقوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ و ذكر سبحانه الآيات و الدلالات و لم يذكر على ما ذا تدل فحذف لدلاله الكلام عليه و قد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا أما السماوات و الأرض فيدل تغير أجزاءهما و احتمالهما الزيادة و النقصان و إنهما من الحوادث لا ينفكان عن حدوثهما ثم إن حدوثهما و خلقهما يدل على أن لهما خالقاً لا يشبههما و لا يشبهانه لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذى ليس بجسم و لا عرض إذ جميع ما هو بصفه

الأجسام والأعراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحاله التسلسل و يدل كونهما على وجه الإتيان والإحكام و الاتساق و الانتظام على كون فاعلهما عالما حكيما و أما اختلاف الليل و النهار و جريهما على وتيره واحده و أخذ أحدهما من صاحبه الزيادة و النقصان و تعلق ذلك بمجاري الشمس و القمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو و لا يذهل من جهة أنها أفعال محكمة واقعه على نظام و ترتيب لا- يدخلها تفاوت و لا اختلال و أما الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة و اللطافة التي لولاها لما أمكن جرى السفن عليه و تسخير الرياح لإجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء إليه على منعم منهم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر و لا- من قبيل الأجسام لأن الأجسام يتعذر عليها فعل ذلك و أما الماء الذي ينزل من السماء فيدل إنشاؤه و إنزاله قطره قطره لا تلتقى أجزاءه و لا تتألف في الجو فينزل مثل السيل فيخرب البلاد و الدير ثم إمساكه في الهواء مع أن من طبع الماء الانحدار إلى وقت نزوله بقدر الحاجة و في أوقاتها على أن مدبره قادر على ما يشاء من الأمور عالم حكيم خبير و أما إحياء الأرض بعد موتها فيدل بظهور الثمار و أنواع النبات و ما يحصل به من أقوات الخلق و أرزاق الحيوانات و اختلاف طعومها و ألوانها و روائحها و اختلاف مضارها و منافعها في الأغذية و الأدوية على كمال قدرته و بدائع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما أعظم شأنه و أما بث كل دابة فيها فيدل على أن لها صنعا مخالفا لها منعا بأنواع النعم خالقا للذوات المختلفه بالهيئات المختلفه في التراكيب المتنوعه من اللحم و العظم و الأعصاب و العروق و غير ذلك من الأعضاء و الأجزاء المتضمنه لبدائع الفطره و غرائب الحكمه الداله على عظيم قدرته و جسيم نعمته و أما الرياح فيدل تصريفها بتحركها و تفريقها في الجهات مره حاره و مره بارده و تاره لينه و أخرى عاصفه و طورا عقيما و طورا لا قحه على أن مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه إذ لو أجمع الخلق كلهم على أن يجعلوا الصبا دورا أو الشمال جنوبا لما أمكنهم ذلك و أما السحاب المسخر فيدل على أن ممسكه هو القدير الذي لا شبيه له و لا نظير لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام بغير علاقته و لا دعاهه إلا الله سبحانه و تعالى القادر لذاته الذي لا نهايه لمقدوراته فهذه هي الآيات الداله على أن الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شىء عالم لا يخفى عليه شىء حى لا تلحقه الآفات و لا تغيره الحادثات و لا يعزب عنه مثقال ذره في الأرض و لا في السماء و هو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الأشياء على قدمه و أزليته و بما وسمها به من العجز و التسخير على كمال قدرته و بما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته و فيها أيضا أوضح

دلاله على أنه سبحانه المنان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا- يقدر غيره على الإنعام بمثله من جزيل القسم فيعلم بذلك أنه سبحانه الآله الذى لا يستحق العباده سواه و فى هذه الآيه أيضا دلاله على وجوب النظر و الاستدلال و أن ذلك هو الطريق إلى معرفته و فيها البيان لما يجب فيه النظر و إبطال التقليد.

البقره (٢): آيه ١٦٥

إشاره

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب و لو ترى الذين ظلموا بالتاء على الخطاب و قرأ الباقون بالياء و كلهم قرءوا «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» بفتح الياء إلا ابن عامر فإنه قرأ إذ يرون بالضم و قرأ أبو جعفر و يعقوب أن القوه لله و إن الله بكسر الهمزه فيهما و الباقون بفتحها.

الإعراب

قال أبو على حجه من قرأ «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» بالياء أن لفظ الغيبه أولى من لفظ الخطاب من حيث أنه يكون أشبه بما قبله من قوله «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا» و هو أيضا أشبه بما بعده من قوله كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ و حجه من قرأ و لو ترى فجعل الخطاب للنبي (عليه السلام) لكثره ما جاء فى التنزيل من قوله و لَوْ تَرَى و يكون الخطاب للنبي (عليه السلام) و المراد به الكافه و أما فتح أن القوه فيمن قرأ بالتاء فلا يخلو من أن يكون ترى من رؤيه البصر أو المتعديه إلى مفعولين فإن جعلته من رؤيه البصر لم يجز أن يتعدى إلى أن لأنها قد استوفت مفعولها الذى تقتضيه و هو الذين ظلموا و لا يجوز أن تكون المتعديه إلى مفعولين لأن المفعول الثانى فى هذا الباب هو المفعول الأول فى المعنى و قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» لا يكون «الَّذِينَ ظَلَمُوا» فإذا يجب أن يكون منتصبا بفعل آخر غير ترى و ذلك الفعل هو الذى يقدر جوابا لـ لو كأنه قال و لو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لرأوا أن القوه لله جميعا و المعنى أنهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه أنه قوى عزيز و أن الأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك أو شكهم فيه و مذهب من قرأ بالياء أبين لأنهم ينصبون أن بالفعل الظاهر دون المضمرة و الجواب فى هذا النحو يجىء محذوفا فإذا عمل الجواب فى شىء صار بمنزله الأشياء المذكوره فى اللفظ فحمل المفعول عليه

يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآى التى حذفت الأجوبيه معها لتكون أبلغ فى باب التوعيد هذا كلام أبى على الفارسى و نحن نذكر ما قاله غيره فى كسر إن القوه و فتحها فى الإعراب و حجه من قرأ «إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ» قوله وَ رَأُوا الْعَذَابَ و قوله «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» و حجه ابن عامر قوله «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ» لأنك إذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون أعمالهم حسرات.

اللغه

الأنداد و الأشباه و الأمثال نظائر واحدها ند و قيل هى الأضداد و أصل الند المثل المناوى و الحب خلاف البغض و المحبه هى الإراده إلا أن فيها حذفاً لا يكون فى الإراده فإذا قلت أحب زيداً فالمعنى إنى أريد منافعه أو مدحه و إذا قلت أحب الله زيداً فالمعنى أنه يريد ثوابه و تعظيمه و إذا قلت أحب الله فالمعنى أريد طاعته و اتباع أوامره و لا يقال أريد زيداً و لا أن الله يريد المؤمن و لا- أنى أريد الله فاعتيد الحذف فى المحبه و لم يعتد فى الإراده و قيل إن المحبه ليست من جنس الإراده بل هى من جنس ميل الطبع كما تقول أحب و لى أى يميل طبعى إليه و هذا من المجاز بدلاله أنهم يقولون أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أ و يقال أحبه أحباباً و حبه حبا و محبه و أحب البعير أحباباً إذا برك فلا يثور و هو كالحران فى الخيل قال أبو عبيده و منه قوله أَحَبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أى لصقت بالأرض لحب الخيل حتى فاتتنى الصلاه و يرى قال أبو على الفارسى هو من رؤيه العين يدل على ذلك تعديه إلى مفعول واحد تقديره و لو يرون أن القوه لله أى لو يرى الكفار ذلك و يدل عليه قوله «إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ» و الشده قوه العقده و هو ضد الرخاوه و القوه و القدره واحده.

الإعراب

يجوز فتح أن من ثلاثه أوجه و كسرها من ثلاثه أوجه مع القراءه بالياء فأما الفتح (فالأول) أن يفتح بإيقاع الفعل عليها بمعنى المصدر و تقديره و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قوه الله و شده عذابه (و الثانى) أن يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوه لله (و الثالث) على تقدير لرأوا أن القوه لله و أن الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب و أما الوجه الأول فى الكسر فعلى الاستثناف و الثانى على الحكايه مما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا إن القوه لله و الثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون إن القوه لله فأما مع القراءه بالتاء فيجوز أيضا كسر أن من ثلاثه أوجه و فتحها من

ثلاثة أوجه فأما الفتح (فأولها) أن يكون على البديل كقولك و لو ترى الذين ظلموا إن القوه لله عليهم عن الفراء و قال أبو علي و هذا لا يجوز لأن قوله إن القوه ليس الذين ظلموا و لا بعضهم و لا مشتقاً عليهم (و الثاني) أن يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوه (و الثالث) لرأيت أن القوه لله و أما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء و الاختيار مع الياء الفتح و مع التاء الكسر لأن الرؤيه قد وقعت على الذين و جواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضره اتخاذهم الأنداد و لرأوا أمراً عظيماً لا يحصر بالأوهام و حذف الجواب يدل على المبالغه كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلاناً لأن المحذوف يحتمل كل أمر و من قرأ «وَلَوْ يَرَى» بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بأنهم الفاعلون و من قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب و قوله «جَمِيعاً» نصب على الحال كأنه قيل إن القوه ثابتة لله في حال اجتماعها و هو صفة مبالغه بمعنى إذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا أن الله سبحانه قادر لا يعجزه شىء و قوله «يُحِبُّونَهُمْ» في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ و إن كان الضمير في يتخذ على التوحيد لأنه يعود إلى من و يجوز أن يعود إليه الضمير على اللفظ مره و على المعنى أخرى و يجوز أن يكون يحبونهم صفة لقوله «أنداداً» قال أبو علي لو قلت كيف جاء إذ في قوله «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» و هذا أمر مستقبل فالقول أنه جاء على لفظ المضى لإيراده التقريب في ذلك كما جاء و ما أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و إن الساعه قريب و على هذا قوله وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ و من هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله وَ لَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَ لَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

المعنى

«وَمِنَ النَّاسِ» من للتبعيض هاهنا أى بعض الناس «مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً» يعنى آلهتهم من الأوثان التى كانوا يعبدونها عن قتاده و مجاهد و أكثر المفسرين و قيل رؤسائهم الذين يطيعونهم طاعه الأرباب من الرجال عن السدى و على هذا المعنى ما

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال هم أئمة الظلمه و أشياعهم

و قوله «يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ» على هذا القول الأخير أدل لأنه يبعد أن يحبوا الأوثان كحب الله مع علمهم بأنها لا تنفع و لا تضر و يدل أيضاً عليه قوله إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا و معنى يحبونهم يحبون عبادتهم أو التقرب إليهم أو الانقياد لهم أو جميع ذلك كحب الله فيه ثلاثة أقوال (أحدها) كحبكم الله أى كحب المؤمنين الله عن ابن عباس و الحسن (و الثاني) كحبهم الله

يعنى الذين اتخذوا الأنداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين و يعبد معه الأوثان و يسوى بينهما فى المحبه عن أبى على و أبى مسلم (و الثالث) «كَحُبِّ اللَّهِ» أى كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» يعنى حب المؤمنين فوق حب هؤلاء و حبهم أشد من وجوه (أحدها) إخلاصهم العباده و التعظيم له و الثناء عليه من الإشراك (و ثانيها) أنهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداء و أنه يفعل بهم فى جميع أحوالهم ما هو الأصلح لهم فى التدبير و قد أنعم عليهم بالكثير فيعبودونه عباده الشاكرين و يرجون رحمته على يقين فلا بد أن يكون حبهم له أشد (و ثالثها) أنهم يعلمون أن له الصفات العلى و الأسماء الحسنى و أنه الحكيم الخبير الذى لا مثل له و لا نظير يملك النفع و الضر و الثواب و العقاب و إليه المرجع و المآب فهم أشد حبا لله بذلك ممن عبد الأوثان و اختلف فى معنى قوله «أَشَدُّ حُبًّا» فقليل أثبت و أدوم لأن المشرك ينتقل من صنم إلى صنم عن ابن عباس و قيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطه و المشرك يعبده بواسطه عن الحسن و قوله «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» تقديره و لو يرى الظالمون أى يبصرون و قيل لو يعلم هؤلاء الظالمون «إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ» و الصحيح الأول كما تقدم بيانه هذا على قراءه من قرأ بالياء و من قرأ بالتاء فمعناه و لو ترى يا محمد عن الحسن و الخطاب له و المراد غيره و قيل معناه لو ترى أيها السامع أو أيها الإنسان الظالمين إذ يرون العذاب و قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» فيه حذف أى لرأيت أن القوه لله «جَمِيعًا» فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو و من قرأ بالياء فمعناه و لو يرى الظالمون أن القوه لله جميعا لرأوا مضره فعلهم و سوء عاقبتهم و معنى قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» أن الله سبحانه قادر على أخذهم و عقوبتهم و فى هذا وعيد و إشاره إلى أن هؤلاء الجبابره مع تعززهم إذا حشروا ذلوا و تخاذلوا و قد بينا الوجوه فى فتح أن و كسرهما فالمعنى تابع لها و دائر عليها و جواب لو محذوف على جميع الوجوه «وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ» وصف العذاب بالشده توسعا و مبالغه فى الوصف فإن الشده من صفات الأجسام.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الله سبحانه أخبر أن مع وضوح هذه الآيات و الدلالات التى سبق ذكرها أقام قوم على الباطل و إنكار الحق فكأنه قال أ بعد هذا البيان و ظهور البرهان يتخذون من دون الله أندادا.

البقره (٢): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧

اشاره

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

ص: ٣٧١

التبرؤ في اللغة و التفصي و التنزيل نظائر و أصل التبرؤ التولى و التباعد للعداوه و إذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوه التي استحقوها بالمعصيه و أصله من الانفصال و منه برأ من مرضه و برىء يبرأ براء و براء و برىء من الدين براءه و الاتباع طلب الاتفاق في مقال أو فعال أو مكان فإذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان و التقطع التباعد بعد اتصال و السبب الوصله إلى المتعذر بما يصلح من الطلب و الأسباب الوصلات واحدها سبب و منه يسمى الحبل سببا لأنك تتوصل به إلى ما انقطع عنك من ماء بئر أو غيره و مضت سبه من الدهر أى ملاوه و الكره الرجعه قال الأخطل:

و لقد عطفن على فزاره عطفه

كر المنيح و جلن ثم مجالا

و الكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشىء و الكر الحبل الغليظ و قيل الشديد الفتل و الحسرات جمع الحسره و هى أشد الندامه و الفرق بينها و بين الإراده أن الحسره تتعلق بالماضى خاصه و الإراده تتعلق بالمستقبل لأن الحسره إنما هى على ما فأت بوقوعه أو ينقضى وقته و الحسره و الندامه من النظائر يقال حسر يحسر حسرا و حسره إذا كمد على الشىء الفأث و تلهف عليه و أصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامه عن رأسى إذا كشفتها و حسر عن ذراعيه حسرا و الحاسر الذى لا درع عليه و لا مغفر.

الإعراب

العامل فى إذ قوله شَديدُ العِذابِ أى وقت التبرؤ و انتصب فمتبرأ على أنه جواب التمنى بالفاء كأنه قال ليت لنا كرورا فبرأ، و كلما عطف الفعل على ما تأويله

تأويل المصدر نصب بإضمار أن و لا- يجوز إظهارها فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه لأنه لما حمل الأول على التأويل حمل الثانى على التأويل أيضا و يجوز فيه الرفع على الاستئناف أى فحن نترأ منهم على كل حال و أما قوله «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» ففى موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح أن لنا كره لأن لو فى التمنى و فى غيره تطلب الفعل و إن شئت قلت تقديره لو ثبت أن لنا كره و أقول إن جواب لو هنا أيضا فى التقدير محذوف و لذلك أفاد لو فى الكلام معنى التمنى فىكون تقديره لو ثبت أن لنا كره فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك و جازيناهم صاعا بصاع و هذا شىء أخرجه لى الاعتبار و لم أره فى الأصول و هو الصحيح الذى لا غبار عليه و بالله التوفيق و أما العامل فى الكاف من كذلك فقوله «يُرِيهِمُ اللَّهُ» أى يريهم الله أعمالهم حسرات كذلك أى مثل تبرؤ بعضهم من بعض و ذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما و قيل تقديره يريهم أعمالهم حسرات كما أراهم العذاب و ذلك لأنهم أيقنوا بالهلاك فى كل واحد منهما.

المعنى

لما ذكر الذين اتخذوا الأنداد ذكر سوء حالهم فى المعاد فقال سبحانه «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» و هم القاده و الرؤساء من مشركى الإنس عن قتاده و الربيع و عطاء و قيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدى و قيل هم شياطين الجن و الإنس و الأظهر هو الأول «مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» أى من اتباع السفلى «وَرَأَوْا» أى رأى التابعون و المتبوعون «الْعِذَابَ» أى عينوه حين دخلوا النار «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» فيه وجوه (أحدها) الوصلات التى كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد و قتاده و الربيع (و الثانى) الأرحام التى كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (و الثالث) العهود التى كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس أيضا (و الرابع) تقطعت بهم أسباب أعمالهم التى كانوا يوصلونها عن ابن زيد و السدى (و الخامس) تقطعت بهم أسباب النجاه عن أبى على و ظاهر الآيه يحتمل الكل فىنبغى أن يحمل على عمومه فكأنه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به فلا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزله أو قرابه أو موده أو حلف أو عهد على ما كانوا ينتفعون بها فى الدنيا و ذلك نهايه فى الإياس «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» يعنى الأتباع «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» أى عوده إلى دار الدنيا و حال التكليف «فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ» أى من القاده فى الدنيا «كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا» فى الآخرة «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ» (أحدها) أن المراد المعاصى يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع و ابن زيد و هو اختيار الجبائى و البلخى (و الثانى) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها و ضيعوها عن السدى

ما رواه أصحابنا عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال هو الرجل يكتسب المال و لا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الأول ما كسبه حسره في ميزان غيره

(و الرابع) أن الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه و الآيه محتمله لجميع هذه الوجوه فالأولى الحمل على العموم «و ما هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» أى يخلدون فيها بين سبحانه فى الآيه أنهم يتحسرون فى وقت لا- ينفعهم فيه الحسره و ذلك ترغيب فى التحسر فى وقت تنفع فيه الحسره و أكثر المفسرين على أن الآيه وارده فى الكفار كابن عباس و غيره و فى هذه الآيه دلالة على أنهم كانوا قادرين على الطاعة و المعصيه لأن ليس فى المعقول أن يتحسر الإنسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه أو على فعل ما كان لا يمكنه الإتيان به ألا ترى أنه لا يتحسر الإنسان على أنه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود إلى السماء.

البقره (٢): آيه ١٦٨

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)

القراءه

قرأ نافع و أبو عمرو و حمزه و أبو بكر إلا البرجمى خطوات بسكون الطاء حيث وقع و الباقرن بضمها و روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) خطوات بضميتين و همزه و عن أبى السماك خطوات بفتح الخاء و الطاء.

الإعراب

ما كان على فعله من الأسماء فالأصل فى جمعه التثليل نحو غرفه و غرفات و حجره و حجرات لأن التحريك فاصل بين الاسم و الصفه و من أسكنه قال خُطُواتٍ فإنه نوى الضمه و أسكن الكلمه عنها طلبا للخفه و من ضم الخاء و الطاء مع الهمزه فكأنه ذهب بها مذهب الخطيئه فجعل ذلك على مثال فعله من الخطا هذا قول الأخفش و قال أبو حاتم أرادوا إشباع الفتحه فى الواو فانقلبت همزه و من فتح الخاء و الطاء فهو جمع خطوه فيكون مثل تمره و تمرات.

اللغه

الأكل هو البلع عن مضغ و بلع الذهب و اللؤلؤ و ما أشبهه ليس بأكل فى الحقيقه و قد قيل النعام تأكل الجمر فأجروه مجرى أكل الطعام و الحلال هو الجائز من

أفعال العباد ونظيره المباح وأصله الحل نقيض العقد وإنما سمي المباح حلالاً لانحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالاً لأنه أفعاله تعالى حسنه ولا يقال إنها حلال إذ الحلال إطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالاً وحل يحل حلولاً وحل العقد يحله حلالاً وأحل من إحرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب ينغص وهو على ثلاثة أقسام الطيب المستلد والطيب الجائر والطيب الطاهر والأصل هو المستلد إلا أنه وصف به الطاهر والجائر تشبيهاً إذ ما يزرع عنه العقل أو الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما تدعو إليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب النظيف وأصل الباب الطيب خلاف الخبيث والخطوه بعد ما بين قدمي الماشي والخطوه المره من الخطو يقال خطوت خطوه واحده وجمع الخطوه خطى وأصل الخطو نقل القدم و«خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» آثاره والعدو المباعد عن الخير إلى الشر والولى نقيضه.

الإعراب

حلالاً صفة مصدر محذوف أى كلوا شيئاً حلالاً ومن فى قوله «مِمَّا فى الأَرْضِ» يتعلق بكلوا أو بمحذوف يكون معه فى محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله «حلالاً» وقوله «طَيِّباً» صفة بعد صفة.

النزول

عن ابن عباس إنها نزلت فى ثقيف وخزاعه وبنى عامر بن صعصعه وبنى مدلج لما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيره والسائبه والوصيله فنهاهم الله عن ذلك.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر التوحيد وأهله والشرك وأهله أتبع ذلك بذكر ما تتابع منه سبحانه على الفريقين من النعم والإحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما فى ذلك من الجحود لنعمه والكفران فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ» وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بنى آدم «كُلُوا» لفظه الأمر ومعناه الإباحه «مِمَّا فى الأَرْضِ حلالاً طَيِّباً» لما أباح الأكل بين ما يجب أن يكون عليه من الصفة لأن فى المأكل ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكه والحلال يقوى على العباده وإنما يكون حلالاً بأن لا يكون مما تناوله الحظر ولا- يكون لغير الأكل فيه حق وهو يتناول جميع المحللات وأما الطيب فقليل هو الحلال أيضاً فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تأكيداً وقيل معناه ما يستطيبونه ويستلذونه فى العاجل والآجل «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» اختلف فى معناه فقليل أعماله عن ابن عباس وقيل خطاياهم عن مجاهد وقتاده وقيل طاعتكم إياه عن السدى وقيل آثاره عن الخليل و

روى عن

ص: ٣٧٥

أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق و النذور فى المعاصى و كل يمين بغير الله تعالى و قال القاضى يريد وساوس الشيطان و خواطره و قال الماوردى هو ما ينقلهم به من معصيه إلى معصيه حتى يستوعبوا جميع المعاصى مأخوذ من خطو القدم فى نقلها من مكان إلى مكان حتى يبلغ مقصده «إِنَّهُ لَكُمْ عِدُوٌّ مُّبِينٌ» أى مظهر للعداوه بما يدعوكم إليه من خلاف الطاعة لله تعالى و اختلف الناس فى المأكل و المنافع التى لا ضرر على أحد فيها فمنهم من ذهب إلى أنها الحظر و منهم من ذهب إلى أنها على الإباحه و اختاره المرتضى قدس الله روحه و منهم من وقف بين الأمرين و جوز كل واحد منهما و هذه الآيه داله على إباحه المأكل إلا ما دل الدليل على حظره فجاءت مؤكده لما فى العقل.

البقره (٢): آيه ١٦٩

إشاره

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

اللغه

الأمر من الشيطان هو دعاؤه إلى الفعل فأما الأمر فى اللغه فهو قول القائل لمن دونه افعل إذا كان الأمر مريدا للمأمور به و قيل هو الدعاء إلى الفعل بصيغه أفعال و السوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع و يسمى أيضا ما تنفر عنه النفس سوء تقول ساءنى كذا يسوؤنى سوءا و قيل إنما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لأنه قد يلتذ به فى العاجل و الفحشاء و الفاحشه و القبيحه و السيئه نظائر و هى مصدر نحو السراء و الضراء يقال فحش فحشا و فحشاء و كل من تجاوز قدره فهو فاحش و أفحش الرجل إذا أتى بالفحشاء و كل ما لا- يوافق الحق فهو فاحشه و قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» معناه خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلق لها و القول كلام له عبارته تنبئ عن الحكايه و ذلك ككلام زيد يمكن أن يأتى عمرو بعبارته عنه ينبئ عن الحكايه له فيقول قال زيد كذا و كذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بأنه يحكى بعده كلام و ليس كذلك إذا قال تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكايه و العلم ما اقتضى سكون النفس و قيل هو تبين الشىء على ما هو به للمدرك له.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو إليه من مخالفه الدين فقال «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ» أى المعاصى عن السدى و قتاده و قيل بما يسوء فاعله أى يضره و هو فى المعنى مثل الأول «وَالْفَحْشَاءِ» قيل المراد به الزنا و قيل السوء ما لا حد فيه و الفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس «وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» قيل هو دعواهم له الأنداد و الأولاد و نسبتهم إليه الفواحش عن أبى مسلم و قيل أراد به جميع المذاهب

الفاسده و الاعتقادات الباطله و مما يسأل على هذا أن يقال كيف يأمرنا الشيطان و نحن لا نشاهده و لا نسمع كلامه فالجواب أن معنى أمره هو دعاؤه إليه كما تقول نفسى تأمرنى بكذا أى تدعونى إليه و قيل أنه يأمر بالمعاصى حقيقه و قد يعرف ذلك الإنسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه و ميل نفسه إلى بعض المعاصى و الوسوسه هى الصوت الخفى و منه وسواس الحلى فيلقى إليه الشيطان أشياء بصوت خفى فى أذنه و متى قيل كيف يميز الإنسان بين ما يلقى إليه الشيطان و ما تدعو إليه النفس فالقول أنه لا ضير عليه إذا لم يميز بينهما فإنه إذا ثبت عنده أن الشيطان قد يأمره بالمعاصى جوز فى كل ما كان من هذا الجنس أن يكون من قبل الشيطان الذى ثبت له عداوته فيكون أرغب فى فعل الطاعة مع ثقلها عليه و فى ترك المعاصى مع ميل النفس إليها مخالفه للشيطان الذى هو عدوه.

البقره (٢): آيه ١٧٠

إشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

اللغه

ألفينا أى صادفنا و وجدنا و الأب و الوالد واحد و الاهتداء الإصابه لطريق الحق بالعلم.

الإعراب

«أَوْ لَوْ» هنا واو العطف دخلت عليها همزه الاستفهام و المراد به التوبيخ و التقرير و مثل هذه الواو أ تُثَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ أ فَلَمْ يَسِيرُوا و إنما جعلت همزه الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضى ما الإقرار به فضيحه عليه كما يقتضى الاستفهام الإخبار بما يحتاج إليه و إنما دخلت الواو فى مثل هذا الكلام لأنك إذا قلت اتبعه و لو ضرك فمعناه اتبعه على كل حال و ليس كذلك أتبعه لو ضرك لأن هذا خاص و ذاك عام فدخلت الواو لهذا المعنى.

النزول

ابن عباس قال دعا النبى (عليه السلام) اليهود إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم منا فنزلت هذه الآيه و فى روايه الضحاك عنه أنها نزلت فى كفار قريش.

المعنى

لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم فى التقليد و ترك الإجابة إلى

الإقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» اختلف في الضمير فقيل يعود إلى من من قوله «مَنْ يَتَّبِعْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً» وهم مشركو العرب وقيل يعود إلى الناس من قوله «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» فعدل عن المخاطبه إلى الغيبه كما قال «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ» وقيل يعود إلى الكفار إذ قد جرى ذكرهم و يصلح أيضا أن يعود إليهم و إن لم يجر ذكرهم لأن الضمير يعود إلى المعلوم كما يعود إلى المذكور و القائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله و المسلمون «اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» أى من القرآن و شرائع الإسلام و قيل فى التحريم و التحليل «قَالُوا» أى الكفار «بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا» أى وجدنا «عَلَيْهِ آبَاءَنَا» من عباده الأصنام إذا كان الخطاب للمشركين أو فى التمسك باليهوديه إذا كان الخطاب لليهود «أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً» أى لا يعلمون شيئا من أمور الدين «وَلَا يَهْتَدُونَ» أى لا يصيبون طريق الحق و معناه لو ظهر لكم أنهم لا- يعلمون شيئا مما لهم معرفته أ كنتم تتبعونهم أم كنتم تنصرفون عن اتباعهم فإذا صح أنه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين أن الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء.

البقره (٢): آيه ١٧١

إشاره

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)

اللغه

المثل قول سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الأول نعى الراعى بالغنم ينقى نعيقا إذا صاح بها زجرا قال الأخطل:

فانقى بضانك يا جرير فإنما

منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

و نعى الغراب نعاقا و نعيقا إذا صوت من غير أن يمد عنقه و يحركها و نعى بالغين بمعناه فإذا مد عنقه و حركها ثم صاح قيل نعب و الناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء و رجلها اليسرى و منكبها الأيمن و هو الذى يسمى الهنعه و هما أضوأ كواكب الجوزاء و الدعاء طلب الفعل من المدعو و نظيره الأمر و الفرق بينهما يظهر بالرتبه و النداء مصدر نادى مناداه و نداء و الدعاء و السؤال بمعناه و الندى له وجوه فى المعنى يقال ندى الماء و ندى

الخير و الشر و ندى الصوت و ندى الحضر فالندى هو البلبل و ندى الخير هو المعروف يقال أندى فلان علينا ندى كثيرا و يده نديه بالمعروف و ندى الصوت بعد مذهبه و ندى الحضر صحه جريه و اشتق النداء من ندى الصوت ناداه أى دعاه بأرفع صوته.

المعنى

ثم ضرب الله مثلا للكفار فى تركهم إجابته من يدعوهم إلى التوحيد و ركونهم إلى التقليد فقال «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ» أى يصوت «بِمَا لَا يَسْمَعُ» من البهائم «إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً» و اختلف فى تقدير الكلام و تأويله على وجوه (أولها)

أن المعنى مثل الذين كفروا فى دعائك إياهم أى مثل الداعى لهم إلى الإيمان كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به من البهائم التى لا تفهم و إنما تسمع الصوت فكما أن الأنعام لا يحصل لها من دعاء الراعى إلا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إياهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهم المعنى لأنهم يعرضون عن قبول قولك و ينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزله من لم يعقله و لم يفهمه و هذا كما تقول العرب فلاين يخافك كخوف الأسد و المعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد و هو فى المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر:

فلست مسلما ما دمت حيا

على زيد بتسليم الأمير

أراد بتسليمى على الأمير و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو اختيار الجبائى و الرمانى و الطبرى (و ثانيها) أن يكون المعنى مثل الذين كفروا و مثلنا أو مثل الذين كفروا و مثلك يا محمد كمثل الذى ينطق بما لا يسمع إلا دعاء و نداء أى كمثل الأنعام المنعوق بها و الناعق الراعى الذى يكلمها و هى لا تعقل فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول و مثله قوله سبحانه «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» و أراد الحر و البرد و قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إنى لأمرها

مطيع فما أدرى أُرشد طلابها

أراد أُرشد أم غى فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر و هو قول الأخفش و الزجاج و هذا لأن فى الآية تشبيه شيتين بشيتين تشبيه الداعى إلى الإيمان بالراعى و تشبيه المدعوين من الكفار بالأنعام فحذف للإيجاز و أبقى فى الأول ذكر المدعو و فى الثانى ذكر الداعى و فيما أبقى دليل على ما ألقى (و ثالثها) أن المعنى مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام كمثل الراعى فى دعائه الأنعام بتعال و ما جرى مجراه من الكلام فكما أن من دعا

البهائم يعد جاهلا فداعى الحجارة أشد جهلا منه لأن البهائم تسمع الدعاء و إن لم تفهم معناه و الأصنام لا يحصل لها السماع أيضا عن أبي القاسم البلخي و غيره (و رابعها) أن مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام و هى لا تعقل و لا تفهم كمثل الذى ينطق دعاء و نداء بما لا يسمع صوته جملة و يكون المثل مصروفا إلى غير الغنم و ما أشبهها مما يسمع و إن لم يفهم و على هذا الوجه ينتصب دعاء و نداء بينق و إلا ملغاه لتوكيد الكلام كما فى قول الفرزدق:

هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم

و ضحوا بلحم من محل و محرم

و المعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم (و خامسها) أن يكون المعنى و مثل الذين كفروا كمثل الغنم الذى لا يفهم دعاء الناعق فأضاف سبحانه المثل الثانى إلى الناعق و هو فى المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب فى القلب نحو قولهم طلعت الشعري و انتصب العود على الحرباء و المعنى انتصب الحرباء على العود و أنشد الفراء:

إن سراجا لكريم مفخره

تجلى به العين إذا ما تجمره

أى تجلى بالعين و أنشد أيضا:

كانت فريضه ما تقول كما

كان الزنا فريضه الرجم

و المعنى كما كان الرجم فريضه الزنا و أنشد:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعل فى ذى المطاره عاقل

أى ما تزيد مخافه وعل على مخافتى و قال العباس بن مرداس:

فديت بنفسه نفسى و مالى

و ما آلوك إلا ما أطيق

أراد بنفسى نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجرى مجرى التهجين و التوبيخ فقال «صُمَّمٌ بِكُمْ عُمَى» أى صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمى عن الأبصار لها و هو قول ابن عباس و قتاده و السدى و قد مر بيانه فى أول السوره أبسط من هذا «فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ» أى هم بمنزله من لا عقل له إذ لم ينتفعوا بعقولهم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)

اللغة

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم و يكون على وجهين (أحدهما) الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها (و الثانى) الطاعة بحسب جلاله النعمة فالأول لازم فى كل حال من أحوال الذكر و الثانى أنه يلزم فى الحال التى يحتاج فيها إلى القيام بالحق و أما العبادة فهى ضرب من الشكر إلا أنها غاية فيه ليس وراءها شكر و يقترن به ضرب من الخضوع و لا يستحق العبادة غير الله سبحانه لأنها إنما تستحق بأصول النعم التى هى الحياة و القدره و الشهوه و أنواع المنافع و بقدر من النفع لا يوازيه نعمه منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها.

الإعراب

«ما رَزَقْنَاكُمْ» موصول و صله و العائد من الصلة إلى الموصول محذوف و تقديره ما رزقناكموه و جواب الشرط محذوف تقديره إن كنتم إياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين و ذكر نعمه الظاهره عليهم و إحسانه المبين إليهم فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا» ظاهره الأمر و المراد به الإباحه لأن تناول المشتهى لا يدخل فى التعبد و قيل أنه أمر من وجهين. (أحدهما) بأكل الحلال (و الآخر) بالأكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضى و هذا مما يعرض فى بعض الأوقات و الآيه غير مقصوره عليه فيحمل على الإباحه «مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» أى مما تستلذونه و تستطيبونه من الرزق و فيه دلالة على النهى عن أكل الخبيث فى قول البلخى و غيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما أنه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام و هذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فأما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على أنه أراد تحريم ما عداه لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه و ما عداه موقوف على بيان آخر و ليس كذلك ما ضده قبيح لأنه قد يكون من البيان تقييح ضده «وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ» لما نبه سبحانه على إنعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق أمرنا بالشكر لأن الإنعام يقتضى الشكر و قوله «إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» أى إن كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعما عليكم و قيل إن كنتم مخلصين له فى العبادة و ذكر الشرط هنا إنما هو على وجه المظاهره فى الحجاج و لما فيه من حسن البيان و تلخيص

الكلام أن كانت العبادة لله سبحانه واجبه عليكم بأنه إلهكم فالشكر له واجب عليكم بأنه منعم محسن إليكم.

البقره (٢): آيه ١٧٣

إشاره

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)

القراءه

قرأ أبو جعفر الميته مشدده كل القرآن وقرأ أهل الحجاز و الشام و الكسائي فمن اضطر غير باغ و بضم النون و أبو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر و الباقون بكسر النون.

الإعراب

الميته أصلها الميئته فحذفت الياء الثانيه استخفافا لثقل الياءين و الكسره و الأجود في القراءه الميته بالتخفيف و قوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزه الوصل في انصروا و أما الكسره فعلى أصل الحركه لالتقاء الساكنين و أما قراءه أبي جعفر فمن اضطر فلأن الأصل اضطرر فسكنت الراء الأولى للإدغام و نقلت حركتها إلى الحرف الذى قبلها فصار اضطر و الأصل أن لا تنقل حركه الراء عند إسكانها لأن الطاء على حركتها الأصليه.

اللغه

الإهلال فى الذبيحه رفع الصوت بالتسميه و كان المشركون يسمون الأوثان و المسلمون يسمون الله و انهلال المطر شده انصبابه و الهلال غره القمر لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير و المحرم يهل بالإحرام و هو أن يرفع صوته بالتلبيه و استهل الصبى إذا بكى وقت الولاده و الاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه و ذلك كالجوع الذى يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه و الفرق بين الاضطرار و الإلجاء أن الإلجاء قد تتوفر معه الدواعى إلى الفعل من جهه الضرر و النفع و ليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم إذا كان أكولا للحم و بيت لحم يكثر فيه اللحم و ألحمت القوم إذا قتلتهم و صاروا لحما و الملحمة الحرب ذات القتل الشديد و استلحم الطريد إذا اتسع و اللحمه قرابه النسب و أصل الباب اللزوم و منه اللحم للزوم بعضه بعضا و أصل البغى الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر:

لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمام

إن الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

والبغاء طلب الزنا والعادي المعتدى:.

الإعراب

إنما تفيد إثبات الشئ الذي يذكر بعدها و نفى ما عداه كقول الشاعر:

(وإنما عن أحسابهم أنا أو مثلي)

وإنما كانت لإثبات الشئ و نفى ما سواه من قبل أن إن كانت للتوكيد و انضاف إليها ما للتوكيد أيضا أكدت أن من جهة التحقيق للشئ و أكدت ما من جهة نفى ما عداه فإذا قلت إنما أنا بشر فكأنك قلت ما أنا إلا بشر و لو كانت ما بمعنى الذي لكتبت ما مفصوله و مثله قوله تعالى: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» أى لا إله إلا الله إلا إله واحد و مثله إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ أَى لا نذير إلا أنت فإذا ثبت ذلك فلا يجوز فى الميته إلا-ال نصب لأن ما كاهه و لو كانت ما بمعنى الذى لجاز فى الميته الرفع و غير باغ منصوب على الحال و تقديره لا باغيا و لا عاديا و لا يجوز أن يقع إلا هاهنا فى موضع غير لما قلناه أنه بمعنى النفى و لذلك عطف عليه بلا فأما إلا فمعناه فى الأصل الاختصاص لبعض من كل و ليس هاهنا كل يصلح أن يخص منه.

المعنى

لما ذكر سبحانه إباحه الطيبات عقبه بتحريم المحرمات فقال «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» و هو ما يموت من الحيوان «وَالدَّمَ وَ لَحْمَ الْخَيْزِيرِ» خص اللحم لأنه المعظم و المقصود و إلا فجملته محرمه «وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ» قيل فيه قولان.

(أحدهما) أنه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع و جماعه من المفسرين و الآخر أنه ما ذبح لغير الله عن مجاهد و قتاده و الأول أوجه «فَمَنْ اضْطُرَّ» إلى أكل هذه الأشياء ضروره مجاعه عن أكثر المفسرين و قيل ضروره إكراه عن مجاهد و تقديره فمن خاف على النفس من الجوع و لا يجد مأكولا يسد به الرمق و قوله «غَيْرِ بَاغٍ» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) غير باغ اللذه «وَلَا عَادٍ» سد الجوعه عن الحسن و قتاده و مجاهد (و ثانيها) غير باغ فى الإفراط و لا عاد فى التقصير عن الزجاج (و ثالثها)

غير باغ على إمام المسلمين و لا عاد بالمعصيه طريق المحقين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و عن مجاهد و سعيد بن جبير و اعترض على بن عيسى على هذا القول بأن قال أن الله لم يبيح لأحد قتل نفسه و التعرض للقتل قتل فى حكم الدين و لأن الرخصه لأجل المجاعه لا لأجل سفر الطاعه و هذا فاسد لأن الباغى على الإمام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحه ما حرم الله كما لا يجوز له أن يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين و قوله أن الرخصه لأجل المجاعه

غير مسلم على الإطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» أى لا حرج عليه و إنما ذكر هذا اللفظ ليبين أنه ليس بمباح فى الأصل و إنما رفع الحرج لأجل الضروره «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و إنما ذكر المغفره لأحد الأمرين أما ليبين أنه إذا كان يغفر المعصيه فإنه لا يؤخذ بما رخص فيه و أما لأنه وعد بالمغفره عند الإنابه إلى طاعه الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبه و غيرها.

البقره (٢): آيه ١٧٤

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)

اللغه

البطن خلاف الظهر و البطن الغامض من الأرض و البطن من العرب دون القبيله.

الإعراب

الذين مع صلته منصوب بأن و أولئك رفع بالابتداء و خبره «ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ» و المبتدأ و خبره جمله فى موضع الرفع بكونها خبر إن و النار نصب بياكلون.

النزول المعنى فى هذه الآيه أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهه على قول كثير منهم إلى جماعه قليله من اليهود و هم علماءهم ككعب بن الأشرف و حبي بن أخطب و كعب بن أسد و كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا و يرجون كون النبى منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ما كلتهم فغير

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ» أى صفه محمد و البشاره به عن ابن عباس و قتاده و السدى و قيل كنتموا الأحكام عن الحسن و الكتاب على القول الأول هو التوراه و على الثانى يجوز أن يحمل على القرآن و على سائر الكتب «وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى يستبدلون به عرضا قليلا- و ليس المراد أنهم إذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل الفائده فيه أن كل ما يأخذونه فى مقابله ذلك من حطام الدنيا فهو قليل و للعرب فى ذلك عاده معروفه و مذهب مشهور و مثله فى القرآن كثير قال «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ فيه دلالة على أن من ادعى أن مع الله إلها آخر لا يقوم له على

قوله بُرْهَانَ و إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق و ذلك بأن وصف الشىء بما لا بد أن يكون عليه من الصفه و مثله فى الشعر قول النابغه:

يحفه جانباً نيق و يتبعه

مثل الزجاجه لم تكحل من الرمذ

أى ليس بها رمذ فيكتحل له و قول الآخر:

لا يغمز الساق من أين و من و صب

و لا يعرض على شرسوفه الصفر

أى ليس بساقه أين و لا و صب فيغمزها من أجلهما و قول سويد بن أبى الكاهل:

من أناس ليس فى أخلاقهم

عاجل الفحش و لا سوء الجزع

و لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا آجلاً أو جزعا غير سىء بل نفى الفحش و الجزع عن أخلاقهم و فى أمثال هذا كثيره «أولئك» يعنى الذين كتموا ذلك و أخذوا الأجر على الكتمان «ما يأكلون فى بطنهم إلا النار» و معناه أن أكلهم فى الدنيا و إن كان طيباً فى الحال فكأنهم لم يأكلوا إلا النار لأن ذلك يؤديهم إلى النار كقوله سبحانه فى أكل مال اليتيم: «إنما يأكلون فى بطنهم ناراً» عن الحسن و الربيع و أكثر المفسرين و قيل إنهم يأكلون النار حقيقه فى جهنم عقوبه لهم على كتمانهم فيصير ما أكلوا فى بطنهم ناراً يوم القيامة فسماه فى الحال بما يصير إليه فى المال و إنما ذكر البطن و إن كان الأكل لا يكون إلا فى البطن لوجهين (أحدهما) أن العرب تقول جعت فى غير بطنى و شبعت فى غير بطنى إذا جاع من يجرى جوعه مجرى جوعه و شبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (و الآخر) أنه لما استعمل المجاز بأن أجرى على الرشوه اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على أن النار تدخل أجوافهم «و لا يكلمهم الله يوم القيامة» فيه وجهان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يحبون و فى ذلك دليل على غضبه عليهم و إن كان يكلمهم بالسؤال بالتوبيخ و بما يغمهم كما قال «فَلَسَّيْمَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ» و قال أحسوا فيها و لا تكلمون و هذا قول الحسن و الجبائى (و الثانى) أنه لا يكلمهم أصلاً فتحمل آيات المسأله على أن الملائكه تسألهم عن الله و بأمره و يتأول قوله أحسوا فيها على دلالة الحال و إنما يدل نفى الكلام على الغضب فى الوجه الأول من حيث أن الكلام وضع فى

الأصل للفائده فلما انتفى الفائده على وجه الحرمان دل على الغضب فأما الكلام على وجه الغم والإيلام فخارج عن ذلك «و لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يثنى عليهم و لا يصفهم بأنهم أزكيا و من لا يثنى الله عليه فهو معذب و قيل لا تقبل أعمالهم كما تقبل أعمال الأزكيا و قيل معناه لا يطهرهم من خبث أعمالهم بالمغفره «و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه مؤلم.

البقره (٢): آيه ١٧٥

إشاره

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَهَ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)

الإعراب

«فَمَا أَصْبَرَهُمْ» قيل إن ما للتعجب كالتى فى قوله «قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ» أى قد حل محل ما يتعجب منه و حكى عن بعض العرب أنه قال لخصمه ما أصبرك على عذاب الله و قيل أنه للاستفهام على معنى أى شىء أصبرهم يقال أصبرت السبع أو الرجل و نحوه إذا نصبته لما يكره قال الحطيئه:

قلت لها أصبرها دائما

ويحك أمثال طريف قليل

أى ألزمها و اضطرها.

المعنى

«أُولَئِكَ» إشاره إلى من تقدم ذكرهم «الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» أى استبدلوا الكفر بالنبى (صلى الله عليه و آله) بالإيمان به فصاروا بمنزله من يشتري السلعه بالثمن و قيل المراد بالضلاله كتمان أمره مع علمهم به و بالهدى إظهاره و قيل المراد بالضلاله العذاب و بالهدى الثواب و طريق الجنه أى استبدلوا النار بالجنه و قوله «وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَهَ» قيل أنه تأكيد لما تقدم عن أبى مسلم و قيل أنهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفره لما عرفوا ما أعد الله لمن عصاه من العذاب و لمن أطاعه من الثواب ثم أقاموا على ما هم عليه من المعصيه مصرين عن القاضى و هذا أولى لأنه إذا أمكن حمل الكلام على زياده فائده كان أولى فكان اشتراؤهم الضلاله يرجع إلى عدولهم عن طريق العلم إلى طريق الجهل و اشتراؤهم العذاب بالمغفره يرجع إلى عدولهم عما يوجب الجنه إلى ما يوجب النار و قوله «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» فيه أقوال (أحدها)

إن معناه ما أجرأهم على النار ذهب إليه الحسن و قتاده و رواه على بن إبراهيم بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الثانى)

ما أعملهم بأعمال أهل النار عن مجاهد و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

(و الثالث) ما أبقاهم على النار كما يقال ما أصبر فلانا على الحبس عن الزجاج (و الرابع) ما أدومهم على النار أى ما أدومهم على عمل أهل النار كما يقال ما أشبه سخاءك بحاتم عن الكسائي و قطرب و على هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب و التعجب لا يجوز على القديم سبحانه لأنه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شىء و التعجب إنما يكون مما لا يعرف سببه و إذا ثبت ذلك فالغرض أن يدلنا على أن الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم (و الخامس) ما روى عن ابن عباس أن المراد أى شىء أصبرهم على النار أى حبسهم عليها فتكون للاستفهام و يمكن حمل الوجوه الثلاثة المتقدمه على الاستفهام أيضا فيكون المعنى أى شىء أجرأهم على النار و أعملهم بأعمال أهل النار و أبقاهم على النار و قال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب و قال المبرد هذا حسن لأنه كالتوبيخ لهم و التعجب لنا كما يقال لمن وقع فى ورطه ما اضطررك إلى هذا إذا كان غنيا عن التعرض للوقوع فى مثلها و المراد به الإنكار و التقريع على اكتساب سبب الهلاك و تعجب الغير منه و من قال معناه ما أجرأهم على النار فإنه عنده من الصبر الذى هو الحبس أيضا لأن بالجرأه يصبر على الشده.

البقره (٢): آيه ١٧٦

اشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)

اللغه

الاختلاف الذهاب على جهه التفرق فى الجهات و أصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا و جاء ذاك من هناك ثم استعمل فى الاختلاف فى المذاهب تشبيها بالاختلاف فى الطريق من حيث أن كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد و أما اختلاف الأجناس فهو ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد و البياض و الشقاق و المشاقه انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوه له و هو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لأجل العداوه.

الإعراب

قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء و الخبر محذوف أى ذلك الأمر و يجوز أن يكون مرفوعا بخبر الابتداء أى الأمر ذلك و يحتمل أن يكون موضع ذلك نصبا على

المعنى

«ذَلِكَ» إشاره إلى أحد الثلاثة أشياء (أولها) ذلك الحكم بالنار عن الحسن (و ثانيها) ذلك العذاب (و ثالثها) ذلك الضلال و في تقدير خبره ثلاثة وجوه (أحدها) ما ذكرناه من قول الزجاج (و ثانيها) إن تقديره ذلك الحكم الذى حكم فيهم أو حل بهم من العذاب أو ذلك الضلال معلوم بأن الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلاله ما تقدم من الكلام عليه (و الثالث) ذلك العذاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» و يكون الباء مع ما بعده فى موضع الخبر و من ذهب إلى أن المعنى ذلك الحكم بدلاله أن الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته و من ذهب إلى أن المعنى ذلك العذاب أو الضلال بأن الله نزل الكتاب بالحق ففى الكلام محذوف و تقديره فكفروا به و المراد بالكتاب هاهنا التوراه و قال الجبائى هو القرآن و غيره و قال بعضهم المراد بالأول التوراه و بالثانى القرآن «وَ إِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ» قيل هم الكفار أجمع عند أكثر المفسرين اختلفوا فى القرآن على أقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة و منهم من قال كلام تعلمه و منهم من قال كلام تقوله و قيل هم أهل الكتاب من اليهود و النصرى عن السدى اختلفوا فى التأويل و التنزيل من التوراه و الإنجيل لأنهم حرفوا الكتاب و كتموا صفه النبى صلى الله عليه و آله و جحدت اليهود الإنجيل و القرآن و قوله «لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى بعيد عن الألفه بالاجتماع على الصواب و قيل بعيد فى الشقاق لشهاده كل واحد على صاحبه بالضلال و كلاهما عادل عن الحق و السداد و قيل فى اختلاف شديد فيما يتصل بأحكام التوراه و الإنجيل.

اشاره

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة و حمزه ليس البر بنصب الراء و الباقر بالرفع و روى في الشواذ عن ابن مسعود و أبي «لَيْسَ الْبِرَّ» بالنصب بأن يولوا بالياء و قرأ نافع و ابن عامر و لكن البر بالتخفيف و الرفع و الباقر «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ» بالتشديد و النصب.

الإعراب

قال أبو على حجه من رفع البر أن ليس يشبه الفعل و كون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده و حجه من نصب البر أنه قد حكى عن بعض شيوخنا أنه قال في هذا النحو أن يكون الاسم أن و صلتها أولى بشبهها بالمضمر في أنها لا توصف كما لا- يوصف المضمر و كأنه اجتمع مضمر و مظهر و الأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر قال ابن جنى يجوز أن يكون إنما نصب البر مع الباء بأن جعل الباء زائده كقولهم وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا.

اللغة

البر العطف و الإحسان مصدر و يجوز أن يكون بمعنى البار أي الواسع الإحسان و البر الصدق و البر الإيمان و التقوى و أصله من الاتساع و منه البر خلاف البحر لاتساعه و اختلف أهل اللغة و الفقهاء في المسكين و الفقير أيهما أشد أحوال- فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له و الفقير الذي له ما لا يكفيه و هو قول يونس و ابن دريد و قول أبي حنيفة و قال آخرون الفقير الذي لا- شيء له و المسكين من له شيء يسير و هو قول الشافعي و السبيل الطريق و ابن السبيل هو المنقطع به إذا كان في سفره محتاجا و إن كان في بلده ذا يسار و هو من أهل الزكاه و قيل أنه الضيف عن قتاده و إنما قيل للمسافر ابن الطريق للزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمه:

وردت اعتسافا و الثريا كأنها

على قمه الرأس ابن ماء محلق

و الرقاب جمع رقبه و هي أصل العنق و يعبر به عن جميع البدن يقال أعتق الله رقبته و منه قوله فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ وَ البأساء و البؤس الفقر و الضراء السقم و الوجع و هما مصدران بنيا على فعلاء و ليس لهما أفعل لأن أفعل و فعلاء في الصفات و النعوت و لم يأتيا في الأسماء التي ليست بنعوت.

من نصب البر جعل أن مع صلتها اسم ليس أى ليس توليتكم وجوهكم

ص: ٣٨٩

البر كله و من رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم و كالا- المذهبين حسن لأن كل واحد من اسم ليس و خبرها معرفه فإذا اجتمعا فى التعريف تكافأ فى كون أحدهما اسما و الآخر خبرا كما تتكافأ النكرتان و قد ذكرنا الوجه فى ترجيح أحد المذهبين على الآخر و لكن البر إذا شددت لكن نصبت البر و إذا خففت رفعت البر و كسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين و أما الإخبار عن البر بمن آمن ففيه وجه ثلاثة (أحدها) أن يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر فى موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور أى غائر و رجل صوم أى صائم و مثله قول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

فإنما هى إقبال و إدبار

أى أنها مقبله و مدبره مثله:

تظل جيادهم نوحا عليهم

مقلده أعنتها صفونا

أى نائحه و (ثانيها) إن المعنى و لكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم و (ثالثها) أن يكون التقدير و لكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر و أقام المضاف إليه مقامه كقول الشاعر:

و كيف تواصل من أصبحت

خلالته كأبى مرحب

و كقول النابغه:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعل فى ذى المطاره عاقل

أى على مخافه و على و مثله قوله تعالى «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم قال «كَمَنْ آمَنَ» أى كإيمان من آمن و قوله «وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثْتُمْ إِذَا عَاهَدُوا» فى رفعه قولان أحدهما أن يكون مرفوعا على المدح لأن النعت إذا طال و كثر رفع بعضه و نصب على المدح و المعنى و هم الموفون و الآخر أن يكون معطوفا على من آمن و المعنى و لكن ذا البر أو ذوى البر المؤمنون و الموفون بعهدهم و أما قوله «وَالصَّابِرِينَ» فمنصوب على المدح أيضا لأن مذهبهم فى الصفات و النعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها بالمدح أو الذم ليميزوا الممدوح أو المذموم و تقديره أعنى الصابرين قال أبو على و الأحسن فى هذه الأوصاف التى تقطعت للرفع من موصوفها و المدح أو الغض منهم و الذم أن يخالف بإعرابها و لا- تجعل كلها جاريه على موصوفها ليكون ذلك دلاله على هذا المعنى

و انفصالا- لما يذكر للتثويه و التنبيه أو النقص و الغض مما يذكر للتخليص و التمييز بين الموصوفين المشتبهين فى الاسم المختلفين فى المعنى و من ذلك قول الشاعر أنشده الفراء:

إلى الملك القرم و ابن الهمام

و ليث الكتيبه فى المزدحم

و ذا رأى حين تغم الأمور

بذات الصليل و ذات اللجم

فنصب ليث الكتيبه و ذا رأى على المدح و أنشد أيضا:

فليت التى فيها النجوم تواضعت

على كل غث منهم و سمين

غيوث الحيا فى كل محل و لزه

أسود الشرى يحمين كل عرين

و مما نصب على الذم:

سقونى الخمر ثم تكنفونى

عداه الله من كذب و زور

و شىء آخر و هو أن هذا الموضع من مواضع الإطناب فى الوصف و إذا خولف بإعراب الألفاظ كان أشد و أوقع فيما يعن و يعترض لصيروره الكلام و كونه بذلك ضروريا و جملا و كونه فى الأجزاء على الأول و جها واحدا و جمله واحده فلذلك سبق قول سيبويه فى قوله وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ و أنه محمول على المدح قول من قال أنه محمول على قوله بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ و بالمقيمين الصلاة و إن كان هذا غير ممتنع و قال بعض النحويين أن الصابرين معطوف على ذوى القربى قال الزجاج و هذا لا يصلح إلا أن تكون و الموفون رفعا على المدح للضميرين لأن ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال أبو على لا وجه لهذا القول لأن و الصابرين لا يجوز حمله على «وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ» سواء كان قوله «وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ» عطفا على الموصول أو مدحا لأن الفصل بين الصلة يقع به إذا كان مدحا كما يقع به إذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح أشنع لكون المدح جمله و الجمل ينبغى أن تكون فى الفصل أشنع و أقبح بحسب زيادتها على المفرد و إن كان الجميع من ذلك ممتنعا.

لما حولت القبلة و كثر الخوض فى نسخها و صار كأنه لا- يراعى بطاعه الله إلا التوجه للصلاه و أكثر اليهود و النصارى ذكرها
أنزل الله سبحانه هذه الآيه عن أبى القاسم البلخى و عن قتاده أنها نزلت فى اليهود.

«لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» بين سبحانه أن البر كله ليس فى الصلاة فإن الصلاة إنما أمر بها لكونها مصلحه فى الإيمان و صارفه عن الفساد و كذلك العبادات الشرعيه إنما أمر بها لما فيها من الألفاف و المصالح الدينيه و ذلك يختلف بالأزمان و الأوقات فقال ليس البر كله فى التوجه إلى الصلاة حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التى أمر الله بها عن ابن عباس و مجاهد و اختاره أبو مسلم و قيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه إلى المشرق و لا ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب عن قتاده و الربيع و اختاره الجبائى و البلخى «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» أى لكن البر بر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم و الشعر زهير أى السخاء سخاء حاتم و الشعر شعر زهير عن قطرب و الزجاج و الفراء و اختاره الجبائى و قيل و لكن البار أو ذا البر من آمن بالله أى صدق بالله و يدخل فيه جميع ما لا يتم معرفه الله سبحانه إلا به كمعرفه حدوث العالم و إثبات المحدث و صفاته الواجبه و الجائزه و ما يستحيل عليه سبحانه و معرفه عدله و حكمته «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى القيامه و يدخل فيه التصديق بالبعث و الحساب و الثواب و العقاب «وَالْمَلَائِكَةِ» أى و بأنهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون «وَالْكِتَابِ» أى و بالكتب المنزله من عند الله إلى أنبيائه «وَالنَّبِيِّينَ» و بالأنبياء كلهم و أنهم معصومون مطهرون و فيما أدوه إلى الخلق صادقون و إن سيدهم و خاتمهم محمد صلى الله عليه و آله و إن شريعته ناسخه لجميع الشرائع و التمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامه «وَأَتَى الْمَالَ» أى و أعطى المال «عَلَى حُبِّهِ» فيه وجوه (أحدها) إن الكنايه راجعه إلى المال أى على حب المال فيكون المصدر مضافا إلى المفعول و هو معنى قول ابن عباس و ابن مسعود قال هو أن تعطيه و أنت صحيح تأمل العيش و تخشى الفقر و لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا (و ثانيها) أن تكون الهاء راجعه إلى من آمن فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل و لم يذكر المفعول لظهور المعنى و وضوحه و هو مثل الوجه الأول سواء فى المعنى (و ثالثها) أن تكون الهاء راجعه إلى الإيتاء الذى دل عليه قوله «وَأَتَى الْمَالَ» و المعنى على حبه الإعتاء و يجرى ذلك مجرى قول القطامى:

هم الملوك و أبناء الملوك لهم

و الآخذون به و الساسه الأول

فكنى بالهاء عن الملك لدلاله قول الملوك عليه (و رابعها) أن الهاء راجعه إلى الله لأن ذكره سبحانه قد تقدم أى يعطون المال على حب الله و خالصا لوجهه قال المرتضى

قدس الله روحه لم نسبق إلى هذا الوجه في هذه الآيه و هو أحسن ما قيل فيها لأن تأثير ذلك أبلغ من تأثير حب المال لأن المحب للمال الضنين به متى بذله و أعطاه و لم يقصد به القربه إلى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب و إنما يؤثر حبه للمال في زياده الثواب متى حصل قصد القربه و الطاعه و لو تقرب بالعطيه و هو غير ضنين بالمال و لا محب له لا يستحق الثواب «ذوى القُربى» أراد به قرابه المعطى كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه سئل عن أفضل الصدقه فقال جهد المقل على ذى الرحم الكاشح

و

قوله لفاطمه بنت قيس لما قالت يا رسول الله إن لى سبعين مثقالا من ذهب قال اجعلها فى قرابتك

و يحتمل أن يكون

أراد قرابه النبى (صلى الله عليه و آله) كما فى قوله «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ الْيَتَامَى» اليتيم من لا أب له مع الصغر قيل أراد يعطيهم أنفسهم المال و قيل أراد ذوى اليتامى أى يعطى من تكفل بهم لأنه لا يصح إيصال المال إلى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى فى موضع جر عطفًا على القربى و على القول الأول يكون فى موضع نصب عطفًا على «ذوى القُربى» «وَ الْمَسَاكِينَ» يعنى أهل الحاجه «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» يعنى المنقطع به عن أبى جعفر و مجاهد و قيل الضيف عن ابن عباس و قتاده و ابن جبير «وَ السَّائِلِينَ» أى الطالبين للصدقه لأنه ليس كل مسكين يطلب «وَ فِي الرِّقَابِ» فيه وجهان (أحدهما) عتق الرقاب بأن يشتري و يعتق (و الآخر) فى رقاب المكاتبين و الآيه محتمله للأمرين فينبغى أن تحمل عليهما و هو اختيار الجبائى و الرماني و فى هذه الآيه دلالة على وجوب إعطاء مال الزكاه المفروضه بلا خلاف و قال ابن عباس فى المال حقوق واجبه سوى الزكاه و قال الشعبي هى محموله على وجوب حقوق فى مال الإنسان غير الزكاه مما له سبب وجوب كالإنفاق على من يجب عليه نفقته و على من يجب عليه سد رمقه إذا خاف عليه التلف و على ما يلزمه من النذور و الكفارات و يدخل فى هذا أيضا ما يخرج الإنسان على وجه التطوع و القربه إلى الله لأن ذلك كله من البر و اختاره الجبائى قالوا و لا يجوز حمله على الزكاه المفروضه لأنه عطف عليه الزكاه و إنما خص هؤلاء لأن الغالب أنه لا يوجد الاضطرار إلا فى هؤلاء «وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ» أى أداها لميقاتها و على حدودها «وَ آتَى الزَّكَاةَ» أى أعطى زكاه ماله «وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا» أى و الذين إذا عاهدوا عهدا أوفوا به يعنى العهود و النذور التى بينهم و بين الله تعالى و العقود التى بينهم و بين الناس و كلاهما يلزم الوفاء به «وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ» يريد بالبأساء البؤس و الفقر و بالضراء الوجع و العله عن ابن مسعود و قتاده و جماعه من المفسرين «وَ حِينَ الْبَأْسِ» يريد وقت القتال و جهاد العدو و

روى عن على

(عليه السلام) أنه قال كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه

يريد إذا اشتد الحرب «أُولئِكَ» إشاره إلى من تقدم ذكرهم «الَّذِينَ صَدَّقُوا» أى صدقوا الله فيما قبلوا منه و التزموه علما و تمسكوا به عملا عن ابن عباس و الحسن و قيل الذين صدقت نياتهم لأعمالهم على الحقيقة «وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» أى اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه لا خلاف بين الأمة إنه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعاً و لا- قطع على كون غيره جامعا لها و لهذا قال الزجاج و الفراء أنها مخصوصه بالأنبياء المعصومين لأن هذه الأشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها إلا الأنبياء.

البقره (٢): آيه ١٧٨

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدٍّ مِنْكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)

اللغه

كتب فرض و أصل الكتابه الخط الدال على معنى فسمى به ما دل على الفرض قال الشاعر:

كتب القتل و القتال علينا

و على الغايات جر الذبول

و القصاص و المقاصه و المعاوضه و المبادله نظائر يقال قص أثره أى تلاه شيئاً بعد شىء و منه القصاص لأنه يتلو أصل الجنايه و يتبعه و قيل هو أن يفعل بالثانى ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثله و منه أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئاً بعد شىء و الحر نقيض العبد و الحر من كل شىء أكرمه و أحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ و تحرير الكتابه إقامه حروفها و العفو الترك و عفت الدار أى تركت حتى درست و العفو عن المعصيه ترك العقاب

عليها وقيل معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الديه من أخيه و جمع الأخ الأخوه إذا كانوا لأب فإن لم يكونوا لأب فهم إخوان ذكر ذلك صاحب العين و التأديه و الأداء تبليغ الغايه يقال أدى فلان ما عليه و فلان أدى للأمانه من غيره.

الإعراب

فاتباع مبتدأ و خبره محذوف أى فعلية اتباع أو خبر لمبتدأ محذوف أى فحكمه اتباع و لو كان فى غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف و أداء إليه بإحسان على معنى فليتبع اتباعا و ليؤد أداء و لكن الرفع عليه إجماع القراء و هو الأجود فى العريه.

النزول

نزلت هذه الآيه فى حين من العرب لأحدهما طول على الآخر و كانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور و أقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم و بالمرأه منا الرجل منهم و بالرجل منا الرجلين منهم و جعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك حتى جاء الإسلام فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

لما بين سبحانه أن البر لا يتم إلا بالإيمان و التمسك بالشرائع بين الشرائع و بدأ بالدماء و الجراح فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ» أى فرض عليكم و أوجب و قيل كتب عليكم فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ على جهة الفرض «الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» المساواه فى القتل أى يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول و لا خلاف أن المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذى يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض و شبه العمد و متى قيل كيف قال «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» و الأولياء مخيرون بين القصاص و العفو و أخذ الديه و المقتص منه لا- فعل له فيه فلا- و جوب عليه فالجواب من وجهين (أحدهما) أنه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص و الفرض قد يكون مضيقا و قد يكون مخيرا فيه (و الثانى) أنه فرض عليكم التمسك بما حد عليكم و ترك مجاوزته إلى ما لم يجعل لكم و أما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين و من يجرى مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبه الولي لأنه حق الآدمى و يجب على القاتل تسليم النفس «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثَى بِالْأُنْثَى»

قال الصادق و لا يقتل حر بعبد و لكن يضرب ضربا شديدا و يغرم ديه العبد

و هذا مذهب الشافعى

و قال إن قتل رجل امرأه فأراد أولياء المقتول أن يقتلوه أدوا نصف ديته إلى أهل الرجل

و هذا هو حقيقه المساواه فإن نفس المرأه لا- تساوى نفس الرجل بل هى على النصف منها فيجب إذا أخذت النفس الكامله بالنفس الناقصه أن يرد فضل ما بينهما و كذلك رواه الطبرى فى تفسيره عن على السلام و يجوز قتل العبد بالحر و الأنثى بالذكر إجماعا و ليس فى الآيه ما

يمنع من ذلك لأنه لم يقل لا تقتل الأنثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الآية معمول به و ما قلناه مثبت بالإجماع و بقوله سبحانه النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و قوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه من ترك له و صفح عنه من الواجب عليه و هو القصاص فى قتل العمد من أخيه أى من دم أخيه فحذف المضاف للعلم به و أراد بالأخ المقتول سماه أخوا للقاتل فدل أن أخوه الإسلام بينهما لم تنقطع و إن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله و قيل أراد بالأخ العافى الذى هو ولى الدم سماه الله أخوا للقاتل و قوله «شَيْءٌ» دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود لأن شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض و الله تعالى قال «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» و الضمير فى قوله «لَهُ» و فى «أَخِيهِ» كلاهما يرجع إلى من و هو القاتل أى من ترك له القتل و رضى منه بالديه هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية فى قتل العمد و لم يذكر سبحانه العافى لكنه معلوم أن المراد به من له القصاص و المطالبه و هو ولى الدم و القول الآخر أن المراد بقوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ» ولى الدم و الهاء فى أخيه يرجع إليه و تقديره فمن بذل له من أخيه يعنى أخوا الولى و هو المقتول الدية و يكون العافى معطى المال ذكر ذلك عن مالك و من نصر هذا القول قال أن لفظ شىء منكر و القود معلوم فلا- يجوز الكناية عنه بلفظ النكره فيجب أن يكون المعنى فمن بذل له من أخيه مال و ذلك يجوز أن يكون مجهولا لا يدرى أنه يعطيه الدية أو جنسا آخر و مقدار الدية أو أقل أو أكثر فصح أن يقال فيه شىء و هذا ضعيف و القول الأول أظهر و قد ذكرنا الوجه فى تنكير قوله «شَيْءٌ» هناك و أما الذى له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية إلا- الزوج و الزوجه عندنا و أما غير أصحابنا من العلماء فلا- يستثنونهما و قوله «فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ» أى فعلى العافى اتباع بالمعروف هى أن لا يشدد فى الطلب و ينظره إن كان معسرا و لا يطالبه بالزيادة على حقه و على المعفو له «وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ» أى

الدفء عند الإمكان من غير مطل و به قال ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع و الأداء و قوله «ذَلِكَ» إشاره إلى جميع ما تقدم «تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ» معناه أنه جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو و خيركم بينها و كان لأهل التوراه القصاص أو العفو و لأهل الإنجيل العفو أو الدية و قوله «فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ» أى

بأن قتل بعد قبول الدية أو العفو عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل بأن قتل غير قاتله أو طلب أكثر مما وجب له من الدية و قيل بأن جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضى و يجب حمله على الجميع لعموم اللفظ «فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة.

إشارة

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

اللغة

الألّباب العقول واحدها لب مأخوذ من لب النخلة و لب بالمكان و ألب به إذا قام و اللب البال.

المعنى

ثم بين سبحانه وجه الحكمة في إيجاب القصاص فقال «وَلَكُمْ» أيها المخاطبون «فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه في إيجاب القصاص حياة لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياة عن مجاهد و قتاده و أكثر أهل العلم (و الثاني) أن معناه لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائف عن السدى و المعنيان جميعا حسنان و نظيره من كلام العرب القتلى أنفى للقتل إلا أن ما في القرآن أكثر فائده و أوجز في العبارة و أبعد من الكلفة بتكرير الجملة و أحسن تأليفا بالحروف المتلائمة فأما كثره الفائده فلأن فيه جميع ما في قولهم القتل أنفى للقتل و زياده معاني منها إبانة العدل لذكره القصاص و منها إبانة الغرض المرغوب فيه و هو الحياة و منها الاستدعاء بالرغبة و الرهبة و حكم الله به و أما الإيجاز في العبارة فإن الذي هو نظير القتلى أنفى للقتل قوله «الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» و هو عشره أحرف و ذلك أربعة عشر حرفا و أما بعده من الكلفة فهو أن في قولهم القتل أنفى للقتل تكريرا غيره أبلغ منه و أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فإنه مدرك بالحس و موجود باللفظ فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدهم الهمزة من اللام و كذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه و أحسن و إن كان الأول حسنا بليغا و قد أخذه الشاعر فقال:

أبلغ أبا مسمع عنى مغلغله

و في العتاب حياه بين أقوام

و هذا و إن كان حسنا فينبه و بين لفظ القرآن ما بين أعلى الطبقة و أدناها و أول ما فيه أن ذلك استدعاء إلى العتاب و هذا استدعاء إلى العدل و في ذلك إبهام و في الآية بيان عجيب و قوله «يا أُولِي الْأَلْبَابِ» معناه يا ذوى العقول لأنهم الذين يعرفون العواقب و يتصورون ذلك فلذلك خصهم «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» في لعل ثلاثة أقوال (أحدها) أنه بمعنى اللام أى لتتقوا (و الثاني) أنه للرجاء و الطمع كأنه قال على رجائكم و طمعكم في التقوى

(و الثالث) على معنى التعرض أى على تعرضكم للتقوى و فى تتقون قولان (أحدهما) لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس و الحسن و ابن زيد (و الثانى) لعلكم تتقون ربكم باجتنا ب معاصيه و هذا أعم.

البقره (٢): آيه ١٨٠

إشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

اللغة

المعروف هو العدل الذى لا يجوز أن ينكر و لا حيف فيه و لا جور و الحضور وجود الشىء بحيث يمكن أن يدرك و الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً و هو مصدر حق يحق حقاً.

الإعراب

قوله «كُتِبَ عَلَيْكُمْ» المعنى و كتب عليكم إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو و علم أن معناه معنى الواو لأن القصة الأولى قد استتمت و فى القصة الثانية ذكر مما فى الأولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر و الوصيه ارتفعت لأحد وجهين إما بأنه اسم ما لم يسم فاعله و هو كتب و إما بأنه مبتدأ و قوله «لِلْوَالِدَيْنِ» خبره و الجملة فى موضع رفع على الحكاياه لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصيه للوالدين و أما العامل فى إذا ففيه وجهان (أحدهما) كتب فكأنه قيل كتب عليكم الوصيه وقت المرض (و الآخر) ما قاله الزجاج و هو أن الوصيه رغب فيها فى حال الصحه فتقديره كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصيه قائلين إذا حضرنا الموت فلفلان كذا و حقاً نصب على المصدر و تقديره أحق ذلك حقاً و قد استعمل على وجه الصفه بمعنى ذى الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال و يجوز أن يكون مصدر كتب من غير لفظه تقديره كتب كتاباً.

المعنى

ثم بين سبحانه شريعته أخرى و هو الوصيه فقال «كُتِبَ عَلَيْكُمْ» أى فرض عليكم «إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» أى أسباب الموت من مرض و نحوه من الهرم و لم يرد إذا عاين البأس و ملك الموت لأن تلك الحاله تشغله عن الوصيه و قيل فرض عليكم الوصيه فى حال الصحه أن تقولوا إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» أى مالا و اختلف فى المقدار الذى يجب الوصيه عنده فقال الزهرى فى القليل و الكثير مما

يقع عليه اسم المال و قال إبراهيم النخعي من ألف درهم إلى خمسمائه و قال ابن عباس إلى ثمانمائه درهم و

روى عن علي (عليه السلام) أنه دخل على مولى له في مرضه و له سبعمائه أو ستمائه درهم فقال أ لا- أوصى فقال لا- إن الله سبحانه قال «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» و ليس لك كثير مال

و هذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجه «الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ» أى الوصيه لوالديه و قرابته «بِالْمَعْرُوفِ» أى بالشىء الذى يعرف أهل التمييز أنه لا جور فيه و لا حيف و يحتمل أن يرجع ذلك إلى قدر ما يوصى لأن من يملك المال الكثير إذا أوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف و يحتمل أن يرجع إلى الموصى لهم فكأنه أمر بالطريقه الجميله فى الوصيه فليس من المعروف أن يوصى للغنى و يترك الفقير و يوصى للقريب و يترك الأقرب منه و يجب حملة على كلا الوجهين «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» أى حقا واجبا على من آثر التقوى و هذا تأكيد فى الوجوب و اختلف فى هذه الآيه فقليل أنها منسوخه و قيل أنها منسوخه فى الموارث ثابتة فى غير الوارث و قيل أنها غير منسوخه أصلا و هو الصحيح عند المحققين من أصحابنا لأن من قال أنها منسوخه بآيه الموارث فقله باطل بأن النسخ بين الخبرين إنما يكون إذا تنافى العمل بموجبهما و لا تنافى بين آيه الموارث و آيه الوصيه فكيف تكون هذه ناسخه بتلك مع فقد التنافى و من قال أنها منسوخه

بقوله (عليه السلام) لا وصيه لوارث

فقد أبعده لأن الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضى الظن و لا يجوز أن ينسخ كتاب الله تعالى الذى يوجب العلم اليقين بما يقتضى الظن و لو سلمنا الخبر مع ما ورد من الطعن على روايه لخصصنا عموم الآيه و حملناها على أنه لا وصيه لوارث بما يزيد على الثلث لأن ظاهر الآيه يقتضى أن الوصيه جائزه لهم بجميع ما يملك و قول من قال حصول الإجماع على أن الوصيه ليست بفرض يدل على أنها منسوخه يفسد بأن الإجماع إنما هو على أنها لا تفيد الفرض و ذلك لا يمنع من كونها مندوبا إليها مرغبا فيها و

قد روى أصحابنا عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه سئل هل تجوز الوصيه للوارث فقال نعم و تلا هذه الآيه

و

روى السكونى عن أبى عبد الله عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصيه

و مما يؤيد ما ذكرناه ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال من مات بغير وصيه مات ميتة جاهليه

و

عنه (عليه السلام) أنه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا فى مروءته و عقله

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال ما ينبغى لامرئ مسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت رأسه.

ص: ٣٩٩

اشاره

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

المعنى

ثم أورد سبحانه على تغيير الوصيه فقال «فَمَنْ بَدَّلَهُ» أى بدل الوصيه و غيرها من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود و إنما ذكر حملا على الإيضاء كقوله «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى وعظ و التبديل تغيير الشىء عن الحق فيه بأن يوضع غيره فى موضعه «بَعْدَ مَا سَمِعَهُ» من الموصى الميت و إنما ذكر السماع ليدل على أن الوعيد لا يلزم إلا بعد العلم و السماع «فَإِنَّمَا إِثْمُهُ» أى إثم التبديل «عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ» أى على من يبدل الوصيه و برىء الميت «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أى سميع لما قاله الموصى من العدل أو الجنف عليم بما يفعله الوصى من التصحيح أو التبديل و قيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم و قيل سميع بجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات و فى هذه الآيه دلالة على أن الوصى أو الوارث إذا فرط فى الوصيه أو غيرها لا يأثم الموصى بذلك و لم ينقص من أجره شىء فإنه لا يجازى أحد على عمل غيره و فيها أيضا دلالة على بطلان قول من يقول أن الوارث إذا لم يقض دين الميت فإنه يؤخذ به فى قبره أو فى الآخره لما قلناه من أنه يدل على أن العبد لا يؤاخذ بجرم غيره إذ لا إثم عليه بتبديل غيره و كذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصى به لم يزل ذلك عقابه إلا أن يتفضل الله بإسقاطه عنه.

اشاره

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص و يعقوب موص بالتشديد و قرأ الباقون «موص» بالتخفيف.

الإعراب

ذكرناها عند قوله وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ.

اللغه

الجنف الجور و هو الميل عن الحق و قال صاحب العين هو الميل فى الكلام و فى الأمور كلها يقال جنف علينا فلان و أجنف فى حكمه و هو مثل الحيف إلا أن الحيف فى الحكم خاصه و الجنف عام و رجل أجنف فى أحد شقيه ميل على الآخر قال

الشاعر فى الجنف:

إنى امرؤ منعت أرومه عامر

ضيمى و قد جنفت على خصوم

الإعراب

من فى قوله «مِنْ مُوصٍ» يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فموضع الجار و المجرور مع المحذوف نصب على الحال و ذو الحال قوله «جَنَفًا» و بين ظرف مكان لأصلح و الضمير فى بينهم عائد إلى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصى و الإصلاح لأنه يدل على الموصى لهم و من ينازعهم و أنشد الفراء فى مثله:

أعمى إذا ما جارتى خرجت

حتى يوارى جارتى الخدر

و يصم عما كان بينهما

سمعى و ما بى غيره وقر

أراد بينها و بين زوجها و إنما ذكرها وحدها.

المعنى

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصيه بين فى هذه الآيه أن ذلك يلزم من غير حقا باطل فأما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال «فَمَنْ خَافَ» أى خشى و قيل علم لأن فى الخوف طرفا من العلم و ذلك أن القائل إذا قال أخاف أن يقع أمر كذا فكأنه يقول أعلم و إنما يخاف لعلمه بوقوعه و منه قوله «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ» و قوله «إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» «مِنْ مُوصٍ جَنَفًا» أى ميلا عن الحق فيما يوصى به فإن قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع و الخوف إنما يكون لما لم يقع قيل أن فيه قولين (أحدهما) أنه خاف أن يكون قد زل فى وصيته فالخوف يكون للمستقبل و هو من أن يظهر ما يدل على أنه قد زل لأنه من جهة غالب الظن (و الثانى) أنه لما اشتمل على الواقع و على ما لم يقع جاز فيه خاف فإمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع و ما وقع رده إلى العدل بعد موته و قال الحسن الجنف هو أن يوصى به فى غير قرابه و إنما قال ذلك لأن عنده الوصيه للقرابه واجبه و الأمر بخلافه و قيل المراد من خاف من موص فى حال مرضه الذى يريد أن يوصى جنفا و هو أن يعطى بعضا و يضر ببعض فلا إثم عليه أن يشير عليه بالحق و يرده إلى الصواب و يصلح بين الموصى و الورثه و الموصى له حتى يكون الكل راضين و لا يحصل جنف و لا إثم و يكون قوله «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» أى فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد و يكون قوله «فَمَنْ خَافَ» على ظاهره و يكون الخوف مترقبا غير واقع و هذا قريب غير أن الأول عليه أكثر المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى

عبد الله (عليه السلام) و قوله «أَوْ إِثْمًا»

الإثم أن يكون الميل عن الحق على وجه العمد و الجنف أن يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري أنه يجوز و هو معنى قول ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام)

«فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» أى بين الورثة و المختلفين فى الوصيه و هم الموصى لهم «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» لأنه متوسط مرید للإصلاح و إنما قال «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» و لم يقل يستحق الأجر لأن المتوسط إنما يجرى أمره فى الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه فبين سبحانه لنا أنه لا إثم عليه فى ذلك إذا قصد الإصلاح و قيل إنه لما بين إثم المبدل و هذا أيضا ضرب من التبديل بين مخالفته للأول بكونه غير مأثوم برده الوصيه إلى العدل ف «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يعنى إذا كان يغفر الذنوب و يرحم المذنب فأولى و أحرى أن يكون كذلك و لا ذنب و

روى عن الصادق (عليه السلام) فى قوله «جَنَفًا أَوْ إِثْمًا» أنه بمعنى إذا اعتدى فى الوصيه و زاد على الثلث

و روى ذلك عن ابن عباس و

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفاره لما ضيع من زكاته فى حياته و بالله التوفيق.

ص: ٤٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

